سلسلة المئويات

مختارات من شعر

محمود سامي البارودي

إعداد
السماح عبد الله





رسة الإحياء فى
ربى الحديث.

أكتوبر عام ١٨٣٩
ى البارود».

ى المدرسة الحربية
بالعمل فى
ة بالآستانة.

ترة وجوده بتر
الآداب التركية
ة، وأتقن لغتي

ى ملتحقا بالحاشية
ة.

ارة المعارف.

ى الحركة العرابية
ك فى ثورة الجيش
قيادة أحمد عرابى
ا.

ركة العرابية، يعهد
ى بتشكيل الحكومة
ة، وسرعان مايجبر
ستقالة.

ـر عام ١٨٨٢، يقبض
ماء الحركة العرابية
بارودى وتم محاكمتهم،
لبارودى إلى جزيرة
يا».

ن كبير يتكون من
ى كبيرين، بالإضافة
يدته «كشف الغمة
ح سيد الأمة».

ارات من الشعر العربى
دين.

حمود سامى البارودى
يسمير ١٩٠٤.

20

ق الفران



مختارات من شعر

محمود سامي البارودي

إعداد
السماح عبد الله



برعاية السيدة

سوزان مبارك

المشرف العام

د. ناصر الأنصارى

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

وزارة الشباب

الإشراف الطباعى

محمود عبد المجيد

الإشراف الفنى

صبرى عبد الواحد

ماجدة عبد العليم

التنفيذ

الهيئة المصرية العامة للكتاب

توطئة

تحتفل أوروبا هذا العام بمرور أربعمائة عام على صدور أول طبعة لرواية الكاتب الأسبانى «سرفانتس» الخالدة : «دون كيشوت»، والتى تعد من أكثر الكتب توزيعًا ومبيعًا، وترجمةً إلى اللغات الأخرى فى العالم. كما تحتفل أوروبا أيضًا بمرور ثلاثة قرون على صدور أول طبعة فرنسية لترجمة «ألف ليلة وليلة» من العربية إلى الفرنسية عام ١٧٠٥، وهى أول طبعة لألف ليلة وليلة فى العالم، حتى قبل أن تطبع باللغة العربية، وكانت الترجمة إلى الفرنسية عن مخطوط عربى.

كما تحتفل الدانمارك بمرور مائتى عام على مولد كاتب الأطفال الأشهر «أندرسون»، وتحتفل ألمانيا أيضًا هذا العام بشاعرها المسرحى الكبير «شيللر» الذى يمر مائتا عام على رحيله عام ١٨٠٥ . أما الأدب الروسى فيحتفل هذا العام بمرور مائة عام على رحيل أوسع الكُتاب الروس شهرة، وهو «أنطون تشيخوف».

وقد رأت مكتبة الأسرة ـ وهى تجدد نفسها هذا العام ـ أن تضيف سلسلة جديدة ضمن سلاسلها، وأطلقنا عليها سلسلة «المئويات». وبحثنا فوجدنا مئويات أخرى منها: مئوية ميلاد الفنان التشكيلى الأسبانى «سلفادور دالى»، ومئوية رحيل الكاتب الفرنسى، صاحب العشرين ألف فرسخ تحت الماء: «چول فيرن»، ومئوية ميلاد الفيلسوف الفرنسى «چان بول سارتر».

وفى مصر وجدنا الذكرى المئوية لعالم الأزهر الأشهر فى القرن التاسع عشر، صاحب النظريات الإصلاحية، والأفكار المستنيرة الإمام «محمد عبده»، والذكرى المئوية الأولى لرحيل الشاعر «محمود سامى البارودى»، رب السيف والقلم، والذكرى المئوية الثانية لتولية محمد على ولاية مصر، وهى الولاية التى اتسمت بنهضة شاملة بعد ثلاثة قرون من السُبات العميق إبان الحكم العثمانى.

ومن مئويات الأشخاص إلى مئويات الأماكن نجد مئوية ضاحية مصر الجديدة، وذكرى مرور مائة عام على تأسيس النادى الأهلى المصرى.

والكتاب الذى بين أيدينا الآن هو كتاب مختارات من شعر البارودى، الرائد التأسيسى، الذى حمل على عاتقه مهمة إحياء الشعر العربى، بعد قرون من السُّبَات، تفككت فيها أوصالُ القصيدة، وصارت مجرد زركشات شكلانية بلاروح، وهو الدور الريادى الذى سيمهد الطريق ليسير فيه شعراء الصحوة الذين سرعان ما تعاقبوا واحدًا وراء الآخر، وكلهم يدينُ بالفضل للبارودى ويعرف له حقه.

وقد أعد هذه المختارات الشاعر «السماح عبدالله»، وتصدرها مكتبة الأسرة هذا العام فى طبعة أولى.

د. ناصر الأنصارى

تصدير

محمود سامى باشا البارودى

(١٨٣٩ ـ ١٩٠٤)

مائة عام على الرحيل

نظر حواليه، فوجد الشعراء يعبثون. لا قضية حقيقية تشغلهم؛ رغم ما تذخر به المنطقة من أحداث جسام فى هذه الفترة.

ولا شعرًا حقيقيًا تقدمه قصائدهم، اللهم إلا معمارًا هندسيًا هشًا، وإن كان منمقًا وموزونًا ذا ألفاظ فخيمة رنانة ـ وإن كانت صحيحة لغويًا ـ وحسًا باردًا وإن كان فى هيئة الشعر.

وهكذا، تمامًا كطبيعة الرواد، قرر محمود باشا سامى البارودى أن يشق طريق البداية، ليعبد الدرب أمام الشعراء الذين سيجيئون بعده؛ لذا عاد إلى شعر العصر العباسى ليقيم هذه الموازنة الفنية الهائلة، والمزاوجة بين العصر العباسى وعصره.

كتب البارودى قصيدة تأسيسية، ستكون مع التراكم والاستمرارية، المناخ الرحب الذى سيحيا فيه مستقبلاً جيل التأسيس، إسماعيل صبرى، وأحمد شوقى ورفاقهما الأوائل.

ولد محمود سامى البارودى عام ١٨٣٩، لأبوين چركسيين، والتحق بالمدرسة الحربية فى الثانية عشرة من عمره وتخرج فيها برتبة «باشجاويش».

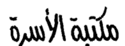
عندما تولى إسماعيل باشا عرش مصر، رقّاه فى رتبته العسكرية، وجعله على قيادة فرقتين من الفرسان، وهكذا تعددت رحلات البارودى العسكرية لتركيا وفرنسا وإنجلترا، وفى الأربعين من عمره عيِّن مديرًا للشرقية، فمديرًا للأوقاف، ثم ناظرًا (وزيرًا) للحربية.

انضم البارودى للحركة القومية، المتمثلة فى الحركة العرابية، وعندما تخفق الحركة، يحاكم زعماؤها، وينفون «ومعهم البارودى» إلى سيلان لأكثر من سبعة عشر عامًا. وفى عام ١٩٠٠، يصدر عباس حلمى - والى البلاد - أمرًا بالعفو عن البارودى، فيعود على ظهر سفينة إلى مصر.

ويظل البارودى فى مصر: سنوات قليلة لا تعد على أصابع اليد الواحدة، حتى تقيض روحه، لكنه يموت سعيدًا؛ لأنه مات على أرض مصر. ويموت سعيدًا لأنه أدى دوره الوطنى. كما ينبغى للفارس النبيل، ويموت سعيدًا؛ لأنه فتح الباب لأجيال شعرية كثيرة، ستأتى بعده، عارفة فضله، ومقدرة دوره التأسيسى الإحيائى الذى هو فى الأساس، دور حداثى بالدرجة الأولى.

البارودى، هو الذى فتح الباب، وأشار للطريق.

ومكتبة الأسرة، بمناسبة مئوية رحيله، تقدم هذه المختارات، التى اعتمدنا فيها على ديوان البارودى الكامل، الصادر عام ١٩٩٢، فى جزءين بلغا ١٥١٢ صفحة من القطع الكبير، وقد حقق الجزء الأول من الديوان وصححه وضبطه وشرحه على الجارم ومحمد شفيق معروف، وقدّمه الدكتور جابر عصفور، هذا إلى جانب (تقديم ديوان البارودى) الذى كتبه محمد حسين هيكل فى طبعته الأولى، أما الجزء الثانى من الديوان، والذى يضم قافية اللام والميم والنون والهاء والواو والياء، فقد انفرد بتحقيقه وتصحيحه وضبطه وشرحه محمد شفيق معروف وحده.





محمود سامي البارودي

القصيدة الأولى
كشف الأمة في مدح سيد الأمة

حَمْدُ اللَّهِ لِذَاتِهِ آيَةُ الإِيمَانِ وَالإِخْلَاصِ ، وَالصَّلاةُ عَلَىٰ النَّبِيِّ وَآلِهِ مَحَجَّةِ الْخَلَاصِ[1] (وَبَعْدُ) فَهَذِهِ قَصِيدَةٌ ضَمَّنْتُهَا[2] سِيرَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حِينِ مَوْلِدِهِ الكَرِيمِ إِلَى يَوْمِ انْتِقَالِهِ إِلَى جِوَارِ رَبِّه ، وَقَدْ بَنَيْتُهَا عَلَى سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ [3] وَسَمَّيْتُهَا (كَشْفَ الغُمَّة ، في مَدْحِ سَيِّدِ الأُمَّة) وَرَغْبَتِي[4] إِلَى اللَّهِ أَنْ تَكُونَ لِي ذَرِيعَةً[5] أَمُتُّ[6] بِهَا يَوْمَ المَعَادِ، وَسُلَّماً إِلَى النَّجَاةِ مِنْ هَوْلِ المَحْشَرِ ، اللَّهُمَّ فَحَقِّقْ رَغْبَتِي إِلَيْكَ ، وَاكْسُهَا بِفَضْلِكَ رَوْنَقَ القَبُولِ ، آمين .

---

(١) طريق النجاة .

(٢) أودعت فيها .

(٣) اسم كتاب لأبي محمد عبد الملك بن هشام الحميريّ البصريّ الأصل المشهور بحمل العلم المتوفي بمصر سنة ٢١٣ أو ٢١٨ هـ جمع فيه ما لخصه وهذبه من مغازي رئيس أهل هذا الفن الإمام محمد بن اسحق المتوفي سنة ١٥١ هـ .

(٤) تضرعي وابتهالي .

(٥) وسيلة .

(٦) أتوسل .

يـاَرائِـدَ الْـبَـرْقِ يَـمِّـمْ دارَةَ الْـعَـلَـمِ ۝ وَآحْـدُ الْغَمَـامَ إلَى حَيٍّ بِـذي سَلَمِ [1]

وَإنْ مَـرَرْتَ عَلَى الـرَّوْحَـاءِ فـآمْـرِ لَهَـا ۝ أَخْـلاَفَ سَـارِيَـةٍ هَتَّـانَـةِ الـدِّيَمِ [2]

مِنَ آلغِـزَارِ الَّـلوَاتِي فـي حَـوَالِبِـهَـا ۝ رِيُّ النَّـوَاهِـلِ مِنْ زَرْعٍ وَمِنْ نَعَمِ [3]

إذَا آسْتَهَلَّتْ بِـأرْضٍ نَمْنَمَتْ يَـدُهَـا ۝ بُـرْداً مِنَ النَّـوْرِ يَكْسُو عـارِيَ الأَكَمِ [4]

تَـرَى النَّبَـاتَ بِهَـا خُضْـراً سَنَـابِلُهُ ۝ يَخْتَـالُ في حُلَّةٍ مَـوْشِيَّـةِ آلعَـلَمِ [5]

أَدْعُـو إلَى الـدَّارِ بِـالسُّقْيَا وَبِي ظَمَـأٌ ۝ أَحَقُّ بِـالـرِّيِّ لَـكِـنِّـي أَخُـو كَـرَمِ

مَـنَـازِلٌ لِهَـوَاهَـا بَيْـنَ جَـانِـحَـتِي ۝ وَدِيعَـةٌ سِـرُّهَـا لَمْ يَتَّصِـلْ بِفَمِي [6]

إذا تَنَسَّمْتُ مِنْهَـا نَفْـحَـةً لَـعِبَـتْ ۝ بِيَ الصَّبَـابَـةُ لِعْبَ الّريحِ بِـالْعَلَمِ [7]

أَدِرْ عَلَى السَّمْـعِ ذِكْرَاهَـا فَـإنَّ لَهَـا ۝ في آلْقَلْبِ مَنْـزِلَـةً مَـرْعِيَّـةَ الـذِّمَمِ

---

(١) يا رائد البرق: الرائد الرسول الذي يتقدم القوم ليلتمس لهم مكاناً خصيباً ينزلـون فيه وقد أراد به الناظم (رحمه الله) الريح التي تتقدم الغيث. يمم: اقصـد. الدارة: ما أحاط بالشيء. العلم: اسم جبل بـالحجاز. أحـد الغمام: أي سقه بالغيث. ذو سلم: موضع بالحجاز.

(٢) الـروحاء: مـوضع بـين مكة والمـدينة. فـامر لهـا: أي فاستدر لأجلها. الأخـلاف: الضروع. سارية الخ: أي سحابة كثيرة الأمطار.

(٣) الغزار: السحائب الكثيرة الغيث. الحوالب: منابع الماء. النواهل: العطاش.

(٤) نمنمت: نقشت وزينت. النور: الزهر. الأكم: التلول.

(٥) يختال: يتبختر ويتباهى. الموشية: المحسنة والمزينة. العلم: رقم الثوب في أطرافه.

(٦) الجانحة: واحدة الجوانح وهي الأضلاع مما يلي الصدر.

(٧) تنسمت: تشممت ووجدت. العلم: اللواء.

عَهْدٌ تَوَلَّى وَأَبْقَى فِي ٱلفُؤَادِ لَهُ ... شَوْقاً يَفُلُّ شَبَاةَ الرَّأْيِ وَٱلهِمَمِ [1]

إذا تَذَكَّرْتُهُ لاحَتْ مَخَائِلُهُ ... لِلْعَيْنِ حَتَّى كَأَنِّي مِنْهُ فِي حُلُمِ [2]

فَمَا عَلَى الدَّهْرِ لَوْ رَقَّتْ شَمَائِلُهُ ... فَعَادَ بِالوَصْلِ أَوْ أَلْقَى يَدَ السَّلَمِ [3]

تَكَاءَدَتْنِي خُطُوبٌ لَوْ رَمَيْتُ بِهَا ... مَنَاكِبَ الأَرْضِ لَمْ تَثْبُتْ عَلَى قَدَمِ [4]

فِي بَلْدَةٍ مِثْلِ جَوْفِ ٱلعَيْرِ لَسْتُ أَرَى ... فِيهَا سِوَى أُمَمٍ تَحْنُو عَلَى صَنَمِ [5]

لَا أَسْتَقِرُّ بِهَا إلَّا عَلَى قَلَقٍ ... وَلَا أَلَذُّ بِهَا إلَّا عَلَى أَلَمِ

إذَا تَلَفَّتُّ حَوْلِي لَمْ أَجِدْ أَثَراً ... إلَّا خَيَالِي وَلَمْ أَسْمَعْ سِوَى كَلِمِي

فَمَنْ يَرُدُّ عَلَى نَفْسِي لُبَانَتَهَا ... أَوْ مَنْ يُجِيرُ فُؤَادِي مِنْ يَدِ السَّقَمِ [6]

لَيْتَ ٱلقَطَا حِينَ سَارَتْ غُدْوَةً حَمَلَتْ ... عَنِّي رَسَائِلَ أَشْوَاقِي إِلَى إِضَمِ [7]

---

(١) يفل: يثلم ويكسر. الشباة: الحد.

(٢) المخائل: جمع خيالة وهي التي تتشبه لك من الصور في اليقظة. الحلم: النوم.

(٣) السلم: الإستسلام والإنقياد.

(٤) تكاءدتني: شقت عليّ.

(٥) البلدة: الأرض وأراد بها جزيرة «سيلان» ومعظم أهلها بوذية.. مثل جوف العير «الحمار»: أي خالية من أسرته وأحبابه كخلو جوف العير من السكان وهو واد منسوب إلى حمار بن مويلع (بالتصغير) رجل من بقايا عاد أشرك بالله فأرسل عليه صاعقة فأحرقته وجوفه.

(٦) اللبانة: الحاجة وأراد بها عودته إلى وطنه المحبوب «مصر» ليتمتع بأسرته وأحبابه وقد نال بغيته فعاد إليه في ٦ جمادى الأولى سنة ١٣١٧ هـ.

(٧) القطا: طائر في حجم الحمام يذهب لطلب الماء من مسّيرة ليلة فيرده ضحوة ثم يعود فلا يخطىء موضعه. إضم: اسم الوادي الذي فيه المدينة النبوية، على ساكنها أفضل صلاة وأعظم تحية.

ـرَّتْ عَلَيْنَا خِمَاصاً وَهْيَ قَارِبَةٌ   مَرَّ ٱلعَوَاصِفِ لاَ تَلْوِي عَلَى إِرَمِ (١)

ـ تُدْرِكُ ٱلعَيْنُ مِنْهَا حِينَ تَلْمَحُهَا   إِلاَّ مِثَالاً كَلَمْعِ ٱلبَرْقِ فِي الظُّلَمِ

ـأَنَّهَا أَحْرُفُ بَرْقِيَّةٌ نَبَضَتْ   بِالسِّلْكِ فَٱنْتَشَرَتْ فِي السَّهْلِ وَٱلعَلَمِ (٢)

ـ شَيْءَ يَسْبِقُهَا إِلاَّ إِذَا اعْتَقَلَتْ   بَنَانَتِي فِي مَدِيحِ المُصْطَفَى قَلَمِي (٣)

مُحَمَّدٌ) خَاتَمُ الرُّسْلِ الَّذِي خَضَعَتْ   لَهُ ٱلبَرِيَّةُ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ

ـسَمِيرُ وَحْيٍ وَمَجْنَى حِكْمَةٍ وَنَدَى   سَمَاحَةٍ وَقِرَى عَافٍ وَرِيُّ ظَمِ (٤)

ـدْ أَبْلَغَ الوَحْيُ عَنْهُ قَبْلَ بِعْثَتِهِ   مَسَامِعَ الرُّسْلِ قَوْلاً غَيْرَ مُنْكَتِمِ

ـذَاكَ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ خَالِقَهُ   وَسِرُّ مَا قَالَهُ عِيسَى مِنَ ٱلقِدَمِ (٥)

كْرِمْ بِهِ وَبِآبَاءٍ مُحَجَّلَةٍ   جَاءَتْ بِهِ غُرَّةٌ فِي الأَعْصُرِ الدُّهُمِ (٦)

---

(١) الخماص: الجياع. القاربة: الطالبة للماء. تلوى: تعطف. والإرم: حجارة تنصب علما بالمفازة.

(٢) برقية: نسبة إلى الموصل البرقي المعروف «بالتلغراف». نبضت: تحركت. العلم: الجبل.

(٣) اعتقلت: حبست. البنانة: الإصبع أو طرفه.

(٤) سمير وحي: أي مسامر قرآن. مجنى حكمة: أي مكان أخذ فهم حقائق القرآن وإصابة الحق بالعلم والعقل. ندى سماحة: أي سخاء ناشيء عن سهولة في الإعطاء مع طيب نفس. قرى عاف: أي ضيافة ضيف.

(٥) فذاك الخ: يشير إلى قوله تعالى «ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم». سر ما قاله الخ: يومىء إلى قوله جل ذكره «ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد».

(٦) الدهم: السود.

قَـدْ كَـانَ فِي مَلَكُـوتِ اللَّهِ مُـدَّخَـراً ... لِـدَعْـوَةٍ كَـانَ فِيهَـا صَـاحِبَ ٱلعَلَمِ (١)

نُـورٌ تَـنَقَّـلَ فِـي الأَكْـوَانِ سَـاطِعُـهُ ... تَنَقُّـلَ ٱلبَـدْرِ مِنْ صُلْبٍ إلَى رَحِـمِ (٢)

حَتَّى ٱسْتَقَـرَّ بِعَبْـدِ اللَّـهِ فَـٱنْبَلَجَتْ ... أَنْـوَارُ غُـرَّتِـهِ كَـالْبَـدْرِ فِي ٱلبُهُمِ (٣)

وَاخْتَـارَ آمِنَـةَ ٱلعَـذْرَاءَ صَـاحِبَـةً ... لِفَضْلِهَـا بَيْنَ أَهْـلِ الْحِلِ وَٱلحَـرَمِ (٤)

كِـلاَهُمَـا فِي ٱلعُـلاَ كُفْءٌ لِصَـاحِبِـهِ ... وَٱلكُفْءُ فِي ٱلمَجْدِ لاَ يُسْتَامُ بِالْقِيَمِ (٥)

فَـأَصْبَحَتْ عِنْـدَهُ فِي بَيْـتِ مَكْـرُمَـةٍ ... شُيِّـدَتْ دَعَـائِمُـهُ فِي مَنْصِبٍ سَنِمِ (٦)

«وَحِينَمَـا» حَمَلَتْ بِالمُصْـطَفَى وَضَعَتْ ... يَـدُ المَشِيئَةِ عَنْهَـا كُلْفَـةَ الْـوَحَمِ (٧)

وَلَاحَ مِنْ جِسْـمِهَـا نُـورٌ أَضَـاءَ لَـهَـا ... قُصُورَ بُصْرَى بِأَرْضِ الشَّأْمِ مِنْ أَمَمِ (٨)

«وَمُـذْ» أَنَى الْوَضْـعُ وَهْوَ الـرَّفْـعُ مَنْـزِلَـةً ... جَـاءَتْ بِـرُوحٍ بِنُـورِ اللَّهِ مُـتَّسِـمِ (٩)

ضَـاءَتْ بِـهِ غُـرَّةُ الاثْنَيْنِ وَابْتَسَـمَتْ ... عَنْ حُسْنِهِ فِي رَبِيعٍ رَوْضَـةُ الْحَرَمِ (١٠)

---

(١) ملكوت الله: أي علمه القديم. صاحب العلم: أي الرئيس المقدم.

(٢) الصلب: ظهر الرجل. الرحم: مقر الجنين.

(٣) انبلجت: أشرقت وأضاءت. الغرة: الجبهة. البهم: الليالي التي لا ضوء فيها.

(٤) العذراء: البكر. الصاحبة: الزوجة.

(٥) يستام: يقوّم ويقدر.

(٦) شيدت: رفعت. الدعائم: العمد. المنصب: المحتد والأصل. السنم: المرتفع.

(٧) روي عن السيدة آمنة رضي الله عنها أنها قالت ما وجدت لحمله ثقلاً ولا وحماً.

(٨) بصرى: من أعمال دمشق وهي المعروفة بحوران. الأمم: القرب.

(٩) أنى: حان.

(١٠) غرة الإثنين أي أوله ١٢ ربيع الأول من عام الفيل على المشهور. روضة الحرم: أراد بها مكة.

«وَأَرْضَعَتْهُ» وَلَمْ تَيْأَسْ حَلِيمَةُ مِنْ ... قَوْلِ ٱلْمَرَاضِعِ إِنَّ ٱلْبُؤْسَ فِي ٱلْيَتَمِ [1]

فَفَاضَ بِالدَّرِّ ثَدْيَاهَا وَقَدْ غَنِيَتْ ... لَيَالِياً وَهْيَ لَمْ تَطْعَمِ وَلَمْ تَنَمِ [2]

وَٱنْهَلَّ بَعْدَ انْقِطَاعٍ رِسْلُ شَارِفِهَا ... حَتَّى غَدَتْ مِنْ رَفِيهِ ٱلْعَيْشِ فِي طُعَمِ [3]

فَيَمَّمَتْ أَهْلَهَا مَمْلُوءَةً فَرَحاً ... بِمَا أُتِيحَ لَهَا مِنْ أَوْفَرِ ٱلنِّعَمِ [4]

وَقَلَّصَ ٱلْجَدْبُ عَنْهَا فَهْيَ طَاعِمَةٌ ... مِنْ خَيْرِ مَارَفَدَتْهَا ثَلَّةُ ٱلْغَنَمِ [5]

وَكَيْفَ تَمْحَلُ أَرْضٌ حَلَّ سَاحَتَهَا ... مُحَمَّدُ وَهْوَ غَيْثُ ٱلْجُودِ وَٱلْكَرَمِ [6]

فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهَا يَنْمُو وَتَكْلَؤُهُ ... رِعَايَةُ اللَّهِ مِنْ سُوءٍ وَمِنْ وَصَمِ [6]

حَتَّى إِذَا تَمَّ مِيقَاتُ الرَّضَاعِ لَهُ ... حَوْلَيْنِ أَصْبَحَ ذَا أَيْدٍ عَلَى ٱلْفُطُمِ [7]

وَجَاءَ كَالْغُصْنِ مَجْدُولاً تَرِفُّ عَلَى ... جَبِينِهِ لَمَحَاتُ ٱلْمَجْدِ وَٱلْفَهَمِ [8]

قَدْ تَمَّ عَقْلاً وَمَا تَمَّتْ رَضَاعَتُهُ ... وَفَاضَ حِلْماً وَلَمْ يَبْلُغْ مَدَى الْحُلُمِ

---

(١) البؤس: الفقر. اليتم: فقدان الأب.

(٢) الدر: اللبن. غنيت: أقامت.

(٣) رسل شارفها: أي لبن ناقتها المسنة. الرفيه: الرغد اللين.

(٤) أتيح: قدر وهيء.

(٥) قلص: ذهب بسرعة. الجدب: المحل «نقيض الخصب» رفدت: أعطت. الثلة: الجماعة.

(٦) ينمو: يزيد، كان عليه السلام يشب في اليوم شباب الصبي في الشهر وفي الشهر شبابه في السنة. تكلؤه: تحفظه وتحرسه. الوصم: المرض.

(٧) الأيد: القوة. الفطم: جمع فطيم بمعنى مفطوم.

(٨) مجدولا: أي محكم الخلقة. ترفّ: تتلألأ وتظهر. لمحات الخ: أي علامات المروءة والمعرفة.

«فَبَيْنَمَا» هُوَ يَرْعَى آلبَهْمَ طَافَ بِهِ ... شَخْصَانِ مِنْ مَلَكُوتِ اللّهِ ذِي آلعِظَمِ (١)

فَأَضْجَعَاهُ وَشَقًّا صَدْرَهُ بِيَدٍ ... رَفِيقَةٍ لَمْ يَبِتْ مِنْهَا عَلَى أَلَمِ

وَبَعْدَمَا قَضَيَا مِنْ قَلْبِهِ وَطَراً ... تَوَلَّيَا غَسْلَهُ بِالسَّلْسَلِ الشَّبِمِ (٢)

مَا عَالَجَا قَلْبَهُ إلاَّ لِيَخْلُصَ مِنْ ... شَوْبِ آلهَوَى وَيَعِي قُدْسِيَّةَ الحِكَمِ (٣)

فَيَا لَهَا نِعْمَةً لِلَّهِ خَصَّ بِهَا ... حَبِيبَهُ وَهْوَ طِفْلٌ غَيْرُ مُحْتَلِمِ

«وَقَالَ» عَنْهُ بُحَيْرا حِينَ أَبْصَرَهُ ... بِأَرْضِ بُصْرَى مَقَالاً غَيْرَ مُتَّهَمِ (٤)

إذْ ظَلَّلَتْهُ آلغَمَامُ آلغُرُّ وَانْهَصَرَتْ ... عَطْفاً عَلَيْهِ فُرُوعُ الضَّالِ وَالسَّلَمِ (٥)

بِأَنَّهُ خَاتَمُ الرُّسْلِ آلكِرَامِ وَمَنْ ... بِهِ تَزُولُ صُرُوفُ آلبُؤْسِ وَالنِّقَمِ

«هَذَا» وَكَمْ آيَةٍ سَارَتْ لَهُ فَمَحَتْ ... بِنُورِهَا ظُلْمَةَ الأَهْوَالِ وَآلقُحَمِ (٦)

مَا مَرَّ يَوْمٌ لَهُ إلاَّ وَقَلَّدَهُ ... صَنَائِعاً لَمْ تَزَلْ فِي الدَّهْرِ كَالعَلَمِ

حَتَّى اسْتَتَمَّ وَلاَ نُقْصَانَ يَلْحَقُهُ ... خَمْساً وَعِشْرِينَ سِنَّ آلبَارِعِ آلفَهِمِ (٧)

---

(١) البهم: صغار أولاد الغنم والمعز.

(٢) وطرا: أي حاجة وهي علقة سوداء كما في بعض الروايات. السلسل الشبم: الماء العذب البارد.

(٣) الشوب: الخلط. الهوى: محبة الإنسان للشيء وغلبته على قلبه. يعي الخ: أي يحفظ ويعقل. الحكم: المطهرة مما يشوبها.

(٤) بحيرا: كان راهباً انتهى إليه علم أهل النصرانية.

(٥) انهصرت: مالت. الضال: نوع من الشجر ومثله السلم.

(٦) القحم: المهالك.

(٧) البارع: الفائق في العقل. الفهم: السريع الفهم

وَلَـقَّبَـتْـهُ قُـرَيْشٌ بِـالأَمِيـنِ عَـلَى ... صِـدْقِ الأَمَـانَـةِ والإِيفَـاءِ بِـالـذِمَمِ

وَدَّتْ خَـدِيجَـةُ أَنْ يَـرْعَى تِجَـارَتَهَـا ... وِدَادُ مُـنْـتَـهِـزٍ لِلْخَـيْـرِ مُغْـتَـنِـمِ

فَشَـدَّ عَـزْمَـتَـهَـا مِـنْـهُ بِـمُـقْـتَـدِرٍ ... مَـاضِي الجَنَـانِ إِذَا مَـاهَمَّ لَمْ يَخِمِ [١]

وَسَـارَ مُعْتَـزِمـاً لِـلشَّـأْمِ يَصْـحَبُـهُ ... فِي السَّيْرِ مَيْسُرَةُ المَرْضِيُّ فِي الْحَشَمِ [٢]

فَـمَـا أَنَـاخَ بِهَـا حَـتَّى قَـضَى وَطَـراً ... مِنْ كُـلِّ مَا رَامَـهُ فِي ٱلبَيْـعِ وَٱلسَّلَمِ [٣]

وَكَيْفَ يَخْسَـرُ مَـنْ لَـوْلاَهُ مَـا رَبِحَـتْ ... تِجَـارَةُ الـدِّينِ فِي سَهْـلٍ وَفِـي عَلَمِ

فَـقَصَّ مَيْسُـرَةُ ٱلـمَـأْمُـونُ قِـصَّـتَـهُ ... عَلَى خَـدِيجَـةَ سَـرْداً غَيْـرَ مُنْعَجِمِ [٤]

وَمَـا رَوَاهُ لَـهُ كَـهْـلٌ بِـصَـوْمَـعَـةٍ ... مِنَ الـرُّهَـابِينِ عَنْ أَسْلاَفِهِ ٱلقُـدُمِ [٥]

فِي دَوْحَـةٍ عَـاجَ خَيْـرُ ٱلمُرْسَلِينَ بِهَـا ... مِنْ قَبْـلِ بَعْثَتِـهِ لِلْعُـرْبِ وَالْعَجَمِ [٦]

هَـذَا نَـبِيٌّ وَلَـمْ يَنْـزِلْ بِسَـاحَتِهَـا ... إِلاَّ نَـبِيٌّ كَـرِيـمُ النَّفْسِ وَٱلشِّـيَمِ

وَسِيـرَةَ ٱلمَـلَكَيْـنِ الْحَـائِـمَيْنِ عَلَى ... جَبِينِـهِ لِيُـظِلاَّهُ مِـنَ التَّـهَـمِ [٧]

---

(١) الجنان: القلب. ولم يخم: لم ينكص ولم يجبن.

(٢) المعتزم: الماضي في طريقه ميسرة غلام السيدة خديجة رضي الله عنها. المرضيّ: المختار. الحشم: الخدم.

(٣) أناخ: أقام. السلم: السلف.

(٤) السرد: إجادة سياق الحديث والإتيان به على الولاء. المنعجم: المنبهم.

(٥) وما رواه الخ: بيان للقصة. الصومعة: منار الراهب. الرهابين: جمع رهبان. القدم: المتقدمين.

(٦) الدوحة: الشجرة العظيمة. عاج: أقام.

(٧) التهم: شدة الحر.

فَكَانَ مَا قَصَّهُ أَصْلاً لِمَا وَصَلَتْ بِهِ إِلَى الْخَيْرِ مِنْ قَصْدٍ وَمُعْتَزَمِ (١)

أَحْسِنْ بِهَا وُصْلَةً فِي اللَّهِ قَدْ أَخَذَتْ بِهَا عَلَى الدَّهْرِ عَقْداً غَيْرَ مُنْفَصِمِ

فَأَصْبَحَا فِي صَفَاءٍ غَيْرَ مُنْقَطِعٍ عَلَى الزَّمَانِ وَوِدٍّ غَيْرِ مُنْصَرِمِ

«وَحِينَمَا» أَجْمَعَتْ أَمْراً قُرَيْشُ عَلَى بِنَايَةِ ٱلْبَيْتِ ذِي الحُجَّابِ وَٱلْخَدَمِ

تَجَمَّعَتْ فِرَقُ الأَحْلَافِ وَاقْتَسَمَتْ بِنَاءَهُ عَنْ تَرَاضٍ خَيْرَ مُقْتَسَمِ (٢)

حَتَّى إِذَا بَلَغَ ٱلبُنْيَانُ غَايَتَهُ مِنْ مَوْضِعِ الرُّكْنِ بَعْدَ الكَدِّ وَالْجَشَمِ (٣)

تَسَابَقُوا طَلَباً لِلأَجْرِ وَاخْتَصَمُوا فِيمَنْ يَشُدُّ بِنَاهُ كُلُّ مُخْتَصَمِ

وَأَقْسَمَ ٱلقَوْمُ أَنْ لَا صُلْحَ يَعْصِمُهُمْ مِنَ اقْتِحَامِ ٱلمَنَايَا أَيَّمَا قَسَمِ

وَأَدْخَلُوا حِينَ جَدَّ الأَمْرُ أَيْدِيَهُمْ لِلشَّرِّ فِي جَفْنَةٍ مَمْلُوءَةٍ بِدَمِ (٤)

فَقَالَ ذُو رَأْيِهِمْ لَا تَعْجَلُوا وَخُذُوا بِالحَزْمِ فَهْوَ الَّذِي يَشْفِي مِنَ الحَزَمِ (٥)

لِيَرْضَ كُلُّ ٱمْرِىءٍ مِنَّا بِأَوَّلِ مَنْ يَأْتِي فَيَقْسِطُ فِينَا قِسْطَ مُحْتَكِمِ (٦)

---

(١) المعتزم: العزم بمعنى المعزوم عليه.

(٢) الأحلاف: أي في قريش وهم ست قبائل، عبد الدار، وكعب، وجمح، وسهم، ومخزوم، وعديّ.

(٣) الركن: المراد به الحجر الأسود. الكد: الشدة في العمل. الجشم: المشقة.

(٤) جد الأمر به: اشتد. الجفنة: كالقصعة.

(٥) ذو رأيهم: أي صاحب تدبيرهم والنظر في أمورهم وهو أبو أمية حذيفة بن المغيرة وكان أسنهم. الحزم: ضبط الإنسان أمره والأخذ فيه بالثقة. الحزم: كالغصص في الصدر.

(٦) يقسط الخ: أي يعدل بيننا في الحكم عدلاً مثل عدل من يقبل التحكيم.

فَـكَـانَ أَوَّلَ آتٍ بَـعْـدَمَـا اتَّـفَـقُـوا مُحَمَّـدُ وَهْـوَ فِي الْخَيْـرَاتِ ذُو قَـدَمِ [(١)]

فَقَـالَ كُـلٌّ رَضِينَـا بِـالأَمِينِ عَلَى عِلْمٍ فَـأَكْـرِمْ بِـهِ مِنْ عَـادِلٍ حَـكَمِ

فَـأَعْلَمُـوهُ بِمَـا قَـدْ كَـانَ وَٱحْتَكَمُـوا إِلَيْـهِ فِي حَلِّ هَـذَا ٱلْمُشْكِلِ ٱلْعَمَمِ [(٢)]

فَمَـدَّ ثَـوْبـاً وَحَطَّ الـرُّكْنَ فِـي وَسَطٍ مِنْـهُ وَقَـالَ ٱرْفَعُـوهُ جَـانِبَ الـرَّضَمِ [(٣)]

فَنَـالَ كُـلُّ ٱمْـرِئٍ حَـظّاً بِمَـا حَمَلَتْ يَـدَاهُ مِنْـهُ وَلَمْ يَعْتِبْ عَلَى ٱلْـقِسَمِ

حَتَّى إِذَا اقْتَـرَبُـوا بِلُقَـاءَ مَـوْضِعِـهِ مِنْ جَـانِبِ الْبَيْتِ ذِي الأَرْكَانِ والـدِّعَمِ

مَـدَّ الـرَّسُـولُ يَـدَاً مِنْـهُ مُبَـارَكَـةً بَنَتْـهُ فِي صَـدَفٍ مِنْ بَـاذِخٍ سَنِمِ [(٤)]

فَلْيَـزْدَدِ الـرُّكْنُ تِيهَـاً حَيْثُ نَـالَ بِـهِ فَخْـراً أَقَـامَ لَـهُ الـدُّنْيَـا عَلَى قَـدَمِ

لَـوْلَـمْ تَكُـنْ يَـدُهُ مَسَّتْـهُ حِيـنَ بَنَى مَـا كَـانَ أَصْبَـحَ مَلْثُومَـاً بِكُـلِّ فَمِ [(٥)]

يَـا لَيْتَنِي وَالأَمَـانِـي رُبَّمَـا صَـدَقَتْ أَحْـظَى بِـمُـعْـتَـنَـقٍ مِنْـهُ وَمُـلْتَـزَمِ

يَـا حَبَّـذَا صِبْغَـةٌ مِنْ حُسْنِـهِ أَخَـذَتْ مِنْهَـا ٱلشَّبِيبَـةُ لَـوْنَ ٱلعُـذْرِ وَاللِّمَمِ [(٦)]

---

(١) ذو قدم: أي صاحب سابقة في الخير.

(٢) العمم: العام التام.

(٣) الرضم: صخور عظام يرضم «يجعل» بعضها فوق بعض في الأبنية.

(٤) الصدف: الحائط. الباذخ: العالي.

(٥) بنى: أي وضعه مكانه وبنى عليه، وهذه الحكمة لم أرها لغيره فيما أعلم.

(٦) الصبغة: ما يصبغ به والمراد هنا أثره وهو اللون الأسود. العذر: جمع عذار «الخد» وأراد به الشعر النابت عليه. اللمم: جمعة لمة (بالكسر) وهي ما يجاوز شحمة الأذن من شعر الرأس.

كَـالْخَـالِ فِي وَجْنَـةٍ زِيـدَتْ مَحَـاسِنُهَـا بِنُقْـطَةٍ مِنْـهُ أَضْعَـافـاً مِنَ ٱلْقِيَـمِ [١]
وَكَيْفَ لَا يَـفْخَـرُ ٱلْـبَيْتُ ٱلْعَتِيقُ بِـهِ وَقَـدْ بَنَتْـهُ يَـدٌ فَيَّـاضَـةُ الـنِّـعَمِ
أَكْـرِمْ بِـهِ وَازِعـاً لَـوْلَا هِـدَايَـتُـهُ لَمْ يَظْهَرِ ٱلْعَـدْلُ فِي أَرْضٍ وَلَمْ يَقُمِ [٢]
هـٰـذَا الَّـذِي عَـصَـمَ اللَّهُ الأَنَـامَ بِـهِ مِنْ كُـلِّ هَوْلٍ مِنَ الأَهْـوَالِ مُخْتَـرِمِ [٣]
«وَحِـينَ» أَدْرَكَ سِـنَّ الأَرْبَـعِـيـنَ وَمَـا مِـنْ قَبْـلِهِ مَبْـلَغٌ لِلْعِلْـمِ وَٱلْـحِكَـمِ [٤]
حَبَـاهُ ذُو الْعَـرْشِ بُـرْهَـانـاً أَرَاهُ بِـهِ آيـاتِ حِكْمَتِـهِ فِي عَـالَـمِ ٱلْحُلُمِ [٥]
فَكَـانَ يَمْضِي لِيَـرْعَى أُنْسَ وَحْشَتِـهِ فِي شَـاسِـعٍ مَـا بِـهِ لِلْخَلْقِ مِنْ أَرِمِ [٦]

---

(١) كالخال الخ: يعني أن البيت العظيم ازداد مجدا وشرفا بالحجر الأسود كما ازدادت الوجنة الحسناء بالخال الأسود حسنا وجمالا لكونه كنقطة «أي صفر» الحساب التي ازدادت بها آحاده أمثال قيمته، وقد أتى بهذا المعنى في النسيب فقال:

تـاهت بنقـطة خـال من محـاسنهـا زيـدت بها عشرات الحسن أضعـافـا

(٢) الوازع: الكاف للناس عن الإقدام على الشر. الهداية: الدلالة بلطف.

(٣) عصم: حفظ. المخترم: المستأصل.

(٤) سن الأربعين: هو سن الكمال ونهاية بعث الرسل أي لا يرسلون دونها.

(٥) حباه: أعطاه. برهان: أي دليلا على نبوته وهو الرؤيا الصادقة.

(٦) الوحشة: الخلوة. الشاسع: البعيد والمراد به غار حراء وهو من جبال مكة على ثلاثة أميال منها وكان عليه الصلاة والسلام يتعبد فيه قبل البعثة. وأرم: أحد ضبطه الناظم بفتح الراء وكسرها وهو المشهور عند أهل اللغة، وهو لا يستعمل إلا مع النفي.

فَمَـا يَمُـرُّ عَـلَى صَخْـرٍ وَلاَ شَـجَـرٍ إلاَّ وَحَيَّـاهُ بِـالتَّسْلِيـمِ مِـنْ أَمَـمِ [1]

حَتَّى إذَا حَـانَ أَمْـرُ الغَيْبِ وَٱنْحَسَـرَتْ أَسْتَـارُهُ عَنْ ضَمِيـرِ اللَّوْحِ وَٱلقَلَمِ [2]

نَـادَى بِـدَعْـوَتِـهِ جَهْـراً فَـأَسْمَعَهَـا فِي كُـلِّ نَـاحِيَـةٍ مَنْ كَـانَ ذَا صَمَـمِ

فَـكَـانَ أَوَّلَ مَنْ فِـي الـدِّينِ تَـابَـعَـهُ خَـدِيـجَـةُ وَعَـلِيٌّ ثَـابِـتُ ٱلـقَـدَمِ

ثُمَّ اسْتَجَـابَتْ رِجَـالٌ دُونَ أُسْـرَتِـهِ وَفِي ٱلأَبَـاعِـدِ مَـا يُغْنِي عَنِ الـرَّحِمِ [3]

وَمَـنْ أَرَادَ بِـهِ الـرَّحْـمـنُ مَـكْـرُمَـةً هَـداهُ لِـلرُّشْـدِ فِي داجٍ مِـنَ ٱلـظُّلَمِ

ثُـمَّ اسْتَـمَـرَّ رَسُـولُ الـلَّهِ مُـعْـتَـزِمـاً يَـدْعُـو إلَى رَبِّـهِ فِي كُـلِّ مُلْتَـأَمِ [4]

وَٱلنَّـاسُ مِنْهُمْ رَشِيـدٌ يَسْتَجِيبُ لَـهُ طَـوْعَـاً وَمِنْهُمْ غَـوِيٌّ غَيْـرُ مُحْتَشِمِ [5]

حَتَّى ٱسْتَـرَابَتْ قُـرَيْشٌ وَٱسْتَبَـدَّ بِهَـا جَهْـلٌ تَـرَدَّتْ بِـهِ فِي مـارِجٍ ضَـرِمِ [6]

---

(١) فما يمر الخ: في السيرة ان رسول الله عليه السلام لما أراده الله بكرامته وابتداه بالنبوة كان إذا خرج لحاجته أبعد عن البيوت حتى يفضي إلى شعاب مكة وبطون أوديتها فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله فيلتفت فلا يرى غير الشجر والحجر ولم يزل كذلك حتى جاءه جبريل وهو بحراء في شهر رمضان.

(٢) حان: قرب. أمر الغيب: أراد به إرساله صلى الله عليه وسلم للخلق. انحسرت: انكشفت.

(٣) دون أسرته: أي غير عشيرته. الرحم: القرابة.

(٤) الملتأم: مكان اجتماع القوم.

(٥) المحتشم: المستحي.

(٦) استرابت: وقعت في الريبة أي الشك والتهمة وهي في الأصل قلق النفس واضطرابها. استبد: انفرد واستقل. تردت: سقطت. المارج: النار. الضرم: المتوقد.

وَعَـذَّبُـوا أَهْـلَ دِينِ اللَّهِ وَٱنْتَهَكُـوا مَحَـارِمـاً أَعْقَبَتْهُمْ لَهْفَـةَ ٱلنَّـدَمِ (١)

وَقَـامَ يَـدْعُـو أَبُـو جَهْـلٍ عَشِيـرَتَـهُ إِلَى ٱلضَّـلَالِ وَلَمْ يَجْنَحْ إِلَى سَلَمِ (٢)

يُبْـدِي خِـدَاعَـاً وَيُخْفِي مَـا تَضَمَّنَـهُ ضَمِيرُهُ مِنْ غَـرَاةِ ٱلحِقْـدِ وَٱلسَّدَمِ (٣)

لَا يَسْـلَمُ ٱلقَـلْبُ مِنْ غِـلٍّ أَلَمَّ بِـهِ يَنْقَى الأَدِيمُ وَيَبْقَى مَـوْضِعُ ٱلحَلَمِ (٤)

وَالحِقْـدُ كَـالنَّـارِ إِنْ أَخْفَيْتَهُ ظَهَـرَتْ مِنْهُ عَـلَائِمُ فَـوْقَ الْـوَجْهِ كَـالحُمَمِ (٥)

لَا يُبْصِـرُ ٱلحَقَّ مِنْ جَهْـلٍ أَحَـاطَ بِـهِ وَكَيْفَ يُبْصِـرُ نُـورَ ٱلْحَقِّ وَهْـوَ عَمِ (٦)

كُـلُّ امْرِىءٍ وَاجِـدٌ مـا قَـدَّمَتْ يَـدُهُ إِذَا اسْتَـوى قَـائِمـاً من هُـوَّةِ الأَدَمِ

وَالخَيْـرُ وَٱلشَّـرُّ فِي الـدُّنْيَا مُكَـافَـأَةٌ وَٱلنَّفْسُ مَسْؤُولَـةٌ عَنْ كُـلِّ مُجْتَـرَمِ (٧)

فَـلَا يَـنَمْ ظَـالِـمٌ عَـمَّـا جَـنَـتْ يَـدُهُ عَـلَى ٱلعِبَـادِ فَـعَيْـنُ اللَّهِ لَـمْ تَـنَـمِ

وَلَـمْ يَـزَلْ أَهْـلُ دِينِ اللَّهِ فِي نَـصَبٍ مِمَّـا يُلَاقُـونَ مِنْ كَـرْبٍ وَمِنْ زَأَمِ (٨)

حَتَّى إِذَا لَمْ يَعُـدْ فِـي الأَمْـرِ مَنْـزَعَـةٌ وَأَصْبَـحَ ٱلشَّـرُّ جَهْـراً غَيْـرَ مُنْكَتِمِ (٩)

---

(١) انتهكوا محارما: أي اذهبوا حرمتها. والمحارم: ما يحمى من كل شيء.

(٢) يجنح: يمل. السلم: الطاعة والإنقياد.

(٣) من غراة الخ: أي مما لزق به ولزمه من الحقد والهم.

(٤) الحلم: جمع حلمة وهي دودة تقع في جلد الشاة فإذا دبغ بقي موضعها رقيقاً.

(٥) الحمم: الفحم.

(٦) هوة الأدم: أي حفرة القبر.

(٧) المجترم: ارتكاب الجريمة بمعنى الذنب.

(٨) النصب: التعب. الكرب: الهم والحزن يأخذ النفس. الزأم: **اشتداد الذعر.**

(٩) المنزعة: ما يرجع إليه الرجل من رأيه وتدبيره.

سَـارُوا إِلَى ٱلْهِجْرَةِ الأُولَى وَمَـا قَصَـدُوا غَيْـرَ النَّجَـاشِيِّ مَلْكـاً صَـادِقَ الـذِّمَمِ
فَـأَصْبَحُـوا عِنْـدَهُ فِي ظِـلِّ مَمْلَكَـةٍ حَصِينَـةٍ وَذِمَـامٍ غَيْـرِ مُنْجَـذِمِ [١]
مَنْ أَنْكَـرَ ٱلضَّيْمَ لَمْ يَـأْنَسْ بِصُحْبَتِـهِ وَمَنْ أَحَـاطَتْ بِـهِ الأَهْـوَالُ لَـمْ يَقُـمِ
وَمُذْ رَأَى المُشْرِكُونَ الدِّين قَـدْ وَضَحَتْ سَمَـاؤُهُ وَٱنْجَلَتْ عَنْ صِمَّـةِ الصِّمِمِ [٢]
تَـأَلَّبُـوا رَغْبَـةً فِـي ٱلشَّـرِّ وَٱئْتَمَـرُوا عَلَى ٱلصَّحِيفَـةِ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ وَغَمِ [٣]
صَحِيفَـةٌ وَسَمَـتْ بِـالْغَـدْرِ أَوْجُـهَهُـمْ وَٱلْغَـدْرُ يَعْلَقُ بِالأَعْـرَاضِ كَالـدَّسَمِ [٤]
فَـكَشَّـفَ اللَّهُ مِـنْـهَـا غُـمَّـةً نَـزَلَـتْ بِـالمُؤْمِنِينَ وَرَبِّي كَـاشِـفُ الغُـمَمِ [٥]
مَنْ أَضْمَـرَ ٱلسُّـوءَ جَـازَاهُ الإِلَـهُ بِـهِ وَمَنْ رَعَى ٱلْبَغْـيَ لَمْ يَـسْلَمْ مِـنَ ٱلنِّقَمِ
«كَفَى» ٱلطُّفَيْلَ بْنَ عَمْـرٍ وَلُمْعَةٌ ظَهَـرَتْ فِي سَـوْطِـهِ فَـأَنَـارَتْ سُـدْفَـةَ ٱلْقَتَمِ [٦]

---

(١) الذمام: الحرمة. المنجذم: المتقطع.

(٢) ومذ رأى المشركون إلى آخر البيتين: يشير إلى ما وقع منهم لما رأوا الإسلام يفشو، وهو أنهم تألبوا «اجتمعوا» وائتمروا «تشاوروا» على أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على قطع معاملتهم لبني هاشم وبني المطلب فلما تم أمرهم على ذلك كتبوه في صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة. الصمة: الشجاع وجمعه صمم.

(٣) الوغم: الحقد.

(٤) وسمت: علمت وأصل الوسم: الكي.

(٥) فكشف الله الخ: وذلك بأن هيأ لنقض الصحيفة نفرا من قريش (بعد أن مكث رسول الله وأصحابه سنتين أو ثلاثاً وهم مستخفون لا يصل اليهم شيء إلا سرا) فقاموا به أحسن قيام، ونهض أحدهم ليشقها فوجد الأرضة «دويبة تأكل الخشب» أكلت ما فيها إلا باسمك اللهم، وكان عليه السلام أخبر عمه أبا طالب بذلك.

(٦) الطفيل: ابن عمرو بن طريف الازدي الدوسي الصحابي، قتل يوم اليمامة وكان ـ

هَـدَى بِهَـا اللَّهُ دَوْسـاً مِنْ ضَـلَالَتِهَـا	فَتَـابَعَـتْ أَمْـرَ دَاعِيـهَـا وَلَمْ تَـهِمِ (١)
«وَفِي» آلإِرَاشِيّ لِـلأَقْـوَامِ مُـعْتَبَـرٌ	إِذْ جَـاءَ مَـكَّـةَ فِي ذَوْدٍ مِـنَ آلنَّـعَمِ (٢)
فَـبَـاعَهَـا مِـنْ أَبِي جَـهْـلٍ فَمَـاطَلَهُ	بَـحَقِّـهِ وَتَـمَـادَى غَيْـرَ مُـحْتَشِمِ (٣)
فَـجَـاءَ مُنْتَصِـراً يَشْكُـو ظُـلَامَتَـهُ	إِلَى آلنَّبِيِّ وَنِـعْمَ آلـعَـوْنُ فِي الإِزَمِ (٤)
فَـقَـامَ مُبْتَـدِراً يَـسْعَـى لِنُـصْـرَتِـهِ	ونُصْـرَةُ آلحَقِّ شَأْنُ آلمَـرْءِ ذِي آلهِمَمِ
فَـدَقَّ بَـابَ أَبِـي جَهْـلٍ فَـجَـاءَ لَـهُ	طَـوْعاً يَجُـرُّ عِنَـانَ آلخَـائِفِ آلـزَّرِمِ (٥)
فَـحِيـنَ لَاقَـى رَسُـولَ الـلَّهِ لَاحَ لَـهُ	فَحْـلٌ يَحُـدُّ إِلَيْـهِ آلنَّـابَ مِنْ أَطَمِ (٦)
فَهَـالَـهُ مَـا رَأَى فَـآرْتَـدَّ مُنْـزَعِجـاً	وَعَـادَ بِالنَّقْـدِ بَعْدَ آلمَـطْلِ عَنْ رَغَمِ (٧)

= يلقب بذي النور من حديثه أنه لما أسلم طلب من النبي عليه السلام آية تكون له عوناً على قومه فقال اللهم اجعل له آية فظهر نور بين عينيه فقال يا رب اجعله في غير وجهي فإني أخشى أن يظن قومي أنها مثلة لفراقي دينهم فتحول في رأس سوطه. سدفة القتم: أي ظلمة الليل، وكان قد أتى قومه ليلا.

(١) دوس: قبيلة الطفيل. لم تهم: أي لم تتردد في إجابته إلى ما دعاهم إليه.

(٢) الإراشي: نسبة إلى إراش بن الغوث ابي قبيلة، واسمه كهلة بن عصام. ذود من النعم: أي طائفة من الإبل ولم يرد معناه وهو ما زاد عن الإثنين إلى التسعة.

(٣) المحتشم: المهتم، عن بعض العرب انه لمحتشم بأمري أي مهتم به.

(٤) الإزم: جمع أزمة (بفتح فسكون) الشدة.

(٥) العنان: سير اللجام. الزرم: الذليل المضيق عليه.

(٦) فحل: أي من الإبل. يحد الخ: أي يشحذ ويظهر إليه نابه من الغضب كأنه يريد أكله.

(٧) الرغم: الذل وفتح الغين اتباعا للراء.

«أتِلْكَ» أمْ حِينَ نَادَى سَرْحَةً فَأتَتْ إلَيْهِ مَنْشُورَةَ الأغْصَانِ كَالجُمَمِ [1]

حَنَتْ عَلَيْهِ حُنُوَّ الأُمّ مِنْ شَفَقٍ وَرَفْرَفَتْ فَوْقَ ذَاكَ الحُسْنِ مِنْ رَخَمِ [2]

جَاءَتْهُ طَوْعاً وَعَادَتْ حِينَ قَالَ لَهَا عُودِي وَلَوْ خُلِّيَتْ لِلشَّوْقِ لَمْ تَرِمِ [3]

«وَحَبَّذَا» لَيْلَةُ الإسْرَاءِ حينَ سَرَى لَيْلاً إلَى المَسْجِدِ الأقْصَى بِلاَ أتَمِ [4]

رَأى بِهِ مِنْ كِرَامِ الرُّسْلِ طَائِفَةً فَأمَّهُمْ ثُمَّ صَلَّى خَاشِعاً بِهِمِ [5]

بَلْ حَبَّذَا نَهْضَةُ المِعْرَاجِ حينَ سَمَا بِهِ إلَى مَشْهَدٍ في العِزِّ لَمْ يُرَمِ [6]

سَمَا إلَى الفَلَكِ الأعْلَى فَنَالَ بِهِ قَدْراً يَجِلُّ عَنِ التَّشْبِيهِ في العِظَمِ [7]

وَسَارَ في سُبُحَاتِ النُّورِ مُرْتَقِياً إلَى مَدَارِجَ أعْيَتْ كُلَّ مُعْتَزِمِ [8]

وَفَازَ بِالجَوْهَرِ المَكْنُونِ مِنْ كَلِمٍ لَيْسَتْ إذَا قُرِنَتْ بِالْوَصْفِ كَالْكَلِمِ

---

(١) السرحة: شجرة عظيمة يستظل بها. الجمم: جمع جمة وهي ما سقط على المنكبين من شعر الرأس.

(٢) حنت: عطفت. رفرفت: بسطت ونشرت أغصانها. والرخم: العطف والمحبة

(٣) خليت: تركت. لم ترم: لم تبرح من مكانها للشوق الذي عندها.

(٤) الأتَم: الإبطاء.

(٥) أمهم: تقدمهم.

(٦) سما به: أعلاه. لم يرم: أي لم يطلب لعزته على غيره صلى الله عليه وسلم.

(٧) يجل: يتنزه ويتباعد.

(٨) سبحات النور: أي حجب النور قال عليه السلام: «بعد أن انتهى إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام» ثم زج بي في النور زجاً فخرق بي سبعين ألف حجاب الحديث. مدارج: أي أماكن عالية القدر، وهي في الأصل الطرق الغليظة بين الجبال.

سِـــرٌّ تَـحَـارُ بِـهِ الْأَلْـبَـابُ قَـاصِـرَةً | وَنِعْـمَـةٌ لَمْ تَكُنْ فِي الـدَّهْـرِ كَـالنِّعَمِ
هَيْهَـاتَ يَـبْلُغُ فَـهْمٌ كُـنْـهَ مَـا بَلَغَتْ | قُـرْبَـاهُ مِنْـهُ وَقَـدْ نَـاجَاهُ مِنْ أَمَمِ [1]
فَيَـا لَهَـا وُصْلَةً نَـالَ الْحَبِيـبُ بِهَـا | مَـا لَمْ يَنَلْهُ مِنَ التَّكْـرِيمِ ذُو نَسَمِ [2]
فَـاقَتْ جَمِيـعَ اللَّيَـالِي فَهْيَ زَاهِـرَةٌ | بِحُسْنِهَـا كَـزُهُـورِ النَّـارِ فِي الْعَلَمِ [3]
«هَـذَا» وَقَـدْ فَـرَضَ اللَّهُ الصَّلَاةَ عَلَى | عِبَـادِهِ وَهَـدَاهُمْ وَاضِـحَ الـلَّقَمِ [4]
فَسَـارَعُـوا نَحْـوَ دِينِ اللَّهِ وَٱنْتَصَبُـوا | إِلَى العِبَـادَةِ لَا يَـأْلُـونَ مِنْ سَـأَمِ [5]
«وَلَمْ» يَـزَلْ سَيِّـدُ الكَـوْنَيْنِ مُنْتَصِبـاً | لِـدَعْـوَةِ الـدِّينِ لَمْ يَفْتُرْ وَلَمْ يَجِمِ [6]
يَستَقْبِـلُ النَّـاسَ فِي بَـدْوٍ وَفِي حَضَـرٍ | وَيَنْشُـرُ الـدِّينَ فِي سَهْـلٍ وَفِي عَلَمِ
حَتَّى اسْتَجَـابَتْ لَهُ الْأَنْصَـارُ وَاعْتَصَمُـوا | بِحَبْلِهِ عَنْ تَـرَاضٍ خَيْـرَ مُعْتَصَمِ [7]
فَـاسْتَكْمَلَتْ بِهِمُ الـدُّنْيَـا نَضَـارَتَهَـا | وَأَصْبَحَ الـدِّينُ فِي جَمْعٍ بِهِمْ تَمَمِ [8]
قَـوْمٌ أَقَـرُّوا عِمَـادَ الحَقِّ وَاصْـطَلَمُـوا | بِبَـأْسِهِـمْ كُـلَّ جَبَّـارٍ وَمُـصْـطَلِمِ [9]
فَكَمْ بِـهِمْ أَشْـرَقَتْ أَسْتَـارُ دَاجِيَـةٍ | وَكَمْ بِهِمْ خَمَـدَتْ أَنْفَـاسُ مُخْتَصِمِ

---

(١) الكنه: الحقيقة. قرباه: أي قربه ودنوه. ناجاه: سارّه.

(٢) النسم: الروح.

(٣) زاهرة: أي مضيئة. العلم: الجبل. (٤) اللقم: الطريق.

(٥) انتصبوا إلى العبادة: أي قاموا مجتهدين في تأديتها. لا يألون من سأم: أي لا يقصرون عن العبادة ولا يتركونها من ملل ولعل الناظم أراد أنهم لا يملون.

(٦) يفتر: يسكن. يجم: يسكت فزعا.

(٧) اعتصموا بحبله: أي تمسكوا بعهده. المعتصم: الإعتصام.

(٨) التمم: التام.

(٩) اصطلموا: استأصلوا وأهلكوا.

فَحِينَ وَافَى قُرَيْشاً ذِكْرُ بَيْعَتِهِمْ	ثَارُوا إِلَى الشَّرِّ فِعْلَ الجَاهِلِ العَرِمِ [1]
وَبَادَهُوا أَهْلَ دِينِ اللَّهِ وَاهْتَضَمُوا	حُقُوقَهُمْ بِالتَّمَادِي شَرَّ مُهْتَضِمِ [2]
فَكَمْ تَرَى مِنْ أَسِيرٍ لَا حِرَاكَ بِهِ	وَشَارِدٍ سَارَ مِنْ فَجٍّ إِلَى أَكَمِ [3]
فَهَاجَرَ الصَّحْبُ إِذْ قَالَ الرَّسُولُ لَهُمْ	سِيرُوا إِلَى طَيْبَةَ المَرْعِيَّةِ الْحُرَمِ [4]
وَظَلَّ فِي مَكَّةَ المُخْتَارُ مُنْتَظِراً	إِذْناً مِنَ اللَّهِ فِي سَيْرٍ وَمُعْتَزَمِ
فَأَوْجَسَتْ خِيفَةً مِنْهُ قُرَيْشُ وَلَمْ	تَقْبَلْ نَصِيحاً وَلَمْ تَرْجِعْ إِلَى فَهَمِ [5]
فَاسْتَجْمَعَتْ عُصَباً فِي دَارِ نَدْوَتِهَا	تَبْغِي بِهِ الشَّرَّ مِنْ حِقْدٍ وَمِنْ أَضَمِ [6]
وَلَوْ دَرَتْ أَنَّهَا فِيمَا تُحَاوِلُهُ	مَخْذُولَةٌ لَمْ تَسُمْ فِي مَرْتَعٍ وَخِمِ [7]
أَوْلَى لَهَا ثُمَّ أَوْلَى أَنْ يَحِيقَ بِهَا	مَا أَضْمَرَتْهُ مِنَ البَأْسَاءِ وَالشَّجَمِ [8]

(١) وافى قريشا: أي أتاهم وبلغهم. ثاروا: وثبوا. العرم: أي الشديد الجهل.

(٢) بادهوا: باغتوا وفاجأوا. اهتضموا: اغتصبوا. التمادي: اللجاج في الغي.

(٣) الفج: الطريق الواسع بين جبلين.

(٤) قال الرسول الخ: وقال لهم إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا «هم الأنصار» ودارا تأمنون بها.

(٥) أوجست الخ: أي وقع في نفسها الخوف والفزع منه صلى الله عليه وسلم. النصيح: الناصح. الفهم: ضبطه الناظم بفتح الهاء وهو معرفة الشيء بالقلب.

(٦) العصب: جمع عصبة وهي ما بين العشرة إلى الأربعين. دار الندوة بناها قصيّ بن كلاب ليصلح فيها بين قريش ثم صارت لمشاورتهم. الأضم: الحسد والغضب

(٧) لم تسم الخ: لم ترع في مكان رعي رديء أي لم تسلك هذا المسلك المذموم.

(٨) أولى لها الخ: أي قارب قريشا أن ينزل ويحيط بها الذي نوته له من الشدة والمكروه والهلاك.

إنّي لَأعْجَبُ مِنْ قَوْمٍ أُولِي فِطَنٍ ... بَاعُوا النُّهى بِالْعَمَى وَالسَّمْعَ بِالصَّمَمِ (١)

يَعْصُونَ خَالِقَهُمْ جَهْلاً بِقُدْرَتِهِ ... ويَعْكُفُونَ عَلَى الطَّاغُوتِ وَالصَّنَمِ (٢)

فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ أَنْ يَبْغَتُوهُ إذَا ... جَنَّ الظَّلَامُ وَخَفَّتْ وَطْأَةُ القَدَمِ (٣)

وَأَقْبَلُوا مَوْهِناً في عُصْبَةٍ غُدُرٍ ... مِنَ القَبَائِلِ بَاعُوا النَّفْسَ بِالزَّعَمِ (٤)

فَجَاءَ جِبْرِيلُ لِلهَادِي فَأَنْبَأَهُ ... بِمَا أَسَرُّوهُ بَعْدَ العَهْدِ وَالقَسَمِ

فَمُذْ رَآهُمْ قِيَاماً حَوْلَ مَأْمَنِهِ ... يَبْغُونَ سَاحَتَهُ بِالشَّرِّ وَالفَقَمِ (٥)

نَادى عَلِيّاً فَأَوْصَاهُ وَقَالَ لَهُ ... لَا تَخْشَ وَالْبَسْ رِدَائِي آمِناً وَنَمِ

وَمَرَّ بِالْقَوْمِ يَتْلُو وَهْوَ مُنْصَرِفٌ ... يَس وَهْيَ شِفَاءُ النَّفْسِ مِنْ وَصَمِ (٦)

فَلَمْ يَرَوْهُ وَزَاغَتْ عَنْهُ أَعْيُنُهُمْ ... وَهَلْ تَرَى الشَّمْسَ جَهْراً أَعْيُنُ الحَنَمِ (٧)

«وَجَاءَهُ» الوَحْيُ إيذَاناً بِهِجْرَتِهِ ... فَيَمَّمَ الغَارَ بِالصِّدِّيقِ في الغَسَمِ (٨)

---

(١) الفطن: جمع فطنة وهي الحذق. النهى: العقل. العمى: ذهاب بصر القلب.

(٢) يعكفون الخ: أي يقيمون على عبادة الطاغوت وهو الشيطان والكاهن وكل رأس في الضلال. الصنم: وهو الصورة التي تعبد.

(٣) يبغتوه: يفجؤوه.

(٤) الموهن: نحو من نصف الليل. والزعم: الطمع.

(٥) الفقم: البطر وهو كراهة الشيء من غير أن يستحق الكراهية.

(٦) يتلو يس: أي إلى قوله تعالى فأغشيناهم فهم لا يبصرون، وقد أخذ حفنة من تراب ونثرها على رؤوسهم فعمتهم وأخذ الله على أبصارهم فلم يروه. الوصم: المرض.

(٧) الحنم: البوم واحدتها حنمة قيل إنها لا تبصر نهارا.

(٨) الغار: وهو في ثور «بالفتح» جبل بمكة. الغسم: اختلاط الظلمة يريد الليل يقال غسم الليل أظلم.

فَـمَـا ٱسْتَـقَـرَّ بِـهِ حَتَّـى تَبَـوَّأَهُ ... مِنَ ٱلحَمَـائِمِ زَوْجٌ بـارِعُ الـرَّنَـمِ [1]

بَنَى بِـهِ عُـشَّـهُ وَٱحْتَـلَّهُ سكَـنـاً ... يَـأْوِي إِلَيْـهِ غَـدَاةَ الـرِّيحِ وَالـرِّهَمِ [2]

إِلْفَـانِ مَـا جَمَـعَ ٱلمِقْـدارُ بَيْنَـهُمـا ... إِلاَّ لِسِـرٍّ بِصَـدْرِ ٱلـغَـارِ مُكْـتَـتَـمِ

كِـلاَهُـمَـا دَيْـدَبَـانٌ فَـوْقَ مَـرْبَـأَةٍ ... يَـرْعَي المَسَـالِكَ مِنْ بُعْـدٍ وَلَمْ يَنَمِ [3]

إِنْ حَنَّ هَـذَا غَـرَامَـاً أَوْ دَعَـا طَـرَبـاً ... بِٱسْمِ الْهَدِيـلِ أَجَابَتْ تِلْكَ بِـالنَّغَمِ [4]

يَخَـالُهَـا مَنْ يَـرَاهَـا وَهْيَ جَـاثِمَـةٌ ... في وَكْـرِهَـا كُـرَةً مَلْسَـاءَ مِنْ أَدَمِ [5]

إِنْ رَفْـرَفَتْ سَكَنَتْ ظِـلاًّ وَإِنْ هَبَـطَتْ ... رَوَتْ غَلِيـلَ الصَّدَى مِنْ حَـائِرٍ شَبِمِ [6]

مَـرْقُـومَـةُ ٱلْجِيـدِ مِنْ مِسْـكٍ وَغَـالِيَـةٍ ... مَخْضُـوبَـةُ السَّـاقِ وَٱلكَفَّيْنِ بِـالْعَنَمِ [7]

كَـأَنَّمَـا شَـرَعَتْ في قَـانِيءٍ سِـرِبٍ ... مِنْ أَدْمُعِي فَغَـدَتْ مُحْمَـرَّةَ ٱلقَـدَمِ [8]

«وَسَجَّفَ» ٱلعَنْكَبُـوتُ ٱلغَـارَ مُحْتَفِيـاً ... بِخَيْمَـةٍ حَـاكَهَـا مِنْ أَبْـدَعِ ٱلخِيَمِ [9]

---

(١) تبوأه: حل به وأقام. الرنم: الصوت.

(٢) الرهم: جمع رهمة بالكسر المطر الضعيف.

(٣) الديدبان: الرقيب. المربأة: المرقبة وهي الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب. يرعي: يراقب.

(٤) الهديل: قيل هو فرخ كان على عهد سيدنا نوح عليه السلام مات عطشا أو صاده جارح من الطير فما من حمامة الا وهي تبكي عليه.

(٥) يخالها: أي يظن الحمامة الواحدة منها. الجاثمة: الواقعة على صدرها. الأدم: الجلد.

(٦) غليل الصدى: أي شديد العطش. الحائر: مجتمع الماء.

(٧) مرقومة الجيد: أي مطوقة العنق. الغالية: اخلاط من الطيب. العنم: شجرة حجازية ثمرها أحمر.

(٨) شرعت: دخلت القانىء الشديد الحمرة. السرب: الجاري.

(٩) سجف: أرسل السجف (بفتح وكسر فسكون) الستر. محتفيا: أي متلطفا ومبالغا في الإكرام مع فرح وسرور. حاكها: نسجها.

قَدْ شَدَّ أَطْنَابَهَا فَاسْتَحْكَمَتْ وَرَسَتْ ... بِالأَرْضِ لَكِنَّهَا قَامَتْ بِلَا دِعَمِ (١)

كَأَنَّهَا سَابِرِيٌّ حَاكَهُ لَبِقٌ ... بِأَرْضِ سابُور في بُحْبُوحَةِ الْعَجِمِ

وارت فَمَ الغَارِ عن عينٍ تلمُّ بِهِ ... فَصَارَ يَحْكِي خَفَاءً وَجْهَ مُلْتَثِمِ (٣)

فَيَا لَهُ مِنْ سِتَارٍ دُونَهُ قَمَرٌ ... يَجْلُو الْبَصَائِرَ مِنْ ظُلْمٍ وَمِنْ ظُلَمِ

فَظَلَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ مُعْتَكِفاً ... كَالدُّرِّ في الْبَحْرِ أَوْ كَالشَّمْسِ في الْغُسَمِ (٤)

حَتَّى إِذَا سَكَنَ الإِرْجَافُ وَاحْتَرَقَتْ ... أَكْبَادُ قَوْمٍ بِنَارِ الْيَأْسِ وَالْوَغَمِ

أَوْحَى الرَّسُولُ بِإِعْدَادِ الرَّحِيلِ إِلَى ... مَنْ عِنْدَهُ السِّرُّ مِنْ خِلٍّ وَمِنْ حَشَمِ (٥)

وَسَارَ بَعْدَ ثَلَاثٍ مِنْ مَبَاءَتِهِ ... يَؤُمُّ طَيْبَةَ مَأْوَى كُلِّ مُعْتَصِمِ (٦)

«فَجِينَ» وَافَى قُدَيْداً حَلَّ مَوْكِبُهُ ... بِأُمِّ مَعْبَدَ ذَاتِ الشَّاءِ وَالْغَنَمِ (٧)

فَلَمْ تَجِدْ لِقِرَاهُ غَيْرَ ضَائِنَةٍ ... قَدِ اقْشَعَرَّتْ مَرَاعِيهَا فَلَمْ تَسُمِ

---

(١) الأطناب: الحبال. الدعم: الأعمدة.

(٢) السابري: الثوب الرقيق الجيد نسبة إلى سابور موضع ببلاد العجم. اللبق: الحاذق الرفيق بكل عمل. البحبوحة: الوسط.

(٣) وارت: سترت. الملتثم: واضع اللثام.

(٤) الغسم: قطع السحاب.

(٥) أوحي: أشار. الخل: الصديق المختص والمراد به أبو بكر الصديق رضي الله عنه. الحشم: الخدم يطلق على المفرد والجمع وأراد به عامر بن فهيرة مولى أبي بكر وعبد الله بن أرقط «أو أريقط» دليلها وكان على دين قريش.

(٦) المباءة: المنزل يعني به الغار.

(٧) قديد: موضع بين مكة والمدينة. أم معبد: هي عاتكة بنت خالد الخزاعية وقد أسلمت بعد، وكانت برزة «ظاهرة» عفيفة تجلس في خيمتها ثم تطعم وتسقي من يمر بها. الضائنة: الأنثى من الغنم. اقشعرت: أمحلت وأجدبت.

فَـمَـا أَمَـرَّ عَـلَيْـهَـا دَاعِـيـاً يَـدَهُ حَتَّى آسْتَهَلَّتْ بِذِي شَخْبَيْنِ كَالـدِّيَمِ [1]
ثُمَّ آسْتَقَـلَّ وَأَبْقَي فِي الـزَّمَـانِ لَـهَـا ذِكْـراً يَسِيرُ عَلَى الآفَـاقِ كَـالنَّسَمِ [2]
«فَبَيْنَمَـا» هُـوَ يَـطْوِي آلبِيـدَ أَدْرَكَـهُ رَكْضاً سُرَاقَةُ مِثْلَ آلقَشْعَمِ الضَّـرِمِ [3]
حَتَّى إِذَا مَـا دَنَـا سَـاخَ الْجَـوَادُ بِـهِ فِي بُـرْقَـةٍ فَهَـوَى لِلسَّاقِ وآلقَـدَمِ [4]
فَصَـاحَ مُبْتَهِـلاً يَـرْجُـو الأَمَـانَ وَلَـوْ مَضَى عَلَى عَـزْمِـهِ لانْهَارَ فِي رَجَمِ [5]
وَكَـيْـفَ يَـبْـلُغُ أَمْـراً دُونَـهُ وَزَرٌ مِنَ آلعِنَـايَـةِ لَمْ يَـبْلُغْـهُ ذُو نَـسَمِ [6]
فَكَفَّ عَنْـهُ رَسُـولُ اللَّهِ وَهْـوَ بِـهِ أَدْرَي وَكَـمْ نِقَـمٍ تَفْـتَـرُّ عَنْ نِـعَـمِ [7]
وَلَمْ يَـزَلْ سَـائِـراً حَتَّـى أَنَـافَ عَلَى أَعْـلَامِ طَيْبَةَ ذَاتِ آلمَنْـظَرِ آلْعَمَمِ [8]
أَعْـظِمْ بِـمَقْـدَمِـهِ فَـخْـراً وَمَنْـقَـبَـةً لِمَعْشَـرِ الأَوْسِ والأَحْيَـاءِ مِنْ جُشَمِ [9]

---

(١) شخبين بالفتح والضم: تثنية شخب وهو اللبن الخارج من الضرع اذا احتلب. الديم: الأمطار الدائمة في سكون.
(٢) استقل: ارتحل. النسم: النسيم.
(٣) البيد: الفلوات. ركضا: أي حالة كونه راكضا «ضاربا» جنبي دابته برجله لتسرع في السير. سراقة: هو ابن مالك بن جعشم المدلجي أسلم بعد غزوة حنين والطائف القشعم: النسر. الضرم: الجائع.
(٤) ساخ الجواد: أي ذهبت قوائمه في الأرض. البرقة: الأرض الغليطة الصعبة. هوى: سقط.
(٥) انهار: سقط. الرجم: الحفرة العميقة.
(٦) الوزر: المعقل والملجأ. (٧) تفتر: تبسم وتنكشف.
(٨) أناف: أشرف. المنظر: ما يعجب الناظر ويسره.
(٩) بمقدمه: أي بقدومه، وكان في يوم الاثنين لاثني عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول. الأحياء: أراد بهم الخزرج وهم من جشم بن الخزرج أخي الأوس.

فَخْـرٌ يَـدُومُ لَهُمْ فَضْـلٌ بِـذِكْـرَتِـهِ ... مَـا سَارَتْ ٱلْعِيسُ بِـالـزُّوَّارِ لِلْحَـرَمِ

يَـوْمٌ بِـهِ أَرَّخَ الإِسْـلَامُ غُـرَّتَـهُ ... وَأَدْرَكَ الـدِّيـنُ فِيـهِ ذِرْوَةَ ٱلـنُّجُـمِ (١)

ثُمَّ ٱبْتَنَى سَيِّـدُ ٱلْكَـوْنَيْنِ مَسْجِـدَهُ ... بُنْيَـانَ عِـزٍّ فَـأَضْحَى قَـائِمَ الـدِّعَمِ

وَٱخْـتَصَّ فِيـه بِـلَالًا بِـالأَذَانِ وَمَـا ... يُلْفَى نَـظِيـرٌ لَـهُ في نَبْـرَةِ ٱلنَّغَـمِ (٢)

«حَتَّى» إِذَا تَـمَّ أَمْـرُ اللّهِ وٱجْتَمَـعَتْ ... لَـهُ ٱلقَبَـائِـلُ مِنْ بُعْـدٍ وَمِـنْ زَمَمِ (٣)

قَـامَ ٱلنَّبِيُّ خَـطِيبـاً فِيـهِمُ فَـأَرَى ... نَهْـجَ الهُـدَى وَنَهَى عَنْ كُـلِّ مُجْتَـرَمِ

وَعَـمَّهُـمْ بِـكِتَـابٍ حَضَّ فِيـهِ عَـلَى ... مَحَـاسِنِ ٱلفَضْـلِ وَالآدَابِ وَٱلـشِّيَـمِ

فَـأَصْبَحُـوا في إِخَـاءٍ غَيْـرَ مُنْصَـدِعٍ ... عَـلَى الـزَّمَـانِ وَعِـزٍّ غَيْـرِ مُنْهَـدِمِ

وَحِيـنَ آخَـى رَسُـولُ اللّهِ بَيْـنَـهُـمُ ... آخَى عَلِيًّـاً وَنِعْمَ ٱلعَـوْنِ في ٱلْقُحَمِ (٤)

هُـوَ الَّـذي هَـزَمَ الـلّهُ ٱلـطُّغَـاةَ بِـهِ ... في كُـلِّ مُعْتَـرَكٍ بِـالْبِيضِ مُحْتَدِمِ (٥)

فَـٱسْتَحْكَمَ الـدِّينُ وَاشْتَـدَّتْ دَعَـائِمُـهُ ... حَتَّى غَـدَا وَاضِـحَ ٱلعِـرْنَيْنِ ذَا شَمَمِ (٦)

وَأَصْبَـحَ ٱلنَّـاسُ إِخْـوَانـاً وَعَمَّهُـمُ ... فَضْـلٌ مِنَ اللّهِ أَحْيَـاهُمْ مِنَ ٱلْـعَـدَمِ

---

(١) يوم الخ: يعني أن مقدمه «بمعنى زمن قدومه» صلى الله عليه وسلم إلى المدينة يوم جعله المسلمون أول تاريخهم لظهور الإسلام فيه، وذلك في خلافة أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ذروة الشيء: أعلاه. النجم: جمع نجم.

(٢) يلفى: يوجد. النبرة: رفع الصوت.

(٣) الزمم: القرب.

(٤) القحم: الأمور العظام الشاقة.

(٥) المعترك: موضع القتال. البيض: السيوف. المحتدم: الملتهب من احتدام النار وهو التهابها وشدة حرها.

(٦) واضح الخ: أي ظاهر الأنف صاحب ارتفاع كناية عن ظهور أهله وعلو مكانتهم.

«هَـذَا» وَقَـدْ فَـرَضَ اللَّهُ الجِهَـادَ عَلَى رَسُـولِـهِ لِيَبُثَّ الـدِّينَ فـي الأُمَمِ [1]

فَـكَـانَ أَوَّلُ غَـزْوٍ سَـارَ فيـهِ إِلَـى وَدَّانَ ثُـمَّ أَتَى مِـنْ غَيْـرِ مُـصْـطَدَمِ [2]

ثُمَّ ٱسْتَمَـرَّتْ سَرَايَـا الـدِّينِ سَـابِحَـةً بِـالخَيْـلِ جَـامِحَـةً تَسْتَنُّ بِـاللُّجُمِ [3]

سَـرِيَّـةٌ كَـانَ يَـرْعَـاهَـا عُبَيْـدَةُ في صَوْبٍ وَحَمزَةُ في أُخْرَى إِلَى ٱلتُّهَمِ [4]

---

(١) فـرض الله الجهاد وذلـك لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر عـلى رأس ١٢ شهرا من مقدمه إلى المدينة «تنبيـه» جرت عـادة المحدثـين وأهل السـير غالبـاً بأن يسمـوا كل عسكـر حضره النبي صلى الله عليـه وسلم غـزوة «وهي ٢٩» ومـا لم يحضره سريـة وبعثا، وقد يسمون بعض السرايا غزوة كقولهم غزوة مؤتة ، غزوة ذات السلاسل.

(٢) ودان : قرية من أعمال الفرع قـريبة من الأبـواء «ولذا سـماها بعضهم غـزوة الأبواء» وكانت في تاريخ فرض الجهاد خرج في ستين راكبا من المهاجرين يريد عـيرا لقريش فلقي بني ضمرة فعقد بينه وبينهم صلحا على أنهم لا يغزونـه ولا يعينون عليـه عدوا وأن لهم النصر على من رامهم بسوء وأنه اذا دعاهم لنصر أجابوه.

(٣) سابحة : أي منتشرة في الأرض. جامحة : أي ذات نشـاط وإسراع في السير. تستنّ : تعدو إقبالا وإدبارا من النشاط.

(٤) سرية كان الـخ : هي أول سراياه صـلى الله عليه وسلم كـما سمعنا من أهـل العلم وقيل أولها سرية حمزة، ومنشأ الخلاف هو أن عقد الراية كان لهما معـاً انظر السـيرة. عبيدة بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف سار في ستين أو ثمانين من المهاجرين حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة «بفتحتين» ببـطن رابغ، فلقي جمعـاً من قريش في مائتي رجل ولم يقع بينهما قتال إلا أن سعد بن أبي وقاص رمي يومئذ بسهم فكان أول سهم رمي به في الإسلام، وكان ذلك في الشهـر الثاني عشر من الهجـرة. الصوب : الجهة. حمزة : هو ابن عبد المطلب بن هاشم رضي الله عنه. في أخرى : أي سار في سرية أخرى في ٣٠ راكباً من المهاجرين يريد عيراً لقريش جاءت من الشام فلقى أبا جهـل في ٣٠٠ بسيف «بـالكسر السـاحـل» البحـر من نـاحيـة العيص، فلما التقى الجمعان وتصافا حجز بينهما مجدي بن عمرو الجهني وكان مصالحا للفـريقين، وكـان ذلك في أول السنة الثانية للهجـرة.

وَغَـزْوَةٌ سَارَ فِيهَـا ٱلْمُصْـطَفَى قُـدُمـاً	إلَى بُـوَاطٍ بِجَمْـعٍ سَـاطِعِ ٱلْقَتَمِ (١)
وَمِـثْلَهَـا يَـمَّمَـتْ ذَاتَ ٱلْعُـشَيْـرةِ فـي	جَيشٍ لُهَـامٍ كَمَوْجِ ٱلْبَحْـرِ مُلْتَطِمِ (٢)
وَسَـارَ سَـعْـدٌ إلَى الْـخَـرَّارِ يَقْـدُمُـهُ	سَعْـدٌ وَلَمْ يَلْقَ فِي مَسْرَاهُ مِنْ بَشَمِ (٣)
وَيَمَّمَـتْ سَفَـوَانَ الْـخَيْـلُ سَـابِحَـةً	بِـكُـلِّ مُعْتَـزِمٍ لِلْقَـوْنِ مُلْتَـزِمِ (٤)
وَتَـابَـعَ ٱلسَّيْـرَ عَبْـدُ اللَّهِ مُتَّجِهـاً	تِلْقَـاءَ نَخْلَةَ مَصْحُوبـاً بِكُـلِّ كَمِي (٥)

---

(١) سار فيها: في مائتين من المهاجرين يريد عيراً لقريش عدتها ألفان وخمسمائة بعير فيها مائة رجل منهم أمية بن خلف وذلك في الشهر الثالث عشر من قدومه. قدما أي لم يعرج ولم ينثن حتى بلغ بواطا «بضم وفتح» جبل من جبال جهينة بناحية رضوى قرب ينبع ثم رجع ولم يلق حربا.

(٢) ذات العشيرة «ويقال العشير»: موضع بناحية ينبع وَأَنَّثَهَا الناظم على إرادة البقعة، خرج اليها على رأس ستة عشر شهرا في مائتين وخمسين أو مائتين من المهاجرين يريد عيراً لقريش صدرت إلى الشام وكان فيها خمسون ألف دينار وألف بعير فوجدها قد مضت قبل ذلك بأيام وهي التي تعرض لها حين رجعت من الشام وكانت السبب في وقعة بدر. اللهام: العظيم كأنه يلتهم كل شيء.

(٣) سار سعد: أي ابن أبي وقاص في ثمانية «أو عشرين» من المهاجرين قال ابن هشام ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد بعد بعث حمزة. الخرار: موضع قرب الجحفة. البشم: السآمة.

(٤) سفوان: واد من ناحية بدر وغزوتها تسمى غزوة بدر الأولى خرج إليها صلى الله عليه وسلم بعد العشيرة بليال لما أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة أي إبلها ومواشيها التي تسرح بالغداة وفاته كرز ولم يدركه.

(٥) عبد الله: هو ابن جحش الأسدي سار أميراً على ثمانية «أو اثني عشر» من المهاجرين في رجب على رأس سبعة عشر شهراً حتى نزل نخلة وهي موضع بين مكة

وَحُـوِّلَـتْ قِبْـلَةُ الإِسْـلَامِ وَقْـتَئِـذٍ عَنْ وِجْهَةِ القُدْسِ نَحْوَ البَيْتِ ذِي العِظَمِ

«وَيَمَّمَ» المُصْـطَفَى بَـدْراً فَـلَاحَ لَـهُ بَـدْرٌ مِنَ النَّصْرِ جَلَّى ظُلْمَـةَ الوَخَمِ [1]

يَـوْمٌ تَـبَسَّـمَ فِيـهِ الـدِّيـنُ وَانْهَـمَلَتْ عَلَى الضَّلَالِ عُيُونُ الشِّرْكِ بِالسَّجَمِ [2]

أَبْلَى عَـلِيٌّ بِـهِ خَيْـرَ البَـلَاءِ بِـمَـا حَبَاهُ ذُو العَرْشِ مِنْ بَأْسٍ وَمِنْ هِمَمِ [3]

وَجَـالَ حَمْـزَةُ بِـالصَّمْصَامِ يَكْسَؤُهُمْ كَسْـأً يُفَـرِّقُ مِنْهُـمْ كُـلَّ مُـزْدَحَمِ [4]

وَغَـادَرَ الصَّحْـبُ والأَنْصَـارُ جَـمْعَـهُمُ وَلَـيْسَ فِيـهِ كَـمِيٌّ غَيْـرَ مُـنْهَـزِمِ [5]

تَـقَسَّـمَتْـهُمْ يَـدُ الهَـيْـجَـاءِ عَـادِلَـةً فَـالهَـامُ لِلْبِيضِ والأَبْـدَانُ لِلرَّخَمِ [6]

= والطائف، يترصد عيراً لقريش فلما مرت به تحمل زبيباً وجلوداً وتجارة من تجاراتهم استاقها بعد حرب، وهي أول غنيمة في الإسلام. الكمي: الشجاع.

(١) بدر: موضع بين مكة والمدينة وهو إليها أقرب وغزوته تسمى غزوة بدر الكبرى أعز الله بها الإسلام وفرق بها بين الحق والباطل، وكان خروجه صلى الله عليه وسلم إليها يوم الإثنين لثمان ليال خلون من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة «وفرغ منها في آخره» في ٣١٣ رجلاً من أصحابه لملاقاة عير قريش على غير استعداد للحرب فلما استشعر به أبو سفيان أرسل إلى أهل مكة فاستنهضهم فخرجوا نحو ألف مقاتل معهم مائتا فرس يقودونها وستمائة درع. الوخم: الوباء والمراد به الشرك.

(٢) السجم: الدمع.

(٣) أبلى علي: أي أظهر بأسه.

(٤) الصمصام: السيف الصارم الذي لا ينثني. يكسؤهم: يتبعهم ويطردهم عن مواقفهم بعد الهزيمة.

(٥) غادر: ترك.

(٦) الهيجاء: الحرب. الهام: الرؤوس. الرخم: طائر موصوف بأكل القذر.

كَـأَنَّمَـا ٱلْبِيضُ بِـالأَيْـدِي صَـوَالِجَـةٌ ... يَلْعَبْنَ فِي سَـاحَـةِ ٱلْهَيْجَاءِ بِـالْقِمَمِ [1]

لَمْ يَبْـقَ مِنْـهُمْ كَـمِيٌّ غَـيْـرُ مُنْجَـدِلٍ ... عَلَى الـرَّغَامِ وَعُضْـوٌ غَيْـرُ مُنْحَطِمِ [2]

فَمَـا مَضَتْ سَـاعَـةٌ وَٱلْحَـرْبُ مُسْعَـرَةٌ ... حَتَّى غَـدَا جَمْعُهُمْ نَهْبـاً لِمُقْتَسِمِ [3]

قَدْ أَمْـطَرَتْهُمْ سَمَـاءُ ٱلْحَـرْبِ صَـائِبَـةً ... بِـالْمَشْـرَفِيَّـةِ وَٱلْمُـرَّانِ كَـالـرُّجُمِ [4]

فَـأَيْنَ مَـا كَـانَ مِنْ زَهْـوٍ وَمِنْ صَلَفٍ ... وَأَيْنَ مَـا كَـانَ مِنْ فَخْـرٍ وَمِنْ شَمَمِ [5]

جَـاؤُا وَلِلشَّـرِّ وَسْمٌ فِـي مَعَـاطِسِهِمْ ... فَـأُرْغِمُـوا وَالـرَّدَى فِي هٰـذِهِ السِّيَمِ [6]

مَنْ عَـارَضَ ٱلْحَـقَّ لَمْ تَـسْلَمْ مَقَـاتِلُهُ ... وَمَـنْ تَـعَـرَّضَ لِـلأَخْـطَارِ لَـمْ يَـنَمِ

فَمَـا ٱنْقَضَى يَـوْمُ بَـدْرٍ بِـالَّتِي عَـظُمَتْ ... حَتَّى مَضَى غَازِياً بِالْخَيْلِ فِي الشُّكُمِ [7]

فَيَمَّـمَ ٱلْكُـدْرَ بِـالأَبْـطَالِ مُـنْتَحِيـاً ... بَنِي سُلَيْمٍ فَـوَلَّتْ عَنْـهُ بِـالـرَّغَمِ [8]

---

(١) الصوالجة: عصي معوجة الطرف يضرب بها الكرة وإسناد اللعب إليها مجاز. القمم: الرؤوس.

(٢) المنجدل: الساقط. الرغام: التراب. المنحطم: المنكسر.

(٣) النهب: الغنيمة. المقتسم: الآخذ نصيبه من الغنيمة.

(٤) صائبة: من صاب السهم الغرض لغة في أصاب إذا وصل إليه ولم يخطئه. المشرفية: السيوف. المران: الرماح. الرجم: النجوم التي يرمى بها.

(٥) الصلف: تمدح الرجل بما ليس فيه.

(٦) الوسم: العلامة. المعاطس: الأنوف. أرغموا: ذلوا. الردى: الهلاك. السيم: العلامات.

(٧) مضى: تقدم. الشكم: جمع شكيمة وهي الحديدة المعترضة في فم الفرس.

(٨) يمم الكدر: قصده بعد سبع ليال من قدومه من بدر. والكدر: موضع لبني سليم على ثمانية برد من المدينة. منتحياً: قاصداً. فولت: أي فوجدها فرت وقد تركت نعمها فظفر بها وكانت خمسمائة بعير.

وَسَارَ فِي غَزْوَةٍ تُدْعَى ٱلسَّوِيقَ بِمَا	أَلْقَاهُ أَعْدَاؤُهُ مِنْ عُظْمِ زَادِهِمِ [(١)]
ثُمَّ ٱنْتَحَى بِوُجُوهِ ٱلْخَيْلِ ذَا أَمَرٍ	فَفَرَّ سَاكِنُهُ رُعْباً إِلَى الرَّقَمِ [(٢)]
وَأَمَّ فُرْعاً فَلَمْ يَثْقَفْ بِهِ أَحَداً	وَمَنْ يُقِيمُ أَمَامَ ٱلْعَارِضِ ٱلْهَزِمِ [(٣)]
وَلَفَّ بِالْجَيْشِ حَيَّيْ قَيْنُقَاعَ بِمَا	جَنَوْا فَتَعْساً لَهُمْ مِنْ مَعْشَرٍ قَزَمِ [(٤)]

(١) سار: أي في مائتين من أصحابه في الخامس من ذي الحجة حين بلغه إغارة أصحاب أبي سفيان ليلا بمساعدة سيد بني النضير على ناحية من المدينة وحرقهم نخلاً منها وقتلهم رجلاً من الأنصار وآخر حليفاً لهم فوجدهم هربوا طارحين عامة أزوادهم تخفيفاً لرواحلهم. السويق: دقيق الشعير أو السلت المقلوّ ويكون من القمح والأكثر جعله من الشعير.

(٢) ذا أمر: موضع بنجد من ديار غطفان «وغزوته تسمى بغزوة غطفان أيضاً» خرج إليه صلى الله عليه وسلم في ١٢ ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة|وكان في أربعمائة وخمسين رجلاً يريد جمعاً من بني ثعلبة ومحارب بلغه أنه قصد الإغارة. فر ساكنه: أي لما سمع بخروجه. الرقم: جبال دون مكة بديار غطفان.

(٣) الفرع: قرية على ثمانية برد من المدينة «أو أربع ليال» وغزوته تسمى أيضاً غزوة بحران «بضم وفتح موضع بناحية الفرع» خرج إليه في ثلاثمائة لست من جمادى الأولى. يثقف: يصادف. العارض: السحاب المعترض في الأفق. الهزم: الذي لرعده صوت.

(٤) بنو قينقاع: «بالتثليث والضم أشهر» حي من اليهود كانت منازلهم في بطحان «بضم وفتح فسكون» واد بظاهر المدينة، وكانوا أشجع اليهود وكانوا حلفاء عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبيّ بن سلول. بما جنوا: أي من إظهارهم البغي والحسد ونبذ العهد لما كانت وقعة بدر وكان عليه السلام عاهدهم على أن يكونوا معه لا عليه، وسبب نقضهم العهد أن زوجة لبعض الأنصار الساكنين بالبدو جلست إلى صائغ منهم فراودها جماعة على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها =

وَسَارَ زَيْدُ بِجَمْعٍ نَحْوَ قَرْدَةَ مِنْ   مِيَاهِ نَجْدٍ فَلَمْ يَثْقَفْ سِوَى النَّعَمِ (١)
ثُمَّ اسْتَدَارَتْ رَحَا ٱلْهَيْجَاءِ فِي أُحُدٍ   بِكُلِّ مُفْتَرِسٍ لِلْقِرْنِ مُلْتَهِمِ (٢)
يَوْمٌ تَبَيَّنَ فِيهِ ٱلْجِدُّ وَاتَّضَحَتْ   جَلِيَّةُ الأَمْرِ بَعْدَ الْجَهْدِ وَالسَّأَمِ
قَدْ كَانَ خُبْراً وَتَمْحِيصاً وَمَغْفِرَةً   لِلْمُؤْمِنِينَ وَهَلْ بُرْءٌ بِلاَ سَقَمِ (٣)
مَضَى عَلِيٌّ بِهِ قُدْماً فَزَلْزَلَهُمْ   بِحَمْلَةٍ أَوْرَدَتْهُمْ مَوْرِدَ الشَّجَمِ
وَأَظْهَرَ الصَّحْبُ وَالأَنْصَارُ بِأَسَهُمْ   وَالْبَأْسُ فِي ٱلْفِعْلِ غَيْرُ الْبَأْسِ فِي الْكَلِمِ (٤)

= فعقده إلى ظهرها وهي لا تشعر فلما قامت انكشفت عورتها فصاحت فوثب مسلم على الصائغ فقتله وشدت اليهود على المسلم فقتلوه فتواثب المسلمون من كل جهة فبلغ الخبر النبي عليه السلام فقال ما على هذا أقررناهم ثم سار إليهم في نصف شوال وحاصرهم خمس عشرة ليلة وأجلاهم إلى الشام. القزم: الأراذل السفلة.

(١) سار زيد: يعني ابن حارثة بجمع وكان مؤلفاً من مائة راكب لملاقاة تجار قريش وكانوا سلكوا طريقا غير الطريق المعتاد بعدما كان من وقعة بدر فلقيهم فأصاب العير بما فيها وقدم على الرسول فخمسها فبلغ الخمس ٢٠ ألف درهم وكان ذلك في جمادى الآخرة من السنة الثالثة للهجرة.

(٢) أحد: جبل بالمدينة وغزوته كانت في ١١ شوال سنة ٣هـ وسببها أن قريشاً لما أصابهم يوم بدر ما أصابهم اجمعوا على حربه صلى الله عليه وسلم وساروا إليه وكانوا ثلاثة آلاف ومعهم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة، وكان المسلمون سبعمائة. المفترس: الأسد. الملتهم: المبتلع.

(٣) التمحيص: الإبتلاء والإختبار.

(٤) بأسهم: أي شجاعتهم وشدتهم.

خاضُوا ٱلمَنَايَا فَنَالُوا عِيشَةً رَغَداً ... وَلَــذَّةُ ٱلــنَّفْسِ لاَ تَـأْتِـي بِـلاَ أَلَـمِ
مَنْ يَلْزَمِ ٱلصَّبْـرَ يَسْتَحْسِنْ عَـوَاقِبَـهُ ... وَٱلمَاءُ يَحْسُنُ وَقْعاً عِنْـدَ كُـلِّ ظَمِ (١)
لَـو لَمْ يَكُنْ في آحْتِمَـالِ الصَّبْرِ مَنْقَبَةٌ ... لَمْ يَـظْهَرِ ٱلْفَـرْقُ بَيْنَ اللُّؤْمِ وَٱلكَرَمِ (٢)
فَكَـانَ يَـوْمـاً عَتِيـدَ ٱلبَـأْسِ نَـالَ بِـهِ ... كِـلاَ ٱلْفَرِيقَينِ جَهْـداً وَارِيَ ٱلحَـدَمِ (٣)
أَوْدَى بِـهِ حَمْـزَةُ الصِّنْـدِيـدُ في نَفَـرٍ ... نَالُوا الشَّهَادَةَ تَحْتَ ٱلعَارِضِ الـرَّزِمِ (٤)
أَحْسِنْ بِهَـا مِيتَـةً أَحْيُـوا بِهَا شَـرَفـاً ... وَٱلمَوْتُ في ٱلحَرْبِ فَخْرُ السَّادَةِ ٱلقُدُمِ (٥)
لاَ عَـارَ بِـالْقَـوْمِ مِنْ مَـوْتٍ وَمِنْ سَلَبٍ ... وَهَـلْ رَأَيْتَ حُسَـامـاً غَيْـرَ مُنْثَلِمِ (٦)
فَـكَـانَ يَــوْمَ جَـزَاءٍ بَـعْـدَ مُـخْـتَـبَـرٍ ... لِـمَنْ وَفَـا وَجَـفَـا بِـالْعِـزِّ وَالـرَّغَـمِ
قَـامَ الـنَّبِيُّ بِـهِ فـي مَـأْزِقٍ حَـرِجٍ ... تَـرْعَى ٱلمَنَاصِـلُ فِيهِ مَنْبَتَ ٱلجُمَمِ (٧)
فَلَمْ يَـزَلْ صَـابِـراً في ٱلحَـرْبِ يَفْثَؤُهَـا ... بِالبِيضِ حَتَّى اكْتَسَتْ ثَوْباً مِنَ ٱلعَنَمِ (٨)

---

(١) الوقع: القدر والشأن.

(٢) المنقبة: المفخرة والفعل الكريم.

(٣) العتيد: الشديد. الواري: من وري الزند اتقد وظهرت ناره سريعاً. الحدم: شدة إحماء الشيء بحر الشمس والنار.

(٤) أودي: هلك. الصنديد: السيد الشجاع. العارض الرزم: السحاب الذي لا ينقطع رعده، أراد به الغبار المثار من حوافر الخيل.

(٥) القدم: الشجعان.

(٦) المنثلم: المنكسر الحد.

(٧) المأزق: الموضع الضيق الذي يقتتل فيه. المناصل: السيوف. منبت الجمم: أي مكان نبتها وطلوعها يعني به الرقاب.

(٨) يفثؤها: يسكنها ويكسر حدتها.

وَرَدَّ عَـيْـنَ آبْـنِ نُـعْـمَـانٍ قَـتَـادَةَ إذْ	سَـالَتْ فَعَادَتْ كَمَـا كَـانَتْ بِـلَا لَتَمِ (١)
وَقَـدْ أَتَى بَعْـدَ ذَا يَـوْمُ الـرَّجِيـعِ بِمَـا	فِيـهِ مِنَ ٱلْغَـدْرِ بَعْـدَ ٱلعَهْـدِ وَٱلْقَسَمِ (٢)
وَثَـارَ نَقْـعُ ٱلمَنَـايَـا في مَعُـونَـةٍ مِنْ	بَنِي سُلَيْمٍ بِأَهْلِ ٱلْفَضْـلِ وَٱلْحِكَمِ (٣)
ثُمَّ اشْـرَأَبَّتْ لِخَفْـرِ ٱلْعَهْـدِ مِنْ سَفَـهٍ	بَنُـو ٱلنَّضِيـرِ فَـأَجْلَاهُمْ عَنِ الأُطُمِ (٤)
وَسَـارَ مُنْتَجِيـاً ذَاتَ الـرِّقَـاعِ فَـلَمْ	تَلْقَ ٱلكَتَـائِبُ فِيهَـا كَيْـدَ مُصْـطَدِمِ (٥)

---

(١) رد عين الخ : وكـانت أصيبت يوم أحـد حتى وقعت على وجنتـه فكان لا يـدري أي عينيه أصيبت. واللتم: الجرح.

(٢) الرجيع : ماء لهذيل بن مدركـة بين مكـة وعسفان وإليـه كان بعث عـاصم بن ثابت الأنصـاري في ستة من الصحـابة ليفقهـوا بني لحيـان في الـدين فلما بلغـوا الـرجيـع غدروهم، وذلك في أول السنة الرابعة للهجرة

(٣) بئر معونة: موضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان وإليه كـانت سرية المنـذر بن عمرو الخزرجي في سبعين من القـراء ليدعـوا أهله إلى الإسلام فلما نـزلوه بعثـوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله إلى عدو الله عـامر بن الـطفيل فقتله ثم استصرخ عليهم قبـائل من بني سليم «عصيـة ورعلا وذكـوان» فـأجـابـوه وغشـوا القـوم في رحـالهم وقاتلوهم حتى قتلوا كلهم الا واحداً تركوه وبه رمق.

(٤) اشرأبت: مالت يقال اشرأب للشيء مد عنقه لينظر اليه. خفر العهد: عـدم الوفـاء به. بنو النضير: قبيلة كبيرة من اليهود كانت بواد ظاهـر المدينـة، خرج إليهم صـلى الله عليه وسلـم ليستعين بهم في دية الرجلين اللذين قتلهـما عمرو بن أميـة الضمري فلما أتاهم أرادوا الغدر به بإلقاء صخرة من خلفـه فأخـبره جبريـل فقام مـظهراً أنـه يقضي حاجة خوفاً من أن يفطنوا له فيؤذوا من كان معه من الصحابـة ورجع مسرعـاً إلى المدينة فلما استبطاء أصحابه قاموا في طلبه ثم عاد اليهم وحاصرهـم أشد الحصار حتى سألوه الجلاء فأجلاهم عن الأطم: أي الحصون، وكان ذلك في ربيـع من السنة الرابعة للهجـرة .

(٥) سار: أي لغزو بني محارب وبني ثعلبة حين جمعوا جموعاً لمحـاربته وكـان في ٤٠٠ إلى =

وَحَـلَّ مِنْ بَعْـدِهَـا بَـدْراً لِـوَعْـدِ أَبِي سُفْيَـانَ لَكِنَّـهُ وَلَّى وَلَـمْ يَحُـمِ [١]
وَأَمَّ دَوْمَـةَ فـي جَـمْـعٍ وَعَـادَ إِلَـى مَكَـانِـهِ وَسَمَـاءُ النَّقْـعِ لَمْ تَغِـمِ [٢]
«ثُمَّ» اسْتَشَـارَتْ قُـرَيْشُ وَهْيَ ظَـالِمَـةُ أَحْـلَافَهَـا وَأَتَتْ في جَحْفَـلٍ لَهِمِ [٣]
تَسْتَمْرِىءُ الْبَغْيَ مِنْ جَهْلٍ وَمَـا عَلِمَتْ أَنَّ الْجَهَـالَـةَ مَـدْعَـاةٌ إِلَى الثَّـلَمِ [٤]
وَقَـامَ فِـيهِـمْ أَبُـو سُفْيَـانَ مِنْ حَنَـقٍ يَدْعُو إِلَى الشَّرِّ مِثْلَ الْفَحْلِ ذِي الْقَطَمِ [٥]

= أن نزل نخلا «موضع من أراضي غطفان» فبلغ القوم فتفرقوا في رؤوس الجبال، وسميت غزوة ذات الرقاع باسم الموضع أو للفهم الخرق على أرجلهم لما حفيت من المشي وكانت في شهر ربيع وبعض جمادي سنة ٤ هـ.

(١) بدرا: ويقال لها غزوة بدر الأخيرة وكانت في شعبان. لوعد أبي سفيان: فإنه قال يوم أحد الموعد بيننا وبينكم بدر من العام القابل فخرج عليه السلام في ١٥٠٠ وأقام ٨ ليال ينتظره وخرج أبو سفيان في ألفين حتى بلغ مر الظهران أو عسفان ثم بدا له الرجوع لما ألقي في قلبه من الرعب.

(٢) وأم دومة: أي دومة الجندل «مدينة على ١٥ ليلة من المدينة»، وذلك في شهر ربيع الأول سنة ٥ هـ حين بلغه أن بها جمعا عظيما يظلمون من مر بهم فلما علموا بخروجه تفرقوا. جمع: وكان مركباً من ألف رجل.

(٣) استشارت: هيجت، وكان قدم عليهم ـ بعد إجلاء بني النضير ـ نفر من اليهود وقالوا لهم إنا سنكون معكم على محمد حتى نستأصله. أحلافها وهم من غطفان وأشجع وبني سليم وبني مرة وبني أسد وغيرهم من قبائل العرب. الجحفل: الجيش الكثير وكان مؤلفاً من ١٠آلاف. اللهم: الأكول.

(٤) تستمرىء البغي: أي تستطيب التعدي بغير حق وتستحسنه. المدعاة: الدعاء وهي في الأصل الدعاء إلى الوليمة. الثلم: أراد به السقوط والهلاك.

(٥) الحنق: الغيظ. القطم: الهياج.

فَخَنْـدَقَ ٱلْمُؤْمِنُـونَ الـدَّارَ وَانْتَصَبُـوا لِحَرْبِهِمْ كَضَوَارِي الأُسْدِ في الأَجَمِ [١]

فَمَا اسْتَطَاعَتْ قُرَيْشٌ نَيْلَ مَا طَلَبَتْ وَهَـلْ تَنَـالُ الثُّـرَيَّـا كَفُّ مُسْتَلِمِ

رَامَتْ بِجِهْلَتِهَـا أَمْـراً وَلَـوْ عَلِمَتْ مَـاذَا أُعِـدَّ لَهـا في ٱلْغَيْبِ لَمْ تَـرُمِ

فَخَيَّبَ اللَّهُ مَسْعَـاهَـا وَغَـادَرَهـا نَهْبَ ٱلرَّدَى وَٱلصَّدَى وَالرِّيحِ وَالظُّسَمِ [٢]

فَقَوَّضَتْ عُمُدَ التَّرْحَالِ وَانْصَرَفَتْ لَيْـلاً إِلَى حَيْثُ لَمْ تَسْرَحْ وَلَمْ تَسُمِ [٣]

وَكَيْفَ تَحْمَـدُ عُقْبَى مـا جَنَتْ يَـدُهـا بَغْياً وَقَدْ سَرَحَتْ في مَرْتَعٍ وَخِمِ

قَـدْ أَقْبَلَتْ وَهْيَ في فَخْرٍ وَفي جَـذَلٍ وَأَدْبَرَتْ وَهْيَ في خِزْيٍ وَفي سَدَمِ [٤]

---

(١) خندق المؤمنون الدار: أي حفروا حول المدينة خندقاً لما سمع صلى الله عليه وسلم بما أجمعت عليه الأحزاب من استئصال المسلمين، وكان ينقل معهم التراب فلما فرغ من حفره أقبلت قريش حتى نزلت هي ومن تبعها بمجتمع السيول بين الجرف «بالضم موضع على ٣ أميال من المدينة نحو الشام» والغابة «موضع قريب منها كذلك» ونزلت غطفان ومن تبعها إلى جنب أحد، وخرج الرسول والمسلمون وكانوا ٣ آلاف فجعلوا ظهورهم إلى سلع «جبل بالمدينة» فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم، وأقام المسلمون على الخندق قريبا من شهر والعدو يحاصرهم ويناشدوهم ولم يقع بينهما إلا الرمي بالنبل ويبعث طلائعه بالليل طمعاً في الغارة حتى اشتد الخوف بالمسلمين والنبي يبشرهم ويثبتهم، فبعث الله على عدوهم ريحاً شديدة في ليلة شاتية فأكفأت قدورهم وأطفأت نيرانهم وهدمت أبنيتهم وسفت التراب فوقهم فارتحلوا والخوف يقودهم والخيبة تحفهم، وذلك لسبع بقين من ذي القعدة سنة ٥ هـ .

(٢) الصدى: العطش. الطسم: الغبرة والظلام.

(٣) قوضت: هدمت.

(٤) الجذل: الفرح. السدم: الغيظ مع حزن.

مَنْ يَـرْكَبِ ٱلْغَيَّ لا يَحْمَـدْ عَـوَاقِبَـهُ ... وَمَنْ يُـطِعْ قَلْبُـهُ أَمْـرَ ٱلْـهَـوَى يَهِـمِ

«ثُمَّ» ٱنْتَحَى بِـوُجُـوهِ ٱلْخَيْـلِ سَاهِمَـةً ... بَنِي قُـرَيْـظَةَ فِي رَجْـرَاجَـةٍ حُـطَمِ[1]

خَـانُوا ٱلـرَّسُـولَ فَجَـازَاهُمْ بِمَـا كَسَبُـوا ... وَفِي ٱلخِيَـانَـةِ مَـدْعَـاةٌ إِلَى ٱلنِّقَمِ[2]

«وَسَـارَ» يَنْحُـو بَنِي لِحْيَـانَ فَـاعْتَصَمُـوا ... خَوْفَ ٱلرَّدَى بِـالْعَوَالِي كُـلَّ مُعْتَصَمِ[3]

«وَأَمَّ» ذَا قَـرَدٍ فـي جَحْـفَـلٍ لَـجِـبٍ ... يَـسْتَنُّ في لَاحِـبٍ بَـادٍ وَفِي نَـسَمِ[4]

«وَزَارَ» بِـالْجَيْشِ غَـزْواً أَرْضَ مُصْـطَلِقٍ ... فَمَـا ٱتَّقُـوهُ بِغَيْـرِ ٱلْبِيضِ في الْخَـدَمِ[5]

---

(١) انتحى: قصـد، وذلك في يـوم انصرافه من غـزوة الخندق. سـاهمة: متغـيرة. بنـو قريظة: قوم من اليهود كانوا بظاهر المدينة. رجراجة: أي كتيبة رجراجـة وهي التي تتحرك ولا تكاد تسير لكثرتها. حطم: (كما ضبطه الناظم) أي يحطم كـل ما يجـده، وذكره مراعاة لمعنى الكتيبة وهو الجيش.

(٢) خـانوا الـرسول: أي بنقضهم العهـد الذي كـان بينهم وبينه وانضـمامهم إلى قريش لمحاربته في الغـزوة السالفـة. فجازاهم: أي بقتـل الرجال وسبي الذراري والنسـاء وقسم الأموال على الحكم الذي ارتضوا النزول عليه بعد أن حاصرهم ٢٥ ليلة.

(٣) وسار: أي في جمادى الأولى سنة ٦ هـ إلى أن انتهى إلى بطن غراب وبه منازل بني لحيان الذين غدروا بأصحاب الرجيع. العوالي: الجهات المرتفعة وأراد بها الجبال.

(٤) ذا قرد: موضع على نحو بريد من المدينة لما أغار عيينة بن حصن الفزاري على لقاحة «النوق ذوات الألبان» في ٦٠ فارساً فاستاقهـا وقتل راعيـه. اللجب: العرمـرم كثير الصوت. اللاحب: الطريق الواسع. النسم: الطريق الدارس.

(٥) وزار: أي حين بلغه أن بني المصطلق «وهم بطن من خـزاعة» يجمعـون له الجمـوع فلقيهم على ماء لهم يقال له المريسيع من ناحية قـديد وأمـر أصحابـه فحملوا عليهم حملة واحدة بعد أن تراموا بالنبل ساعة فهزموهم وقد قتلوا منهم ١٠ وأسروا الباقـين وكانوا أكـثر من ٧٠٠ وسبوا النسـاء والأبناء وسـاقوا الأمـوال وكانت ألفي بعـير و٥ آلاف شاة، وذلك في شعبان سنة ٦هـ. البيض: النساء. الخدم: الخلاخيل.

«وَفِي» الْحُـدَيْبِيَـةِ الصُّلْحُ اسْتَتَبَّ إِلَى عَشْرٍ وَلَمْ يَجْرِ فِيهَـا مِنْ دَمٍ هَـدَمِ [1]

«وَجَـاءَ» خَيْبَـرَ فِي جَـأْوَاءَ كَـالِحَـةٍ بِالْخَيْلِ كَالسَّيْلِ وَالأَسْيَافِ كَالضَّرَمِ [2]

حَتَّى إِذَا امْتَنَعَتْ شُـمُّ الْحُصُـونِ عَلَى مَنْ رَامَهَـا بَعْـدَ إِيغَـالٍ وَمُقْتَحَمِ [3]

قَـالَ النَّبِيُّ سَـأُعْطِي رَايَتِي رَجُـلاً يُحِبُّنِي وَيُحِبُّ اللَّهَ ذَا الْكَـرَمِ

ذَا مِـرَّةٍ يَفْتَـحُ اللَّهُ الْحُصُـونَ عَلَى يَـدَيْـهِ لَـيْسَ بِـفَـرَّارٍ وَلاَ بَـرِمِ [4]

فَمَـا بَـدَا الْفَجْـرُ إِلاَّ وَالـزَّعِيـمُ عَلَى جَيْشِ الْقِتَـالِ عَلِيٌّ رَافِـعُ الْـعَلَمِ [5]

وَكَـانَ ذَا رَمَـدٍ فَـارْتَـدَّ ذَا بَـصَـرٍ بِـنَفْـثَـةٍ أَبْـرَأَتْ عَيْـنَـيْـهِ مِـنْ وَرَمِ [6]

فَـسَـارَ مُعْتَـزِمـاً حَتَّـى أَنَـافَ عَـلَى حُصُـونِ خَيْبَـرَ بِـالْمَسْلُولَـةِ الْخُـذُمِ [7]

يَـمْضِـي بِمُنْصُـلِهِ قُـدْمـاً فَيَـلْحَـمُـهُ مَجْـرَى الْوَرِيـدِ مِنَ الأَعْنَـاقِ وَاللِّمَمِ [8]

---

(١) الحديبية (بتخفيف الياء وتشديدها): قرية قـريبة من مكـة. الصلح: أي بينه صـلى الله عليه وسلم وبين سهيل بن عمرو من طرف قريش على ترك الحرب ١٠ سنين، وذلك في آخر سنة ٦ هـ . هدم: هدر.

(٢) خيبر: مدينة على٨٠ يرد من المدينة. جأواء: سوداء. كالحة: عابسـة. الضرم: النار المشتعلة، وكانت غزوتها في المحرم سنة ٧ هـ .

(٣) الإيغال: الإمعان في السير إلى أرض العدو. المقتحم: الاقتحام.

(٤) المرة: القوة. الفرار: الفار. البرم: السئم الضجر.

(٥) الزعيم: الرئيس.

(٦) بنفثة: أي بتفلة من ريقه صلى الله عليه وسلم.

(٧) أناف: أشرف. بالمسلولة: أي بأصحاب السيوف المسلولة. الخذم: القاطعة.

(٨) المنصل: السيف. يلحمه: يطعمه ويمكنه. الوريدان: عرقان تحت الودجين.

حَتَّى إِذَا طَاحَ مِنْهُ التُّرْسُ تَاحَ لَهُ ... بَابٌ فَكَانَ لَهُ تُرْساً إِلَى الْعَتَمِ (١)
بَابٌ أَبَتْ قَلْبَهُ جَهْداً ثَمَانِيَةٌ ... مِنَ الصَّحَابَةِ أَهْلِ الْجِدِّ وَالْعَزَمِ (٢)
فَلَمْ يَزَلْ صَائِلاً فِي الْحَرْبِ مُقْتَحِماً ... غَيَابَةَ النَّقْعِ مِثْلَ الْحَيْدَرِ الْقَرِمِ (٣)
حَتَّى تَبَلَّجَ فَجْرُ النَّصْرِ وَانْتَشَرَتْ ... بِهِ الْبَشَائِرُ بَيْنَ السَّهْلِ وَالْعَلَمِ
أَبْشِرْ بِهِ يَوْمَ فَتْحٍ قَدْ أَضَاءَ بِهِ ... وَجْهُ الزَّمَانِ فَأَبْدَى بِشْرَ مُبْتَسِمِ
أَتَى بِهِ جَعْفَرُ الطَّيَّارُ فَابْتَهَجَتْ ... بِعَوْدِهِ أَنْفُسُ الأَصْحَابِ وَالْعُزَمِ (٤)
فَكَانَ يَوْماً حَوَى عِيدَيْنِ فِي نَسَقٍ ... فَتْحاً وَعَوْدَ كَرِيمٍ طَاهِرِ الشِّيَمِ
وَعَادَ بِالنَّصْرِ مَوْلَى الدِّينِ مُنْصَرِفاً ... يَؤُمُّ طَيْبَةَ فِي عِزٍّ وَفِي نِعَمِ
«ثُمَّ» اسْتَقَامَ لِبَيْتِ اللَّهِ مُعْتَمِراً ... لِنَيْلِ مَا فَاتَهُ بِالْهَدْيِ لِلْحَرَمِ (٥)
«وَسَارَ» زَيْدُ أَمِيراً نَحْوَ مُؤْتَةَ فِي ... بَعْثٍ فَلَاقَى بِهَا الأَعْدَاءَ مِنْ كَثَمِ (٦)

---

(١) طاح: سقط وكان بضربة رجل من اليهود. الترس: ما يتوقى به من سيف ونحوه. تاح: تهيأ. العتم: أي الكف عن القتال.

(٢) أبت الخ: أي كرهت تحويله للمشقة التي أصابتها. العزم: (بفتح الزاي تبعاً للعين) الصبر والقوة.

(٣) الغيابة: ما ستر. الحيدر: الأسد. القرم: الشديد الميل إلى اللحم.

(٤) أتى: أي من الحبشة. جعفر الطيار: هو ابن أبي طالب، وسمي بالطيار لقوله عليه السلام لما قطعت يداه في الحرب أثابه الله بذلك جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء. العزم: جمع عزمة أسرة الرجل وقبيلته.

(٥) استقام: وذلك في هلال ذي القعدة سنة٧هـ. فاته: أي حين صده المشركون عن البيت عام الحديبية، ولذا سميت هذه العمرة عمرة القضاء.

(٦) وسار: وذلك في جمادى الأولى سنة ٨ هـ.زيد: هو ابن حارثة مولاه عليه السلام. مؤتة قرية من قرى البلقاء في حدود الشام. بعث: كان مؤلفاً من ٣ آلاف فلاقى بها =

فَعَبَّأَ المُسْلِمُونَ ٱلْجُنْدَ وَاقْتَتَلُوا ... قِتَالَ مُنْتَصِرٍ لِلْحَقِّ مُنْتَقِمِ (١)

فَطَاحَ زَيْدٌ وَأَوْدَى جَعْفَرٌ وَقَضَى ... تَحْتَ الْعَجَاجَةِ عَبْدُ اللّهِ في قُدُمِ (٢)

لاَ عَارَ بِالمَوْتِ فَالشَّهْمُ الْجَرِيءُ يَرَى ... أَنَّ الرَّدَى في ٱلمَعَالِي خَيْرُ مُغْتَنَمِ

«وَحِينَ» خَاسَتْ قُرَيْشُ بِالْعُهُودِ وَلَمْ ... تُنْصِفْ وَسَارَتْ مِنَ الأَهْوَاءِ في نَقَمِ (٣)

وَظَاهَرَتْ مِنْ بَنِي بَكْرٍ حَلِيفَتَهَا ... عَلَى خُزَاعَةَ أَهْلِ الصِّدْقِ في الذِّمَمِ (٤)

قَامَ النَّبِيُّ لِنَصْرِ الْحَقِّ مُعْتَزِماً ... بِجَحْفَلٍ لِجُمُوعِ ٱلشِّرْكِ مُخْتَرِمِ (٥)

تَبْدُو بِهِ الْبِيضُ وَٱلْقَسْطَالُ مُنْتَشِرٌ ... كَالشُّهْبِ في اللَّيْلِ أَوْ كَالنَّارِ في الْفَحَمِ

لَمْعُ السُّيُوفِ وَتَصْهَالُ الْخُيُولِ بِهِ ... كَالْبَرْقِ وَالرَّعْدِ في مُغْدَوْدِقٍ هَزِمِ (٦)

عَرَمْرَمٌ يَنْسِفُ الأَرْضَ ٱلفَضَاءَ إِذَا ... سَرَى بِهَا وَيَدُكُّ الْهَضْبَ مِنْ خِيَمِ (٧)

= الأعداء وهم جموع هرقل من الروم وكانوا مائة ألف وانضم اليهم من العرب قدرهم بمشارف بالقرب من مؤتة.

(١) عبأ: هيأ ورتب.

(٢) طاح وأودى وقضى: بمعنى هلك. عبد الله: هو ابن رواحة، ثم أمر المسلمون عليهم خالد بن الوليد فأصبح وقد حصل النصر وانهزمت الأعداء وقد قتل منهم ما لا يحصى وغنم المسلمون أكثر ما كان معهم ولم يقتل منهم إلا ١٢ بعد قتال دام سبعة أيام.

(٣) خاست: نقضت، وذلك في شعبان سنة ٨ هـ. نقم: أي وسط.

(٤) ظاهرت: عاونت. على خزاعة: أي على قتلها وتم ذلك ليلا داخل الحرم وكانت حليفته عليه السلام.

(٥) قام: وذلك في العاشر من رمضان بجحفل وكان مؤلفاً من ١٠ آلاف.

(٦) المغدودق: المطر الكثير. الهزم: الذي لا يستمسك.

(٧) الهضب: المرتفع. خيم: جبل.

فِيــهِ ٱلْكُمَــاةُ ٱلَّتِي ذَلَّتْ لِعِــزَّتِهَــا	مَعَاطِسٌ لَمْ تُـذَلَّـلْ قَبْـلُ بِـالْخُـطَمِ [(١)]
مِنْ كُـلِّ مُعْتَــزِمٍ بِــالصَّبْــرِ مُحْتَــزِمٍ	لِلْقِـرْنِ مُلْتَـزِمٍ فِي ٱلْبَـأْسِ مُهْتَـزِمٍ [(٢)]
طَـالَتْ بِهِمْ هِمَمٌ نَـالُـوا السِّمَـاكَ بِهَـا	عَنْ قُـدْرَةٍ وَعُلُوُّ ٱلنَّفْسِ بِـالْـهِمَـمِ [(٣)]
بِـيضٌ أَسَـاوِرَةٌ غُـلْـبٌ قَسَـاوِرَةٌ	شُكْسٌ لَدَى الْحَرْبِ مِطْعَامُونَ فِي الْأَزَمِ [(٤)]
طَـابَتْ نُفُـوسُهُمُ بِـالمَـوْتِ إِذْ عَلِمُــوا	أَنَّ الْحَيَـاةَ ٱلَّتِي يَبْغُـونَ فِـي ٱلْعَـدَمِ
سَـاسُـوا الْجِيَـادَ فَـظَلَّتْ فِي أَعِنَّتِهَـا	طَـوْعَ ٱلْبَنَـانَـةِ فِي كَـرٍّ وَمُقْتَحَـمِ [(٥)]
تَـكَـادُ تَفْـقَـهُ لَحْـنَ ٱلْقَـوْلَ مِـنْ أَدَبٍ	وَتَسْبِقُ ٱلْـوَحْيَ وَالإِيمَـاءَ مِنْ فَـهَمِ [(٦)]
كَـأَنَّ أَذْنَـابَـهَـا فِـي ٱلْكَـرِّ أَلْـوِيَـةٌ	عَلَى سَفِينٍ لِأَمْـرِ الـرِّيـحِ مُـرْتَسِمِ [(٧)]
مِنْ كُـلِّ مُنْجَـرِدٍ يَهْـوِي بِصَـاحِبِـهِ	بَيْنَ الْعَجَاجِ هُوِيَّ الْأَجْدَلِ اللَّحِمِ [(٨)]
وَٱلْبِيضُ تَـرْجُفُ فِي الْأَغْمَـادِ مِنْ ظَمَـأٍ	وَالسُّمْـرُ تَرْعُـدُ فِي الْأَيْمَانِ مِنْ قَـرَمِ [(٩)]

(١) الخطم: الحبال التي تقاد بها الإبل.

(٢) محتزم: مستوثق. مهتزم: مسرع.

(٣) السماك: نجم.

(٤) بيض: أي أنقياء العرض. الأساورة: المجيدون الرمي بالسهام. الغلب: الغلاظ الرقبة، وغلظها وصف تمدح به السادة. القساورة: الأسود. الشكس: الصعاب الأخلاق. الأزم: السنون الشداد.

(٥) ساسوا الجياد: أي ذللوها وعلموها. الأعنة: اللجم.

(٦) لحن القول: معناه الوحي الإشارة كالإيماء.

(٧) سفين: اسم جنس جمعي مفرده سفينة. مرتسم: ممتثل.

(٨) منجرد: سباق. يهوي الخ: أي ينقض براكبه انقضاض الصقر الشديد الشهوة إلى اللحم.

(٩) ترجف: تضطرب ترعد. السمر: الرماح. القرم: شدة الشهوة إلى اللحم.

مِـنْ كُـلِّ مُـطَّرِدٍ لَـوْلَا عَـلَائِـقُـهُ ... لَسَابَقَ ٱلْمَوْتَ نَحْوَ ٱلْقِرْنِ مِنْ ضَرَمِ (١)

كَـأَنَّـهُ أَرْقَـمٌ فِـي رَأْسِـهِ حُـمَـةٌ ... يَسْتَلُّ كَيْدَ الأَعَادِي بِـآبْنَـةِ الرَّقَمِ (٢)

فَلَمْ يَـزَلْ سَـائِـراً حَتَّى أَنَـافَ عَلَى ... أَرْبَاضِ مَكَّةَ بِـالْفُرْسَـانِ وَٱلْبُهَمِ (٣)

وَلَـفَّـهُـمْ بِـخَـمِـيسٍ لَـوْ يَـشُـدُّ عَـلَى ... أَرْكَانِ رَضْوَى لَأَضْحَى مَائِلَ ٱلدِّعَمِ (٤)

فَـأَقْبَلُوا يَسْـأَلُـونَ ٱلصَّفْـحَ حِينَ رَأَوْا ... أَنَّ اللَّجَـاجَـةَ مَـدْعَـاةٌ إِلَى ٱلنَّـدَمِ

رِيعُـوا فَـذَلُّـوا وَلَـوْ طَـاشُـوا لَـوَقَّـرَهُمْ ... ضَـرْبٌ يُفَـرِّقُ مِنْهُمْ مَجْمَـعَ اللِّمَمِ (٥)

ذَاقُـوا الرَّدَى جُـرَعاً فَـاسْتَسْلَمُوا جَزَعاً ... لِلصُّلْحِ وَالْحَرْبُ مَرْقَـاةٌ إِلَى ٱلسَّلَمِ (٦)

وَأَقْـبَـلَ ٱلنَّـصْـرُ يَتْـلُو وَهْـوَ مُبْتَـسِمٌ ... (ٱلْمَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ)(٧)

يَـا حَـائِرَ اللُّبِّ هَـذَا الْحَقُّ فَـآمْضِ لَـهُ ... تَسْلَمْ وَهَـذَا سَبِيـلُ الـرُّشْـدِ فَـاسْتَقِمِ

لَا يَـصْـرَعَـنَّـكَ وَهْـمٌ بِتَّ تَـرْقُـبُـهُ ... إِنَّ الـتَّـوَهُّمَ حَتْفُ ٱلْعَـاجِـزِ ٱلْـوَخِمِ

هَـذَا ٱلـنَّبِيُّ وَذَاكَ الْجَيْشُ مُـنْـتَـشِـرٌ ... مِـلْءَ ٱلْفَضَـا فَـاسْتَبِقْ لِلْخَيْـرِ تَغْتَنِمِ

فَـٱلْـزَمْ حِمَـاهُ تَجِـدْ مَـا شِئْتَ مِنْ أَرَبٍ ... وَشِمْ نَـدَاهُ إِذَا مَـا ٱلْبَـرْقُ لَمْ يُشَمِ (٨)

---

(١) المطرد: الرامح. القرن: الكفء في الشجاعة. الضرم: الجوع.

(٢) الأرقم: أخبث الحيات وأطلبها للناس. الحمة: السم. يستل: ينتزع. الكيد: المكر والحيلة والمراد القلب. ابنة الرقم: الداهية.

(٣) أرباض: جمع ربض الفضاء حول المدينة. البهم: الشجعان.

(٤) الخميس: الجيش الجرار. يشد: يحمل. رضوى: جبل.

(٥) ريعوا: أفزعوا. وقرهم: سكنهم.

(٦) مرقاة: أي موصلة. والسلم ضد الحرب ففتح اللام تابع للسين.

(٧) المجد الخ: تضمين من شعر المتنبي.

(٨) شم نداه: اطلب معروفه. يشم: ينظر إليه.

وَٱحْلُلْ رِحَالَكَ وَٱنْزِلْ نَحْوَ سُدَّتِهِ — فَإنَّهَا عِصْمَةٌ مِنْ أَعْظَمِ ٱلْعِصَمِ (١)

أَحْيَا بِهِ اللّٰهُ أَمْوَاتَ ٱلْقُلُوبِ كَمَا — أَحْيَا ٱلنَّبَاتَ بِفَيْضِ ٱلْوَابِلِ ٱلرَّذِمِ (٢)

حَتَّى إذَا تَمَّ أَمْرُ ٱلصُّلْحِ وَٱنْتَظَمَتْ — بِهِ عُقُودُ ٱلأَمَانِي أَيَّ مُنْتَظِمِ

قَامَ ٱلنَّبِيُّ بِشُكْرِ اللّٰهِ مُنْتَصِباً — وَٱلشُّكْرُ فِي كُلِّ حَالٍ كَافِلُ ٱلنِّعَمِ (٣)

وَطَافَ بِٱلْبَيْتِ سَبعاً فَوْقَ رَاحِلَةٍ — قَوْدَاءَ نَاجِيَةٍ أَمْضَى مِنَ ٱلنَّسَمِ (٤)

فَمَا أَشَارَ إِلَى بُدٍّ بِمِحْجَنِهِ — إلاَّ هَوَى لِيَدٍ مَغْلُولَةٍ وَفَمِ (٥)

«وَفِي حُنَيْنٍ» إذَ ٱرْتَدَّتْ هَوَازِنُ عَنْ — قَصْدِ ٱلسَّبِيلِ وَلَمْ تَرْجِعْ إِلَى ٱلْحَكَمِ (٦)

سَرَى إِلَيْهَا بِبَحْرٍ مِنْ مُلَمْلَمَةٍ — طَامِي ٱلسَّرَاةِ بِمَوْجِ ٱلْبِيضِ مُلْتَطِمِ (٧)

حَتَّى ٱسْتَذَلَّتْ وَعَادَتْ بَعْدَ نَخْوَتِهَا — تُلْقِي إِلَى كُلِّ مَنْ تَلْقَاهُ بِٱلسَّلَمِ (٨)

«وَيَمَّمَ» ٱلطَّائِفَ ٱلْغَنَّاءَ ثُمَّ مَضَى — عَنْهَا إِلَى أَجَلٍ فِي ٱلْغَيْبِ مُكْتَتِمِ (٩)

---

(١) السدة: الساحة.

(٢) الرذم: السائل.

(٣) قام الخ: وكان دخل مكة يوم الجمعة ٢٠ رمضان.

(٤) القوداء: طويلة الظهر والعنق. الناجية: السريعة. النسيم: طير سراع.

(٥) البد: الصنم. المحجن: العصا المعوجة الرأس.

(٦) حنين: موضع بين مكة والطائف. هوازن: قبيلة كبيرة، وكانت مع ما انضم اليها ٣٠ ألفاً. قصد السبيل: الطريق المستقيم. الحكم: المسن وأراد به دريد بن الصمة وكان ذا رأي.

(٧) سرى إليها: وذلك في ٦ شوال. الململمة: الكتيبة المجتمعة وكانت مؤلفة من ١٢ ألفاً. سراة الشيء: أعلاه.

(٨) النخوة: العظمة.

(٩) يمم: أي بعد خروجه من حنين. الطائف: بلدة قريبة من مكة كثيرة الأعناب والفواكه والنخيل. ثم مضى عنها: أي بعد محاصرتها ١٨ يوماً.

«وَحِينَ» أَوْفَى عَلَى وَادِي تَبُـوكَ سَعَـى ... إِلَيْـهِ سَـاكِنُهَـا طَـوْعـاً بِـلاَ رَغَمِ (١)

فَـصَـالَـحُـوهُ وَأَدَّوْا جِـزْيَـةً وَرَضُـوا ... بِـحُكْـمِـهِ وَتَبِيـعُ الـرُّشْـدِ لَمْ يَـهِمِ

أَلْفَى بِـهَـا عَيْـنَ مَـاءٍ لاَ تَبِضُّ فَمُـذْ ... دَعَـا لَهَا انْفَجَرَتْ عَنْ سَائِغٍ سَنِمِ (٢)

وَرَاوَدَ الْـغَـيْـثَ فَـانْـهَـلَّتْ بَـوَادِرُهُ ... بَعْـدَ الْجُمُـودِ بِمُنْهَـلٍّ وَمُنْسَجِمِ (٣)

وَأَمَّ طَـيْـبَـةَ مَـسْـرُوراً بِـعَـوْدَتِـهِ ... يَـطْوِي المَنَـازِلَ بِـالْـوَخَّـادَةِ الرُّسُمِ (٤)

ثُمَّ اسْتَهَلَّتْ وُفُـودُ الـنَّـاسِ قَـاطِبَـةً ... إِلَى حِمَـاهُ فَـلاَقَتْ وَافِـرَ الْكَـرَمِ

فَكَـانَ عَـامَ وُفُـودٍ كُلَّمَـا انْصَـرَفَتْ ... عِصَـابَـةٌ أَقْبَلَتْ أُخْـرَى عَلَى قَـدَمِ

وَأَرْسَـلَ الـرُّسْـلَ تَتْرَى لِلْمُلوكِ بِمَـا ... فِيـهِ بَـلاَغٌ لأَهْـلِ الـذِّكْـرِ وَالْفَـهَمِ

«وَأَمَّ» غَـالِبُ أَكْنَـافَ الْكَـدِيـدِ إِلَى ... بَنِي الْمُلَوَّحِ فَـاسْتَـولَى عَـلَى النَّعَمِ

وَحِينَ خَـانَتْ جُـذَامُ فَـلَّ شَـوْكَتَهَـا ... زَيْـدٌ بِجَمْـعٍ لِـرَهْطِ الشِّرْكِ مُقْتَثِمِ (٥)

وَسَـارَ مُنْتَجِيـاً وَادِي الْقُـرَى فَمَحَـا ... بَنِي فَـزَارَةَ أَصْـلَ اللُّؤْمِ وَالْقَـزَمِ (٦)

وَأَمَّ خَـيْـبَـرَ عَـبْـدُ اللَّهِ فـي نَـفَـرٍ ... إِلَـى الْـيُـسَـيْـرِ فَـأَرْدَاهُ بِـلاَ أَثَـمِ

وَيَـمَّـمَ ابْـنُ أُنَيْسٍ عُـرْضَ نَـخْـلَةَ إِذْ ... طَغَـا ابْنُ ثَـوْرٍ فَـأَصْمَاه وَلَمْ يَخِمِ (٧)

---

(١) أوفى: أشرف، وذلك في رجب سنة ٩ هـ. تبوك: موضع بين المدينة والشام.

(٢) تبضّ: تسيل. السنم: الظاهر على وجه الأرض.

(٣) راود: دعا، لما أصبح الناس ولا ماء معهم.

(٤) الوخادة: السريعة السير الواسعة الخطو. الرسم: المؤثرة في الأرض من شدة الوطء.

(٥) مقتثم: مستأصل.

(٦) القزم: الدناءة.

(٧) العرض: الناحية.

ثُمَّ آسْتَقَلَّ آبْنُ حِصْنٍ فَاحْتَوَتْ يَدُهُ عَلَى بَنِي ٱلْعَنْبَرِ ٱلطُّرَّارِ وَٱلشُّجُمِ (١)

وَسَارَ عَمْرُو إِلَى ذَاتِ ٱلسَّلَاسِلِ فِي جَمْعٍ لُهَامٍ لِجَيْشِ الشِّرْكِ مُصْطَلِمِ

وَغَزْوَتَانِ لِعَبْدِ اللّٰهِ وَاحِدَةٌ إِلَى رِفَاعَةَ وَالأُخْرَى إِلَى إِضَمِ

وَسَارَ جَمْعُ آبْنِ عَوْفٍ نَحْوَ دَوْمَةَ كَيْ يَفُلَّ سَوْرَةَ أَهْلِ الزُّورِ وَٱلتُّهَمِ

وَأَمَّ بِالْخَيْلِ سِيفَ ٱلْبَحْرِ مُعْتَزِماً أَبُو عُبَيْدَةَ فِي صُيَّابَةٍ حُشُمِ (٢)

وَسَارَ عَمْرُو إِلَى أُمِّ ٱلْقُرَى لأَبِي سُفْيَانَ لَكِنْ عَدَتْهُ مُهْلَةُ ٱلْقِسَمِ

وَأَمَّ مَدْيَنَ زَيْدٌ فَاسْتَوَتْ يَدُهُ عَلَى ٱلْعَدُوِّ وَسَاقَ السَّبْيَ كَالْغَنَمِ

وَقَامَ سَالِمُ بِالْعَضْبِ الْجُرَازِ إِلَى أَبِي عُفَيْكٍ فَأَرْدَاهُ وَلَمْ يَجِمِ

وَانْقَضَّ لَيْلاً عُمَيْرٌ بِالْحُسَامِ عَلَى عَصْمَاءَ حَتَّى سَقَاهَا عَلْقَمَ الْعَدَمِ

وَسَارَ بَعْثٌ فَلَمْ يُخْطِئْ ثُمَامَةَ إِذْ رَآهُ فَاحْتَازَهُ غُنْماً وَلَمْ يُلَمِ

ذَاكَ الْهُمَامُ الَّذِي لَبَّى بِمَكَّةَ إِذْ أَتَى بِهَا مُعْلِناً فِي الأَشْهُرِ الْحُرَمِ

وَبَعْثُ عَلْقَمَةَ آسْتَقْرَى ٱلْعَدُوَّ ضُحىً فَلَمْ يَجِدْ فِي خِلَالِ الْحَيِّ مِنْ أَرِمِ

وَرَدُّ كُرْزٍ إِلَى الْعَذْرَاءِ مَنْ غَدَرُوا يَسَارَ حَتَّى لَقُوا بَرْحاً مِنَ ٱلشَّجَمِ (٣)

وَسَارَ بَعْثُ آبْنِ زَيْدٍ لِلشَّآمِ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنِ انْقَضَّ كَالْبَازِي عَلَى ٱلْيَمَمِ

«فَهَذِهِ» ٱلْغَزَوَاتُ ٱلْغُرُّ شَامِلَةً جَمْعَ ٱلْبُعُوثِ كَدُرٍّ لَاحَ فِي نُظُمِ

نَظَمْتُهَا رَاجِياً نَيْلَ الشَّفَاعَةِ مِنْ خَيْرِ ٱلْبَرَايَا وَمَوْلَى ٱلْعُرْبِ وَٱلْعَجَمِ

---

(١) الطرار: المختلسون. الشجم: الخبثاء.

(٢) الصيابة: الخيار. الحُشُمِ: ذوو الحياء.

(٣) العذراء: اسم للمدينة.

هُوَ النَّبِيُّ ٱلَّذِي لَوْلاَهُ مَا قُبِلَتْ ... رَجَاةُ آدَمَ لَمَّا زَلَّ فِي ٱلْقَدَمِ

حَسْبِي بِطَلْعَتِهِ ٱلْغَرَّاءِ مَفْخَرَةً ... لَمَّا ٱلْتَقَيْتُ بِهِ فِي عَالَمِ الْحُلُمِ

وَقَدْ حَبَانِي عَصَاهُ فَاعْتَصَمْتُ بِهَا ... فِي كُلِّ هَوْلٍ فَلَمْ أَفْزَعْ وَلَمْ أَهِمِ

فَهْيَ ٱلَّتِي كَانَ يَحْبُو مِثْلَهَا كَرَماً ... لِمَنْ يَوَدُّ وَحَسْبِي نَسْبَةً بِهِمِ

لَمْ أَخْشَ مِنْ بَعْدِهَا مَا كُنْتُ أَحْذَرُهُ ... وَكَيْفَ وَهْيَ ٱلَّتِي تُنْجِي مِنَ ٱلْغُمَمِ

كَفَى بِهَا نِعْمَةً تَعْلُو بِقِيمَتِهَا ... نَفْسِي وَإِنْ كُنْتُ مَسْلُوباً مِنَ ٱلْقِيَمِ

وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي وَهْيَ آمِرَةٌ ... بِالسُّوءِ مَا لَمْ تَعُقْهَا خِيفَةُ ٱلنَّدَمِ

فَيَا نَدَامَةَ نَفْسِي فِي ٱلْمَعَادِ إِذَا ... تَعَوَّذَ ٱلْمَرْءُ خَوْفَ ٱلنُّطْقِ بِالْبَكَمِ

لَكِنَّنِي وَاثِقٌ بِالْعَفْوِ مِنْ مَلِكٍ ... يَعْفُو بِرَحْمَتِهِ عَنْ كُلِّ مُجْتَرِمِ

وَسَوْفَ أَبْلُغُ آمَالِي وَإِنْ عَظُمَتْ ... جَرَائِمِي يَوْمَ أَلْقَى صَاحِبَ ٱلْعَلَمِ

هُوَ ٱلَّذِي يَنْعَشُ ٱلْمَكْرُوبَ إِذْ عَلِقَتْ ... بِهِ الرَّزَايَا وَيُغْنِي كُلَّ ذِي عَدَمِ

هَيْهَاتَ يَخْذُلُ مَوْلاَهُ وَشَاعِرَهُ ... فِي الْحَشْرِ وَهْوَ كَرِيمُ ٱلنَّفْسِ وَٱلشِّيَمِ

فَمَدْحُهُ رَأْسُ مَالِي يَوْمَ مُفْتَقَرِي ... وَحُبُّهُ عِزُّ نَفْسِي عِنْدَ مُهْتَضَمِي

وَهَبْتُ نَفْسِي لَهُ حُبّاً وَتَكْرِمَةً ... فَهَلْ تَرَانِي بَلَغْتُ ٱلسُّؤْلَ مِنْ سَلَمِي

إِنِّي وَإِنْ مَالَ بِي دَهْرِي وَبَرَّحَ بِي ... ضَيْمٌ أَشَاطَ عَلَى جَمْرِ ٱلنَّوَى أَدَمِي

لَثَابِتُ ٱلْعَهْدِ لَمْ يَحْلُلْ قُوَى أَمَلِي ... يَأْسٌ وَلَمْ تَخْطُ بِي فِي سَلْوَةٍ قَدَمِي

لَمْ يَتْرُكِ الدَّهْرُ لِي مَا أَسْتَعِينُ بِهِ ... عَلَى ٱلتَّجَمُّلِ إِلاَّ سَاعِدِي وَفَمِي

هَذَا يُحَبِّرُ مَدْحِي فِي الرَّسُولِ وَذَا ... يَتْلُو عَلَى ٱلنَّاسِ مَا أُوحِيهِ مِنْ كَلِمِي

يا سيدَ الْكَوْنِ عفواً إنْ أثِمْتُ فلِي ... بِحُبِّكُمْ صِلَةٌ تُغْنِي عَنِ الرَّحِمِ
كَفَى بِسَلْمَانَ لِي فَخْراً إذا انْتَسَبَتْ ... نَفْسِي لَكُمْ مِثْلَهُ فِي زُمْرَةِ الْحَشَمِ
وَحُسْنُ ظَنّي بِكُمْ إنْ مُتُّ يَكْلَؤُنِي ... مِنْ هَوْلِ مَا أتَّقِي فِي ظُلْمَةِ الرَّجَمِ
تَاللَّهِ مَا عَاقَنِي عَنْ حَيِّكُمْ شَجَنٌ ... لَكِنَّنِي مُوثَقٌ فِي رِبْقَةِ السَّلَمِ (١)
فَهَلْ إلَى زَوْرَةٍ يَحْيَا الْفُؤَادُ بِهَا ... ذَرِيعَةٌ أبْتَغِيهَا قَبْلَ مُخْتَرَمِي
شَكَوْتُ بَثّي إلَى رَبّي لِيُنْصِفَنِي ... مِنْ كُلِّ بَاغٍ عَتِيدِ الْجَوْرِ أوْ هِكمِ (٢)
وَكَيْفَ أرْهَبُ حَيْفاً وَهْوَ مُنْتَقِمٌ ... يَهَابُهُ كُلُّ جَبَّارٍ وَمُنْتَقِمِ
لاَ غَرْوَ إنْ نِلْتُ مَا أمَّلْتُ مِنْهُ فَقَدْ ... أنْزَلْتُ مُعْظَمَ آمَالِي بِذِي كَرَمِ
يَا مَالِكَ الْمُلْكِ هَبْ لِي مِنْكَ مَغْفِرَةً ... تَمْحُو ذُنُوبِي غَدَاةَ الْخَوْفِ وَالنَّدَمِ
وَامْنُنْ عَلَيَّ بِلُطْفٍ مِنْكَ يَعْصِمُنِي ... زَيْغَ النُّهَى يَوْمَ أخْذِ الْمَوْتِ بِالْكَظَمِ (٣)
لَمْ أدْعُ غَيْرَكَ فِيمَا نَابَنِي فَقِنِي ... شَرَّ الْعَوَاقِبِ وَاحْفَظْنِي مِنَ التُّهَمِ
حَاشَا لِرَاجِيكَ أنْ يَخْشَى الْعِثَارَ وَمَا ... بَعْدَ الرَّجَاءِ سِوَى التَّوْفِيقِ لِلسَّلَمِ
وَكَيْفَ أخْشَى ضَلاَلاً بَعْدَ مَا سَلَكَتْ ... نَفْسِي بِنُورِ الْهُدَى فِي مَسْلَكٍ قِيَمِ
وَلِي بِحُبِّ رَسُولِ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ ... أرْجُو بِهَا الصَّفْحَ يَوْمَ الدّينِ عَنْ جُرُمِي (٤)
لاَ أدَّعِي عِصْمَةً لَكِنْ يَدِي عَلِقَتْ ... بِسَيِّدٍ مَنْ يَرِدْ مَرْعَاتَهُ يَسُمِ

---

(١) شجن: حاجة. السلم: الأسر.
(٢) الهكم: الشرير.
(٣) النهى: العقل. الكظم: مخرج النفس.
(٤) الجرم (بضم الراء تبعاً للجيم): الذنب.

خَدَمْتُهُ بِمَدِيحِي فَاعْتَلَوْتُ عَلَى   هَامِ ٱلسِّمَاكِ وَصَارَ ٱلسَّعْدُ مِنْ خَدَمِي

وَكَيْفَ أَرْهَبُ ضَيْماً بَعْدَ خِدْمَتِهِ   وَخَادِمُ ٱلسَّادَةِ ٱلأَجْوَادِ لَمْ يُضَمِ

أَمْ كَيْفَ يَخْذُلُنِي مِنْ بَعْدِ تَسْمِيَتِي   بِٱسْمٍ لَهُ فِي سَمَاءِ ٱلْعَرْشِ مُحْتَرَمِ

أَبْكَانِيَ الدَّهْرُ حَتَّى إِذْ لَجِئْتُ بِهِ   حَنَا عَلَيَّ وَأَبْدَى ثَغْرَ مُبْتَسِمِ

فَهْوَ ٱلَّذِي يَمْنَحُ ٱلْعَافِينَ مَا سَأَلُوا   فَضْلاً وَيَشْفَعُ يَوْمَ الدِّينَ فِي الأُمَمِ

نُورٌ لِمُقْتَبِسٍ ذُخْرٌ لِمُلْتَمِسٍ   حِرْزٌ لِمُبْتَئِسٍ كَهْفٌ لِمُعْتَصِمِ

بَثَّ ٱلرَّدَى وَٱلنَّدَى شَطْرَيْنِ فَانْبَعَثَا   فِيمَنْ غَوَى وَهَدَى بِالْبُؤْسِ وَٱلنِّعَمِ

فَالْكُفْرُ مِنْ بَأْسِهِ ٱلْمَشْهُورِ فِي حَرَبٍ   وَٱلدِّينُ مِنْ عَدْلِهِ ٱلْمَأْثُورِ فِي حَرَمِ

هَذَا ثَنَائِي وَإِنْ قَصَّرْتُ فِيهِ فَلِي   عُذْرٌ وَأَيْنَ ٱلسُّهَا مِنْ كَفِّ مُسْتَلِمِ (١)

هَيْهَاتَ أَبْلُغُ بِالأَشْعَارِ مِدْحَتَهُ   وَإِنْ سَلَكْتُ سَبِيلَ ٱلْقَالَةِ ٱلْقُدُمِ

مَاذَا عَسَى أَنْ يَقُولَ ٱلْمَادِحُونَ وَقَدْ   أَثْنَى عَلَيْهِ بِفَضْلٍ مُنْزِلُ ٱلْكَلِمِ

«فَهَاكَهَا» يَا رَسُولَ اللَّهِ زَاهِرَةً   تُهْدِي إِلَى ٱلنَّفْسِ رَيَّا الآسِ وَٱلْبَرَمِ (٢)

وَسَمْتُهَا بِٱسْمِكَ ٱلْعَالِي فَأَلْبَسَهَا   ثَوْباً مِنَ الْفَخْرِ لاَ يَبْلَى عَلَى ٱلْقِدَمِ

غَرِيبَةٌ فِي إِسَارِ ٱلْبَيْنِ لَوْ أَنِسَتْ   بِنَظْرَةٍ مِنْكَ لاَسْتَغْنَتْ عَنِ ٱلنَّسَمِ (٣)

لَمْ أَلْتَزِمْ نَظْمَ حَبَّاتِ ٱلْبَدِيعِ بِهَا   إِذْ كَانَ صَوْغُ الْمَعَانِي ٱلْغُرِّ مُلْتَزَمِي

وَإِنَّمَا هِيَ أَبْيَاتٌ رَجَوْتُ بِهَا   نَيْلَ ٱلْمُنَى يَوْمَ تَحْيَا بَذَّةُ ٱلرِّمَمِ (٤)

---

(١) السها: كوكب خفي.

(٢) الآس: من الريحان. البرم: ثمر زكي الرائحة.

(٣) النسم: جمع نسمة وهي الإنسان.

(٤) بذة الرمم: أي الرمم المتفرقة.

نَثَرْتُ فِيهَا فَرِيدَ ٱلْمَدْحِ فَانْتَظَمَتْ ... أَحْسِنْ بِمُنْتَثِرٍ مِنْهَا وَمُنْتَظِمِ

صَدَّرْتُهَا بِنَسِيبٍ شَفَّ باطِنُهُ، ... عَنْ عِفَّةٍ لَمْ يَشِنْهَا قَولُ مُتَّهِمِ

لَمْ أَتَّخِذْهُ جُزَافاً بَلْ سَلَكْتُ بِهِ ... فِي ٱلْقَوْلِ مَسْلَكَ أَقْوَامٍ ذَوِي قَدَمِ

تَابَعْتُ كَعْباً وَحَسَّاناً وَلِي بِهِمَا ... فِي ٱلْقَوْلِ أُسْوَةُ بَرٍّ غَيْرِ مُتَّهَمِ

وَٱلشِّعْرُ مَعْرَضُ أَلْبَابٍ يَرُوجُ بِهِ ... مَا نَمَّقَتْهُ يَدُ الآدَابِ وَالْحِكَمِ

فَلاَ يَلُمْنِي عَلَى ٱلتَّشْبِيبِ ذُو عَنَتٍ ... فَبُلْبُلُ ٱلرَّوْضِ مَطْبُوعٌ عَلَى ٱلنَّغَمِ

وَلَيْسَ لِي رَوْضَةُ ٱلْهُو بِزَهْرَتِهَا ... فِي مَعْرِضِ ٱلْقَوْلِ إِلاَّ رَوْضَةُ الْحَرَمِ

فَهْيَ ٱلَّتِي تَيَّمَتْ قَلْبِي وَهِمْتُ بِهَا ... وَجْداً وَإِنْ كُنْتُ عَفَّ ٱلنَّفْسِ لَمْ أَهِمِ

مَعَاهِدٌ نَقَشَتْ فِي وَجْنَتَيَّ لَهَا ... أَيْدِي ٱلْهَوى أَسْطُراً مِنْ عَبْرَتِي بِدَمِ

يَا حَادِيَ الْعِيسِ إِنْ بَلَّغْتَنِي أَمَلِي ... مِنْ قَصْدِهِ فَاقْتَرِحْ مَا شِئْتَ وَاحْتَكِمِ

سِرْ بِالمَطَايَا وَلاَ تَرْفَقْ فَلَيْسَ فَتىً ... أَوْلَى بِهَذَا ٱلسُّرَى مِنْ سَائِقٍ حُطَمِ [1]

وَلاَ تَخَفْ ضَلَّةً وَانْظُرْ فَسَوْفَ تَرَى ... نُوراً يُرِيكَ مَدَبَّ الذَّرِّ فِي الأَكَمِ

وَكَيْفَ يَخْشَى ضَلاَلاً مَنْ يَؤُمُّ حِمَى ... «مُحَمَّدٍ» وَهْوَ مِشْكَاةٌ عَلَى عَلَمِ

هَذِي مُنَايَ وَحَسْبِي أَنْ أَفُوزَ بِهَا ... بِنِعْمَةِ اللّهِ قَبْلَ ٱلشَّيْبِ وَٱلْهَرَمِ

وَمَنْ يَكُنْ رَاجِياً مَوْلاَهُ نَالَ بِهِ ... مَا لَمْ يَنَلْهُ بِفَضْلِ الْجِدِّ وَٱلْهِمَمِ

فَاسْجُدْ لَهُ واقْتَرِبْ تَبْلُغْ بِطَاعَتِهِ ... مَا شِئْتَ فِي الدَّهْرِ مِنْ جَاهٍ وَمِنْ عِظَمِ

هُوَ ٱلْمَلِيكُ ٱلَّذِي ذَلَّتْ لِعِزَّتِهِ ... أَهْلُ ٱلْمَصَانِعِ مِنْ عَادٍ وَمِنْ إِرَمِ [2]

---

(١) حطم: شديد السوق.

(٢) المصانع: القصور. عاد وإرم: قبيلتان.

يُحْيِي ٱلْبَـرَايَـا إذَا حَـانَ ٱلْمَعَـادُ كَمَـا ... يُحْيِي ٱلنَّبَـاتَ بِشُؤْبُـوبٍ مِنَ ٱلـدِّيَمِ (١)

يَـا غَـافِـرَ الـذَّنْبِ وَالألْبَـابُ حَـائِـرَةٌ ... فِي الْحَشْرِ وَٱلنَّارُ تَرْمِي الْجَوَّ بِالضَّرَمِ (٢)

حَـاشَـا لِفَضْلِكَ وَهْـوَ ٱلْمُسْتَعَـاذُ بِـهِ ... أَنْ لاَ تَـمُـنَّ عَـلَى ذي خَـلَّةٍ عَـدِمِ (٣)

إنِّي لَمُسْتَشْفِـعٌ بِـالْمُصْـطَفَى وَكَفَى ... بِـهِ شَفِيعَـاً لَـدَى الأهْـوَالِ وَٱلْقُحَمِ

فَـاقْبَـلْ رَجَـائِي فَمـا لِي مَنْ أَلُـوذُ بِـهِ ... سِـوَاكَ في كُـلِّ مَـا أَخْشَـاهُ مِنْ فَقَمِ

وَصَـلِّ رَبِّ عَلَى ٱلْمُخْتَـارِ مَـا طَلَعَتْ ... شَمْسُ ٱلنَّهَـارِ وَلاَحَتْ أَنْـجُمُ ٱلـظُّلَمِ

وَالآلِ وَالصَّحْبِ وَالأَنْصَـارِ مَنْ تَبِـعُـوا ... هُـدَاهُ وَاعْتَـرَفُـوا بِـالْعَهْـدِ وَالـذِّمَمِ

وَٱمْنُنْ عَلَى عَبْـدِكَ ٱلْعَـانِي بِمَغْـفِـرَةٍ ... تَمْحُـو خَـطَايَـاهُ فِي بَـدْءٍ وَمُخْـتَتَـمِ

---

(١) الشؤبوب: الدفعة.

(٢) الضرم: جمع ضرمة وهي ما انفصل من النار.

(٣) الخلة: الحاجة. العدم: الفقير.

القصيدة الثانية

قال فى النَّسيب * :

صِلَةُ الْخَيَالِ عَلَى الْبِعادِ لِقَاءُ ... لَوْ كانَ يَمْلِكُ عَيْنِيَ الإِغْفَاءُ[1]

يا هاجِرِى مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ فى الْهَوَى ... مَهْلًا ؛ فَهَجْرُكَ والْمَنُونُ سَواءُ[2]

أَغْرَيْتَ لَحْظَكَ بالْفُؤادِ فشَفَّهُ ... وَمِنَ الْعُيُونِ عَلَى النُّفُوسِ بَلاءُ[3]

هِيَ نَظْرَةٌ ، فامْنُنْ عَلَى بِأُخْتِها ... فالْخَمْرُ مِنْ أَلَمِ الْخُمارِ شِفَاءُ[4]

أنا مِنْكَ مَطْوِيُّ الْفُؤَّادِ علَى جَوًى ... لَوْلَا الدُّمُوعُ ذَكَتْ بهِ الْحَوْبَاءُ[5]

لا أَنْتَ تَرْحَمُنِى ، ولا نارُ الْهَوَى ... تَخْبُو ، وَلَا للنَّفْسِ عَنْكَ عَزاءُ[6]

---

* نسب الشاعر بالمرأة (كضرب) ينسب نسيباً : شبّب بها فى شعره ، وعرّض بهواها وحبها . وهذه القصيدة على وزن ورويّ قصيدة أبي الطيب المتنبى فى مدح أبي على الأواربيّ الكاتب ، التى أولها :

أمن ازديارك فى الدجى الرقباء ◆ إذ حيث كنت من الظلام ضياء

(١) يريد بالخيال : طيف الحبيب . والبعاد (بكسر الباء) : البعد . والإغفاء : النعاس .

(٢) الهوى : الحب . والمنون : الموت .

(٣) أغريت : أولعت . واللحظ : النظر بمؤخر العين ، والمراد النظرة الفاتنة الساحرة . وشفه : هزله وآلمه . والبلاء : الفتنة والعذاب .

(٤) من عليه بالشيء : أنعم عليه به . والخمار (بضم الخاء) : ما يصيب المخمور من الصداع وأذى الخمر .

(٥) الجوى : شدة الوجد بالمحبوب . وذكت : اشتعلت وتوقدت واحترقت ، والمراد هلكت ، وأصله من ذكت النار إذا اشتد لهبها . والحوباء : النفس .

(٦) تخبو : يخمد لهبها ويسكن . وعزاء : صبر وسلوان .

فانظُرْ إلىَّ تَجِدْ خَيالَةَ صُورَةٍ لم يَبْقَ فيها للحياةِ ذَمَاءُ[7]

رَقَّتْ لىَ الْوَرْقَاءُ فى عَذَباتِها وبَكَتْ عَلَىَّ بِدَمْعِهَا الأَنْدَاءُ[8]

وتَحَدَّثَتْ رُسُلُ النَّسِيمِ بِلَوْعَتِى فَلِكُلِّ غُصْنٍ نَحْوَها إِصْغَاءُ[9]

كَلَفٌ تَنَاقَلَهُ الْحَمامُ عَنِ الصَّبَا فصَبَتْ إِلَيْهِ الْغِيدُ والشُّعَرَاءُ[10]

فَبِقَلْبِ كُلِّ فَتًى غَرامٌ كامِنٌ وبِعِطْفِ كُلِّ مَلِيحَةٍ خُيَلاءُ[11]

فَدَعِ التَّكَهُّنَ يا طَبِيبُ ، فإنَّمَا دائِى الْهَوَى ، ولِكُلِّ نَفْسٍ داءُ[12]

أَلَمُ الصَّبابَةِ لَذَّةٌ تَحْيَا بِها نَفْسِى ، وَدَائِى لَوْ عَلِمْتَ دَواءُ[13]

وبِمُهْجَتِى رَشَئِيَّةٌ مِنْ دُونِها أُسُدٌ ، لهَا قَصَبُ الرِّماحِ أَبَاءُ[14]

هَيْفَاءُ مالَ بِهَا النَّعِيمُ ، فَخَطْوُها دُونَ الْقَطاةِ ، ونُطْقُها إِيمَاءُ[15]

---

(٧) الخيالة : الطيف ، والا سورة . والذماء (بفتح الذال) : الحركة ، وبقية النفس .

(٨) الورقاء : الحمامة فى لونها بياض إلى سواد . والعذبات : الأغصان .والأنداء : جمع ندى وهو المطر .

(٩) اللوعة : حرقة فى القلب ، وألم من حب ونحوه . وإصغاء : ميل واستماع .

(١٠) كلف : ولوع وعشق . والصبا : الريح تهب من مطلع الشمس عند العرب ، وهى أحب الرياح إليهم . وصبت : حنّت واشتاقت . والغيد : جمع غيداء : وهى المرأة الناعمة المتثنية ليناً .

(١١) كامن : خفى مكتوم . والعطف : الجانب . والخيلاء : العجب والكبر .

(١٢) تكهن له : قضى له بالغيب .

(١٣) الصبابة : الشوق ، أو رقته ، أو رقة الهوى .

(١٤) المهجة : دم القلب ، أو الروح ، والمراد : أنه يفديها بنفسه ، أو أن صورتها وحبها ملء قلبه . ورشئيّة : نسبة إلى الرشأ (بفتحتين) وهو الظبى : أى الغزال إذا قوى ومشى مع أمه ، وتشبه به الحسناء فى جمال العينين والجيد والرشاقة ولطف الحركة . والأباء (كسحاب) : الأجمة .

ومعنى البيت : أن الشاعر اتّت بقلبه محبوبة شبيهة بالظبى ، يحول بينه وبينها حرّاس أيقاظ شداد كالآساد ، يصونونها فى شبه أجمة من الرماح .

(١٥) هيفاء : ضامرة البطن ، رقيقة الخاصرة. ومال بها : غلبها . والقطاة : واحدة القطا ، وهو نوع من الحمام . وإيماء : إشارة.

تَرْنُو بِأَحْوَرَ ، لَوْ تَمَكَّنَ لَحْظُهُ مِنْ صَخْرَةٍ لَارْفَضَّ منها الماءُ[16]

حَكَمَ الجَمالُ لها بِما تَخْتارُهُ فَتَحَكَّمَتْ فى الناسِ كيفَ تَشاءُ[17]

غَضِبَتْ عَلَيَّ ، وما جَنَيْتُ ورُبَّمَا حَمَلَ الْمَشُوقُ الذَّنْبَ وهْوَ بَراءُ[18]

طافَ الوُشاةُ بها ، فكان لِقَوْلِهِمْ فى مِسْمَعَيْهـا رَنَّةٌ وحُـداءُ[19]

لَوْلَا النَّميمَةُ لم يَقَعْ بَيْنَ امْرِئٍ وأَخيهِ مِنْ بَعْدِ الْوِدادِ عِداءُ[20]

أَشَقِيقَةَ الْقَمَرَيْنِ ! أَيُّ وَسِيلَةٍ تُدْنِى إِليكِ ؟ فَلَيْسَ لِى شُفَعاءُ[21]

جُودِى عَلَيَّ ولَوْ بِوَعْدٍ كاذِبٍ فالْوَعْدُ فيهِ تَعِلَّةٌ ورَجاءُ[22]

وَثِقِى بِكِتْمانِ الْحَديثِ ؛ فإِنَّما شَفَتاىَ خَتْمٌ ، والْفُؤادُ وِعاءُ[23]

لا تَرْهَبِى قَوْلَ الْوُشاةِ ؛ فإِنَّهُمْ قَدْ أَحْسَنُوا فى الْقَوْلِ حِينَ أَساءُوا[24]

زَعَمُوكِ شَمْساً لا تَلُوحُ بظُلْمَةٍ ولِقَـوْلِهِمْ عِنْدِى يَدٌ بَيْضاءُ[25]

فَعَلَامَ تَخْشَيْنَ الزِّيارَةَ بعدَما (أَمِنَ ازْدِيارَكِ فى الدُّجَى الرُّقَباءُ)[26]

---

(١٦) ترنو بأحور : تديم النظر بطرف أحور . وأحور : صفة من الحور (بفتحتين) وهو شدة بياض العين فى شدة سوادها . وارفضّ : خرج وترشّش .

(١٨) المشوق : المشتاق .

(١٩) الوشاة : جمع واش . وهو من يسعى بالفساد والتفرقة بين الناس . والمسمعان : الأذنان . والرنّة : الصوت . والحداء (فى الأصل) : غناء الحادى ، وهو من يسوق الإبل ويحثها على السير ، والمراد أنها تأثرت بقول الوشاة .

(٢٠) النميمة : السعاية والوشاية والإفساد ، وهى اسم من نم الرجل الحديث (من بابى قتل وضرب) : أى سعى به ليوقع فتنة أو وحشة . والوداد : المودة والحب .

(٢١) القمران : الشمس والقمر . وتدنى : تقرّب . وشفعاء : جمع شفيع ، صفة من الشفاعة .

(٢٢) التعلة : ما يتعلل به الإنسان ، أى يتشاغل به ويتلهّى .

(٢٤) لا ترهبى : لا تخافى . وحين أساءوا : أى حين قصدوا الإساءة إلينا ، والتفرقة بيننا .

(٢٥) الزعم : القول ، والإخبار ، والظنّ . وزعموك شمساً : ظنّوك شمساً . وتلوح : تبدو وتظهر . واليد : النعمة والصنيعة . وبيضاء : ظاهرة مشهورة ، ومعنى لا تلوح بظلمة : أنها إذا ظهرت لا يكون معها ظلام ، لأنها مشرقة مضيئة كالشمس .

(٢٦) الازديار : الزيارة . والدجى : جمع دجية (بضم فسكون) وهى ظلمة الليل . والرقباء : جمع رقيب ، وهو الحافظ والناظر والحارس ، والشطر الثانى مطلع قصيدة أبى الطيب التى أشرنا إليها فى ص ٦٥ .

هِيَ زَلَّةٌ فِى الرأْيِ مِنْهُمْ أَعقَبَتْ نَفعًا ، كَذَلِكَ تَفعَلُ الْجُهَلاءُ[٢٧]

كَيْدُ الْغَبِيِّ مَساءَةٌ لِضَمِيرِهِ وَلِمَنْ يُحاوِلُ كَيْدَهُ إِرْضاءُ[٢٨]

والنَاسُ أَشْباهٌ ، ولَكِنْ فَرَّقَتْ ما بَيْنَهُمْ فِى الرُّتْبَةِ الآراءُ[٢٩]

والنَّفْسُ إنْ صَلَحَتْ زَكَتْ ، وَإذَا خَلَتْ مِنْ فِطْنَةٍ ، لَعِبَتْ بِها الأَهْوَاءُ[٣٠]

لَوْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الرِّجالِ تَفَاوُتٌ ما كانَ فيهِمْ سادَةٌ ورِعاءُ[٣١]

ولقَدْ بَلَوْتُ النَّاسَ فى أَطْوارِهِمْ ومَلِلْتُ حتَّى مَلَّنِى الإِبْلاءُ[٣٢]

فإِذا الْمَوَدَّةُ خَلَّةٌ مَكْذُوبَةٌ بَيْنَ الْبَرِيَّةِ ، والوَفاءُ رِياءُ[٣٣]

كَيْفَ الْوُثُوقُ بذِمَّةٍ مِنْ صاحِبٍ وَبِكُلِّ قَلْبٍ نُقْطَةٌ سَوْداءُ[٣٤]

لَوْ كَانَ فِى الدُّنْيَا وِدَادٌ صَادِقٌ مَا حَالَ بَيْنَ الخُلَّتَيْنِ جَفاءُ[٣٥]

فانْفُضْ يَدَيْكَ مِنَ الزَّمانِ وأَهْلِهِ فالسَّعْىُ فى طَلَبِ الصَّدِيقِ هَبَاءُ[٣٦]

---

(٢٧) زلة : سقطة ، اسم مرة من الزلل ، وزل فى المنطق والطين ونحوهما : زلق (بوزن تَعِب) .

(٢٨) الكيد : الخديعة والمكر . والمساءة : نقيض المسرة .

(٢٩) الآراء : جمع رأى : وهو العقيدة والمذهب والتدبير .

(٣٠) زكت : استقامت أمورها ، وصلحت أحوالها ، وتنمت . والفطنة : الفهم والذكاء . والأهواء : جمع هوى ، وهو ميل النفس إلى شهواتها .

(٣١) الرعاء : جمع راع ، اسم فاعل من رعى الرجل الماشية : أى سرحها .

(٣٢) بلوت الناس : خبرتهم ، وعرفت أحوالهم . والأطوار : الأحوال ، مفردها طور (بفتح فسكون) . والإبلاء : مصدر أبليته ، بمعنى بلوته وامتحنته .

(٣٣) الخلة : الخصلة (بفتح الخاء فيهما) . والبرية : الخلق (بفتح فسكون) ، والمراد الناس. ورياء : نفاق ، وعمل غير خالص ، وهو العمل يظهره صاحبه للناس ليروه ، ويظنوا به خيراً .

(٣٤) الذمة : العهد والأمان والضمان .

(٣٥) بين الخلتين : بين الصديقين : مثنى خلة (بخاء مضمومة ولام مشددة) وهو الخليل والصديق . والجفاء : الجفوة والقطيعة .

(٣٦) الهباء : الشىء المنبث الذى يرى فى ضوء الشمس .
والمعنى : أن السعى فى طلب الصديق كالهباء ، لا يجدى ، ولا يفيد ؛ لعدم وجود الصديق الوفىّ الصادق .

القصيدة الثالثة

وقال يَمْدَحُ الخديو «عَبّاس حلمى باشا الثانى» * ، ويَشْكُرُهُ عَلَى ما أَوْلَاهُ مِنْ حُسْنِ الرِّضَا ، وذلِكَ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ «سَرَنْدِيبَ» ** سنة سَبْعَ عَشْرَةَ وثلثمائة وألفٍ هجريّة (١٣١٧هـ أواخر سنة ١٨٩٩م) :

عَبّاسُ ، يا خَيْرَ الْمُلُوكِ عَدالَةً ... وَأَجَلَّ مَنْ نَطَقَ امْرُؤٌ بِثَنائِهِ(١)

أَوْلَيْتَنِى مِنْكَ الرِّضَا ،وجَلَوْتَ لِى ... وَجْهاً قَرَأْتُ البِشْرَ فى أَثْنائِهِ(٢)

---

* الخديو «عباس حلمى الثانى» (١٨٧٤ – ١٩٤٤) بن الخديو توفيق بن الخديو إسماعيل ابن إبراهيم بن محمدعلى رأس الأسرة المحمدية العلوية. ولى العرش وسنه ثمانى عشرة سنة بعد وفاة أبيه فى ٨ من جمادى الآخرة سنة ١٣٠٩ هـ (٧ من يناير سنة ١٨٩٢ م) . وكان طموحاً ، معتزاً بنفسه ، متبرماً بالاحتلال البريطانى . ولما نشبت الحرب العظمى (الحرب العالمية الأولى) انتهز الإنجليز فرصة وجوده فى الآستانة «إستانبول» ففرضوا حمايتهم على مصر يوم ١٨ من ديسمبر سنة ١٩١٤ . وفى اليوم التالى خلعوه ، وولّوا عمه الأمير «حسين كامل» الذى لقّب بسلطان مصر . وفى سويسرا أقام «عباس» أكثر مدة نفيه واغترابه . وبعد وفاته نقل جثمانه إلى مصر سنة ١٩٤٤ .

وفى بعض ما كتب عن البارودى أن الشيخ «محمد عبده» أخذ بيد صديقه الكفيف الضرير «محمود سامى البارودى» ، وصحبه إلى حضرة الخديو «عباس حلمى الثانى» ؛ فشكر له البارودى عفوه عنه ، ونظم هذا الشكر فى هذه القصيدة الهمزية القصيرة (ثمانية أبيات) . وقد فقد البارودى بصره فى أواخر أيامه بالمنفى سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩٩) م .

** سرنديب «سيلان» : جزيرة من أراضى الهند فى جنوبيها ، وكان الشاعر قد نفى إليها عقب الثورة العرابية فى صفر سنة ١٣٠٠ هـ (ديسمبر سنة ١٨٨٢ م) .

(١) أجل : اعظم .

(٢) أوليتنى : أعطيتنى ، وأوليته الشىء : أدنيته إليه . وجلوت : أظهرت وأوضحت ، والمراد أقبلت على . وأثناء الشىء : : تضاعيفه .

فاسْلَمْ لِمُلْكٍ أنْتَ بَدْرُ سَرِيرِهِ ... وعِمادُ قُوَّتِهِ ، ونَصْرُ لِوائِهِ (٣)

يأيُّها الصَّادِى إلَى نَيْلِ الْمُنَى ... رِدْ بَحْرَ سُدَّتِهِ تَفُــزْ بِولائِهِ (٤)

هُوَ ذَلِكَ الْمَلِكُ الَّذِى وَرِثَ الْعُلا ... عَنْ نَفْسِهِ شَرَفاً ، وعَن آبائِهِ

الْعَدْلُ مِنْ أخْلاقِهِ ، والْعِلْمُ مِنْ ... أوْصافِهِ ، والْحِلْمُ مِنْ أسْمائِهِ

لا غَرْوَ أنْ جَمَعَ المحَامِدَ يافِعاً ... وسَما بِهِمَّتِــهِ عَلَى نُظَــرائِهِ (٥)

فالْعَينُ وَهْىَ صَغِيرَةٌ فى حَجْمِهَا ... تَسَعُ الفَضَــاءَ بِأرْضِهِ وسَمائهِ

---

(٣) عماد الشيء : ما يقوم عليه ، ويُسند به . واللواء : العلم (بفتحتين) .

(٤) الصادى : العطشان . والمنى : جمع منية (بضم فسكون) : وهى ما يتمناه الإنسان ويتوق إليه : ورد : أمر من ورد الإنسان الماء : إذا بلغه ووافاه . والسدة (بضم السين ، وتشديد الدال المفتوحة) : باب الدار أو فناؤها ، والمراد قصره الشبيه بالبحر . والولاء : النصرة والنعمة .

(٥) لا غرو : لا عجب (وفعله من باب عدَا) . ويافعاً : شاباً . وسما : علا وارتفع . وعلى نظرائه : على أمثاله ، ومفرده نظير .

القصيدة الرابعة

وقال وقد استقال من وِزَارةِ الجِهَادِيَّةِ والبَحْرِيَّةِ ووزارة الأَوْقَافِ ، وسافَرَ إلى ضَيْعَتِهِ بناحِيَةِ « قرقيرة » بالدَّقَهْلِيَّةِ ، وذلك سنةَ ثمانٍ وتِسْعِينَ ومائتين وألفٍ هجرية (١٢٩٨هـ – ١٨٨١م) . وفيها وَصْفُ قِطارِ سِكَّةِ الحديد والمزارع * :

هَجَرَتْ « ظَلُومُ » وهَجْرُها صِلَةُ الأَسَى ... فَمَتَى تَجُودُ عَلَى الْمُتَيَّمِ بِاللُّقَى؟[1]

* فى ٢ من ربيع الأول سنة ١٢٩٨ هـ (٦ من فبراير سنة ١٨٨١ م) عين « محمود سامى البارودى » ناظراً للجهادية فى وزارة « مصطفى رياض » على إثر شكوى شديدة اللهجة رفعها الضباط المصريون فى الجيش ، برياسة « أحمد عرابى » إلى الخديو توفيق ، واضطروه بها إلى عزل « عثمان رفقى » ناظر الجهادية .

وفى ٢٥ من رمضان سنة ١٢٩٨ هـ (٢ من أغسطس سنة ١٨٨١ م) استقال البارودى من وزارتى الجهادية والأوقاف لمـّا أحسّ أن الخديو قد ساء به ظنـّا ، واستمع للوشايات التى تتهمه بمساعدة الضباط الساخطين الثائرين . وفى هؤلاء الواشين قال بعد الاستقالة :

نَفِسُوا عَلَيَّ حَمِيَّتِي ، فَتَأَلَّبُوا ... حِزْباً عَلَيَّ وَأَجْمَعُوا مَا أَجْمَعُوا

وَسَعَوْا بِفِرْيَتِهِمْ ، فَلَمَّا صَادَفُوا ... سَمْعًا يَمِيلُ إِلَى الْمَلَامِ تَوَسَّعُوا

لا عَيْبَ فِيَّ سِوَى حَمِيَّةِ ماجِدٍ ... والسَّيْفُ يَغْلِبُهُ الْمَضَاءُ ، فَيَقْطَعُ

وهذه الأبيات لم ترد فى ديوانه ، ولكنّ صديقيه الشيخين : ياقوت المرسى ، وعطية حسنين نسباها إليه فى ترجمتهما له بعد وفاته ، ونشرت فى مقدمة كتاب « مراثى الشعراء » التى جمعها « خليل مطران » وطبعها سنة ١٩٠٥ .

(١) ظلوم : اسم محبوبته . والأسى : الحزن . والمعنى : أن هجر محبوبته وإعراضها سبب حزنه . والمتيّم : الذى ذلله العشق وعبّده . واللُّقى (بضم اللام) : اللقاء والوصال .

جَزِعَتْ لِراعِيَةِ الْمَشِيبِ ، وما دَرَتْ | أَنَّ الْمَشِيبَ لَهِيبُ نِيرانِ الْجَوَى (٢)
وَلَوَتْ بِوَعْدِكَ بعدَ طُولِ ضَمانِهِ | وَمِنَ الْوُعُودِ خِلابَةٌ ما تُقْتَضَى (٣)
لَيْتَ الشَّبابَ لَنَا يَعُودُ بِطِيبِهِ | وِمِنَ السَّفَاهِ طِلابُ عُمْرٍ قَدْ مَضَى (٤)
والشَّيْبُ أَكْمَلُ صاحِبٍ لَوْ أَنَّهُ | يَبْقَى ، ولكِنْ لا سَبِيلَ إلى الْبَقَا (٥)
والدَّهْرُ مَدْرَجَةُ الْخُطُوبِ ، فَمَنْ يَعِشْ | يَهْرَمْ وَمَنْ يَهْرَمْ يَعِثْ فيهِ الْبِلَى (٦)
فاذْهَبْ بِنَفْسِكَ عَنْ مُتَابَعَةِ الصِّبَا | وارْجِعْ لِحِلْمِكَ ، فالأُمُورُ إلى انْتِهَا (٧)
الْيَوْمَ آنَ لِسابِقٍ أَنْ يَحْتَذِي | طَلْقَ الرِّهانِ ، ومُغْمَدٍ أَنْ يُنْتَضَى (٨)

---

(٢) الجزع : نقيض الصبر (وفعله من باب تعب) . وراعية الشيب : أوائله . والجوى : الحرقة وشدة الوجد .

(٣) لوت بالوعد : أخلفته . وخلابة (بكسر الخاء) : مصدر خلبه (من باب كتب) : أى خدعة . واقتضى دينه : أخذه . والمعنى : أن وعدها ككثير من وعود الحسان ليس له وفاء .

(٤) السفاه (بفتح السين) : الجهل ، ونقص العقل .

(٥) يشير بالشطر الأول إلى ما يلازم الشيب عادة من الوقار والمهابة والرزانة والاستقامة ورجاحة العقل وكثرة التجارب ونحو ذلك .

(٦) مدرجة : ممرّ وطريق . والخطوب : جمع خطب (بفتح فسكون) وهو الأمر الشديد ينزل بالإنسان . ويهرم (من باب تعب) : يكبر ويضعف . والعيث : الإفساد ، (وبابه باع) . والبلى : الفناء ، وأصله مصدر بلى الثوب (كتعبَ) بلى (بالكسر والقصر) ، وبلاء (بالفتح والمد) أى أخلق ، ورثّ ، وذهبت جدّته (بكسر الجيم) .

(٧) من معانى الصبا (بكسر الصاد) : جهلة الفتوة ، والحنين إلى المرأة ، والتعلق بها . ومتابعة الصبا : التمادى فيه . والحلم : العقل ، والوقار . وانتها : انتهاء : مصدر انتهى الشىء : أى بلغ نهايته .
ومعنى البيت : ابتعد بنفسك عن دواعى الهوى ، ومجال الشهوات ، وسر فى ضياء عقلك ، والتزم سبيل الرشد والوقار ؛ فالأمور كلها إلى انتهاء وزوال .

(٨) آن : حان ، أى جاء أينه (بفتح فسكون) وهو الحين والوقت . والسابق : الفرس المجلى فى الحلبة ، ويريد الشاعر بالسابق نفسه . ويحتذى : يتخذ الحذاء ، وهو حديدة تثبت بحافر الفرس ، ويريد الاستعداد للعدو والجرى والسباق . والطلق (بفتح فسكون) : المطلق غير المقيد . والرهان : المراهنة : وهى المخاطرة والمسابقة على الخيل ، ويريد بطلق الرهان : أنه أرخى له العنان للفوز فى الرهان . والمغمد : السيف فى غمده . وينتضى : يسل ، أى يخرج من غمده =

وَلَقَدْ عَلَوْتُ سَراةَ أدْهَمَ لَوْ جَرَى	فى شَأْوِهِ بَرْقٌ ، تَعَثَّرَ ، أوْ كَبَا[٩]
يَطْوِى الْمَدَى طَىَّ السِّجِلِّ ، وَيَهْتَدِى	فى كُلِّ مَهْمَهَةٍ يَضِلُّ بها الْقَطَا[١٠]
يَجْرِى عَلَى عَجَلٍ ، فلا يَشْكُو الْوَجَى	مَدَّ النهارِ ، وَلا يَمَلُّ مِنَ السُّرَى[١١]
لا الْوَخْدُ مِنْهُ ، ولا الرَّسِيمُ ، ولا يُرَى	يَمْشِى الْعِرَضْنَةَ ، أو يَسِيرُ الْهَيْذَبَى[١٢]
رَيَّانُ مِلْءَ ضُلُوعِهِ ، لَكِنَّهُ	يَشْكُو بِزَفْرَتِهِ لَهِيباً فى الْحَشَا[١٣]
ما زالَ يَنْهَجُ فى الْمَسِيرِ طَرائِقاً	تَدَعُ الْجِيَادَ مُقَيَّداتٍ بِالْوَجَى[١٤]
حَتَّى وَصَلْتُ إلَى جَنابٍ أفْيَحٍ	زاهِى النَّباتِ ، بَعيدِ أعْماقِ الثَّرَى[١٥]

= ومعنى البيت : أنه باستقالته قد انطلق من قيود المنصب ، فصار كالجواد السابق المطلق عند المسابقة لا يصدّه شئ ، وأنه كان فى الوزارة سيفاً مغمداً ، فأصبح بعدها سيفاً مسلولا .

(٩) السراة : أعلى كل شئ . والأدهم : الفرس الأسود ، ويريد به قطار سكة الحديد . والشأو : الأمد والغاية . وكبا : انكب على وجهه وسقط .

(١٠) المدى : الغاية . والسجل : الكتاب . والمهمهة : المفازة البعيدة . والقطا : ضرب من الحمام يضرب المثل بهدايته .

(١١) الوجى : الحفا ، وهو رقة القدم والحافر من كثرة السير . ومد النهار : طوله . والسرى : سير عامة الليل .

(١٢) الوخد : سعة الخطو ، أو أن يرمى البعير بقوائمه كشى النعام . والرسيم : سير للإبل قريب من الهرولة ، دون الجرى . ويمشى العرضنة : أى فى مشيته بغى من نشاطه ؛ فالعرضنة : نوع من السير يمتاز بالخفة والسرعة والنشاط . والهيذبى : مشى للخيل فيه جدّ .

والمعنى : أنّ ما يعرف من أنواع سير الإبل والخيل دون سير هذا القطار السريع .

(١٣) ريان : صفة من الرى (بفتح الراء وكسرها وتشديد الياء) ، وهو ضد العطش . والزفرة : اسم من الزفير : وهو أن يخرج الإنسان نفسه مع مده إياه ، كما يفعل المهموم والمكدود ، و زفرت النار : سمع لتوقدها صوت . والحشا : ما اشتملت عليه الضلوع ، وما حواه الجوف .

(١٤) ينهج الطريق : يسلكه ، ويسير فيه (وبابه قطع) . والمسير : السير . والجياد : جمع جواد وهو الفرس الكريم الرائع . والوجى : الحفا ، وهو رقة القدم والخف والحافر . يقول : إن هذا القطار يسلك على الدوام طرقاً شاقة طويلة ، لو سلكتها كرام الخيل لقيدها الحفا .

والمعنى : أنها لا تستطيع سلوك هذه الطرق ، ولا تقوى على مثل ما يقوى عليه القطار .

(١٥) جناب أفيح : ناحية واسعة . وزاهى النبات : نباته زاه ، أى ناضر مشرق . والثرى : التراب الندىّ .

تَسْتَنُّ فِيهِ الْعَيْنُ بَيْنَ مَنابِتٍ طَابَتْ مَغارِسُها ، وجَنَّاتٍ رِوَا[١٦]
مُلْتَفِّ أفْنانِ الْحَدائقِ لَوْ سَرَتْ فيها السَّمُومُ ،لشَابَهَتْ رِيحَ الصَّبَا[١٧]
فَتُرابُهُ نَفَسُ الْعَبِيرِ . ونَبْتُهُ سَرَقُ الْحَرِيرِ ،وماؤُهُ فَلَقُ الضُّحَى[١٨]
فإذَا شَمِمْتَ وَجَدْتَ أطْيَبَ نَفْحَةٍ وإذا الْتَفَتَّ رأيْتَ أحْسَنَ مايُرَى[١٩]
والقُطْنُ بَيْنَ مُلَوَّزٍ ومُنَوِّرٍ كالْغادَةِ ازْدانَتْ بأنْواعِ الْحُلَى[٢٠]
فَكَأَنَّ عاقِدَهُ كُرَاتُ زُمُرُّدٍ وكَأَنَّ زَاهِرَهُ كَواكِبُ فى الرُّوَا[٢١]
دَبَّتْ به رُوحُ الْحَياةِ ، فَلَوْ وَهَتْ عَنْهُ الْقُيودُ مِنَ الْجَداوِلِ ، قَدْ مَشَى[٢٢]
فأُصُولُهُ الدَّكْنَاءُ تَسْبَحُ فى الثَّرَى وفُرُوعُهُ الخَضْراءُ تَلْعَبُ فى الْهَوا[٢٣]

---

(١٦) تستن : تعدو مقبلة مدبرة فى نشاط . و روا : أصلها رواء . يقال : روى من الماء ، فهو ريان ، وهى ريا ، والجمع رواء (بكسر الراء) .

(١٧) الأفنان : الأغصان . وسرت : سارت . والسموم : الريح الحارة . والصبا : ريح تهب عند العرب من مطلع الشمس ، وهى أطيب الرياح ، وأحبها إليهم .

(١٨) النفس (بفتحتين) : نسيم الهواء . والعبير : أخلاط من الطيب . وسرق الحرير : أجود أنواعه ، أو شققه : أى قطعه المشقوقة ، الواحدة سرقة (بفتح السين والراء) وهى من الألفاظ الفارسيّة المعرّبة . والفلق : ضوء الصبح . والضحى : حين تشرق الشمس و يمتدّ النهار .

(١٩) نفح الطيب (كمنع) : فاح ، والنفحة : المرة منه .

(٢٠) الغادة : المرأة الناعمة اللينة . والحلى (بكسر الحاء أو ضمها) : ما تتزين به المرأة من الجواهر والمعادن المصوغة ، واحدتها حلية (بكسر فسكون) .

(٢١) يريد بالعاقد : ما انعقد من اللوز قبل أن يتفتح . والزمرد : حجر أخضر اللّون ، شديد الخضرة ، شفّاف . وأشدّه خضرة أجوده ، وأصفاه جوهراً . واحدته زُمُرُّدَة (فارسىّ معرّب) وزاهر : أبيض مضىء مشرق ، صفة من زهر السراج والقمر والوجه (كمنع) أى تلألأ ، ويريد بالزاهر المتفتح من القطن . والروا (بضم الراء) : أصله الرواء بالمد : وهو حسن المنظر .

(٢٢) وهت : ضعفت وانفكت . جعل الجداول وقنوات الماء التى تحيط بنبات القطن قيوداً وقال : إن روح الحياة قد سرت فيه ، ولو انفكت عنه هذه القيود لمشى .
والمعنى : أنّ نضرته عظيمة ، وحياته النباتية تامة موفورة .

(٢٣) الدكناء : صفة من الدكنة (بضم فسكون) : وهى لون يضرب إلى السواد . والثرى : الأرض ، والتراب الندى .

لم يَسْرِ فيه الطَّرْفُ مَذْهَبَ فِكْرَةٍ ... مَحْدُودَةٍ إلَّا تَرَاجَعَ بِالْمُنَى (٢٤)

هذا لَعَمْرُ أبِيكَ داعِيَةُ الرِّضَـا ... وَسَلامَةُ العُقْبَى ، وَمِفْتَاحُ الْغِنَى (٢٥)

فَعَلامَ أَجْهَدُ فى المَطَالِبِ باذِلًا ... نَفْسِى ؟ وهذا لِلْمَطالِبِ مُنْتَهَى (٢٦)

فالْحَمْدُ للهِ الَّذِى وَهَبَ الْعُلا ... وَسَرَا الأَذَى عَنِّى ،فأَبْصَرْتُ الْهُدَى (٢٧)

---

(٢٤) يسرى : يسير . والطرف : العين . ومعنى « لم يسر فيه الطرف مذهب فكرة محدودة » : لم تجل العين فى هذا النبات مقدار جولة الفكرة المحدودة ، والمراد اللمحة ، والبرهة اليسيرة ، والمدة = = القصيرة . والمنى : جمع منية (بضم فسكون) وهى الأمنية : أى الشىء الذى يريده الإنسان ، ويقدّر حصوله .

ومعنى البيت : أنه كلما لمح الانسان هذا النبات النضير ؛ رأى فيه ما يمتعه ، ويسليه ، ويرضى أمانيه ، ويحقق آماله .

(٢٥) العقبى : العاقبة ، وجزاء الأمور .

(٢٦) جهد الرجل فى كذا (من باب قطع) : جدّ وبالغ .

(٢٧) سرا الله الأذى عنى (من باب عدَا) : كشفه ، وأزاله . من قولهم : سرا الثوب ونحوه : إذا نَزَعه ، وطرَحه ، وألقاه ، ورماه .

القصيدة الخامسة

وقال يُهَنِّئُ « الخديو إسماعيلَ باشا » بولايَةِ مصرَ سنة تسع وسبعين ومائتين وألف هجرية (١٢٧٩ هـ ١٨٦٣م) ** :

طَرِبَ الْفُؤادُ ، وكانَ غَيْرَ طَرُوبِ وَالْمَرْءُ رَهْنُ بَشاشَةٍ وَقُطُوبِ[1]

وَرَدَ الْبَشِيرُ ،فَقُلْتُ مِنْ سَرَفِ الْمُنَى أَعِدِ الْحَدِيثَ عَلَيَّ ، فَهْوَ حَسِيبِي[2]

خَبَرٌ جَلَا صَدَأَ الْقُلُوبِ ، فَلَمْ يَدَعْ فِيهَا مَجالَ تَحَفُّزٍ لِوَجِيبِ[3]

ضَرَحَ الْقَذَى كَقَمِيصِ "يُوسُفَ" عِنْدَمَا وَرَدَ الْبَشِيرُ بِهِ إِلَى " يَعْقُوبِ " [4]

** سافر الخديو إسماعيل إلى الآستانة على إثر اعتلائه عرش مصر ؛ ليرفع إلى السلطان عبد العزيز فروض الشكر والولاء . وفى شهر رمضان سنة ١٢٧٩ هـ (فبراير سنة ١٨٦٣ م) عاد البارودى من الآستانة إلى مصر فى حاشية الخديو . وعلى إثر هذه العودة نظم هذه القصيدة ، وهو فى الرابعة والعشرين . وفيها — مع التهنئة ، والمديح ، والشكر ، والوصف — فخر بنفسه وشعره .

(١) البشاشة : طلاقة الوجه . وقطب بين عينيه قطوباً : جمع (وبابه ضرب وجلس) ، وتقطيب الوجه : عبوسه .

(٢) السرف : مجاوزة الحد . والمنى : جمع منية (بضم فسكون) ، وهى الأمنيّة . وحسيبى : كافٍ . والمعنى : أنه لما بشّر بولاية الخديو « إسماعيل » رأى أن هذه البشرى قد حققت أعظم آماله وأبعد أمانيه ؛ ولهذا تملّكه الفرح ، واستخفّه الطرب ؛ فاستعاد حديثها المحبوب ، وقال : إنه يكفيه ويغنيه عن كل ما عداه .

(٣) تحفّز : تهيّؤ . ووجيب القلب : رجفانه واضطرابه .
والمعنى : أنّ نبأ تولية الخديو إسماعيل قد أنعش نفوس الناس ، وملأ قلوبهم غبطة وطمأنينة .

(٤) ضرحه (كنعه) : دفعه ونحّاه . والقذى : ما يسقط فى العين وفى الشراب ، والمراد به هنا : كل ما يسبب الألم . وفى هذا البيت إشارة إلى قول الله تبارك وتعالى حكاية عن سيدنا يوسف الصديق =

فَلْتَهْنَ مِصْرُ وَأَهْلُهَا بِسَلامَةٍ جاءَتْ لَهَا بِالْأَمْنِ بَعْدَ خُطُوبِ[٥]

بِالْمَاجِدِ الْمَنْسُوبِ ، بَلْ بِالْأَرْوَعِ الْـ مَشْبُوبِ ، بَلْ بِالْأَبْلَجِ الْمَعْصُوبِ[٦]

رَبِّ الْعُلَا وَالْمَجْدِ (إِسْمَاعِيلَ) مَنْ وَضَحَتْ بِهِ الْأَيَّامُ بَعْدَ شُحُوبِ[٧]

وَرَدَ الْبِلادَ وَلَيْلُها مُتَراكِبٌ فَأَضاءَها كَالْكَوْكَبِ الْمَشْبُوبِ[٨]

بِرَوِيَّةٍ تَجْلُو الصَّوابَ ، وَعَزْمَةٍ تَمْضِي مَضاءَ اللَّهْذَمِ الْمَذْرُوبِ[٩]

مَلِكٌ تَرَفَّعَ أَنْ تَكُونَ صِفاتُهُ إِلَّا لَهُ ، أَوْ لِابْنِهِ الْمَحْبُوبِ[١٠]

ذو هَيْبَةٍ تَكْفِيهِ سَوْقَ جُنُودِهِ وبَدِيهَةٍ تُغْنِي عَنِ التَّجْرِيبِ[١١]

نَمَّتْ شَمائِلُهُ عَلَى أَعْراقِهِ نَمَّ النَّسِيمِ عَلَى أَرِيجِ الطِّيبِ[١٢]

= «اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ، وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ، وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ : إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ، قَالُوا : تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ؛ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا » الآيات ٩٣ – ٩٦ سورة يوسف .

(٥) الخطوب : جمع خطب : وهو الأمر الشديد ينزل بالناس .

(٦) المنسوب : ذو النسب . والأروع : من يعجبك بحسنه ، وجهارة منظره . أو بشجاعته . والمَشْبُوب : الحسن الوجه . والبلجة (بضم فسكون) : الضوء ، ونقاوة مابين الحاجبين . ويقال للرجل الطلق الوجه ذى الكرم والمعروف : أبلج . والمعصوب : المتوّج .

(٧) الشحوب : تغيّر اللون من هزال ، أو جوع ، أو سفر .

(٨) ليل متراكب : ظلماته بعضها فوق بعض . والمشبوب : المتقد .
ومعنى هذا البيت والذى قبله : أنّ البلاد سعدت بولاية الممدوح وحكمه ؛ فصلحت أحوالها ، واستقامت أمورها .

(٩) اللهذم : السنان القاطع . والمذروب : المحدّ المسنون .

(١٢) نمّت : دلّت . والشمائل : الأخلاق . مفردها شمال (بكسر الشين) . والأعراق : جمع عرق (بكسر فسكون) : وهو الأصل . والأريج : توهّج ريح الطيب .

أَكْنِى بِزَهْرِ الرَّوْضِ عَنْ أَخْلَاقِهِ ... وَبِنَشْرِهِ عَنْ فَضْلِهِ الْمَرْغُوبِ[١٣]

وأَقُولُ : إنَّ الْبرْقَ يَحْكِي بِشْرَهُ ... لَوْ كَانَ بَرْقُ الْمُزْنِ غَيْرَ خَلُوبِ[١٤]

فَالْخِصْبُ فى الدُّنْيَا عَلَامَةُ عَدْلِهِ ... والْغَيْثُ فَضْلَةُ جُودِهِ الْمَسْكُوبِ[١٥]

أَجْرَى نَسِيمَ الْأَمْنِ بَعْدَ رُكُودِهِ ... وأَفَاضَ ماءَ الْعَدْلِ بَعْدَ نُضُوبِ[١٦]

وَأَعادَ مِصْرَ إلَى جَمالِ شَبابِها ... مِنْ بَعْدِ ما لَبِسَتْ خِمارَ مَشِيبِ[١٧]

فَتَنَعَّمَتْ مِنْ فَيْضِهِ فى غِبْطَةٍ ... وتَمَتَّعَتْ مِنْ عَدْلِهِ بِنَصِيبِ[١٨]

وإذَا أرادَ اللهُ رَحْمَةَ أُمَّةٍ ... بَعَثَ الشِّفاءَ لَهَا بِخَيْرِ طَبِيبِ

فَلَقَدْ مَلَكْتَ زِمامَها ، وسَقَيْتَها ... بَعْدَ الصَّدَى مِنْ رَحْمَةٍ بِذَنُوبِ[٢٠]

فَغَدَتْ وَمَا فِى الْأَرْضِ أَحْسَنُ بُقْعَةً ... مِنْهَا لِمُزْدَرِعٍ : وَلَا لِكَسُوبِ[٢١]

يَسْتَنُّ فِيهَا النِّيلُ بَيْنَ حَدَائِقٍ ... غُلْبٍ ورَفَّافِ النَّباتِ خَصِيبِ[٢٢]

---

(١٣) الكناية : أن تتكلم بشيء وتريد به غيره . والنشر : الرائحة الطيبة .

(١٤) المزن : جمع مزنة (بضم فسكون) وهى السحابة . وخلبه (من بابى قتل وضرب) : إذا خدعه ، الاسم الخلابة (بكسر الخاء) ، والفاعل خلوب (مثل رسول) .

(١٥) الغيث : المطر . والمسكوب : الكثير المنصب .

(١٦) ركوده : سكونه . ونضب الماء نضوباً (من باب قعد) : غار فى الأرض .

(١٧) الخمار (بكسر الخاء) : ثوب تغطى به المرأة رأسها .

(١٨) الغبطة : حسن الحال ، والمسرة .

(٢٠) الزمام : المقود (بكسر الميم وسكون القاف وفتح الواو) : وهو الحبل الذى تقاد به الدابة. والصدى : العطش . والذنوب (كرسول) : الدلو العظيمة الملأى ماء .

(٢١) فغدت : فصارت . وفى الأصل ، فغنت : واللغة الفصيحة « فغنيت » كرضيت أى صارت علت غنى وثروة . والمزدرع : الزارع . والكسوب : طالب الرزق .

(٢٢) يستنّ : يجرى ويضطرب . وغلب : جمع غلباء (كخضراء) ، وهى الحديقة المتكاثفة . ورفّ النبات يرفّ (بكسر الراء فى المضارع) : رفه ورريف ورفيف (بفتح فكسر فيهما) : وهو أن يهتزّ نضارة وتلألؤاً .

يقول : إن النيل يجرى بين حدائق متكاثفة : وواد خصيب نضير النبات .

وتَرَى السَّفينَ يَجُولُ فَوْقَ سَراتِهِ	زَفَّ الرِّئالِ تَمَطَّرَتْ بِسُهُوبِ[٢٣]
مِنْ كُلِّ راقِصَةٍ عَلَى نَقْرِ الصَّبَا	تَخْتَالُ بَيْنَ شَمائِلٍ وجَنُوبِ[٢٤]
مَلَكَتْ أَزِمَّتَها الرِّياحُ ، فَسَيْرُها	ضَرْبانِ بَيْنَ تَحَفُّزٍ وَدَبِيبِ[٢٥]
فَإذا أَطَلْتَ عِنانَها وَقَفَتْ ، وإنْ	أَقْصَرْتَهُ سارَتْ بِغَيْرِ لُغُوبِ[٢٦]
فانْعَمْ بِخَيْرِ وِلايَةٍ وَلَّاكَهـا	رَبُّ العِبادِ بِرَغْمِ كُلِّ رَقِيبِ[٢٧]
ما آثَرُوكَ لهـا بِغَيرِ رَوِيَّةٍ	بَلْ لاعْتِصامِهِمُ بِخَيْرِ لَبِيبِ[٢٨]
فاسْمَعْ مَقالَةَ صادِقٍ لَمْ يَنْتَسِبْ	لِسِوَاكَ فِى أَدَبٍ وَلَا تَهْذِيبِ[٢٩]
أَوْلَيْتَهُ خَيْرًا ؛ فَقَامَ بِشُكْرِهِ	والشُّكْرُ لِلْإحسانِ خَيْرُ ضَرِيبِ[٣٠]
فاعْطِفْ عَلَيْهِ تَجِدْ سَلِيلَ كَرَامَةٍ	أَهْـلًا لِحُسْنِ الأَهْلِ والتَّرْحِيبِ[٣١]

(٢٣) السفين : اسم جمع لسفينة . ويجول : يطوف غير مستقرّ . والسراة (بفتح السين) : أعلى كل شيء . والزفّ : الإسراع ، أى يسرع إسراع الرئال . والرئال : أولاد النعام ، مفرده رأل ورألة (بفتح فسكون فيهما) . وتمطّرت : ذهبت مسرعة . والسهوب : جمع سهب (بضم فسكون) : وهو المستوى من الأرض فى سهولة ، أو سهوب الفلاة : نواحيها التى لا مسلك فيها .

(٢٤) الصبا (بفتح الصاد) : الريح تهبّ من مطلع الشمس. ونقرها : نفخها وتصويتها . وتختال : تسير فى اختيال ، ومرَح ، ونشاط ، وخفّة ، وتمايل ، وإعجاب بالنفس . والشمائل : جمع شمال (بفتح الشين) وهى الريح التى تهبّ من ناحية يسارك وأنت متّجه إلى الشرق. والجنوب (بفتح الجيم) : الريح المقابلة للشمال .

(٢٥) الأزمة : جمع زمام (بكسر الزاى) ، وهو فى الأصل مقود البعير ونحوه : أى الحبل الذى يقاد به. وضربان : نوعان . والتحفّز : الاجتهاد فى السير والإسراع. ودبّ يدبّ (كخفّ يخفّ) دبًّا ودبيباً : مشى على هينته (بكسر الهاء) .

(٢٦) العنان فى الأصل : سير اللجام الذى تمسك به الدابة ، والمراد بإطالة العنان إرخاء حبل الشراع للسفينة . واللغوب : الإعياء والضعف والتعب (وبابه دخل) .

(٢٧) الرقيب : المراقب ، ومراده العدو .

(٢٨) آثروك : فضّلوك ، والمعروف آثرت فلاناً بكذا . والرويّة : الفكر والتدبّر . والاعتصام : الاستمساك . واللبيب : العاقل .

(٣٠) أوليته : أعطيته . والضريب : المثل .

(٣١) السليل : الولد . وأهلا : مستأهلا مستوجباً مستحقاً ، ويريد بالأهل الثانية : التأهيل : مصدر أهّل به: بمعنى قال له أهلاً : أى صادفت أهلا لاغرباء . ورحب به ترحيباً : دعاه إلى الرحب (بضم فسكون) : وهو السعة .

يُنْبِيكَ ظاهِرُهُ بِوُدِّ ضَمِيرِهِ . والْوَجْهُ رَسْمَةُ مُخْلِصٍ ومُرِيبِ (٣٢)

وَإِلَيْكَ مِنْ حَوْكِ اللِّسانِ حَبِيرَةً يُغْنِيكَ رَوْنَقُها عَنِ التَّشْبِيبِ (٣٣)

حَضَرِيَّةَ الأَنْسابِ إِلَّا أَنَّها بَدَوِيَّةٌ فى الطَّبْعِ والتَّرْكِيبِ (٣٤)

وَلِعَتْ بِمَنْطِقِهَا النُّفُوسُ غَرابَةً والنَّفْسُ مُولَعَةٌ بِكُلِّ غَرِيبِ (٣٥)

أَرْسَلْتُها مَثَلًا بِمَدْحِكَ فِى الْوَرَى والسَّهْمُ مَنْسُوبٌ لِكُلِّ مُصِيبِ (٣٦)

كَلِمٌ أَثَرْتُ بِها جَوَادَ بَراعَةٍ لا يُقْتَفَى فى الْحُضْرِ والتَّقْرِيبِ (٣٧)

تَرَكَ « الْوَلِيدَ » مُلَثَّماً بِغُبارِهِ وَمَضَى فَكَفْكَفَ مِنْ عِنانِ « حَبِيبِ » (٣٨)

فَاسْتَجْلِها تَلْمَحْ خِلالَكَ بَيْنَهَا . فِى وَشْيِ بُرْدٍ لِلْكَلامِ قَشِيبِ (٣٩)

كَزُجاجَةِ التَّصْوِيرِ شَفَّتْ ، فاجْتَلَتْ مِنْ وَصْفِهِ ما كان غَيْرَ قَرِيبِ (٤٠)

لا زِلْتَ فِى فَلَكِ الْمَعالِي كَوْكَباً تُهْدِى الضِّياءَ لِأَعْيُنٍ وَقُلُوبِ

---

(٣٢) ينبيك : يخبرك (رأصله الهمز). ويريد بالوسمة : العلامة . والمريب : المتّهم فى إخلاصه.

(٣٣) الحوك : النسج ، مصدر حاك الحائك الثوب أى نسجه ؛ (وبابه قال) . والحبيرة : الجديدة الموشّاة من الثياب . والرونق : الحسن . وشبّب الشاعر قصيدته : حسّنها وزيّنها بذكر النساء .

(٣٤) المعنى أنها تنسب إلىّ ؛ فهى ؛ حضريّة من هذه الناحية ؛ ولكنها بدويّة الأسلوب والسليقة .

(٣٥) ولع بالشىء (من باب طرِب) ، فهو ولِعٌ (بوزن فرِح) . وأولع به (بالبناء للمجهول) فهو مُولَع (بصيغة اسم المفعول) : أى أُغرى به وأُغرِم (بالبناء للمجهول فيهما) وأحبّه ، وتعلّق به تعلّقاً شديداً .

(٣٦) الورى : الخلق (بفتح فسكون) ، والناس .

(٣٧) البراعة : الغلب (بفتح الغين واللام) والتفوّق . (وفعله من بابى خَضَع ، وظَرُف) . أو هى اليراعة (بالياء) : بمعنى القلم . والكلام على التشبيه : أى يراعة كالجواد السبّاق . ولا يقتفى : لا يتبع . والحضر (بضم فسكون) ارتفاع الفرس فى عَدْوِه كالإحضار . أو هو عَدْوٌ ذو وثْب . والتقريب : ضرب من العدو ، أو أن يرفع الفرس يديه معاً ، ويضعهما معاً .

(٣٨) الوليد : هو أبو عبادة بن عبيد البحترى الطائى المتوفى سنة ٢٨٤ هـ . وملثّما : مشدوداً على فمه وأنفه من الغبار ما يشبه اللثام : وهو النقاب . وكفكف : دفع وصرف . وحبيب بن أوس الطائى : هو أبو تمّام الشاعر النابغة المشهور المتوفى سنة ٢٣١ هـ .

والمراد : أن هذه القصيدة فاقت بشرف موضوعها ، وجمال نسجها ، شعر هذين الشاعرين المشهورين .

(٣٩) استجلها : انظر إليها . وتلمح : تبصر . وخلالك : خصالك . ووشيت الثوب وشياً (من باب وعد) : رقمته ونقشته . والبرد : الثوب . وقشيب : جديد .

(٤٠) شفت : صفت فحكت ما وراءها . واجتلت من وصفه . . . إلخ : أى عرضت وصفه مجلوّا باهراً . والضمير فى وصفه يعود على التصوير بمعنى الشىء المصوّر (بفتح الواو) أو يعود على الممدوح .

القصيدة السادسة

وَقَالَ وَهُوَ بِسَرَنْدِيبَ يَتَشَوَّقُ إلى مِصْرَ ، وَيَرْثِى صَدِيقَيْهِ : الأستاذَ الشيخَ حُسَيْناً الْمَرْصَفِيَّ ، وعَبْدَ اللهِ باشا فِكْرِى *

أَيْنَ أَيَّامُ لَذَّتِى وشَبَابِى؟ أَتُراهَا تَعُودُ بَعْدَ الذَّهابِ ؟[1]

ذَاكَ عَهْدٌ مَضَى ، وأَبْعَدُ شَىْءٍ أَنْ يَرُدَّ الزَّمانُ عَهْدَ التَّصَابِى[2]

فَأَدِيرَا عَلَىَّ ذِكْرَاهُ ؛ إنِّى مُنْذُ فارَقْتُهُ شَدِيدُ الْمُصابِ[3]

كُلُّ شَىْءٍ يَسْلُوهُ ذُو اللُّبِّ إلَّا ماضِىَ اللَّهْوِ فِى زَمانِ الشَّبابِ[4]

لَيْتَ شِعْرِى مَتَى أَرَى رَوْضَةَ الْمَنْـ ـيَلِ ذاتَ النَّخِيلِ والأَعْنابِ[5]

حَيْثُ تَجْرِى السَّفِينُ مُسْتَبِقاتٍ فَوْقَ نَهْرٍ مِثْلِ اللُّجَيْنِ الْمُذابِ[6]

قَدْ أَحاطَتْ بِشاطِئَيْهِ قُصُورٌ مُشْرِقاتٌ يَلُحْنَ مِثْلَ الْقِبابِ[7]

---

* توفى عبد الله باشا فكرى ، والشيخ حسين المرصفى سنة ١٣٠٧ هـ .

(١) أتراها : أتظنها .

(٢) يريد بعهد التصابى : زمن الشباب ، ودواعى الصبا .

(٥) ليت شعرى : ليتنى أعلم .

(٦) السفين : اسم جمع لسفينة . ومستبقات : متسابقات يسبق بعضها بعضًا . واللجين : الفضة .

(٧) مشرفات (بالفاء): عاليات مرتفعات. أوهى مشرقات (بالقاف) : أى مضيئات منيرات ، ذات بهجة و رُواء : من الإشراق : وهو الإضاءة والحسن والتلألؤ . ويلحن : يظهرن . والقباب : جمع قبّة.

مَلْعَبٌ تَسْرَحُ النَّواظِرُ مِنْهُ بَيْنَ أَفْنانِ جَنَّةٍ وشِعابِ[٨]

كُلَّما شافَهَ النَّسِيمُ ثَراهُ عادَ مِنْهُ بِنَفْحَةٍ كَالْمَلابِ[٩]

ذاكَ مَرْعَى أُنْسِي، ومَلْعَبُ لَهْوِي وَجَنَى صَبْوَتِي، ومَغْنَى صِحابِي[١٠]

لَسْتُ أَنْساهُ ما حَيِيتُ، وحاشا أَنْ تَرانِي لِعَهْدِهِ غَيْرَ صابِي[١١]

لَيْسَ يَرْعَى حَقَّ الْودادِ، ولا يَذْ كُرُ عَهْدًا إِلَّا كَرِيمُ النِّصابِ[١٢]

فَلَئِنْ زالَ فاشْتِيَاقِي إِلَيْهِ مِثْلُ قَوْلِي باقٍ عَلَى الأَحْقابِ[١٣]

يا نَدِيمَيَّ مِنْ «سَرَنْدِيبَ» كُفَّا عَنْ مَلامِي، وَخَلِّيانِي لِمَا بِي[١٤]

كَيْفَ: لا أَنْدُبُ الشَّبابَ؟ وَقَدْ أَصْ بَحْتُ كَهْلاً فِي مِحْنَةٍ واغْتِرابِ[١٥]

أَخْلَقَ الشَّيْبُ جِدَّتِي، وَكَسانِي خِلْعَةً مِنْهُ رَثَّةَ الْجِلْبابِ[١٦]

وَلَوَى شَعْرَ حاجِبَيَّ عَلَى عَيْ نَيَّ حَتَّى أَطَلَّ كَالْهُدَّابِ[١٧]

لا أَرَى الشَّيْءَ حِينَ يَسْنَحُ إِلَّا كَخَيالٍ، كَأَنَّنِي فِي ضَبابِ[١٨]

---

(٨) تسرح: ترتع وتمتع. والأفنان: جمع فنن (بفتحتين): وهو الغصن. والشعاب: جمع شعب (بكسر فسكون): وهو مسيل الماء.

(٩) شافهه: داناه وقاربه. والثرى: الندى، والتراب الندىّ، والأرض. والنفحة: الرائحة الطيّبة. والملاب (كسحاب): عطر، أو هو الزعفران.

(١٠) الجنى: كل ما يجنى. والصبوة: جهلة الفتوّة. والمغنى: المنزل الذى غنى (كرضى) به أهله، أى أقاموا فيه وعاشوا، ثم ظعنوا.

(١١) صاب: مائل، مشوق.

(١٢) النصاب: الأصل.

(١٣) الأحقاب: جمع حقب (بضم فسكون أو بضمتين): وهو الدهر، أو السنة.

(١٤) النديم: من ينادمك، أى يجالسك على الشراب.

(١٥) ندب الميت: بكى عليه، وعدّد محاسنه. والكهل: من وخطه الشيب (كوعده): أى خالطه. والمحنة: البلوى.

(١٦) أخلق: أبلى وأفنى. وجدّ الشىء يجدّ جدّة (بكسر الجيم فيهما): صار جديداً: وهو نقيض الخلق (بفتح الخاء واللام). والخلعة: ما تمنحه غيرك من الثياب. ورثّة: بالية.

(١٧) الهدّاب: خمل الثوب (بفتح الخاء وسكون الميم): أى الخيوط التى تبقى فى طرفيه دون أن يكمل نسجها.

(١٨) يسنح: يعرض ويظهر.

وَإِذا ما دُعِيتُ حِرْتُ ، كَأَنّى أَسْمَعُ الصَّوْتَ مِنْ وَرَاءِ حِجابِ[19]
كُلَّما رُمْتُ نَهْضَةً أَقْعَدَتْنِى وَنِيَــةٌ لا تُقِلُّها أَعْصابِى[20]
لم تَدَعْ صَوْلَةُ الْحَوادِثِ مِنّى غَيْرَ أَشْلاءِ هِمَّةٍ فى ثِيَابِ[21]
فَجَعَتْنِى بِوالِدَىَّ وأَهْلِى ثُمَّ أَنْحَتْ تَكُرُّ فى أَتْرابِى[22]
كُلَّ يَوْمٍ يَزُولُ عَنِّى حَبِيبٌ يَا لِقَلْبِى مِنْ فُرْقَةِ الْأَحْبابِ![23]
أَيْنَ مِنِّى (حُسَيْنُ)؟ بَلْ أَيْنَ (عَبْدُاللّٰـ ـهِ) ؟ رَبُّ الْكَمالِ والْآدابِ[24]
مَضَيَا غَيْرَ ذُكْرَةٍ ، وبَقاءُ الذِّ كْرِ فَخْرٌ يَدُومُ لِلْأَعْقَابِ[25]
لَمْ أَجِدْ مِنْهُما بَدِيلًا لِنَفْسِى غَيْرَ حُزْنِى عَلَيْهِما واكْتِئابِى[26]

---

(١٩) حرت : ترددت ، ولم أدر وجه الصواب .

(٢٠) رمت : أردت وطلبت. ونى فى الأمر ونياً : ضعف وفتر ، والونية : اسم مرة منه . وتقلّها : تحملها .

يريد : أنّ أعصابه لا تطيق ما وصل إليه من الضعف .

(٢١) الصولة : السطوة. والأشلاء : جمع شلو (بكسر فسكون) : وهو العضو ، أو بقيّة الشىء. يقول : إنّ حوادث الدهر ونوازله قد اشتدّت عليه حتّى أنحلته وأضعفته ، ولم تترك فى ثيابه غير بقايا من همّته . وهو بهذا يأسى على ما صار إليه من نحول وضعف وشيب ، ويفخر بما بقى من همّته الرفيعة وعزمه القوىّ ؛ على الرغم من صولة الحوادث ، وسطوة الزمان .

(٢٢) الفجع : أن يوجع الإنسان بشىء يكرم عليه فيعدمه . وأنحت : أقبلت . والكرّ : أن يفرّ الفارس للجولان ، ثم يعود للقتال ، والمراد : تصيب. والأتراب : جمع ترب (بكسر فسكون) : وهو من ولد معك ، ومن ساواك فى السنّ .

(٢٥) الذكرة : ضدّ النسيان ، والذكرة أيضًا : الصيت . والمعنى : أنهما مضيا ولم ينس صيتهما . والذكر (بكسر فسكون) : الصيت والثناء والشرف والعلاء . والأعقاب : جمع عقب (بفتح فكسر ، أو بفتح فسكون) : وهو ولد الرجل ، وولد ولده .

(٢٦) الاكتئاب : سوء الحال ، والانكسار من الحزن .

قَدْ لَعَمْرِي عَرَفْتُ دَهْرِي ، فَأَنْكَرْ تُ أُمُورًا ما كُنَّ لِي فِي حِسابِ[٢٧]
تَجَنَّبْتُ صُحْبَةَ النّاسِ حَتَّى كانَ عَوْناً عَلَى التُّقَاةِ اجْتِنابِي[٢٨]
لا أُبالِي بِما يُقالُ وإِنْ كُنْ تُ مَلِيئاً بِرَدِّ كُلِّ جَوابِ[٢٩]
قَدْ كَفانِي بُعْدِي عَنِ النّاسِ أَنِّي فِي أَمانٍ مِنْ غِيبَةِ الْمُغْتابِ[٣٠]
فَلْيَقُلْ حاسِدِي عَلَيَّ كَمَا شا ءَ ؛ فَسَمْعِي عَنِ الْخَنَا فِي احْتِجابِ[٣١]
لَيْسَ يَخْفَى عَلَيَّ شَيْءٌ ، ولَكِنْ أَتَغابَى ، والْحَزْمُ إِلْفُ التَّغَابِي[٣٢]
وكَفَى بِالْمَشِيبِ وهْوَ أَخُو الْحَزْ مِ دَلِيلاً إِلَى طَرِيقِ الصَّوابِ[٣٣]
إِنَّما الْمَرْءُ صُورَةٌ سَوْفَ تَبْلَى وَانْتِهاءُ الْعُمْرانِ بَدْءُ الْخَرابِ[٣٤]

---

(٢٧) لعمرى : وحياتى . يشير إلى أنه لما عرف دهره ، وفطن لأحوال الناس فى زمانه ، أنكر كثيراً من أمورهم ، ولم ترقه أخلاقهم ؛ ولهذا صرّح فى البيت الآتى بأنه اعتزلهم ، واجتنب صحبتهم .

(٢٨) التقاة : التقوى ، وهى أن تحفظ نفسك مما يغضب الله تعالى .
يريد أن تجنّبه صحبة الناس قد أعانه على اتّقاء شرّهم ، أو على تقوى الله تبارك وتعالى ، فهو لا يخوض معهم فى أحاديث الغيبة ، ولا يجاريهم فى آثامهم .

(٢٩) الملىء : القادر على الشىء ، يقال : هو ملىء بكذا : أى مضطلع به .

(٣٠) الغيبة (بكسر الغين) : أن تذكر غيرك بما يكره ، أى أن تتكلم خلف إنسان مستور بما يغمّه لو سمعه ، فإن كان صدقاً سمّى غيبة ، وإن كان كذباً سمّى بهتاناً . وهى اسم من اغتابه اغتياباً . والمغتاب : اسم فاعل منه . يريد : أن بعده عن الناس جعله فى أمن من شرّ الغيبة ، ولكن عبارة البيت لا تحسن أداء هذا المعنى .

(٣١) الخنا : الفحش والقبح (بضم فسكون فيهما) .

(٣٢) أتغابى : أتغافل ، وأظهر الغباوة ، وهى قلة الفطنة .

(٣٣) الحزم : أن يضبط الإنسان أمره ، ويتقن رأيه ، ويأخذ فيه بالثقة . (وفعله من باب ضرب) .

(٣٤) تبلى : تهلك وتفنى .

القصيدة السابعة

وقالَ وهُوَ بِسَرَنْدِيبَ :

لِكُلِّ دَمْعٍ جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ سَبَبُ ... وَكَيْفَ يَمْلِكُ دَمْعَ الْعَيْنِ مُكْتَئِبُ ؟ (١)

لَوْلَا مُكَابَدَةُ الْأَشْوَاقِ مَا دَمَعَتْ ... عَيْنٌ ، وَلَا بَاتَ قَلْبٌ فِي الْحَشَا يَجِبُ (٢)

فَيَا أَخَا الْعَذْلِ لا تَعْجَلْ بِلائِمَةٍ ... عَلَيَّ ؛ فَالْحُبُّ سُلْطَانٌ لَهُ الْغَلَبُ (٣)

لَوْ كَانَ لِلْمَرْءِ عَقْلٌ يَسْتَضِيءُ بِهِ ... فِي ظُلْمَةِ الشَّكِّ لَمْ تَعْلَقْ بِهِ النُّوَبُ (٤)

وَلَوْ تَبَيَّنَ مَا فِي الْغَيْبِ مِنْ حَدَثٍ ... لَكَانَ يَعْلَمُ مَا يَأْتِي ، وَيَجْتَنِبُ (٥)

لَكِنَّهُ غَرَضٌ لِلدَّهْرِ يَرْشُقُهُ ... بِأَسْهُمٍ مَا لَهَا رِيشٌ ، وَلَا عَقَبُ (٦)

فَكَيْفَ أَكْتُمُ أَشْوَاقِي وَبِي كَلَفٌ ... تَكَادُ مِنْ مَسِّهِ الْأَحْشَاءُ تَنْشَعِبُ ؟ (٧)

---

(١) مكتئب : منكسر حزين .

(٢) مكابدة : مقاساة . ووجب القلب يجب وجيباً : اضطرب .

(٣) العذل : اللوم . ومثله اللّائمة ، والملامة .

(٤) النوب : النوازل : والمصائب . الواحدة نوبة (بضم فسكون ، أو بفتح فسكون) .

(٦) الغرض : الهدف الذى يرمى إليه . ويرشقه (من باب قتل) : يرميه . والأسهم : جمع سهم ، وهو ما يرمى به الصائد ونحوه عن القوس ونحوها . وريش السهم : ما يلصق به لتسديد مرماه . والعقب (بفتح العين والقاف) : العصب (بفتحتين) تعمل منه الأوتار ، والمراد الأوتار نفسها . ومعنى « ما لها ريش ولا عقب » : أنها لا تشبه السهام المعروفة للناس .

والمراد : أن الإنسان هدف للدهر يرميه بأرزائه وصروفه ومصائبه .

(٧) كلف : حب ، وولوع . والأحشاء : ما حواه جوف الإنسان من الأمعاء ونحوها ، مفردها حشاً . وتنشعب : تنشق وتفترق .

أَمْ كَيْفَ أَسْلُو وَلِى قَلْبٌ إِذَا الْتَهَبَتْ ... بِالْأُفْقِ لَمْعَةُ بَرْقٍ كَادَ يَلْتَهِبُ؟(٨)

أَصْبَحْتُ فِى الْحُبِّ مَطْوِيًّا عَلَى حُرَقٍ ... يَكَادُ أَيْسَرُهَا بِالرُّوحِ يَنْتَشِبُ(٩)

إِذَا تَنَفَّسْتُ فَاضَتْ زَفْرَتِى شَرَرًا ... كَمَا اسْتَنَارَ وَرَاءَ الْقَدْحَةِ اللَّهَبُ(١٠)

لم يَبْقَ لِى غَيْرَ نَفْسِى ما أَجُودُ بِهِ ... وَقَدْفَعَلْتُ ، فَهَلْ مِنْ رَحْمَةٍ تَجِبُ؟

كَأَنَّ قَلْبِى إِذَا هَاجَ الْغَرَامُ بِهِ ... بَيْنَ الْحَشَا طائِرٌ فى الْفَخِّ يَضْطَرِبُ(١٢)

لا يَتْرُكُ الْحُبُّ قَلْبِى مِنْ لَوَاعِجِهِ ... كَأَنَّمَا بَيْنَ قَلْبِى والْهَوَى نَسَبُ(١٣)

فَلا تَلُمْنِى عَلَى دَمْعٍ تَحَدَّرَ فِى ... سَفْحِ الْعَقِيقِ ، فَلِى فِى سَفْحِهِ أَرَبُ(١٤)

مَنازِلُ كُلَّما لاحَتْ مَخَايِلُهَا ... فِى صَفْحَةِ الْفِكْرِ مِنِّى هاجَنِى طَرَبُ(١٥)

لِى عِنْدَ سَاكِنِهَا عَهْدٌ شَقِيتُ بِهِ ... وَالْعَهْدُ مالم يَصُنْهُ الْوُدُّ مُنْقَضِبُ(١٦)

---

(٩) الحرق : جمع حرقة (بضم فسكون) : وهى الاحتراق. وينتشب : يعتلق ، والمراد يقضى على الروح .

(١٠) الزفرة : التنفس الممدود الطويل ، يكون من الهموم ونحوه. والشرر : مايتطاير من النار ، الواحدة شررة . واستنار : أضاء . وقدح النار من الزند: أوراها وأوقدها ، والقدحة: اسم مرة منه .

(١٢) هاج الغرام به : برح به الحب ، واشتدت لواعجه .

(١٣) اللواعج : حرق الحب (بضم الحاء وفتح الراء) . مفردها لاعج. يقال حب يلعج القلب (كيقطع) : أى يؤلمه ويحرقه . والهوى : العشق . ونسب : قرابة .

(١٤) تحدر : تنزل وانصب . والعقيق: الوادى ، أو اسم لموضع يريده الشاعر ، وسفح العقيق: عرضه (بضم فسكون) وناحيته . والسفح فى آخر البيت : قد يكون بمعنى إرسال الدمع ، وقد يكون بمعنى الناحية ، والضمير المتصل به صالح لأن يعود على الدمع ، أو أن يعود على العقيق . والأرب : الحاجة .

(١٥) لاحت : ظهرت . والمخايل: جمع مخيلة ، وهى فى الأصل الظن ، والمراد بمخايل المنازل: صورها . والطرب : خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور .

(١٦) العهد : الموثق والحفاظ ورعاية الحرمة والالتقاء والمعرفة. وقضبت الشىء قضبا (من باب ضرب) فانقضب : قطعته فانقطع .

ومعنى البيت : أن لى عند سكان هذه المنازل موثقاً شقيت بسبب توانيهم فى المحافظة عليه ، والموثق ينقطع إذا لم يصنه الحب .

وعادَ ظَنِّى عَلِيلًا بَعْدَ صِحَّتِهِ والظَّنُّ يَبْعُدُ أَحْيَاناً ويَقْتَرِبُ(١٧)

فَيَا سَرَاةَ الْحِمَى اما بَالُ نُصْرَتِكُمْ ضاقَتْ عَلَىَّ ؟ وأَنْتُمْ سادَةٌ نُجُبُ(١٨)

أَضَعْتُمُونى وكانَتْ لِى بِكُمْ ثِقَةٌ مَتَى خَفَرْتُمْ ذِمامَ الْعَهْدِ يا عَرَبُ؟(١٩)

أَلَيْسَ فى الْحَقِّ أَنْ يَلْقَى النَّزِيلُ بِكُمْ أَمْناً إذا خافَ أَنْ يَنْتَابَهُ الْعَطَبُ؟(٢٠)

فَكَيْفَ تَسْلُبُنِى قَلْبِى بِلَا تِرَةٍ فَتاةُ خِدْرٍ لَها فى الْحَىِّ مُنْتَسَبُ؟(٢١)

مَرَّتْ عَلَيْنَا تَهادَى فِى صَوَاحِبِهَا كالْبَدْرِ فى هَالَةٍ حَفَّتْ بِهِ الشُّهُبُ(٢٢)

تَهْتَزُّ مِنْ فَرْعِها الْفَيْنَانِ فى سرَقٍ كَسَمْهَرِىٍّ لَهُ مِنْ سَوْسَنٍ عَذَبُ(٢٣)

---

(١٧) معنى البيت : أنى كنت ظننت بهؤلاء الناس المبادرة إلى نصرتى وتقويتى وإعانتى ، وكان ظنى قويًّا صحيحاً ، ولكنهم توانوا فى أمرى ، ولم يهتمّوا بى ، فاعتلّ ظنى وضعف ، والظن يبعد أحياناً عن التحقق فيعتلّ ويضعف ، ويقترب أحياناً فيصحّ ويقوى .

(١٨) السراة : اسم جمع لسرىّ : وهو الشريف السخىّ ذو المروءة . والحمى: المكان أو الشىء المحظور الذى لا يقرب، ولا يجترأ عليه. وما بال : ما حال، وما شأن . ونجب : جمع نجيب : وهو الكريم الحسيب .

(١٩) خفرتم : نقضتم . والذمام : الحرمة ، والعهد : الموثق .

(٢٠) النزيل : الضيف . وانتابه : أتاه وأصابه . والعطب : الهلاك .

(٢١) الترة (بوزن العدة) : الذحل (بفتح فسكون) : وهو الثأر . ووتره (من باب وعد) : أصابه بمكروه . والخدر: الستر (بكسر فسكون)، وجارية مخدّرة : أى لزمت الخدر . والحىّ : القبيلة من العرب . والمنتسب : مصدر ميمى : بمعنى النسب والاعتزاء والقرابة ، ولها فى الحىّ منتسب : أى أصيلة فى قومها .

(٢٢) تهادى : أصله تتهادى : أى تتمايل فى مشيتها . وصواحب : جمع صاحبة. والهالة : الدارة حول القمر ، وحفّت به. أطافت به و استدارت ، وأحاطت. والشهب: الدرارىّ، وهى الكواكب المضيئة.

(٢٣) الفرع : الشعر التامّ . والفينان : الحسن الطويل . والسرق : الحرير . والسمهرىّ : الرمح المنسوب إلى سمهر (بفتح فسكون ففتح) زوج ردينة (بضم ففتح فسكون) ، وكانا مثقّفَيْن للرماح . والسوسن : نبات مشموم، عريض الورق من الرياحين. والعذب : أغصان الشجر ، الواحدة بهاء . والعذبة أيضاً : طرف كل شىء .

ومعنى البيت : أنّ هذه الفتاة تهتزّ فى شعر تامّ طويل ناعم كشقق الحرير اهتزاز رمح معتدل عقدت بنهايته عذبات من السوسن .

كَأَنَّ غُرَّتَها مِنْ تَحْتِ طُرَّتِها فَجْرٌ بِجَانِحَةِ الظَّلْمَاءِ مُنْتَقِبُ[٢٤]

كانَتْ لنا آيَةً فى الْحُسْنِ ،فاحْتَجَبَتْ عَنَّا بِلَيْلِ النَّوَى ، والْبَدْرُ يحْتَجِبُ[٢٥]

فَهَلْ إلى نَظْرَةٍ يَحْيَا بهَا رَمَقٌ ذَرِيعَةٌ تَبْتَغِيها النَّفْسُ أَو سَبَبُ؟[٢٦]

أَبِيتُ فى غُرْبَةٍ ، لا النَّفْسُ راضِيَةٌ بها ،ولَا الْمُلْتَقَى مِنْ شِيعَتِى كَثَبُ[٢٧]

فَلا رَفِيقٌ تَسُرُّ النَّفْسَ طَلْعَتُهُ ولا صَدِيقٌ يَرَى ما بى فَيَكْتَئِبُ[٢٨]

وَمِنْ عَجائِبِ مَالَاقَيْتُ مِنْ زَمَنِى أنى مُنِيتُ بِخَطْبٍ أَمْرُهُ عَجَبُ[٢٩]

لم أَقْتَرِفْ زَلَّةً تَقْضِي عَلَىَّ بما أَصْبَحْتُ فيهِ فَماذَا الْوَيْلُ والْحَرَبُ؟[٣٠]

فَهَلْ دِفاعِىَ عَنْ دِينِى وَعَنْ وَطَنِى ذَنْبٌ أُدانُ بِهِ ظُلْماً وأَغْتَرِبُ؟[٣١]

فَلَا يظُنُّ بِىَ الْحُسَّادُ مَنْدَمَةً فَإِنَّنِى صابِرٌ فِى اللهِ مُحْتَسِبُ[٣٢]

أَثْرَيْتُ مَجْدًا ،فَلَمْ أَعْبأْ بِمَا سَلَبَتْ أَيْدِى الْحَوادِثِ مِنِّى فَهْوَ مُكْتَسَبُ[٣٣]

---

(٢٤) الغرّة: بياض الجبهة. والطرّة: الشعر الموفى على الجبهة تطرّه الجارية : أى تحفه وتصفّفه. وتسوّيه .وجانحة : اسم فاعل من جنح الليل (من باب خضع ودخل) : إذا أدبر ومال للذهاب . والظلماء : ظلمة الليل . وانتقبت المرأة : غطّت وجهها بالنقاب .

(٢٥) النوى : البعد .

(٢٦) الرمق (بفتحتين) : بقيّة الروح . والذريعة : الوسيلة . وتبتغيها : تطلبها .

(٢٧) شيعة الرجل : أتباعه وأنصاره . والكثب (بفتحتين) : القرب والمعنى : أنّ اللقاء أو مكانه غير قريب .

(٢٨) يكتئب : يحزن ، ويرثى لحال .

(٢٩) منيت بالشىء : بُليت به وأصبت . والخطب : الأمر الشديد .

(٣٠) الزلّة: الخطأ. واقتراف الزلّة : مخالطتها وارتكابها. والويل: العذاب. والحرب (بفتحتين): مصدر حرب (كتعب) : أى اشتدّ غضبه .

(٣١) أُدان : أُجازى .

(٣٢) مندمة : ندماً وأسفاً . واحتسب الأجر على الله : ادّخره عنده ، لا يرجو ثواب الدنيا .

(٣٣) الثراء : كثرة المال ، وأثرى الرجل : استغنى بماله .

ومعنى البيت : أننى استغنيت بالمجد وهو العزّ والشرف ، ولهذا لم أهتمّ بما سلبتنيه الحوادث من منصب ومال ونحوهما ؛ فإن هذا شىء عارض ،يمكن استعادته واكتسابه .

لا يَخْفِضُ الْبُؤْسُ نَفْساً وَهْيَ عَالِيَةٌ وَلَا يُشِيدُ بِذِكْرِ الْخَامِلِ النَّشَبُ[٣٤]

إنِّي امْرُؤٌ لا يَرُدُّ الْخَوْفُ بادِرَتِي ولا يَحِيفُ عَلَى أَخْلَاقِيَ الْغَضَبُ[٣٥]

مَلَكْتُ حِلْمِي، فَلَمْ أَنْطِقْ بِمُنْدِيَةٍ وَصُنْتُ عِرْضِي، فَلَمْ تَعْلَقْ بِهِ الرِّيَبُ[٣٦]

وما أُبَالِي ونَفْسِي غَيْرُ خاطِئَةٍ إذا تَخَرَّصَ أَقْوامٌ وَإِنْ كَذَبُوا[٣٧]

ها، إنَّها فِرْيَةٌ، قَدْ كانَ باءَ بها فى ثَوْبِ «يُوسُفَ» مِنْ قَبْلِي دَمٌ كَذِبُ[٣٨]

فإِنْ يَكُنْ سَاءَنِي دَهْرِي، وغَادَرَنِي فى غُرْبَةٍ لَيْسَ لِي فيها أَخٌ حَدِبُ[٣٩]

فَسَوْفَ تَصْفُو اللَّيَالِي بَعْدَ كُدْرَتِها وكُلُّ دَوْرٍ إذا ما تَمَّ يَنْقَلِبُ[٤٠]

---

(٣٤) البؤس : الضر وشدّة الحاجة. ولا يشيد : لا يرفع . والخامل : الساقط الذى لانباهة له. والنشب : المال والعقار .

(٣٥) البادرة : ما يبدر من حدّة الغاضب وشدّته وبأسه، يقال: فلان مخشىّ البادرة: إذا كان شديد البأس . ويحيف (من باب باع): يجور، ويطغى .

ومعنى البيت : أنه إذا دعا إلى الغضب داع، رأيت منى بأساً وشدّة لا يردّها خوف، ولا يدفعها جبن؛ على أنّ الغضب لا يفسد كريم أخلاقى .

(٣٦) الحلم: الأناة والعقل. والمندية: المخزية؛ لأنها إذا ذكرت ندى (بفتح النون وكسر الدال) جبين صاحبها حياء . وصنت : حفظت . والعرض : النفس والحسب والشرف والدين . والريب : جمع ريبة (بكسر الراء) : وهى التهمة والشك .

(٣٧) ما أبالى : ما أهتمّ، ولا أكترث . وتخرّص القول : افتعله، وافتراه، واختلقه .

(٣٨) فرية : تهمة مصنوعة مختلقة. وباء: رجع . ويوسف الصدّيق بن يعقوب عليهما السلام، رماه إخوته فى غيابة الجبّ . «وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ . قَالُوا: يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ، وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا؛ فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ، وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ . وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ؛ قَالَ : بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا، فَصَبْرٌ جَمِيلٌ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ» الآيات ١٦ – ١٨ من سورة يوسف

(٣٩) غادرنى : تركنى . وحدب عليه (من باب طرب) وتحدّب: تعطّف . وهو حدب على أخيه أى عاطف راحم .

(٤٠) الكدرة : ضد الصفو .

ومعنى البيت: أنّ الزمان يتقلّب بالناس بين الكدر والصفاء، والشدّة والرخاء، فإذا ما تمّت فى البؤس دورته، انعكست الدورة، فعاد إلى اليسر والمسالمة .

القصيدة الثامنة

وقالَ فى الْغَزَلِ :

يَا مَنْ رَأَى الشَّادِنَ فى سِرْبِهِ ... يَتِيهُ بِالْحُسْنِ عَلَى تِرْبِهِ[1]

أَرْسَلَ فَرْعَيْهِ لِكَى يَعْبَثَا ... بِأُكْرَتَىْ نَهْدَيْهِ مِنْ عُجْبِهِ[2]

أَحْتَمِلُ الْمَكْرُوهَ مِنْ أَجْلِهِ ... وأَبْذُلُ الْمالَ عَلَى حُبِّهِ[3]

قَدْ لا مَنِى الْعَاذِلُ فيهِ ، ولَوْ ... رَأَى الْهُدَى أَقْصَرَ عَنْ عَتْبِهِ[4]

وهَلْ يُطِيقُ الْمَرْءُ سَتْرَ الْهَوَى ... مِنْ بَعْدِ ما اسْتَوْلَى عَلَى لُبِّهِ ؟[5]

تَقَلُّبُ الْعَيْنِ دَلِيلٌ عَلَى ... ما أَضْمَرَ الإِنْسانُ فى قَلْبِهِ[6]

---

(١) الشادن : الظبي إذا قوى ، واستغنى عن أمّه ، ويراد به هنا : الجارية الحسناء المترعرعة . والسرب : القطيع من الظباء. والمراد : جماعة النساء . ويتيه : يتكبّر ويعجب . والترب : اللِّدَة : وهو من ولد معك ، ومن كانت سنّه مثل سنّك. يقال : هذه ترب فلانة إذا كانت على سنّها .

(٢) الفرع : الشعر الطويل التامّ . وعبث عبثاً من (باب طرب) : لعب وعمل مالا فائدة فيه . والأكرة : لغة فى الكرة . والنهد : الثدى. والعجب (بضم فسكون) : الزهو والكبر .

والمعنى : أنها جعلت شعرها الطويل فرعين ، وأرسلت على كلّ نهد فرعاً ، معجبة بنفسها ، مزهوّة بحسنها .

(٤) العاذل : اللائم . والعتب : اللوم .

(٥) أطقت الشيء إطاقة : قدرت عليه . والهوى : الحبّ . واللبّ : العقل .

(٦) معنى البيت : أنّ ما يخفيه الإنسان فى قلبه يظهر فى حركات عينيه .

يا سامَحَ اللهُ عُيُونَ المَهَا فَهُنَّ عَوْنُ الدَّهْرِ فى حَرْبِهِ[7]
أمَا كَفَى ما جَرَّ أَحْداثُهُ ؟ حَتَّى دَعَا الْغِيدَ إلى حِزْبِهِ[8]

(٧) المها : جمع مهاة ، وهى البقرة الوحشيّة ، ويضرب بجمال عينيها المثل .
ومعنى البيت : أنّ الدهر يحارب الإنسان ، ويجلب له الهموم . والعيون النجل تصوّب للعاشقين سهام الفتنة والغرام ؛ فهنّ عونٌ للدهر فى حربه .

(٨) أحداث الدهر : نوائبه ومصائبه . والغيد : جمع غيداء ، وهى المرأة الناعمة ، المتثنّية لينا .
ومعنى البيت : أنّ الدهر لم يكتف بما جرّت على الناس نوبه وأحداثه ؛ بل دعا إلى حزبه النساء الناعمات الجميلات المتثنّيات ، يجعلهن سبب هيمان العشّاق وشقائهم .

القصيدة التاسعة

وَقَالَ فى الزُّهْدِ* ، وَهِىَ مِنْ لُزُومِ مالا يَلْزَمُ** :

إلَامَ يَهْفُو بِحِلْمِكَ الطَّرَبُ ؟ أَبَعْدَ خَمْسِينَ فى الصِّبَا أَرَبُ ؟[1]

هَيْهَاتَ ، وَلَّى الشَّبابُ ، واقْتَرَبَتْ سَاعَةُ وِرْدٍ دَنَا بِها الْقَرَبُ[2]

فَلَيْسَ دُونَ الْحِمامِ مُبْتَعَدٌ وَلَيْسَ نَحْوَ الْحَيَاةِ مُقْتَرَبُ[3]

كُلُّ امْرِئٍ سائِرٌ لِمَنْزِلَةٍ لَيْسَ لَهُ عَنْ فِنائِها هَرَبُ[4]

---

* الزهد : الإعراض عن لهو الدنيا .

** التزم الشاعر حرف الراء قبل روىّ هذه القصيدة ، وهذا التزام لا تحتمه قواعد القافية .

(١) يهفو : يستطير ويذهب . والحلم : الأناة والوقار والعقل . والطرب هنا : خفّة تصيب الإنسان لشدّة سرور . والصبا (بكسر الصاد) : الصغر ، وجهل الفتوّة . والأرب : الحاجة ، أو الكلف (بفتح الكاف واللام) : وهو حبّ الشىء ، والولوع به .

(٢) هيهات : بعد ، أى بعد ما تتمنّاه من الرجوع إلى الصبا بعد أن بلغت من العمر خمسين عاماً . وولّى: أدبر وذهب . والورد : الإشراف على الماء وغيره ، والمراد بساعة الورد : ساعة الإشراف على الموت . ودنا بها : أدناها وقرّبها . والقرب (بفتح القاف والراء) : سير الليل لورد الغد ، والمراد هنا سير الزمن، وذهاب معظم العمر .

(٣) الحمام : قضاء الموت وقدره، والمعنى : أنه قريب من الموت، بعيد من حياة الشباب، أو من فسحة الأجل .

(٤) المنزلة : المنزل، والمراد القبر ، أو الدار الآخرة . وفناء الدار (بكسر الفاء) : ما امتدّ من جوانبها ، أو هو سعة أمام البيت .

وسَاكِنٌ بَيْنَ جِيرَةٍ قُذُفٍ لا نَسَبٌ بَيْنَهُمْ ، ولا قُرَبُ(٥)
فِى قَفْرَةٍ لِلصِّلالِ مُزْدَحَفٌ فِيها ، ولِلضَّارِياتِ مُضْطَرَبُ(٦)
وَشَاهِدٌ مَوْقِفاً يُدَانُ بِهِ فَالْوَيْلُ لِلظَّالِمِينَ والْحَرَبُ(٧)
فَارْبَأْ يَفاعاً ، أَوِ اتَّخِذْ سَرَباً إِنْ كانَ يُغْنِى الْيَفَاعُ والسَّرَبُ(٨)
لا الْبَازُ يَنْجُو مِنَ الْحِمامِ ، ولَا يَخْلُصُ مِنْهُ الْحَمامُ والْخَرَبُ(٩)
مُسَلَّطٌ فِى الْوَرَى : فَلا عَجَمٌ يَبْقَى عَلَى فَتْكِهِ ، وَلاَ عَرَبُ(١٠)
فَكَمْ قُصُورٍ خَلَتْ ، وَكَمْ أُمَمٍ بَادَتْ ، فَغَصَّتْ بِجَمْعِها التُّرَبُ(١١)
فَمَنْزِلٌ عامِرٌ بِقَاطِنِــهِ وَمَنْزِلٌ بَعْدَ أَهْلِهِ خَرِبُ(١٢)

---

(٥) جيرة (بكسر الجيم) : جمع جار . وقذف (بفتح القاف والذال و بضمّهما أيضاً) : بعيدة . وجيرة قذف : أى جيران مفترقون متباعدون . والشطر الثانى تأكيدٌ لهذا المعنى . والنسب : القرابة ، أو القرابة فى الآباء خاصّة . وقرب : جمع قربة أو قربى (بضم القاف فيهما) وهى القرابة ، ويقصد بالجيرة : سكان القبور .

(٦) القفرة : الخلاء من الأرض . والصلال : جمع صِلّ (بصاد مكسورة ولام مشدّدة) : وهو الحيّة . ومزدحف : اسم مكان ، أو مصدر ميمى لازدحف : أىّ تمشّى . والضاريات : الوحوش والسباع المفترسة . ومضطرب : مصدر ميمىّ ، أو اسم مكان من اضطرب : بمعنى تحرّك وماج .

(٧) شاهد : اسم فاعل من شهده (بكسر الهاء) شهوداً : أى حضره . والمراد بالموقف : موقف الحساب يوم القيامة . ويدان : يجازى بفعله ، وعلى حسب عمله . والويل : العذاب ، أو هو واد فى جهنم لو أرسلت فيه الجبال لماعت من حرّه . والحرب : الويل والهلاك والعذاب .

(٨) اربأ : أمر من ربأ : بمعنى علا وارتفع . واليفاع : التلّ . والسرب : الحفير تحت الأرض .

(٩) الباز ، والبازى : ضرب من الصقور . والحمام (بكسر الحاء) : قضاء الموت وقدره . والخرب (بفتح الخاء والراء) : ذكر الحبارى (بضم الحاء وفتح الراء) : وهو طائر على شكل الإوزّة . ومعنى البيت أن الموت لا ينجو منه قوىّ ولا ضعيف .

(١٠) مسلّط : غالب قاهر . والورى : الخلق . والعجم (بفتحتين) : خلاف العرب . والفتك البطش ، أو القتل على غفلة .

(١١) بادت : هلكت . وغصّت : امتلأت . والترب : جمع تربة (بضم فسكون) : وهى التراب ، أو القبر .

(١٢) قطن بالمنزل أو المكان (من باب قعد) : أقام به ، وتوطّنه ؛ فهو قاطن .

يَغْـدُو الْفَتَى لاهِياً بِعِيشَتِهِ ... ولَيْسَ يَدْرِى ما الصَّابُ والضَرَبُ[١٣]

ويَقْتَنِى نَبْعَـةً يَصِيدُ بِهَا ... ونَبْعُ مَنْ حَارَبَ الرَّدَى غَرَبُ[١٤]

لا يَبْـلُغُ الرِّبْحَ أَوْ يُفارِقَهُ ... كَمَاتِحٍ خَانَ كَفَّهُ الْكَرَبُ[١٥]

يا وارِدًا لا يَمَلُّ مَـوْرِدَهُ ... حَذارِ مِنْ أَنْ يُصِيبَكَ الشَّرَبُ[١٦]

تَصْبُو إِلَى اللَّهْوِ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ ... واللَّهْوُ فِيهِ الْبَوارُ والتَّرَبُ[١٧]

وتَتْرُكُ الْبِرَّ غَـيْرَ مُحْتَسِبٍ ... أَجْرًا ، وبِالْبِرِّ تُفْتَحُ الأُرَبُ[١٨]

---

(١٣) يغدو : يذهب وينطلق . ولاهياً : لاعباً ، مولعاً ، مشغولا . والصاب : عصارة شجر مرّ . والضرب (بفتحتين) : العسل الأبيض .

والمعنى : أن الإنسان تشغله ملاهى الحياة ومشاغلها عن التفكير فى أحوالها ، والتفرقة بين ما يضرّه وما ينفعه .

(١٤) النبعة : واحدة النبع (بفتح فسكون فيهما) : وهو شجر تتّخذ منه القسىّ والسهام ، والمراد بالنبعة (هنا) : القوس نفسها : أى أداة الصيد : وهى آلة على هيئة هلال ، ترمى بها النبال والسهام . والردى : الهلاك . والغرب (بفتحتين) : شجر ضعيف لا يصلح للسهام .

ومعنى البيت : أنّ الإنسان يقتنى القسىّ ليصيد ويحارب بها ، ولكنه لا يقوى على حرب الموت ؛ لأنّ قسىّ من حارب الموت ضعيفة لا تصيد ، ولا تصيب .

(١٥) الماتح : الذى يستقى الماء بالدّلو ، اسم فاعل من متح الدلو (من باب نفع) : أى نزعها واستخرجها . وللدّلو عادة عَرْقُوَتَان : أى خشبتان تعترضان على فوهة الدلو كالصليب ، والكرب (بفتحتين) : حبل صغير يربط بالعرقوتين ، ويتّصل به الرشاء : وهو الحبل الطويل .

ومعنى البيت : أنّ الإنسان لا يكاد يبلغ غرضاً من أغراضه فى الدنيا حتّى يفارقها ، أو يفارق ذلك الغرض ، كالمستقى بالدلو الذى ضعفت قواه عن شدّها ، فسقطت قبل أن تصل إليه .

(١٦) الوارد : المشرف على الماء ، وهو اسم فاعل من ورد الإنسان وغيره الماء يرده وروداً : أى بلغه ووافاه . والمورد : موضع الورود . وحذار : احذر واحترز . والشرب : مصدر شرب (كفرح) : بمعنى عطش . والمعنى : أنّ المتغالى فى طلب الشىء قد يحرمه .

(١٧) تصبو : تميل . واللهو : اللعب . وغير مكترث : غير مبالٍ ، ولا مهتمّ . والبوار : الهلاك والكساد . والترب : مصدر ترب (من باب فرح) : أى خسر وافتقر .

(١٨) البر : الخير ، والإحسان ، والصدق ، والطاعة . ومحتسب : اسم فاعل من احتسب بكذا أجراً عند الله : أى اعتدّه ينوى به وجه الله ، ويقال أيضاً : احتسب الأجر على الله : أى ادّخره عنده ، لا يرجو ثواب الدنيا ، والأجر : الجزاء على العمل ، والذكر الحسن . والأرب (بضم أوله ، وفتح ثانيه) : جمع أربة (بضم فسكون) : وهى العقدة . ويشير بالشطر الثانى من هذا البيت إلى أثر البرّ والتقوى فى تيسير الأمور ، وحلّ المشكلات ، والتغلّب على صعوبات الحياة .

دَعِ الْحُمَيَّا ، فَلابْنِ حانَتِهَا مِنْ صَدْمَةِ الْكَأْسِ لَهْذَمٌ ذَرِبُ[19]

تَـــرَاهُ نُصْبَ الْعُيُـــونِ مُتَّكِئاً وعَقْلُهُ فى الضَّلالِ مُغْتَرِبُ[20]

فَبِئْسَتِ الْخَمْرُ مِنْ مُخادِعَةٍ لِسَلْمِها فى الْقُلُوبِ مُحْتَرَبُ[21]

إذا تَفَشَّتْ بِمُهْجَةٍ قَتَلَتْ كَما تَفَشَّى فى الْمَبْرَكِ الْجَرَبُ[22]

فَتُبْ إلى اللهِ . قَبْلَ مَنْدَمَةٍ تَكْثُرُ فيها الْهُمُومُ والْكُرَبُ[23]

واعْتَمِدْ عَلَى الْخَيْرِ ، فَالْمُوَفَّقُ مَنْ هَـــذَّبَهُ الاعْتِيَـــادُ والدَّرَبُ[24]

وَجُدْ بِمَا قَدْ حَوَتْ يَدَاكَ ؛ فَمَا يَنْفَعُ ثَمَّ اللُّجَيْنُ والْغَرَبُ[25]

---

(١٩) حميّا الكأس : سورتها وشدّتها، أو إسكارها. والمراد بالحميا: الخمر. والحانه: موضع بيع الخمر. وابن الحانة : السكّير . والمراد بصدمة الكأس: ألم الخمر ، وصداعها، وأذاها. واللّهذم. السنان القاطع. وذرب: حادّ ، : ماض. يقال: ذَرِبَ السيف ونحوه (من باب فَرِحَ): أى صار حديداً ماضياً .

(٢٠) النصب (بضم النون وسكون الصاد أو بضمهما) : كلّ ما نصب: أى رفع (بالبناء للمفعول) ، والمراد بنصب العيون: أنه شاخص للعيون . ومتّكئاً : جالساً متمكّناً .

ومعنى البيت: أنك ترى السكران جالساً شاخصاً للعيون بجسمه، أما عقله فبعيد عنه محتجب متوار فى تيه السكر وغيبوبته .

(٢١) مخادعه : اسم فاعل من خادعه: أى خاتله، وأراد به المكروه من حيث لايعلم. ومحترب: حرب : وهو مصدر ميمىّ لاحتربوا : أى تحاربوا .

ومعنى البيت: أن الخمر جديرة بالذمّ؛ لأنها تخاتل شاربها وتخادعه، وتوقعه فى المكروه، وهى تحدث فى جسمه انتعاشاً يخفى وراءه الضرر .

(٢٢) تفشّت: كثرت وانتشرت . والمهجة. النفس. وبرك البعير (من باب دخل): أى استناخ ، ووقع على بركه.(بفتح فسكون) : وهو صدره ، والمبرك : موضع البروك .

(٢٣) المندمة : الندم: وهو الأسف والحزن . والهموم : جمع همّ: وهو الحزن . والكرب : جمع كرْبة (بضم فسكون) : وهى الحزن يأخذ بالنفس .

(٢٤) هذّبه: نقّاه، وأخلصه ، وأصلحه. والدرب: الاعتياد. مصدر درب بالشىء (من باب فرح).

(٢٥) ثمّ : أى فى الدار الآخرة . واللجين : الفضّة والغرب (بفتحتين) : الذهب .

فَإِنَّ لِلدَّهْرِ لَوْ فَطَنْتَ لَهُ   قَوْساً مِنَ الْمَوْتِ سَهْمُهَا غَرَبُ[26] *

(٢٦) الفطنة: الفهم والحذق، وفَطِنَ له (كفَرِحَ ونَصَرَ وكَرُمَ). وغرب (بفتحتين): من قولهم: أصابه سهم غرب: أى لا يعرف من رماه.

والمعنى أنّ من فطن لأحوال الدهر وطبائع الزمان، عرف أنه يغتال الأحياء، ويفتك بالناس، وينالهم بأسباب لا يعرفونها.

* والشطر الثانى من البيت الأول يدلّ على أن هذه البائيّة الزهديّة من قصائده السرنديبية؛ فقد نُفى من مصر إلى سرنديب فى ديسمبر سنة ١٨٨٢ وعمره يومئذ ثلاثة وأربعون عاماً. وفى منفاه بلغ الستين. وفى نحو الخمسين، أى فى نحو سنة ١٨٩٠ نظم هذه القصيدة. وسرنديبيّات البارودى كلّها غاية فى رهافة الشعور، ورقّة العاطفة، وجودة السبك، وجمال الرنين والوقع، وقوّة التأثّر والتأثير. وزهديّاته فى منفاه كثيرة، تقوم على الصدق، والإعراض عن الدنيا، وارتقاب الموت، والتفكير فى الآخرة، والعمل لها. وفى جوّها النفسىّ كآبة وابتئاس، ومندمة ويأس من عدالة الناس، وتعلّق بالله، وطمع فى رحمته ورضاه.

القصيدة العاشرة

قال :

أَدِرِ الْكَأْسَ يا نَدِيمُ ، وهاتِ واسْقِنِيها عَلَى جَبِينِ الْغَدَاةِ[1]

شَاقَ سَمْعِي الْغِناءُ فِي رَوْنَقِ الْفَجْـ ـرِ ، وسَجْعُ الطُّيُورِ فى الْعَذَباتِ[2]

أَىُّ شَىْءٍ أَشْهَى إِلَى النَّفْسِ مِنْ كَأْ سٍ مُدارٍ عَلَى بِساطِ نَباتِ[3] ؟

هُوَ يَوْمٌ تَعَطَّرَتْ طَرَفاهُ بِشَمالٍ مِسْكِيَّـةِ النَّفَحاتِ[4]

باسِمُ الزَّهْرِ ، عاطِرُ النَّشْرِ ، هَامِي الْـ ـقَطْرِ ، وَانِى الصَّبَا ، عَلِيلُ الْمَهَاةِ[5]

---

(١) النديم : من ينادمك : أى يجالسك على الشراب . والجبين : جانب الجبهة فوق الحاجب مصعداً إلى قصاص الشعر . وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها ، فتكون الجبهة بين جبينين . والغداة : البكرة (بضم فسكون) ، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس ، ومعنى على جبين الغداة : فى أولها .

(٢) رونق الفجر : حسنه وبهاؤه . وسجع الطيور : هديرها وتغريدها . والعذبات : الأغصان .

(٣) المعروف أن الكأس مؤنثة . وهى القدح : أى الإناء يشرب به الماء وغيره ، قيل : ولا تسمى الكأس كأساً إلا وفيها الشراب . ومن شواهد تأنيث الكأس قول الله تبارك وتعالى : (يُطافُ عليهِم بكأسٍ من معين بيضاء لذة للشاربين) . الآية ٤٥ والآية ٤٦ من سورة الصافات .

(٤) الشمال (بفتح الشين) : الريح التى تهب من الجهة التى على يسارك وأنت متجه إلى الشرق ، وتقابلها الجنوب . ومسكية . منسوبة إلى المسك (بكسر فسكون) : وهو ضرب من الطيب يتخذ من ضرب من الغزلان (معرب) وتسميه العرب المشموم ، وهو أفضل أنواع الطيب عندهم . والنفحات : جمع نفحة (بفتح فسكون) اسم مرة من نفحت الريح من باب نفع أى هبت . وتأنيث الفعل (تعطر) هنا غير سائغ .

(٥) النشر : الريح الطيبة . وهامى القطر : كثير المطر . : اسم فاعل من همى الماء : أى سال . وان : ضعيف عليل فاتر . والصبا (بفتح الصاد) : ريح تهب من مطلع الشمس ، ومعنى وانى الصبا : أن هواءه عليل معتدل لطيف . والمهاة : الشمس . ويوم عليل المهاة : أى شمسه ضعيفة كأيام الشتاء .

مَسْرَحٌ لِلْعُيُونِ يَمْتَدُّ فِيهِ نَفَسُ الرِّيحِ بَيْنَ ماضٍ وآتِ[٦]
فامْتَثِلْ دَعْوَةَ الصَّبُوحِ ، وبادِرْ فُرْصَةَ الدَّهْرِ قَبْلَ وَشْكِ الْفَوَاتِ[٧]
وتَدَرَّجْ مَعِى إلَى رَوْضَةِ الْمَنْ يَلِ ذاتِ النَّخِيلِ والثَّمَرَاتِ[٨]
فَهْىَ مَرْعَى الْهَوَى ، ومَغْنَى التَّصَابِى ومَرَاحُ الْمُنَى ، ومَسْرَى الْحَيَاةِ[٩]
أَلِفَتْهَا النُّفُوسُ ، فَهْىَ إلَيْهَا مِنْ أَلِيمِ الأَشْوَاقِ فِى حَسَرَاتِ[١٠]
تَبْعَثُ اللَّهْوَ والسُّرُورَ ، وتَمْحُو مِنْ فُؤَادِ الْحَزِينِ كُلَّ شَكَاةِ[١١]
بَيْنَ نَدْمانَ كَالْكَوَاكِبِ حُسْناً ورَعَابِيبَ كَالدُّمَى خَفِرَاتِ[١٢]

---

(٦) المسرح : المرعى ، وسمى مسرح للعيون : أن العيون تجدفيه متعتها وما يقرها . ونفس الريح (بفتحتين) : نسيمها .

والمعنى أنه مكان ممتع بهيج ، فسيح لا يعوق مرور الريح فيه عائق .

(٧) امتثل الأمر : أطاعه ، وامتثل الدعوة : أجابها . والصبوح (بفتح الصاد) : شرب الغداة بين الفجر وطلوع الشمس ، والمراد الخمر تشرب فى أول النهار . ووشك : سرعة .

(٨) تدرّج : أمر من التدرج وهو المشى فى مهلة ورفق . والروضة : الموضع المعجب، يكون فيه العشب والشجر والزهر والماء ، وروض المنيل : جزيرة فى النيل شرق الجيزة .

(٩) المرعى (فى الأصل) : موضع الكلأ ، أو الكلأ نفسه . والهوى : الحب ، أو ميل النفس وانحرافها نحو شهواتها ، والمراد أن عواطف الحب قد وجدت فى هذه الجزيرة المرعىقما يغذيها وينميها . والمغنى : مكان الإقامة ، والموضع العامر بأهله . وتصابى المرأة : خدعها وفتنها ، والمراد بالتصابى الغرام ودواعيه . والمراح (بفتح الميم) : الموضع الذى يروح القوم منه أو يرجعون إليه . والمنى : جمع منية (بضم فسكون) : وهى الأمنيّة ، أى الشىء الذى يتمناه الإنسان ، ويقدّر حصوله ، والمراد أنها المكان الذى وجدنا فيه ما تمنينا . والمسرى (بوزن الملهى) اسم مكان من السرى (بضم ففتح) وهو سير الليل .

والمعنى أن هذا المكان كان مجالا لحياة السرور والمرح .

(١٠) ألفتها : أنست بها وأحبتها . والحسرات : جمع حسرة : وهى أشد التلهف والتأسف على الشىء الفائت .

(١١) الشكاة (بفتح الشين) : الشكوى ، ومثلها الشكاية (بكسر الشين) مصدر شكوته (من باب عدا) : أى أخبرت عنه بسوء فعله .

(١٢) الندمان (بوزن السكران) : النديم ، وهو من ينادمك اى يجالسك على الشراب ، وقد يكون الندمان جمعاً ، وهو هنا بمعنى الجمع . ورعابيب : فتيات بيض حسان ناعمات ، الواحدة رعبوبة أو رعبوب (بضم فسكون فيهما) أو رعبيب (بكسر فسكون) . والدمى : جمع دمية (بضم فسكون) : وهى الصورة المنقّشة المزيّنة من العاج ونحوه . وخفرات : جمع خفرة (بفتح فكسر) : وهى الجارية الشديدة الحياء .

يَتَســاقَوْنَ بِالْكُئُوسِ مُداماً هِيَ كالشَّمْسِ فى قَمِيصِ إِيَاةِ[١٣]
فى أَبارِيقَ كَالطُّيُورِ اشْرَأَبَّتْ حَذَرَ الْفَتْكِ مِنْ صِيَاحِ الْبُزَاةِ[١٤]
حانِيَاتٍ عَلَى الْكُئُوسِ مِنَ الرَّأْ فَةِ ، يُرْضِعْنَهُنَّ كَالْأُمَّهاتِ[١٥]
لا تَرَى الْعَيْنُ بَيْنَهُمْ غَيْرَ صَبٍّ بِسَماعٍ ، أَوْ هائِمٍ بِفَتَاةِ[١٦]
ومُغَنٍّ إِذا شَدَا خِلْتَ أَنَّ الْأَ رْضَ ظَلَّتْ تَدُورُ بِالْفَلَوَاتِ[١٧]
مَلَكَ السَّمْعَ والْفُؤَادَ بِلَحْنٍ يَفْتِنُ الْغِيدَ داخِلَ الْحُجُرَاتِ[١٨]
يَبْعَثُ الصَّوْتَ مُرْسَلًا ، فإذا مَا غَضَّ مِنْهُ اسْتَدَارَ بَيْنَ اللَّهَاةِ[١٩]
غَرِدٍ يُبْطِلُ الْحَدِيثَ ، ويُنْسِي رَبَّةَ الْحُزْنِ لَوْعَةَ الذُّكُرَاتِ[٢٠]

---

(١٣) يتساقون : يسقى كل واحد منهم صاحبه . والمدام (بضم الميم) : الخمر . والإياة (بكسر الهمزة) : نور الشمس وحسنها .

(١٤) اشرأبّ : رفع رأسه . والفتك : القتل على غرة (بكسر الغين وتشديد الراء). والبزاة : جمع البازى : وهو نوع من الصقور . ومن صياح البزاة متعلق باشرأبّت .

والمعنى أنها رفعت رءوسها بسبب صياح البزاة خوفاً من فتكها .

(١٥) حنت الأم على أولادها (من باب سما) : عطفت . وحانيات : جمع حانية اسم فاعل من الحنوّ .

(١٦) صبّ : كلف (بفتح فكسر) مولع محبّ ، صفة من الصبابة وهى رقّة الشوق ، أو رقّة الهوى ، والمراد بالسماع : سماع الغناء . والهائم : المحبّ العاشق .

(١٧) شدا : غنّى وترنّم . وخلت : ظننت . والفلوات : جمع فلاة : وهى المفازة ، والأرض لا ماء فيها . ومعنى البيت أن غناء هذا المغنى مطرب مسكر ؛ يظن من سمعه أن الأرض تدور بفلواتها .

(١٨) اللحن : ما اختاره المغنى ، ومال إليه من الأغانى ، واللحن أيضاً : التفريد والتطريب ، وهو مدّ الصوت وترجيعه وتحسينه . ويفتن (من بابى ضرب وجلس) : يعجب ويستميل . والغيد : جمع غيداء ، وهى المرأة الناعمة المتثنية ليناً .

(١٩) غضّ من صوته : خفضه . واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم .

(٢٠) غرد (بفتح فكسر) نعت لمغن فى أول البيت : « ومغنّ إذا شدا . . . » . أو هى غرد (بفتح الغين والراء) مصدر غرد (من باب فرح) أى طرّب فى صوته وغنائه كالطائر ، وفى هذه الحال تكون مرفوعة . واللوعة : حرقة فى القلب وألم من همّ ونحوه . والذكرات : جمع ذكرة (بضم فسكون) وهى الشىء يجرى على اللسان ، أو يخطر بالقلب .

تِلْكَ واللهِ لَذَّةُ الْعَيْشِ ، لا سَوْ مُ الْأَمانِى فى عالَمِ الْخَطَراتِ(٢١)

= ومعنى البيت أنّ هذا المغنى لشدّة تأثيره يصرف الناس عن شهىّ الحديث ، وينسى الحزينة حرقة الحزن ، وألم الذكريات .

(٢١) العيش : الحياة . وسامت الماشية سوماً : أى رعت (وبابه قال) . والأمانىّ : جمع أمنية : وهى ما يتمناه الإنسان ويقدّر حصوله . والخطرات : ما يتحرك فى القلب من رأى أو معنى .

ومعنى البيت : أنّ لذة الحياة فى زعم الشاعر إنما تكون فيما ذكره من شرب الخمر ، وسماع الغناء ، والهيام بالنساء ، وليست اللذة فى الأمانىّ المجرّدة ، يرسلها صاحبها تسرح فى عالم الخواطر

القصيدة الحادية عشرة

وقال – وَهِيَ مِنْ لُزُومِ ما لا يَلْزَمُ* :

زَمْزِمِي الْكَأْسَ وَهَاتِي واسْـقِنِيهَا يا مَهَاتِي[1]

وامْزُجِيهَـا بِرُضابٍ مِنْكِ مَعْسُولِ اللَّهاةِ[2]

إنَّمَـا الرَّاحُ مَدارُ الْـ ـأُنْسِ فِي كُلِّ الجهاتِ[3]

طالَما عَاصَيْتُ فيهَا أهْـلَ وُدِّي وَنُهَاتِي[4]

---

* روى هذه القصيدة « التاء » ، وهو حرف بُنيت عليه القصيدة ، ونسبت إليه ، وردفها (بكسر فسكون) «الألف» ، وهو حرف مد قبل الروى ، وقد التزم الشاعر قبل الردف «هاء» ، وهذا التزام لاتحتمه قواعد القافية .

(١) معانى الفعل « زمزم » فى اللغة لا تلائم ما يقصده الشاعر ، ولعله اشتق من زمزم (وهى العين التى بمكة) ، فعلا. ويقصد بقوله : « زمزمى الكأس» طهّريها ونقّيها. والمهاة : الشمس. والبلّورة. والبقرة الوحشية ، والمراد بالمهاة : المرأة الحسناء يشبهونها بالشمس فى الحسن ، وبالبلّورة فى الصفاء والتألق ، وبالبقرة الوحشية فى اتساع العيون وجمالها .

(٢) مزج الشراب : خلطه (وبابه نصر) . والرضاب (بالضم) : الريق . وعسل الطعام والشراب : أى عمله بالعسل ؛ فهو معسول . واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى الفم .

والمعنى : امزجى الخمر بريق منك حلو يجرى من لهاة معسولة .

(٣) الراح : الخمر . والأنس : ضد الوحشة .

(٤) الود : الحب . والنهاة : الذين كانوا ينهونه عن شرب الخمر ، جمع ناه .

لا أبالِي في هَواهَا بِسَمَاعِ التُّرَّهَاتِ[٥]

كيف أخْشَى قَوْلَ دَاهٍ؟ أنا مِنْ قَوْمٍ دُهاةِ[٦]

---

(٥) لا أبالى : لا أكترث ، ولا أهتم . وهواها : حبها . والتُّرَّهات : جمع ترهة (بتاء مضمومة وراء مشددة مفتوحة) : وهى الباطل .

(٦) داه : اسم فاعل من الدهاء : وهو النكر (بضم فسكون) وجودة الرأى . ورجل داه من قوم دهاة . يقول : إنه لا يخشى قول رجل داهية يلومه فى الخمر ، لأنه من قوم دهاة ، فلا يخدع .

القصيدة الثانية عشرة

وقال فى الزهد :

كُلُّ حَىٍّ سَيَمُوتُ ... لَيْسَ فى الدُّنيا ثُبُوتُ[1]

حَرَكَاتٌ سَوْفَ تَفْنَى ... ثُمَّ يَتْـلُوها خُفُوتُ[2]

وَكلامٌ لَيْسَ يَحْلُو ... بَعْـدَهُ إلَّا السُّكُوتُ[3]

أيُّها السَّادِرُ قُلْ لى ... أيْنَ ذاكَ الْجَبَرُوتُ ؟[4]

كُنْتَ مَطْبُوعاً عَلَى النُّطْـ ... ـقِ ، فَمَا هَذَا الصُّمُوتُ ؟[5]

لَيْتَ شِعْرِى ، أهُمُودٌ ... مَا أرَاهُ ، أمْ قُنُوتُ ؟[6]

أيْنَ أمْلاكٌ لَهُمْ فى ... كُلِّ أُفْقٍ مَلَكُوتُ[7]

---

(١) الثبوت : الدوام والاستقرار .

(٢) الخفوت : السكون والسكوت .

(٣) يريد بالسكوت هنا : سكوت الموت .

(٤) السادر : التائه فى الغىّ ، الذى لا يهتم ، ولا يبالى ما صنع . والجبروت : الكبر .

(٥) طبع على الشىء : جبل وخلق عليه (بالبناء للمفعول) . والصموت : السكوت .

(٦) شعر به (من باب قعد) : علم به ، وفطن له ، وعقله ، وأحسّ به . ومنه : ليت شعرى : أى ليتنى أدرى . والهمود : الموت . والقنوت : السكوت والخشوع .

(٧) أملاك : جمع ملك (بفتح فكسر) . والأفق : الناحية . والملكوت : الملك (بضم فسكون) والعز ، والسلطان .

زَالَتِ التِّيجَانُ عَنْهُمْ وخَلَتْ تِلْكَ التَّخُوتُ[٨]

أَصْبَحَتْ أَوْطَانُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهْيَ خُبُوتُ[٩]

لا سَمِيعٌ يَفْقَهُ الْقَوْ لَ ، ولا حَيّ يَصُوتُ[١٠]

عَمَرَتْ مِنْهُمْ قُبورٌ وَخَلَتْ مِنْهُمْ بُيُوتُ.

لم تَذُدْ عَنْهُمْ نُحُوسَ الدَّ هْرِ إِذْ حانَتْ بُخُوتُ[١٢]

خَمَدَتْ تِلْكَ الْمَساعِى وانْقَضَتْ تلكَ النُّعُوتُ[١٣]

إِنَّما الدُّنْيــا خَيَالٌ باطِلٌ سَوْفَ يَفُوتُ

لَيْسَ لِلإِنْسانِ فيهَا غَيْرَ تَقْوَى اللهِ قُوتُ[١٥]

---

(٨) خلا المكان (من باب سما) خلواً وخلاء: فرغ . والتخوت : جمع تخت(بفتح فسكون) : وهو وعاء تصان فيه الثياب . وقد استعمله المولدون فيما يجلس عليه ، وبخاصة فيما يجلس عليه الملك ، وهو المراد هنا .

يقول : إن تيجان هؤلاء الملوك زالت عنهم ، وعروشهم كذلك .

(٩) الخبوت : جمع خبت (بفتح الخاء وسكون الباء) وهو المتسع من بطون الأرض ، أو هو ما اطمأن من الأرض واتسع ، أو هو الخفيّ المطمئن من الأرض فيه رمل .

والمعنى : أنّ هؤلاء الملوك بعد وفاتهم أصبحت الأوطان التي يقيمون بها وهي قبور فى فلوات .

أو المعنى : أنّ ديارهم وأوطانهم وقصورهم أصابها بعد موتهم البلى والخراب ، فصارت بلاقع وفلوات

(١٠) يفقه : يفهم . ويصوت : يصوت ويصيح .

(١٢) لم تذد : لم تدفع ، ولم تمنع. والنحوس : جمع نحس(بفتح فسكون) : وهو ضدّ السعد ، وحانت : أتى حينها : أى وقتها وفاعله ضمير «نحوس» . والبخوت : جمع بخت ، وهو الجدّ : أى الحظ الحظوة والرزق والعظمة و «بخوت» فاعل «تذود» : أى لم تذد عنهم بخوتهم نحوس الدهر .

والمعنى : أنّ ما كان يتمتع به هؤلاء الملوك من سعد وحسن حظ لم يدفع عنهم نوائب الزمان حين جاءتهم .

(١٣) خمدت : سكنت . ويريد بالنعوت : ألقاب التعظيم والتبجيل .

(١٥) المعنى : لا ينبغى أن يتزوّد الإنسان من دنياه غير تقوى الله تبارك وتعالى ، فإنه لا ينفعه إلا العمل المنبعث عن التقوى والطاعة .

القصيدة الثالثة عشرة

قال :

إلى اللهِ أشكو أنَّنى بَيْنَ مَعْشَرٍ ... سَواءٌ لَدَيْهِمْ طَيِّبٌ وخَبيثُ[1]

لَهُمْ ألسُنٌ إنْ رُمْنَ أمْرًا بَلَغْنَهُ ... مِنَ النَّفْسِ ، مَصْنوعٌ لَهُنَّ حَديثُ[2]

تَرِثُّ عَلى قُرْبِ الوِدادِ عُهُودُهُمْ ... وكَيْفَ يَدُومُ الشَّىْءُ وهْوَ رَثِيثُ؟[3]

فَلَيْسَ لَهُمْ فى سالِفِ الدَّهْرِ مَحْتِدٌ ... قَديمٌ ، وَلا فى الْمَكْرُماتِ حَديثُ[4]

بَرِمْتُ بِهِمْ حَتَّى سَئِمْتُ مَكانَتِى ... وَأَنْكَرْتُ طِيبَ الْعَيْشِ وَهْوَ دَمِيثُ[5]

إذا لم يُغِثْنِى اللهُ مِنْهُمْ بِفَضْلِهِ ... فَمَا لِىَ بَيْنَ الْعالَمِينَ مُغِيثُ

---

(۱) المعشر : جماعة الناس . ويشير بالشطر الثانى إلى سوء تقديرهم ، وفساد أخلاقهم ، وعدم تفرقتهم بين الطيّب والخبيث من القول والعمل .

(۲) رام الشيء : طلبه ، (وبابه قال) .

ومعنى هذا البيت : أنّ لهؤلاء الناس براعة فى الحديث ، ينالون بها كلّ ما يطلبون ، وأن حديثهم منمّق مزوّق .

(۳) ترثّ : تبلى وتخلق : ماضى رثّ ، ومثله أرثّ . والوداد : الحب . وعهود : جمع عهد ، وهو الموثق والحفاظ ورعاية الحرمة والأمان والذمة والوفاء والمودة . ورثيث : خلق (بفتحتين) بال قد ذهبت جدّته .

والمعنى : أنّ مودّاتهم لا تلبث أن ترثّ وتزول ؛ فهم لا يحفظون الودّ ، ولا يوفون بالعهد .

(٤) سالف الدهر : ماضى الزمان . والمحتد (بوزن المجلس) : الأصل . والمكرمات : جمع مكرمة (بضم الراء) ، وهى فعل الكرم .

(٥) برمت بالشيء : سئمت منه وضجرت (وباب الثلاثة تعب) . وطيب العيش : لذة الحياة . ودميث : سهل لين . والمعنى : أنهم عكّروا حياته الصافية وزهّدوه فى عيشه .

القصيدة الرابعة عشرة

وقال :

أَبَعْدَ سِتِّينَ لِى حَاجٌ فَأَطْلُبُها ؟ ... هَيْهاتَ ، ما لامْرِئٍ بَعْدَ الصِّبَاحاجُ[1]

إنَّ ابْنَ آدَمَ فى الدُّنْيَا عَلَى خَطَرٍ ... لا يَسْتَقِيمُ لَهُ قَصْدٌ ومِنْهاجُ[2]

كَأَنَّمَا هُوَ فى فُلْكٍ تُحِيطُ بِهِ ... مِنْ جانِبَيْهِ أَعاصِيرٌ وأَمْوَاجُ[3]

يَهْوَى الْبَقاءَ ، ومَكْرُوهُ الْفَنَاءِ بِهِ ... ويَسْتَعِزُّ بِأَمْنٍ فِيهِ إزْعاجُ[4]

لاأَحْفِلُ الطَّيْرَ إنْ غَنَّتْ ،وإنْ نَعَبَتْ ... سِيَّانِ عِنْدِىَ صَفَّارٌ وشَحَّاجُ[5]

---

(١) الحاج : جمع حاجة . والمراد حاجات الشباب ، ودواعى الصبا .

(٢) الخطر : الإشراف على الهلاك . والقصد (هنا) : المقصد . والمنهاج : الطريق .

(٣) الفلك (بضم فسكون) : السفينة . والإعصار . الريح الحارة الشديدة ، أو التى تهب من الأرض كالعمود نحو السماء ، والجمع أعاصير .

(٤) استعز به : عد نفسه عزيزاً به ، أى قوياً غالباً . وأزعجه : أقلقه وقلعه من مكانه .

والمعنى : أنّ الإنسان يحبّ البقاءوهو يحمل فى نفسه أسباب ما يكرهه من الفناء، ويأتيه الانزعاج والقلق من حيث يحسب نفسه فى أمن وعزّ ومنعة .

(٥) لا أحفل : لا أبالى ، يقال ما حفل فلان الشىء ، وما حفل به : أى ما بالى به ، وما اهتمّ ، وما اكترث له . ونعب الغراب : صاح (وبابه قطع وضرب) . وصفر يصفر (بالكسر) صفيراً وصفّر تصفيراً : صوّت ، وهو صفار : أى كثير الصفير . وغراب شحاج : كثير الشحيج أو الشحاج (بضم الشين فى الثانى) (كالنعيب والنعاب) ، وهو صوت الغراب ، أو صوت غليظ له إذا أسنّ .

يقول : إننى لا أكترث لغناء الطير ونعيبها ، وسيّان عندىما حسن وما قبح من أصواتها ، لأنى أصبحت فى حال من الكبر لا تأبه للتفاؤل ولا للتشاؤم .

يَسْتَعْظِمُونَ مِنَ الْحَجَّاجِ صَوْلَتَهُ وكُلُّ قَوْمٍ بِهِمْ لِلظُّلْمِ حَجَّاجُ(٦)*

(٦) الحجاج : هو أبو محمد بن يوسف الثقفى، أحد جبابرة العرب وحكامها ، وموطد ملك بنى أمية فى عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد ، وقد اشتهر الحجاج بالشدة والقسوة وسفك الدماء ، ولد سنة ٤١ هـ ومات سنة ٩٥ . والصولة : السطوة والقهر والبطش .

والمعنى : أنّ الناس يستعظمون قسوة الحجاج وبطشه ؛ وفى كل قوم مثله فى ظلمه وسطوته .

* هذه الأبيات من شعره فى سرنديب وهو فى الستين من عمره ، أى فى أوائل سنة ١٨٩٩ قبل أن يفرج عنه ببضعة أشهر . وفى الأبيات ما ينم على ظلمة اليأس ، وانقطاع الرجاء . وفيها الحكمة البالغة ، والمثل السائر . وفيها الروح المكتئب الحزين . وفيها تفظيع لظلم من ظلموه ، وظلموا أمثاله بهذا النفى السحيق الأبدى ، وعموا وصموا عن أنات الاستعطاف والاسترحام .

القصيدة الخامسة عشرة

وقالَ عَلَى وَزْنٍ مُخْتَرَعٍ * :

امْلَأْ الْقَـــدَحْ   واعْصِ مَنْ نَصَحْ (١)

وَارْوِ غُلَّـــتِي   بِابْنَـــةِ الْفَرَحْ (٢)

فَالْفَـتَى مَـتَى   ذاقَـــها انْشَرَحْ (٣)

وَهْيَ إنْ سَـرَتْ   فِى الْعَلِيلِ صَـحْ (٤)

أَوْ صَـبَا بِهَا   باخِلٌ سَـمَحْ (٥)

فاهْجُـرِ الْكَرَى   وَاغْـدُ نَصْطَبِحْ (٦)

---

* هذه القصيدة من مجزوء المتدارك ، وأجزاؤه فاعلن ثمانى مرات ، لم يبق منها فى كلّ شطر هنا غير التفعيلة الأولى ، والوتد المجموع من التفعيلة الثانية « علن » . ولا انتظم العرب على هذا الوزن فيما نعلم . وقد حاكى فيه « شوقى » البارودى فى قصيدته التى مطلعها :

مال واحتجب وادّعى الغضب

(١) القدح : إناء يشرب فيه ، ويريد هنا إناء الخمر . واعص : أمر من العصيان .

(٢) روى من الماء يروى (كرضى يرضى) ريا (براء مفتوحة أو مكسورة وياء مشددة) ويعدّى بالهمزة والتضعيف ؛ فيقال : أرويته إرواءً ، ورويّته تروية ، ومن ذلك يرى أن الشاعر استعمل روى هنا متعدياً ، ولو أردنا تصحيحه لحذفنا الواو هكذا « أرو غلّتى » ، وقد جاء فى لسان العرب : « رويت القوم أرويهم » : إذا استقيت لهم الماء ; ومعناه جلبته لهم . والغلّة (بضم الغين) : حرارة العطش . وكنى بابنة الفرح عن الخمر .

(٣) انشرح : انكشف همه ، وانبسطت نفسه وفرح .

(٤) سرت : سارت وتمشّت فى عروقه . والعليل : المريض . وصحّ : ذهبت علّته .

(٥) صبا بها : مال إليها . وباخل : بخيل . وسمح : جاد وبذل .

(٦) الكرى : النعاس (وفعله من باب صدى) . واغد : أمر من الغدوّ ، وهو (هنا) التبكير فى أول النهار . ونصطبح : نشرب صبوحاً ، والصبوح (بفتح الصاد) : الشرب بالغداة ، وهو ضد الغبوق (بفتح الغين) ، يقال : اصطبح إذا شرب أول النهار ، واغتبق إذا شرب آخره .

فالدُّجَى مَضَى والسَّنَا لَمَحْ[7]
والحَمَامُ فى أَيْكِهِ صَدَحْ[8]
فَاتْبَعِ الهَوَى حَيْثُمَا سَرَحْ[9]
واصْطَحِبْ بِمَنْ يَبْعَثُ المَرَحْ[10]
فِيهِ لِلْمُنَى كُلُّ مُقْتَرَحْ[11]
واحْذَرِ الَّذِى إِنْ وَعَى سَبَحْ[12]
كُلَّمَا رَأَى فُرْصَةً قَدَحْ[13]
لَيْسَ مَنْ أَسَا مِثْلَ مَنْ جَرَحْ[14]
أَيْنَ مَنْ رَأَى فاسِدًا صَلَحْ؟[15]
كُلُّ مَنْ وَشَى سَوْفَ يَفْتَضِحْ[16]
فَاتْرُكِ الأَذَى فَالأَذَى تَرَحْ[17]

---

(٧) الدجى : جمع دجية ، وهى الظلمة (بضمّ فسكون فيهما) . والسنا : الضوء . ولمح : لمع واتّضح .

(٨) الأيك : الشجر الكثير الملتفّ ، الواحدة أيكة . وصدح : صاح ، ورفع صوته فأطرب .

(٩) الهوى : الحبّ وميل النفس وانحرافها نحو الشىء . وسرح : سار ، يقال : سرح السّيل ، وسيل سارح ، أى يجرى جريا سهلا .

(١٠) اصطحب : صاحب ، والذى نعرفه أنه يتعدّى بنفسه لا بالباء ، ولعله ضمن اصطحب معنى اختلط ؛ فعداه بالباء . والمرح : شدة الفرح والنشاط والاختيال .

(١١) المنى : جمع منية (بضم فسكون) وهى ما يريده الإنسان ، ويتمنّاه ، ويقدّر حصوله . واقترح الأمر : ابتدعه واخترعه . واقترح الشىء : اختاره .

يقول : إنّ فى هذا الصاحب من الصفات كلّ ما تتطلبه الأمانىّ من أسباب السرور والابتهاج .

(١٢) المعنى : واحذر الشخص الذى إن حفظ شيئاً من أمورك ، واطّلع على أحوالك ، سبح فى عرضك بالغيبة والوشاية . ومن معانى السبح : الإكثار من الكلام .

(١٣) قدح فيه (كمنع) : طعن .

(١٤) أسا الجرح يأسوه (من باب عدا) : داواه .

(١٥) يقول : إن هذا الشخص أفسدت الفطرة ذاته وأخلاقه ، ومثله لا يرجى له صلاح .

(١٦) وشى : كذب وسعى بين الناس بالفساد . وفضحه فافتضح : أى كشف مساويه .

(١٧) الترح : ضد الفرح .

وَاسْعَ لِلْعُلَا مَنْ سَعَى نَجَحْ[18]
وَارْعَ ما حَوَتْ هذهِ المُلَحْ[19]

---

(١٨) العلا : الرفعة والشرف ، ومفردها عليا .

(١٩) ارع : أمر من رعى أمره. أي احفظه. والملح : جمع ملحة (بضم فسكون) : وهي الحديث المستحسن الممتع .

القصيدة السادسة عشرة

وقالَ فى صباه :

هُوَ مَا قُلْتُ فاحْذَرَنْهَا صَبَاحَا   غارَةً تَمْلأُ الْفَضَاءَ رِمَاحَا[1]

تَتْرُكُ الْمَاءَ لَا يَسُوغُ لِظَامٍ   وَتَرُدُّ الدَّمَ الْحَرَامَ مُباحَا[2]

لا تَرَى بَيْنَهَا سِوَى عَبْقَرِيٍّ   يَأْلَفُ الطَّعْنَ نَجْدَةً وَارْتِيَاحَا[3]

لَهِجٌ بِالْحُرُوبِ ، لايَأْلَفُ الْخَفْـ   ـضَ ، ولا يَصْحَبُ الْفَتَاةَ الرَّدَاحَا[4]

مِسْعَرٌ لِلْوَغَى ، أَخُو غَدَوَاتٍ   تَجْعَلُ الْأَرْضَ مَأْتَماً وصِيَاحَا[5]

---

(١) الغارة : اسم من الإغارة على العدوّ : وهى الهجوم عليه والإيقاع به ، وقد تطلق الغارة على الخيل المغيرة . والرماح : جمع رمح : وهو قناة فى رأسها سنان من الحديد الصلب يطعن به .

(٢) لا يسوغ : لا يسهل شربه ، مضارع ساغ الشراب : إذا سهل مدخله فى الحلق . وظام : أصلها ظامئ ، صفة من الظمأ : وهو العطش ، أو أشدّه .

(٣) بينها : بين رجال الغارة . والعبقرىّ : السيد ، والشديد القوىّ ، والذى ليس فوقه شىء ، نسبة إلى عبقر (كجعفر) ، وعبقر (فى الأصل) : موضع تزعم العرب أنه من أرض الجنّ ، ثم نسبوا إليه كل شىء تعجبّوا من حذقه ، أو جودة صنعته وقوّته . ويألف : مضارع ألف الشىء (من باب علم) إذا أنس به ، وأحبه ، واعتاده . والطعن : مصدر طعنه بالرمح ونحوه (من بابى قتل وقطع) . والنجدة : الشجاعة والبأس والشدّة . والارتياح : النشاط والإسراع .

(٤) لهج : مولع مغرم ، صفة من اللهج بالشىء : وهو الولوع والتعلق به ، وقد لهج به (من باب طرب) : إذا أغرى به فثابر عليه . والخفض : الدعة والراحة . والرداح : المملوءة الجسم ، التامّة الخلق .

(٥) المسعر (بكسر فسكون ففتح) : موقد نار الحرب ، وقد تكون (بضم الميم وكسر العين) ، اسم فاعل من أسعر النار والحرب : أى أوقدها ، كسعرها (من باب منع) وسعّرها تسعيراً . والوغى : الأصوات والجلبة ، ويطلق على الحرب لما بها من جلبة وأصوات مختلطة . وغدوات (بفتحتين) : جمع غداة ، وهى البكرة (بضم فسكون) : أى الوقت ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس ، أو بضمتين جمع

لا يُرَى عَاتِباً عَلَى شِيَمِ الدَّهْـ ـرِ ، ولَا عَابِثاً ، ولا مَزَّاحَا[٦]

يَفْعَلُ الْفَعْلَةَ الَّتِى تَبْهَرُ النَّا سَ ، وَتَرْنُو لَهَا الْعُيُونُ طِمَاحَا[٧]

لا كَمَنْ يَسْأَلُ الْوُفُودَ عَنِ الْأَنْـ ـبَاءِ عَجْزًا ويَرْقُبُ الْأَشْبَاحَا[٨]

فاعْتَبِرْ أَيُّهَا الْمُجَاهِرُ بِالْقَوْ لِ ، وَلا تَبْعَثَنْ عَلَيْكَ نُواحَا[٩]

إِنَّ فِى بُرْدَتَىَّ هَاتَيْنِ لَيْثاً يَقِصُ الْقِرْنَ ، أَوْ يَفُلُّ السِّلاحَا[١٠]

سَدِكَاتٍ بِالرُّمْحِ مِنْهُ بَنَانٌ تَمْلَأُ الْأَرْضَ والسَّماءَ جِرَاحَا[١١]

---

*غدوة (بضم فسكون) مصدر غدا عليه غدواً وغدوة أى بكر . ومعنى (أخو غدوات) : أنه كثير الإغارة والهجوم فى أوائل النهار . والمأتم : كل مجتمع فى حزن أو فرح ، وقد غلب على جماعة النساء فى المصائب .

والمعنى : أنّ غاراته تبعث فى الأرض النواح والصياح لشدّة فتكه ، وكثرة قتلاه .

(٦) عاتب : اسم فاعل من العتب ، وهو الموجدة واللوم فى تسخّط . وشيم الدهر : طبائعه ، جمع شيمة (بكسر الشين) : وهى الغريزة والطبيعة والجبلّة التى خلق الإنسان عليها . وعابث : اسم فاعل من العبث ، وهو اللعب ، وعمل ما لا فائدة فيه . ومزّاح : صيغة مبالغة من المزح ، وهو الدعابة ، أو هو خلاف الجدّ .

(٧) تبهر الناس : تغلبهم . ، والمراد تتركهم فى عجب ودهش . وترنو : تديم النظر ، من الرنو ، وهو إدامة النظر بسكون الطرف . وطمح بصره إلى الشىء يطمح طموحاً (من باب خضع) وطماحاً (بكسر الطاء) : إذا استشرف له ، وارتفع إليه .

والمعنى : أن الناس ينظرون إلى أعمال البارودى ، فيدهشون ، وتطمح أنفسهم إلى مثل أعماله المجيدة.

(٨) الوفود : جمع وفد ، والوفد : جمع وافد مثل صاحب وصحب . والأنباء : جمع نبأ : وهو الخبر . ويرقب : ينتظر . والأشباح : جمع شبح : وهو الشخص .

(٩) اعتبر : أمر من الاعتبار : بمعنى الاتعاظ . والنواح (بضم النون) : البكاء ، مصدر ناحت المرأة على الميت نوحاً (بفتح فسكون) ونواحاً : أى بكت واستبكت .

يقول : فاتعظ أيها المجاهر بعداوتى ، ولا تحملنى على قتلك ؛ فينوح عليك أهلك .

(١٠) البردة : كساء صغير أسود مربع . والليث : الأسد . ويقص القرن : يدقّ عنقه ويكسره ، (وبابه وعد) . والقرن (بكسر فسكون) : كفؤك فى الشجاعة ، ومن يقاومك فى القتال . ويفلّ : يكسر ، (وبابه ردّ) .

(١١) سدكات (بفتح فكسر) : جمع سدكة ، وهى صفة من سدك بالشىء (من باب فرح) : أى لزمه ، والسدك (ككتف) : المولع بالشىء ، والخفيف اليدين بالعمل ، والطعّان بالرمح . والبنان : أطراف الأصابع ، واحدتها بنانة ، والمراد اليد . والجراح : جمع جراحة . أو جمع جرح .

يقول : إنّ يده ملازمة للرمح طعّانة به ، وإذا طعنت أكثرت من الطعن ، وملأت الأرض والسماء جراحاً .

أنَا مِنْ مَعْشَرٍ كِرامٍ عَلى الدَّهْـ ... ـرِ أفَادُوهُ عِزَّةً وَصَلاحَا[12]

فَرَعُوا بالْقَنَا قِنَانَ الْمَعَالِي ... وأَعَدُّوا لِبَابِهَا مِفْتَاحَا[13]

عَمَرُوا الأَرْضَ مُدَّةً ، ثُمَّ زَالُوا ... مِثْلَمَا زَالَتِ الْقُرُونُ اجْتِيَاحَا[14]

وَأَتَتْ بَعْـدَهُمْ عَلَىَّ لَيَالٍ ... لا أرَى فى سَمَائِهَا مِصبَاحَا[15]

فَسَقَاهُمْ مُنَزِّلُ الْغَيْث سَجْلاً ... يَجْعَلُ النَّبْتَ لِلْعَراءِ وِشَاحَا[16]

---

(١٢) المعشر : جماعة الناس ، والمراد : الأسرة والآباء .

(١٣) فرعوا : صعدوا وعلوا . والقنا: جمع قناة : وهى الرمح . والقنان (بكسر القاف) : جمع قنّة (بقاف مضمومة ونون مشددة مفتوحة) : وهى أعلى الجبل .

والمعنى : أنهم وصلوا بيأسهم وشجاعتهم إلى قمم المعالى ، واستأثروا بها ، واستولوا عليها .

(١٤) زالوا : فارقوا الحياة الدنيا . والقرون : جمع قرن ، وهو من الزمان مائة سنة ، أو هو كل أمة هلكت ، فلم يبق منها أحد . والاجتياح : مصدر اجتاحت الجائحة المال وغيره : إذا أهلكته واستأصلته ، وهو (هنا) نائب عن المصدر ، والمعنى زوال اجتياح .

(١٥) هذا البيت كناية عما صار إليه الشاعر بعد موت أهله ومعشره من حسرة وحيرة وأسى واضطراب.

(١٦) الغيث : المطر . ومنزله : الله تبارك وتعالى . والسجل (بفتح فسكون) : الدلو العظيمة إذا كانت مملوءة . والوشاح (بضم الواو وكسرها) : كرسان (بكسر فسكون) : أى قرعان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر ، أو أديم عريض يرصّع بالجواهر تشد ه المرأة بين عاتقها وكشحها ، والمراد غيث غزير يجعل النبات زينة للفضاء . يدعو لمعشره وقومه وآبائه بالسقيا والرحمة .

القصيدة السابعة عشرة

وقالَ يَفخَرُ ، وَيُعَرِّضُ بالمَظَالِمِ عَلى عهد الحُكُومَة الاسْتِبْدَادِيّة * :

رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا لا أَوَدُّهُ وَأَيُّ امْرِئٍ يَقْوَى عَلى الدَّهْرِ زَنْدُهُ؟(١)

* لعله يقصد بالحكومة الاستبدادية : حكومة الخديو إسماعيل فى أواخر أيامه لما فسد حكمه، وأثقل مصر بالديون؛ فتدخّل الأجانب فى أمورها وفرضوا على الحكومة سلطانهم؛ فللشاعر قصيدة طويلة فى أول قافية اللام . عنوانها : وقال يذمّ سيرة الحكام، ويحضّ الناس على طلب العدل فى الأحكام؛ وذلك فى عهد إسماعيل خديو مصر .

ومطلعها :

قَلَّدْتُ جِيدَ الْمَعَالِي حِلْيَةَ الْغَزَلِ وَقُلْتُ فِي الْجِدِّ مَا أَغْنَى عَنِ الْهَزَلِ

وقد يكون المقصود بالحكومة الاستبدادية فى هذه الداليّة وفى القصيدة اللامية : حكومة الخديو توفيق ابن الخديو إسماعيل ؛ فكلاهما جنح فى حكمه للظلم والاستبداد . وفى عهد « توفيق » توقّدت الثورة العرابية ، وكان البارودى من قادتها ، والضاربين فى غمرتها ، وهذا يرجّح أن هاتين القصيدتين نظمتا فى عهد توفيق .

وهذه القصيدة على رويّ قصيدة أبى الطيب المتنبى التى مدح بها كافوراً الإخشيدى سنة ست وأربعين وثلثمائة . ومطلعها :

أَوَدُّ مِنَ الأَيَّامِ مَالاَ تَوَدُّهُ وَأَشْكُو إِلَيْهَا بَيْنَنَا وَهْيَ جُنْدُهُ

والرويّ : الحرف تبنى عليه القصيدة ، وتنسب إليه . وهاتان القصيدتان رويّهما الدال، والهاء بعده حرف وصل .

(١) أودّه : أحبّه ، وأرتضيه.(وماضيه ومضارعه كفرح يفرح) . والاستفهام فى الشطر الثانى : معناه النفى . والزند (بفتح فسكون) : موصل طرف الذراع فى الكفّ . ويكنى به هنا : عن القوّة والمقدرة . أو عن الجهد والطاقة .

والمعنى : أنه قنع من الدنيا بما لا يرتضيه قناعة المضطر المغلوب على أمره .

أُحَاوِلُ وَصْلًا والصُّدُودُ خَصِيمُهُ ... وَأَبْغِى وَفَاءً والطَّبِيعَةُ ضِدُّهُ[2]

حَسِبْتُ الْهَوَى سَهْلًا ، وَلَمْ أَدْرِ أَنَّهُ ... أَخُو غَدَرَاتٍ يَتْبَعُ الْهَزْلَ جِدُّهُ[3]

تَخِفُّ لَهُ الْأَحْلَامُ وَهْىَ رَزِينَةٌ ... وَيَعْنُو لَهُ مِنْ كُلِّ صَعْبٍ أَشَدُّهُ[4]

وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّ الْفَتَى وَهْوَ عَاقِلٌ ... يُطِيعُ الْهَوَى فِيمَا يُنَافِيهِ رُشْدُهُ[5]

يَفِرُّ مِنَ السُّلْوَانِ ، وَهْوَ يُرِيحُهُ ... وَيَأْوِى إلى الْأَشْجَانِ ، وَهْىَ تَكُدُّهُ[6]

= والشطر الثانى تذييل جار مجرى المثل ، مؤكد لمعنى الشطر الأول ؛ فالإنسان لا يستطيع مغالبة الدهر ، ولا يقوى على مكافحة الزمان . وفى هذا المعنى ، أو فيما يقرب منه يقول البارودىّ فى إحدى نونياته :

وَمَنْ شَاغَبَ الْأَيَّامَ لَانَ مَرِيرُهُ ... وَأَسْلَمَهُ طُولُ الْمِرَاسِ إلى الْوَهْنِ

فالمقصود بهذا البيت هو المقصود بالشطر الثانى من مطلع الدالية ؛ فالإنسان بكل جهده وقوّته لا طاقة له بمقاواة الدهر ، ومشاغبة الأيام . ونتيجة هذا العجز أن يرضى المرء من الدنيا بما لا يحبه ولا يرتضيه ، ويقنع بالدون الذى لا يأمله ، ولا يتمناه .

والبيت الآتى يوضّح هذا المعنى ويفصّله ؛ فالشاعر حاول الوصال ، فخاصمه الصدود ، وعاسره الإعراض ، وطلب الوفاء فضادّه ما فى طبيعة الغادرين من الغدر ، ونقض العهد ؛ فلم يسعه إلا أن يرضى بما لا يودّه من إعراض الحبيب ، وغدرات الهوى .

(٢) الوصل : ضدّ الهجران ، وهو مصدر وصلت الحبيب (من باب وَعَدَ) وصلا وصلة (بكسر ففتح) . والصدود : الإعراض ، وهو مصدر صدّ عنه يصدّ (كردّ يردّ) صدوداً . وخاصمه مخاصمةً وخصاماً : نازعه ، وجادله ، ولاحاه ، وعاداه ، فهو خصيم ، ومخاصم . وأبغى : أطلب . والضمير فى (خصيمه) يعود على (وصلا) .

(٣) الهوى : الحبّ والعشق . وغدرات : جمع غدرة : اسمُ مرة من الغدر ، وهو نقض العهد وترك الوفاء . ومعنى يتبع الهزل جده : أنه يكون فى مبدئه هيّناً سهلا ، فلا يلبث أن ينقلب عنيفاً صارماً .

(٤) تخفّ : تضعف . والأحلام : العقول ، مفردها (حلم بكسر الحاء) . ورزينة : ثقيلة ثابتة ، صفة من الرزانة : وهى الوقار . ويعنو : يخضع ويذلّ ، (وبابه سما) .

(٥) ينافيه : يخالفه ويطارده . والرشد : الهدى والصلاح ، وهو خلاف الغىّ والجهل والضلال .

(٦) السلوان : مصدر سلاه ، وسلا عنه ، (كدعاه ورضيه) : أى نسيه وصبر عنه . والأشجان : الأحزان والهموم ، واحدها شجن (بفتحتين) ، وفعله من باب طرب . وتكده (من باب ردّ) : تتعبه .

وَمَا الْحُبُّ إِلَّا حاكِمٌ غَيْرُ عَادِلٍ — إذا رامَ أَمْرًا لم يَجِدْ مَنْ يَصُدُّهُ(٧)

لَهُ مِنْ لَفِيفِ الْغِيدِ جَيْشُ مَلاحَةٍ — تُغِيرُ عَلَى مَثْوَى الضَّمائِرِ جُنْدُهُ(٨)

ذَوَابِلُهُ قَامَاتُهُ ، وسُيُوفُهُ — لِحَاظُ الْعَذَارَى ، والْقَلَائِدُ سَرْدُهُ(٩)

إذَا مَاجَ بِالْهِيفِ الْحِسَانِ ، تَأَرَّجَتْ — مَسَالِكُهُ ، واشْتَقَّ فى الْجَوِّ نَدُّهُ(١٠)

فَأَيُّ فُؤادٍ لا تَذُوبُ حَصَاتُهُ — غَرامًا ،وَطَرْفٍ لَيْسَ يُقْذِيهِ سُهْدُهُ؟(١١)

بَلَوْتُ الْهَوَى حَتَّى اعْتَرَفْتُ بِكُلِّ مَا — جَهِلْتُ ،فَلا يَغْرُرْكَ فالصَّابُ شَهْدُهُ(١٢)

ظَلُومٌ لَهُ فى كُلِّ حَيٍّ جَرِيرَةٌ — يَضِجُّ لَهَا غَوْرُ الْفَضَاءِ وَنَجْدُهُ(١٣)

---

(٧) رام : طلب . ويصدّه (من باب ردّ) : يمنعه ويصرفه .

(٨) لفيف : جماعة وحزب ، واللفيف (فى الأصل) : ما اجتمع من الناس من قبائل شتى . والغيد : جمع غيداء ، وهى المرأة الناعمة المتثنية ليناً . والملاحة : الحسن ، مصدر ملح الشىء (من باب ظرف) . وتغير : مضارع أغار على العدو : أى هجم . وثوى بالمكان (كمضى) : نزل به وأقام ، واستقرّ . ومثوى الضمائر : منزلها ومقامها ، والمراد القلوب .

(٩) الذوابل : الرماح ، جمع ذابل : أى دقيق ، قشره لاصق به . وقاماته : أى قامات هذا الجيش من الحسان ، وقامة الإنسان : قدّه ،وحسن طوله واعتداله . ولحاظ العذارى (بكسر اللام) : نظراتهن الفاتنة . والعذارى (بفتح الراء وكسرها) : جمع عذراء : وهى البكر (بكسر فسكون) أى التى لم تتزوج . والقلائد : جمع قلادة ، وهى ما تزين به المرأة عنقها من الحلىّ كعقود اللآلىء ونحوها . والسرد : اسم جامع للدروع ، وسائر الأسلحة .

(١٠) ماج : أى الجيش ، والمعنى : اضطرب اضطراب الموج . والهيف (بكسر الهاء) : جمع هيفاء : وهى المرأة الضامرة البطن والخاصرة ، والهيف (بفتحتين) من صفات الحسن فى النساء . والحسان : جمع على غير قياس لحسنة أو حسناء . وقد يكون جمعاً قياسياً لحسينة (كأميرة) . وتأرّجت : توهّجت رائحته وفاحت ، والأريج والأرج (بفتحتين) : توهّج ريح الطيب . ومسالكه : مذاهبه وطرقه . واشتق : فاح وانتشر وتفرّق ، من قولهم : اشتقّ الفرس فى عدوه : إذا مال فى أحد شقّيه ، واشتقّ فى الكلام والخصومة : إذا أخذ يميناً وشمالاً ، وترك القصد ، وذهب فى كل شق وجانب ، واشتقّ الطريق فى الفلاة أى مضى فيها . والندّ : نوع من الطيب ، أو هو العنبر ، أو هو عود طيّب الرائحة يتبخّر به .

(١١) الحصاة : العقل والرأى.والغرام : الحبّ والولوع بالشىء . ومعنى تذوب حصاته غراماً : يذهب عقله بسبب الغرام . والطرف (بفتح فسكون) : العين . والقذى : الغمص والرمص (بفتحتين فيهما) وكل ما يقع فى العين فيهيجها و يؤذيها . وأقذاها : ألقى فيها القذى ، والسهد والسهاد (بضم السين فيهما) : الأرق وعدم النوم ، (و بابه طرب) .

(١٢) بلوته (من باب عدا) : جرّبته واختبرته . وغرّه : خدعه وأراد به المكروه من حيث لا يعلم . والصاب : عصارة شجر مرّ . والشهد (بفتح الشين وضمها) : العسل فى شمعها .

(١٣) ظلوم : أى الهوى . والحىّ : البطن من بطون العرب ، وهو دون القبيلة . ويطلق على محلتهم وديارهم . وجريرة : ذنب وجناية . والضجيج : الجلبة ، والصياح ، والصخب ، يكون من جزع أو مشقة أو فزع : مصدر ضجّ يضجّ (كخفّ يخفّ) . والغور : المطمئن من الأرض . والنجد : ما ارتفع من الأرض .

إِذَا احْتَلَّ قَلْباً مُطْمَئِنّاً تَحَرَّكَتْ وَسَاوِسُهُ فى الصَّدْرِ ، واخْتَلَّ وَكْدُهُ(١٤)

فَإِنْ كُنْتَ ذَا لُبٍّ فَلا تَقْرَبَنَّهُ فَغَيْرُ بَعِيدٍ أَنْ يُصِيبَكَ حَدُّهُ(١٥)

وَقَدْ كُنْتُ أَوْلَى بِالنَّصِيحَةِ لَوْ صَغَا فُؤَادِى، ولَكِنْ خَالَفَ الْحَزْمَ قَصْدُهُ(١٦)

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ عَقْلٌ يَقُودُهُ فَيُوشِكُ أَنْ يَلْقَى حُسَاماً يَقُدُّهُ(١٧)

لَعَمْرِى لَقَدْ وَلَّى الشَّبَابُ ، وحَلَّ بِى مِنَ الشَّيْبِ خَطْبٌ لا يُطَاقُ مَرَدُّهُ(١٨)

فَأَىُّ نَعِيمٍ فى الزَّمَانِ أَرُومُهُ ؟ وَأَىُّ خَلِيلٍ لِلْوَفَاءِ أُعِدُّهُ ؟(١٩)

وَكَيْفَ أَلُومُ النَّاسَ فى الْغَدْرِ بَعْدَمَا رَأَيْتُ شَبَابِى قَدْ تَغَيَّرَ عَهْدُهُ ؟(٢٠)

وَأَبْعَدُ مَفْقُودٍ شَبَابٌ رَمَتْ بِهِ صُرُوفُ اللَّيَالِى عِنْدَ مَنْ لاَ يَرُدُّهُ(٢١)

---

(١٤) احتلّ : أى الهوى. ومطمئناً : ساكناً هادئاً . والوساوس : أحاديث النفس والشيطان بما لا نفع فيه ، ولا خير . واختل : هزل وضعف . والوكد (بفتح فسكون) : المراد ، والهمّ ، والقصد . والوُكد (بضم فسكون) : السعى والجهد .

(١٥) ذا لبّ : صاحب عقل . وحدّ السيف والسكّين ونحوهما : الجانب القاطع من نصلهما .

(١٦) صغا إليه (كَسَمَا ، وصَدِىَ) : مال إليه ، واستمع ، والحزم : إتقان الرأى ، وضبط الامر ، والأخذ فيه بالثقة . وقصد الشىء ، وله ، وإليه (من باب ضرب) : أى أراده عامداً ، وطلبه بعينه .

فى البيت السابق جعل الهوى كالسلاح الحادّ المرهف ، يصيب من يضرب به ونَصَح للعاقل أن يتوقّاه ويجتنب أسبابه . وفى هذا البيت قال : إنه كان أحق وأجدر بقبول هذه النصيحة لو صغا إليها قلبه ؛ ولكنه خالف الحزم ، وقصد إلى الهوى فى تهوّر ، فوقع فى حبائله .

(١٧) يوشك الأمر أن يكون كذا: من أفعال المقاربة ، والمعنى الدنوّ من الشىء ، وفى الإيشاك معنى الاسراع . يقال : وشك (كَقَرُب) ، وأوشك . والحسام : السيف القاطع ، ويقدّه : يشقّه .

(١٨) لعمرى : وحياتى . وولّى : ذهب وأدبر وأعرض . وحلّ : نزل ، (وبابه قعد) . والخطب : الأمر الشديد ينزل بالإنسان . ولا يطاق مردّه : ليس فى الإمكان ردّه وصرفه .

(١٩) أرومه : أطلبه . والخليل : الصديق . وأعددت الشىء إعداداً : هيأته وأحضرته .

ينكر — بعد ذهاب شبابه وحلول المشيب — أن يكون فى الزمان نعيم يطلب ، وأن يجد فى الناس خليلاً وفيّاً .

(٢٠) تغيّر عهده : زال وفاؤه ، وانتقض موثقه .

يقول : إنه لا يلوم الناس فى نقض العهد ، والإخلال بالوفاء بعدما رأى شبابه يصاحبه زمانا طويلا ، ثم ينقض عهده ويغادره .

(٢١) صروف الليالى : حدثان الزمان ونوائبه .

فَمَنْ لى بِخِلٍّ صَادِقٍ أَسْتَعِينُهُ عَلى أَمَلِي ، أَوْ نَاصِرٍ أَسْتَمِدُّهُ ؟(٢٢)

صَحِبْتُ بَنِى الدُّنْيَا طَوِيلاً فلم أَجِدْ خَلِيلاً ، فَهَلْ مِنْ صاحِبٍ أَسْتَجِدُّهُ(٢٣)

فَأَكْثَرُ مَنْ لاقَيْتُ لَمْ يَصْفُ قَلْبُهُ وَأَصْدَقُ مَنْ وَالَيْتُ لَمْ يُغْنِ وُدُّهُ(٢٤)

أُطَالِبُ أَيَّامِى بما لَيْسَ عِنْدَها وَمَنْ طَلَبَ الْمَعْدُومَ أَعْيَاهُ وُجْدُهُ(٢٥)

فَمَا كُلُّ حَىٍّ يَنْصُرُ الْقَوْلَ فِعْلُهُ وَلاَ كُلُّ خِلٍّ يَصْدُقُ النَّفْسَ وَعْدُهُ(٢٦)

وَأَصْعَبُ مَا يَلْقَى الْفَتَى فى زَمَانِهِ صَحابَةُ مَنْ يَشْفِى مِنَ الدَّاءِ فَقْدُهُ(٢٧)

وَلِلنُّجْحِ أَسْبَابٌ إِذَا لَمْ يَفُزْ بها لَبِيبٌ مِنَ الْفِتْيَانِ لَم يُورِ زَنْدُهُ(٢٨)

ولكِنْ إِذا لم يُسْعِدِ الْمَرْءَ جَدُّهُ عَلى سَعْيِهِ لَمْ يَبْلُغِ السُّؤْلَ جِدُّهُ(٢٩)

وَمَا أَنَا بِالْمَغْلُوبِ دُونَ مَرامِهِ ولَكِنَّهُ قَدْ يَخْذُلُ المرءَ جَهْدُهُ(٣٠)

---

(٢٢) خلّ : صديق . وأستمدّه : أطلب منه المدد والمعونة والنصرة .

(٢٣) أجدّه وجدّده واستجدّه : صيّره جديداً ، ومعنى أستجده : أصاحبه من جديد وأتخذه خليلا .

(٢٤) صفا يصفو صفاء : نقى ، وخلص من الكدر . وواليت : صادقت وأحببت ، من الموالاة : وهى ضدّ المداوة ، ولم يغن : لم ينفع مضارع أغنى الشىء : أى كفى ، وأجدى ، وأجزأ . والود (مثلثة الواو كالوداد) : الحبّ والمودّة .

(٢٥) أعياه : أتعبه وأعجزه . ووجده (بفتح فسكون ، أو بضم ، فسكون) : إدراكه ، مصدر وجد المطلوب (من باب وعد) .

(٢٦) يقول : إنه ليس كل إنسان يطابق فعله قوله ، وليس كل صديق صادق الوعد .

(٢٧) يقول : إنّ آلم ما تلقاه فى زمانك صحبة لئيم يشفيك من الهمّ والضجر بعده وفقده .

(٢٨) اللبيب : العاقل . ووَرِىَ الزند يَوْرَى (كوَجِىَ يَوْجَى) : أى أخرج ناره . ومثله أوْرَى إيراءً . وأوريته إيراءً أى قدحته لإخراج النار منه ؛ فالرباعى يتعدى ويلزم . ولم يور زنده : لم يخرج زنده ناراً . والزند : العود الذى تقدح به النار ، وهو الأعلى ، والزندة السفلى ، ومعنى لم يور زنده : لم يثمر سعيه .

(٢٩) أسعده على سعيه : أعانه عليه ، من الإسعاد : بمعنى المساعدة والإعانة . وجدّه (بفتح الجيم وتشديد الدال) : حظّه . والسؤل (بضمّ فسكون) : ما يسأله الإنسان ويطلبه . وجدّه (بكسر الجيم وتشديد الدال) : اجتهاده .

(٣٠) دون مرامه : دون بلوغ مطلبه . وجهده : جده واجتهاده : مصدر جهد فى الأمر (من باب قطع) : أى جد فيه وبالغ .

يقول : لست مغلوباً ولا عاجزاً عن بلوغ مطلبى ، ولكن المرء قد يجنى عليه اجتهاده .

وما أُبْتُ بِالْحِرْمَانِ إلّا لأنّنِي «أَوَدُّ مِنَ الْأَيَّامِ ما لا تَوَدُّهُ» (٣١)

فَإِنْ يَكُ فَارَقْتُ الرِّضَا فَلَبَعْدَمَا صَحِبْتُ زَماناً يُغْضِبُ الْحُرَّ عَبْدُهُ (٣٢)

أَبَى الدَّهْرُ إلّا أنْ يَسُودَ وَضِيعُهُ وَيَمْلِكَ أَعْنَاقَ الْمَطَالِبِ وَغْدُهُ (٣٣)

تَدَاعَتْ لِدَرْكِ الثَّأْرِ فِينَا ثُعالَةٌ ونَامَتْ عَلى طُولِ الْوَتِيرَةِ أُسْدُهُ (٣٤)

فَحَتَّامَ نَسْرِى فى دَيَاجِير مِحْنَةٍ يَضِيقُ بِهَا عَنْ صُحْبَةِ السَّيْفِ غِمْدُهُ (٣٥)

إذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْفَعْ يَدَ الْجَوْرِ إنْ سَطَتْ عَلَيْهِ ، فلا يَأْسَفْ إذَا ضَاعَ مَجْدُهُ (٣٦)

وَمَنْ ذَلَّ خَوْفَ الْمَوْتِ ، كانَتْ حَيَاتُهُ أَضَرَّ عَلَيْهِ مِنْ حِمامٍ يَؤُدُّهُ (٣٧)

وَأَقْتَلُ دَاءٍ رُؤْيَةُ الْعَيْنِ ظَالِماً يُسِيءُ ، وَيُتْلَى فى الْمَحَافِلِ حَمْدُهُ (٣٨)

---

(٣١) آب : رجع (وبابه قال) . والحرمان (بكسر الحاء) : مصدر حرمه الشيء : إذا منعه إياه . والشطر الثانى من هذا البيت هو مطلع قصيدة المتنبى التى عارضها الشاعر بهذه القصيدة . ومعناه : أحبّ من الأيام أن تكون منصفة ، فتجعل سعيى فيها مثمراً ، وتمكننى من مطلبى ، وهذا ما لا تحبّه الأيام .

(٣٢) عبده : عبد الزمان ، يقول : فإن أكن قد فارقت الرضا ، وسخطت على الدهر ، فإنما كان ذلك بعد ما عشت فى زمان يغضب عبيده الأحرار ، وهذا كناية عن اضطراب الأمور ، وانقلاب الأوضاع وقد صرّح بهذا المعنى فى البيت الآتى . وكان المتبادر أن يقول « أك » بدل « يك » .

(٣٣) الأعناق : جمع عنق (بضم النون وسكونها) ، والوغد : الدنىء اللئيم الوضيع الهمّة .

(٣٤) تداعت : تجمّعت وتألّبت بالعداوة . والدرك : الإدراك واللحاق ، وهو (بفتح الراء وسكونها) : اسم من أدركت الشيء : إذا طلبته فلحقته . وثعال وثعالة : علما جنس للثعلب ، واستعمله هنا استعمال الجمع . والوتيرة والترة (بكسر التاء) : الذحل (بفتح فسكون) : أى الثأر ، أو الظلم فيه . والأسد : جمع أسد . ويريد بالثعالب : خساس الناس ، وبالأسد : أشرافهم .

(٣٥) نسرى : نسير ، والسرى (فى الأصل) : السير ليلا . والدياجير : جمع ديجور ، وهو الظلام . والمحنة : البلاء والفتنة . وغمد السيف : جفنه الذى يتوارى فيه . ومعنى الشطر الثانى : أن هذه المحنة تستفز السيوف عن أغمادها ، وتتطلّب المكافحة بالحرب والقتال .

(٣٦) الجور : الميل عن القصد ، والظلم . وسطت عليه : قهرته وأذلته وبطشت به . والمجد : العزّ والشرف .

(٣٧) ذلّ : ضعف وهان ، فهو ذليل . والحمام (بكسر الحاء) : قضاء الموت وقدره . ويؤدّه (كيردّ ، ويخفّ ، ويملّ) : يدهاه ، وينزل به .

(٣٨) أقتل : اسم تفضيل من القتل . ويتلى : يقرأ . والمحافل : جمع محفل (كمجلس) ، وهو مجتمع الناس . والحمد : الثناء والمدح .

عَلامَ يَعِيشُ الْمَرْءُ فى الدَّهْرِ خَامِلاً　　أَيَفْرَحُ فى الدُّنْيَا بِيَوْمٍ يَعُدُّهُ ؟(٣٩)

يَرَى الضَّيْمَ يَغْشَاهُ فَيَلْتَذُّ وَقْعَهُ　　كَذِى جَرَبٍ يَلْتَذُّ بِالْحَكِّ جِلْدُهُ(٤٠)

إِذَا الْمَرْءُ لاقَى السَّيْلَ ثُمَّتَ لَمْ يَعُجْ　　إِلى وَزَرٍ يَحْمِيهِ أَرْدَاهُ مَدُّهُ(٤١)

عَفَاءٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعِشْ　　بِها بَطَلاً يَحْمِى الْحَقِيقَةَ شَدُّهُ(٤٢)

مِنَ الْعارِ أَنْ يَرْضَى الفَتَى بِمَذَلَّةٍ　　وفى السَّيْفِ ما يَكْفِى لِأَمْرٍ يُعِدُّهُ(٤٣)

وَإِنِّى امْرُؤٌ لا أَسْتَكِينُ لِصَوْلَةٍ　　وإِنْ شَدَّ سَاقِى دُونَ مَسْعَاىَ قِدُّهُ(٤٤)

أَبَتْ لِىَ حَمْلَ الضَّيْمِ نَفْسٌ أَبِيَّةٌ　　وَقَلْبٌ إِذَا سِيمَ الأَذَى شَبَّ وَقْدُهُ(٤٥)

---

(٣٩) الخامل: الساقط الذى لا نباهة له، (وبابه دخل) . يقول : على أى شىء يحيا الإنسان = خاملا فى زمانه ؟ أيفرحه فى الدنيا أيام تمرّ فيعدّها ؟

والمعنى : لاينبغى أن يرضى المرء لنفسه بحياة الضعف والخمول، والفرح بعدّ الأيام ، ففى البيت حضّ على الشجاعة والنباهة وطلب الحياة الطيّبة العزيزة ، وعدم المبالاة بالموت فى سبيل العزّة والكرامة .

(٤٠) الضيم: الظلم . ويغشاه : يأتيه ويصيبه . والتذّه، وبه: وجده لذيذاً ، واللذّة: نقيض الألم . والوقع : الوقوع .

(٤١) ثمّت : ثمّ . ولم يعج : لم يرجع ،ولم يلجأ . والوزر (بفتحتين) الملجأ والمُعْتَصَم ، وأصله الجبل المنيع . ويحميه : أى يدفع عنه خطر السيل . وأرداه : أهلكه . ومدّه : ارتفاعه وطغيانه وكثرة مائه .

(٤٢) العفاء : التراب ، والدروس : أى الامحّاء والزوال . وبطلا : شجاعاً. ويحمى : يمنع ويصون ويحفظ . والحقيقة : ما يحقّ عليك أن تحميه ، أى ما تجب عليك حمايته . والشدّ : العدو ، والمراد به هنا : الحملة فى الحرب .

(٤٣) أعدّه لأمر كذا يعدّه إعداداً : هيّأه له .

يقول : إنّ من السبّة والعيب والعار أن يرضى الإنسان بالذّل والضعف والهوان وهو يستطيع أن يحقّق بحدّ السيف ما يُعدّه من الأمور . يحضّ على دفع المذلة بقوّة الحرب والقتال .

(٤٤) أستكين : أخضع . والصولة : الاستطالة والسطوة والبطش . وشدّه : أوثقه وربطه وقيّده . والقدّ (بكسر القاف) : سير يقدّ من جلد غير مدبوغ ويقيّد به الأسير ونحوه .

يقول : إنه لا يخضع للقهر ، ولا يستكين للسطوة والبطش ، حتى ولو حيل بينه وبين مسعاه ، وكان مقيّد الساق ، مشدوداً بالوثاق . وإعادة الضمير فى قدّه مذكّراً على الساق غير معروف فى الفصيح .

(٤٥) أبى الرجل يأبى (بالفتح فيهما) إياه : امتنع فهو آب وأبىّ . والضيم : الظلم والضير . وسيم الأذى : أريد به الأذى ، وحمل على المكروه ، يقال : سامه خسفاً وذلاّ أى أولاه إياه ، وأراده عليه ، وأهانه . وشبّ : اتّقد . والوقد (بفتح فسكون) : النار .

نَمَانِى إِلى الْعَلْيَاءِ فَرْعٌ تَأَثَّلَتْ   أَرُومَتُهُ فِى الْمَجْدِ ، وافْتَرَّ سَعْدُهُ(٤٦)

وحَسْبُ الْفَتَى مَجْدًا إِذَا طَالَبَ الْعُلاَ   بِمَا كَانَ أَوْصَاهُ أَبُوهُ وَجَدُّهُ(٤٧)

إِذَا وُلِدَ الْمَوْلُودُ مِنَّا فَدَرُّهُ   دَمُ الصِّيدِ والْجُرْدُ الْعَنَاجِيجُ مَهْدُهُ(٤٨)

فَإِنْ عَاشَ فَالْبِيدُ الدَّيَامِيمُ دَارُهُ   وإِنْ مَاتَ فالطَّيْرُ الأَضَامِيمُ لَحْدُهُ(٤٩)

أَصُدُّ عَنِ الْمَرْمَى الْقَرِيبِ تَرَفُّعاً   وأَطْلُبُ أَمْرًا يُعْجِزُ الطَّيْرَ بُعْدُهُ(٥٠)

---

(٤٦) نمانى : عزانى ونسبنى ورفعنى. والعلياء : السماء وكلّ شىء عال ، والفرع (فى الأصل) : الغصن. ويريد به هنا : نسبه القريب. والأرومة (بفتح الهمزة وضمها) : الأصل . وتأثّلت : تأصّلت وعظمت . والمجد : العزّ والشرف . وافترّ : تلألأ وأشرق .

(٤٧) حسب الفتى مجداً : كفاه عزّاً وشرفاً. وحسب مبتدأ . وخبره محذوف للعلم به تقديره (ما يناله من رفعة) . والعلا : جمع عليا .

يقول : كفى المرء عزا وشرفاً أن يسير سيرة آبائه فى طلب المعالى ، وأن يطلب من المجد ما أوصاه أبوه وجدّه بتحصيله .

(٤٨) درّه : لبنه وغذاؤه . والصيد (بكسر الصاد) : جمع أصيد ، وهو الأسد ، ورافع رأسه كبراً . والجرد : جمع أجرد ، وهو الفرس السبّاق ، أو القصير الشعر الرقيقه . والعناجيج : جياد الخيل والإبل . والمهد : الموضع يهيّأ للصبى ويوطّ

والمعنى : أنّ أطفالهم يشبّون على الشجاعة وعزّة النفس . ويعوّدون الفروسية وركوب الخيل واقتحام الأخطار .

(٤٩) البيد : جمع بيداء وهى المفازة ، أى الموضع المهلك . والدياميم : جمع ديموم أو ديمومة (بفتح فسكون فيهما) وهى الفلاة الواسعة أى الصحراء . والأضاميم : الجماعات ، واحدتها إضمامة (بكسر الهمزة).

يقول : فإن عاش مولودهم فدياره الفلوات والمفاوز والمواضع المهلكة والصحارى الواسعة ؛ وإن مات مات فى ميدان القتال ، فأكلت لحمه جماعات الطير . وهذا كله كناية عن الشجاعة وشدّة البأس وركوب الأخطار .

(٥٠) أصدّ : أعرض وأنصرف . والمرمى : اسم مكان من رمى .

يقول : إنه يعرض عن هيّنات الأمور ترفّعاً واستكباراً . ويطلب ما كان رفيعاً عالياً بعيداً . تعجز الطير عن بلوغ مداه . والمعنى : أنه فى حياته رفيع الهمة بعيد الغاية .

وَلا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ تَلاعَبُ بِالْقَنَا أُسُودُ الْوَغَى فيهِ ، وتَمْرَحُ جُرْدُهُ(٥١)

يُمَزِّقُ أَسْتَارَ النَّوَاظِرِ بَرْقُهُ وَيَقْرَعُ أَصْدَافَ الْمَسَامِعِ رَعْدُهُ(٥٢)

تُدَبِّرُ أَحْكَامَ الطِّعانِ كُهُولُهُ وَتَمْلِكُ تَصْرِيفَ الأَعِنَّةِ مُرْدُهُ (٥٣)

قُلُوبُ الرِّجالِ الْمُسْتَبِدَّةِ أَكْلُهُ وَفَيْضُ الدِّماءِ الْمُسْتَهِلَّةِ وِرْدُهُ(٥٤)

أُحَمِّلُ صَدْرَ النَّصْلِ فِيهِ سَرِيرَةً تُعَدُّ لِأَمْرٍ لَا يُحَاوَلُ رَدُّهُ (٥٥)

فَإِمَّا حَيَاةٌ مِثْلُ ما تَشْتَهِي الْعُلَا وإِمَّا رَدًى يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ وَفْدُهُ(٥٦)

---

(٥١) تلاعب : أصله تتلاعب ، ومعناه تلعب . والقنا: جمع قناة وهى الرمح . والوغى : الحرب . وتمرح : تنشط وتسرع ، من المرح : وهو شدة الفرح والنشاط ،(و بابه طرب) . والضمير فى جرده يعود على اليوم . : جمع أجرد : وهو الفرس السبّاق .

(٥٢) الأستار : جمع ستْر (بكسر السين) . والنواظر: جمع ناظرة : وهى العين ، أو جمع ناظر : وهو السواد الأصغر الذى فيه إنسان العين ، ويريد بأستار النواظر : الجفون . وتمزيقها : النفاذ منها ، على المبالغة . وأراد بالبرق : لمعان الأسلحة وضوء نيران الحرب فى ذلك اليوم . ويقرع : يطرق . والأصداف : جمع صدف (بفتحتين) وهو غشاء الدرّ ، وواحدة الصدف صدفة . والمسامع : جمع مسمع (بكسر الميم الأولى وفتح الثانية) ؛ وهو الأذن ، والمراد بأصداف المسامع : أول ما يصل إليه الصوت من أجزاء الأذن .

(٥٣) دبّر الأمر يدبره تدبيراً : فعله عن فكر وروية ، ونظر فى عاقبته . والطعان : مصدر طاعنه بالرمح ونحوه ، أى ضربه به ووخزه . والكهول : جمع كهل (بفتح فسكون) وهو من جاوز الثلاثين إلى نحو الخمسين . والمراد بالكهول : الشيوخ المجرّبون ، والأعنّة : جمع عنان (بكسر العين) ، وهو فى الأصل سير اللجام الذى تمسك به الدابة ، والمراد بتصريف الأعنة : تنفيذ خطط القتال . والمرد : جمع أمرد : وهو الغلام لم تنبت لحيته .

(٥٤) استبدّ بالأمر : انفرد به من غير مشارك له فيه . . والفيض : مصدر فاض الماء إذا كثر وسال على ضفة الوادى . والمستهلّة : اسم فاعل من استهلّ المطر ونحوه : أى اشتد انصبابه . والورد (بكسر الواو) : النصيب من الماء . والضمير فى ورده وأكله يعود على اليوم .

(٥٥) النصل : حديدة السهم والرمح والسيف ونحوها . والسريرة : السر الذى يكتّم ، والمراد (هنا) الخطة المرسومة المكتومة .

يقول : إنه فى هذا اليوم يكتّم فى صدر رمحه أو سيفه خطة قد أعدّها لأمر خطير عظيم لا يستطاع ردّه .

(٥٦) الردى : الهلاك ، مصدر ردى (من باب صدى) . ووفده : مصدر وفد فلان على الأمير (من باب وعد) : أى ورد رسولا ، فالوفد : الحضور والورود والقدوم .

القصيدة الثامنة عشرة

وقالَ على رَوِىّ* قَصيدَةِ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانىّ** التى أوَّلُها :

أَمِنَ آلِ مَيَّةَ رائحٌ أوْ مُغْتَدِ   عَجْلَانَ ذَا زادٍ وغَيْرَ مُزَوَّدِ

وَقَدْ سَلَكَ فيها مَسالِكَ الْعَرَبِ فيما كَانَتْ تَتَمَدَّحُ بِهِ مِنْ مُبَاشَرَةِ الْحُروبِ ، وارْتِيَادِ الْمَنَابتِ ، ورُكُوبِ الْخَيْلِ ، وشُرْبِ الْخَمْرِ ، والتَّشْبِيبِ بالنِّساءِ :

ظَنُّ الظُّنُونَ فَبَاتَ غَيْرَ مُوَسَّدِ   حَيْرَانَ يَكْلأُ مُسْتَنِيرَ الْفَرْقَدِ(١)

فى هذه القصيدة تحريض صريح على دفع الظلم بقوة السلاح ، وفيها تهديد ووعيد ؛ وهذا يرجّح أن البارودى نظمها لما اشتدّ الجفاء، وتأزّمت الأمور بين الخديو توفيق والوزارة الوطنية (وزارة محمود سامى البارودى) فى مايو سنة ١٨٨٢ قبيل توقّد الثورة العرابيّة . وفى بعض البحوث التى نشرت عن البارودى أن هذه الداليّة من سرنديبيّاته ، وأن فيها تحريضاً على ردّ عدوان الخديو توفيق ، ومكافحة حكمه الاستبدادىّ الفاسد ؛ ولكن يلاحظ أن الحكم والسلطان الحقيقىّ كان للاحتلال العسكرىّ الإنجليزىّ ، وليس فى هذه القصيدة إشارة إليه ؛ ولهذا رجّحنا أنها نتيجة الخلاف الذى استحكم بين البارودى والخديو توفيق فى مايو سنة ١٨٨٢ .

* الروىّ : حرف بنيت عليه القصيدة ، ونسبت إليه ، وهو الدال فى هذه القصيدة .

** النابغة الذبيانىّ : أحد فحول شعراء الجاهلية ، وحكمهم بعكاظ ، واسمه زياد بن معاوية ، وكنيته أبو أمامة ، وقبيلته ذبيان ، وذبيان من قيس ، وقيس من مضر ، ومضر أعظم القبائل العدنانية وأشهرها ، ولُقّب بالنابغة لنبوغه فى الشعر فجاءه وهو كبير ، بعد أن امتنع عليه وهو صغير .

(١) ظنّ الظنون : المراد ساورته الوساوس والهموم. وغير موسّد : على غير وسادة ، وهذا كناية عن القلق والحيرة والسهاد. وحيران . صفة من الحيرة : ويكلأ : يرعى ويراقب . ومستنير : نيّر مضىء . والفرقد : نجم قريب من القطب الشمالىّ ، ثابت الموقع تقريباً ؛ ولهذا يُهتدى به . وهو المسمى (النجم القطبىّ) ويقرب به نجم آخر مماثل له ، وأصغر منه ، وهما فرقدان .

تُلْوِى بِهِ الذُّكُراتُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَظَلُّ مُلْقًى بَيْنَ أَيْدِى الْعُوَّدِ[٢]

طَوْرًا يَهُمُّ بِأَنْ يَزِلَّ بِنَفْسِهِ سَرَفاً ، وتاراتٍ يَمِيلُ عَلَى الْيَدِ[٣]

فَكَأَنَّمَا افْتَرَسَتْ بطَائرِ حِلْمِهِ مَشْمُولَةٌ ، أَوْ سَاغَ سُمَّ الأَسْوَدِ[٤]

قَالُوا غَدًا يومُ الرَّحِيلِ وَمَنْ لَهُمْ خَوْفَ التَّفَرُّقِ أَنْ أَعِيشَ إِلَى غَدِ ؟[٥]

هِيَ مُهْجَةٌ ذَهَبَ الْهَوَى بِشِغَافِهَا مَعْمُودَةٌ . إِنْ لَمْ تَمُتْ فَكَأَنْ قَدِ[٦]

يَاأَهْلَ ذا الْبَيْتِ الرَّفِيعِ مَنَارُهُ أَدْعُوكُمُ يَا قَوْمُ دَعْوَةَ مُقْصَدِ[٧]

(٢) تلوى به : تذهب به ومن كلامهم : ألوى بهم الدهر : أى أهلكهم . والذكرات : جمع ذكرة (بضم فسكون) : وهى ضدّ النسيان . ويظلّ : يبقى ، يقال ظلّ يعمل كذا (كتعب) إذا عمله نهاراً ، وسمع فى الشعر ظل ليله يفعل كذا . وملقى اسم مفعول من ألقاه إلقاء بمعنى طرحه . والعوّد : جمع عائد ، اسم فاعل من عدت المريض أعوده عيادة بالكسر .

(٣) الطور : التارة والمرّة . وهمّ بالشىء : أراده ، (وبابه ردّ) . ويزلّ (من بابى ضرب وتعب) : يسقط . والسرف (بفتحتين) : التبديد والتضييع .

يقول : إنه لشدّة ضعفه وآلامه يحاول أحياناً أن يلقى بنفسه تضييعاً لها ، وأحياناً يميل على يده إعياء ووهناً .

(٤) الفرس (بفتح فسكون) والافتراس (فى الأصل) : دقّ العنق والقتل ، ومنه فرس الأسد فريسته وافترسها ، وقد ضمنّه الشاعر (هنا) معنى فتك ولهذا عدّاه بالباء . والحلم : العقل والأناة . والمشمولة : الخمر الباردة ، يقال : شمّل الخمر أى عرضها لريح الشمال فبردت . وساغ (من بابى قال وباع) : شرب . والسم (مثلث السين) : ما يقتل . والأسود : العظيم من الحيات وفيه سواد .

(٥) الرحيل : الارتحال والسفر .

وبيت النابغة الذبيانى فى هذا المعنى :

لا مَرْحَبًا بِغَدٍ ، ولا أَهْلاً بهِ إنْ كَانَ تَفْرِيقُ الأَحِبَّةِ فى غَدِ

وبيت أبى تمام :

قالُوا :الرَّحِيلُ غَدًا لا شَكَّ قُلْتُ لَهُمْ الآنَ أَيْقَنْتُ أَنَّ اسْمَ الْحِمَامِ غَدُ

(٦) المهجه : النفس والروح ودم القلب ، والمراد بها (هنا) : القلب ، والشغاف (كسحاب) : غلاف القلب أو حجابه أو حبته أو سويداؤه . والهوى : الحب . ومعمودة : هدّها العشق .

يقول : إنّ الحبّ هدّه ، وذهب بسويداء قلبه ، فهو إن لم يمت اليوم فإنّ موته قريب .

(٧) المنار : علم الطريق ، أو هو موضع النور كالمنارة ، ورفعة المنار كناية عن الشهرة وعظم القدر والمحادة . والمقصد : المطعون ، اسم مفعول من أقصد فلان فلاناً : إذا طعنه فلم يخطئه .

إنِّى فَقَدْتُ الْيَوْمَ بَيْنَ بُيُوتِكُمْ عَقْلِى ، فَرُدُّوهُ عَلَىَّ لِأَهْتَدِى[٨]
أَوْ فَاسْتَقِيدُونِى بِبَعْضِ قِيَانِكُمْ حَتَّى ترُدَّ إلَىَّ نَفْسِى ، أَوْتَدِى[٩]
بَلْ يا أَخَا السَّيْفِ الطَّوِيلِ نِجَادُهُ إنْ أَنْتَ لَمْ تَحْمِ النَّزِيلَ فَأَغْمِدِ[١٠]
هَذِى لِحَاظُ الْغِيدِ بَيْنَ شِعَابِكُمْ فَتَكَتْ بنَا خَلْسًا بِغَيْرِ مُهَنَّدِ[١١]
مِنْ كُلِّ نَاعِمَةِ الصِّبَا بَدَوِيَّةٍ رَيَّا الشَّبابِ سَلِيمَةِ الْمُتَجَرَّدِ[١٢]
هَيْفَاء إنْ خَطَرَتْ سَبَتْ ، وإِذَا رَنَتْ سَلَبَتْ فُؤَادَ الْعَابِدِ الْمُتَشَدِّدِ[١٣]

---

(٨) يشير بهذا البيت إلى أن فتاة جميلة من فتيات هذا الحىّ قد فتنته وذهبت بعقله .

(٩) استقدت الحاكم من القاتل: سألته أن يقتصّ لى منه . ومعنى استقيدونى هنا : مكنونى من أخذ القود ، وببعض قيانكم ، استعملت فيه الباء بدل من ، ويريد بالبعض محبوبته . والقيان : جمع قينة (بفتح فسكون) : وهى الأمة البيضاء ، أو الأمة المغنيّة أو أعمّ ، وتدى : تعطى الدية ، يقال : ودى القاتل القتيل (من باب وعى) يديه دية : إذا أعطى وليّه المال الذى هو بدل النفس .

(١٠) النجاد (ككتاب) : حمائل السيف ، وما يعلّق به كالسير ونحوه . وحماه يحميه حماية : دفع عنه . والنزيل : الضيف . وأغمد : أمر من أغمد السيف كغمده : إذا جعله فى غمده .

يقول : أيها الشجاع ، إذا لم تستطع حماية ضيفكم من فتك عيون الحسان ، فأولى بك أن تغمد سيفك .

(١١) لحظه (كمنعه) لحظاً : نظر إليه بمؤخر عينه ، ويقال : فتنته ألحاظها ولحظاتها . وقد استعمل اللحظ (هنا) اسما بمعنى العين ، ثم جمعه على لحاظ (بوزن سهم وسهام) . والغيد : جمع غيداء ، وهى المرأة الناعمة المتثنّية ليناً . والشعاب (بكسر الشين) : جمع شعب (بكسر فسكون) : وهو الطريق فى الجبل ، والمراد به (هنا) الطريق مطلقاً . وفتكت بنا : قتلتنا على غرّة . وخلساً : مصدر خلس الشىء (من باب ضرب) أى استلبه واختطفه بسرعة على غفلة . والمهنّد : السيف المطبوع من حديد الهند .

(١٢) الصبا (بكسر الصاد) : الصغر . وبدويّة : منسوبة إلى البدو أو البادية وهى خلاف الحضر . وريَّا : متنعمة ممتلئة . والمتجرَّد (بفتح الراء المشددة) : مصدر ميمى بمعنى التجرّد ، يقال : جرّده من ثيابه فتجرّد وانجرد ، وهى بضّة المتجرّد وسليمة المتجرّد ، أى بضّة وسليمة عند التجرّد ، فإن كسرت الرّاء أردت الجسم .

(١٣) هيفاء : صفة من الهيف (بفتحتين) : وهو ضمر البطن ورقّة الخاصرة ، وفعله كفرح وخاف . وخطرت : اهتزّت فى مشيها وتبخترت . وسبت : أسرت ، من السبى (بفتح فسكون) والسباء (بكسر السين) : وهو الأسر (وبابه رمى) . ورنا إليه : أدام النّظر بسكون الطّرف ، (وبابه سما) . وسلبت : اختلست وأخذت . والعابد المتشدّد : البخيل بدينه ، الحريص على العبادة .

يَخْفِضْنَ من أَبْصَارِهِنَّ تَخَتُّلًا لِلنَّفْسِ ، فِعْلَ الْقَانِتَاتِ الْعُبَّدِ[14]

فَإِذَا أَصَبْنَ أَخَا الشَّبَابِ سَلَبْنَهُ وَرَمَيْنَ مُهْجَتَهُ بِطَرْفٍ أَصْيَدِ[15]

وَإِذَا لَمَحْنَ أَخَا الْمَشِيبِ قَلَيْنَهُ وَسَتَرْنَ ضَاحِيَةَ الْمَحَاسِنِ بِالْيَدِ[16]

فَلَئِنْ غَدَوْتُ دَرِيئَةً لِعُيُونِهَا فَلَقَدْ أَفُلُّ زَعَارَةَ الْمُتَمَرِّدِ[17]

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْحَرْبَ فى إِبَّانِهَا وَلَبِئْسَ رَاعِي الْحَيِّ إِنْ لَمْ أَشْهَدِ[18]

تَتَقَصَّفُ الْمُرَّانُ فى حَجَرَاتِهَا ويَعُودُ فيها السَّيْفُ مِثْلَ الْأَدْرَدِ[19]

عَصَفَتْ بها رِيحُ الرَّدَى ، فَتَدَفَّقَتْ بِدَمِ الْفَوَارِسِ كَالْأَتِيِّ الْمُزْبِدِ[20]

---

(١٤) التختّل : الخديعة ، ولم نجدها فيما بين أيدينا من المعجمات . والقانتات : جمع قانتة ، وهى العابدة الطائعة ، من القنوت : وهو الطاعة والدعاء ، ويطلق على القيام فى الصلاة . والعُبَّد : جمع عابدة .

(١٥) أخو الشباب : الشابّ الفتىّ . وسلبنه : اختلسنه وأخذنه ، أى أخذن عقله أو قلبه . والمهجة : النفس والروح . والطرف : العين . وأصيد : صفة من الصيَد (بفتحتين) وهو عدم الالتفات من الزهو والكبر والدلال .

(١٦) لمحن : أبصرن ، لمحه : أبصره بنظر خفيف ، (وبابه قطع) . وأخو المشيب : الأشيب . وقلينه : أبغضنه ، (وبابه رمى) . والضاحية : المشرقة البارزة . والمحاسن : جمع على غير قياس للحسن (بضم فسكون) . والمراد بضاحية المحاسن : الوجه الجميل الفاتن .

(١٧) غدوت : صرت ، والغدوّ (فى الأصل) التبكير والذهاب فى الغدوة (بضم فسكون) وهى أول النهار . والدريئة : الحلقة يُتَعَلَّم الطّعن والرمى عليها ، والمراد بالدريئة (هنا) : الهدف والغرض . وأفلّ : أكسر . والزعارة : الشراسة وسوء الخلق . والمتمرّد : العاتى الجبّار الذى جاوز الحدّ .

(١٨) شهدت : حضرت . وفى إبّانها : فى وقتها ، أوفى أولها . والحىّ : البطن من بطون العرب وهو دون القبيلة . وراعى الحىّ : زعيمه .

(١٩) تتقصّف : تتكسّر . والمرّان : الرماح ، واحدتها مرانة (بضم الميم وتشديد الراء المفتوحة) من المرونة وهى اللين فى صلابة . والحجرات : النّواحى ، مفردها حجرة (بفتح الحاء والراء وسكون الجيم) . والأدرد : الذى سقطت أسنانه وبقيت أصولها ، صفة من الدرد (بفتحتين) : وهو ذهاب الأسنان . والمعنى : أنّ السّيف يرجع من هذه الحرب وقد تفللت مضاربه وتكسّرت لكثرة ما عمل .

(٢٠) عصفت الريح : اشتدّت ، (وبابه ضرب وجلس) . والرّدى : الهلاك . وتدفقت : تصببت وسالت . والفوارس : جمع على غير قياس لفارس ، وهو راكب الفرس . والأتىّ : السيل . والمزبد : المائج الذى يقذف بالزبد (بفتحتين) : وهو الرغوة ونحوها .

ما زِلْتُ أَطْعَنُ بَيْنَها حَتَّى انْثَنَتْ عَنْ مِثْلِ حَاشِيَةِ الرِّدَاءِ الْمُجْسَدِ(٢١)

وَلَقَدْ هَبَطْتُ الْغَيْثَ يَلْمَعُ نَوْرُهُ فِى كُلِّ وَضَّاحِ الْأَسِرَّةِ أَغْيَدِ(٢٢)

تَجْرِى بِهِ الْآرَامُ بَيْنَ مَنَاهِلٍ طَابَتْ مَوَارِدُهَا ، وَظِلٍّ أَبْرَدِ(٢٣)

بِمُضَمَّرٍ أَرِنٍ كَأَنَّ سَرَاتَهُ بَعْدَ الْحَمِيمِ سَبِيكَةٌ مِنْ عَسْجَدِ(٢٤)

خَلَصَتْ لَهُ الْيُمْنَى ، وَعَمَّ ثلاثَةً مِنْهُ الْبَيَاضُ إِلَى وَظِيفٍ أَجْرَدِ(٢٥)

---

(٢١) طعنه بالرمح ونحوه (كنمه ونصره) طعناً : ضربه ووخزه . وانثنى : انكفّ وانصرف وانثنت الحرب : انتهت ووضعت أوزارها ، وهو فى الأصل مطاوع ثناه عن مراده : إذا صرفه عنه وحاشية الثوب : جانبه والجمع الحواشى . والرداء : الملحفة ونحوها ، أو ثوب يتردّى به . والمجسد : الثوب المصبوغ بالجسد (بفتحتين) وهو الزعفران . =

= والمعنى : أنه استمرّ يطعن الأعداء فى الحرب حتى تكشّفت عن دماء القتلى والجرحى ، وصارت الأرض كحاشية الثوب المصبوغ بالزعفران .

(٢٢) هبطت الغيث : نزلت بأرضه . والغيث : النبات والكلأ ، وهو فى الأصل المطر ، وسمّى الكلأ غيثاً لأن الغيث سببه . ويلمع : يضىء . والنور (بفتح النون) : الزهر . ووضّاح : صيغة مبالغة من وضح الأمر وضوحاً : أى ظهر وبان . والأسرّة : خطوط الكفّ والجبهة ، واحدها سرار (بكسر السين) ، ووضّاح الأسرّة : صفة للنبت . والأغيد من النبات : الناعم المتثنى .

والمعنى : أنه نبات مزهر نضير جميل مشرق كالرجل الحسن البسّام الذى تبرق أسارير وجهه ، وتبدو محاسنه .

(٢٣) به : أى بموضع الغيث . والآرام : جمع رئم (بكسر الراء) وهو الظبى الخالص البياض . والمناهل : الآبار وعيون المياه العذبة ، مفردها منهل (كذهب) . وطابت : ساغت وعذبت . والموارد : مواضع ورود الماء ، أى بلوغه والإشراف عليه ، والمراد بها (هنا) المياه نفسها ، واحدها مورد (كمجلس) اسم مكان من ورد البعير وغيره الماء يرده وروداً : إذا بلغه ووافاه . وظلّ أبرد : بارد .

(٢٤) مضمر : خفيف اللحم ، معدّ للسباق ، وهو اسم مفعول من ضمرت الفرس تضميرا : اى اعددته للسباق . وأرن : نشيط خفيف سريع ، صفة من الأرن ، وفعله (كفرح) . والسراة (بفتح السين) : الظهر وأعلى كلّ شىء . . والحميم : العرق . والسبيكة : فعيلة من سبكت الذهب (من باب قتل) : إذا أذبته وخلّصته من خبثه . والعسجد : الذهب .

يقول : ولقد هبطت موضع الكلأ بفرس ضامر سبّاق كأنّ ظهره بعد إزالة العرق عنه سبيكة من ذهب .

(٢٥) الوظيف من الحيوان : مستدقّ الذراع والساق ، أو هو ما فوق الرّسغ إلى الساق . وأجرد : قصير الشعر رقيقه =

فَكَأَنَّمَا انْتَزَعَ الْأَصِيلَ رِدَاءَهُ سَلْباً، وَخَاضَ مِنَ الضُّحَى فِي مَوْرِدِ(٢٦)

زَجِلٌ يُرَدِّدُ فِي اللَّهَاةِ صَهِيلَهُ رَفْعاً كَزَمْزَمَةِ الْحَبِيِّ الْمُرْعِدِ(٢٧).

مُتَلَفِّتاً عَنْ جَانِبَيْهِ، يَهُزُّهُ مَرَحُ الصِّبَا كَالشَّارِبِ الْمُتَغَرِّدِ(٢٨)

فَإِذَا ثَنَيْتَ لَهُ الْعِنَانَ وَجَدْتَهُ يَمْطُو كَسِيدِ الرَّدْهَةِ الْمُتَوَرِّدِ(٢٩)

وَإِذَا أَطَعْتَ لَهُ الْعِنَانَ رَأَيْتَهُ يَطْوِي الْمَهَامِهَ فَدْفَدًا فِي فَدْفَدِ(٣٠)

يَكْفِيكَ مِنْهُ إِذَا أَحَسَّ بِنَبْأَةٍ شَدٌّ كَمَعْمَعَةِ الْأَبَاءِ الْمُوقَدِ(٣١)

= يقول : خلصت له قائمته اليمنى ، فهى ذهبية اللون مثل جسمه ، أما الثلاث القوائم الأخرى فقد عمها البياض إلى الوظيف . ثم وصف الوظيف بقلة الشعر ورقته ، وهذه من الصفات المستحسنة فى الخيل .

(٢٦) انتزعه : اقتلعه ، وفاعله ضمير مستتر يعود على المضمر ، أى الفرس (فى البيت الرابع والعشرين) . والأصيل : الوقت من بعد العصر إلى المغرب . ورداءه : بدل من الأصيل ، والرداء : ما يلبس فوق الثياب ، كالجبة ، والعباءة . والثوب يستر الجزء الأعلى من الجسم فوق الإزار . وسلباً : (بفتح اللام وسكونها) مصدر سلبه (من باب نصر) أى اختلسه وأخذه ، والسلب (بفتح اللام) : المسلوب . والضحى : الوقت حين تشرق الشمس ويرتفع النهار ويمتد . والمورد : مكان ورود الماء والإشراف عليه .

والمعنى : أن هذا الحصان قد جمع لون الأصيل فى جسمه ، وبياض الضحى فى قوائمه .

(٢٧) زجل (كفرح) : صفة من الزجل وهو الجلبة والتطريب ورفع الصوت ، وفعله كفرح . واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى الفم . والصهيل : صوت الفرس . والزمزمة : الصوت البعيد له دوى وتتابع كصوت الرعد . والحبى (كغنى) : السحاب يشرف من الأفق على الأرض ، أو الذى بعضه فوق بعض . والمرعد : ذو الرعد .

(٢٨) متلفتاً : كثير الالتفات بوجهه يمنة ويسرة . والمرح : شدة الفرح والنشاط ، (وبابه طرب) والصبا (بكسر الصاد) : صغر السن . ويريد بالشارب : شارب الخمر . والمتغرد : الذى يرفع صوته مطرباً به .

(٢٩) العنان (بكسر العين) : سير اللجام الذى تمسك به الدابة . وثنيت العنان : قصرته . ويمطو : يتمطى ويتبختر . والسيد (بكسر السين) : الذئب ، والأسد . والردهة (بفتح فسكون) : شبه أكمة خشنة . والمتورد : الجرىء ، من قولهم : هو يتورد المهالك ، أو الوردى اللون : من قولهم خد مورد ، وتورد خداها .

(٣٠) يطوى : يسلك ويقطع . والمهامه : جمع مهمه أو مهمهة ، وهى المفازة البعيدة : أى الأرض الواسعة المهلكة والبلد المقفر . والفدفد : الفلاة : وهى الأرض لا ماء فيها ، أو هو المكان الصلب الغليظ المرتفع ، أو الأرض المستوية .

(٣١) أحس بالشىء : شعر به ، وفى الأصل (إذا استحس) ولم نجدها فيما بين أيدينا من المعجمات . والنبأة : الصوت الخفى . والشد : العدو والجرى . والمعمعة : صوت الحريق فى القصب ونحوه . والأباء (كسحاب) : الأجمة من الحلفاء والقصب ، الواحدة بهاء . والموقد : اسم مفعول من أوقدت النار إيقاداً : أى أشعلتها =

صُلْبُ السَّنابِكِ لا يَمُرُّ بِجَلْمَدٍ | فى الشَّدِّ إلَّا رَضَّ فِيهِ بِجَلْمَدِ[٣٢]
نِعْمَ العَتَادُ إذَا الشِّفَاهُ تَقَلَّصَتْ | يومَ الكَرِيهَةِ فى العَجَاجِ الأَرْبَدِ[٣٣]
وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْخَمْرَ بَيْنَ غَطارِفٍ | شُمِّ المَعَاطِسِ كَالغُصُونِ المُيَّدِ[٣٤]
يَتَلاَعَبُونَ عَلَى الكُئُوسِ إذا جَرَتْ | لَعِباً يَرُوحُ الجِدُّ فِيهِ وَيَغْتَدِى[٣٥]
لَا يَنْطِقُونَ بِغَيْرِ ما أَمَرَ الْهَوَى | فَكَلامُهُمْ كَالرَّوْضِ مَصْقُولٌ نَدِى[٣٦]
مِنْ كُلِّ وَضَّاحِ الْجَبِينِ كَأَنَّهُ | قَمَرٌ تَوَسَّطَ جُنْحَ لَيْلٍ أَسْوَدِ[٣٧]
بَلْ رُبَّ غَانِيَةٍ طَرَقْتُ خِبَاءَهَا | وَالنَّجْمُ يَطْرِفُ عَنْ لَوَاحِظِ أَرْمَدِ[٣٨]

= يريد أن صوت وقع حوافر الفرس عند العدو يشبه أصوات الحطب المتقطّعة عند اشتعال النار فيه.

(٣٢) صلب: شديد قوىّ. والسنابك: جمع سنبك (بضم السين والباء وسكون النون). وهو طرف الحافر. والجلمد: الصخر كالجلمود. والشدّ: العدو. ورضّ: دقّ وكسر، (وبابه رد).
يقول: إن ذلك الفرس صلب السنابك، إذا عدا دقّ صخور الأرض بسنابك كالصخور.

(٣٣) العتاد: العدّة. وتقلّصت: انزوت وانضمّت وشمّرت، وارتفعت. وتقلّص الشفاه: كناية عن الشدّة والبأساء. والكريهة: الشدة فى الحرب. والعجاج (بفتح العين): الغبار والدّخان. والأربد: الأغبر الرمادىّ، صفة من الربدة (بضم فسكون): وهى لون يختلط سواده بكدرة، أو هى لون إلى الغبرة (بضم فسكون).

(٣٤) غطارف: جمع غطريف (بكسر فسكون فكسر)، وهو السّيد الشريف، والسخىّ السرىّ، والشابّ كالغطراف (بكسر فسكون). وشمّ: جمع أشم، صفة من الشمم وهو ارتفاع قصبة الأنف وحسنها واستواء أعلاها. والمعاطس: جمع معطس (كمجلس ومقعد): وهو الأنف. والميّد: جمع مائد، اسم فاعل من مادت الأغصان أى تمايلت.

(٣٥) الكئوس: جمع كأس: وهى الإناء يشرب فيه. قيل: ولا تسمى كأساً إلا وفيها الشراب. والجدّ (بكسر الجيم): ضد الهزل. وجرت الكئوس بينهم: دارت. ويروح ويغتدى: يذهب ويجىء، وأصل الرواح: الرجوع فى العشى، والاغتداء: الانطلاق فى أول النهار. يقول: إنهم يلعبون على كئوس الشراب وهى تدور بينهم لعباً يشوبه الجد.

(٣٦) الهوى: الحبّ وميل النفس وانحرافها نحو الشىء. والروض: جمع روضة، وهى أرض ذات بقل وعشب وزهر. ومصقول: مجلو. وند: مبتلّ نضير غضّ.

(٣٧) وضّاح: أغرّ أبيض حسن اللون. والجبين: ما فوق الصّدغ عن يمين الجبهة، أو شمالها، وهما جبينان. وجنح الليل: ظلامه واختلاطه، أو طائفة منه.

(٣٨) الغانية: المرأة الغنيّة بحسنها عن الزينة. وطرق (من باب دخل): جاء ليلا. والخباء: بيت من وبر أو صوف، ينصب على عمودين أو ثلاثة. ويطرف: مضارع طرف بصره (من باب ضرب) إذا =

قَالَتْ وَقَدْ نَظَرَتْ إِلَيَّ : فَضَحْتَنِى   فَارْجِعْ لِشَأْنِكَ فَالرِّجَالُ بِمَرْصَدِ[٣٩]

فَمَسَحْتُهَا حَتَّى اطْمَأَنَّ فُؤَادُها   وَنَفَيْتُ رَوْعَتَهَا بِرَأْيٍ مُحْصَدِ[٤٠]

وَخَرَجْتُ أَخْتَرِقُ الصُّفُوفَ مِنَ الْعِدَا   مُتَلَثِّماً والسَّيْفُ يَلْمَعُ فِى يَدِى[٤١]

فَلَنِعْمَ ذَاكَ الْعَيْشُ لَوْ لَمْ يَنْقَضِ   وَلَنِعْمَ هَذَا الْعَيْشُ إِنْ لَمْ يَنْفَدِ[٤٢]

يَرْجُو الْفَتَى فى الدَّهْرِ طُولَ حَيَاتِهِ   ونَعِيمِهِ . والْمَرْءُ غَيْرُ مُخَلَّدِ[٤٣]

=أطبق أحد جفنيه على الآخر ، وطرف البصر (من باب ضرب أيضاً) أى تحرك جفناه . واللواحظ : جمع لاحظة : بمعنى ناظرة ، والمراد العيون . وأرمد : صفة من الرمد ، وهو مرض يصيب العين فيهيجها .

(٣٩) الشأن : الأمر والحال.والمرصد : موضع الرصد (بفتحتين، أو بفتح فسكون) وهو : الارتقاب والانتظار .

(٤٠) المسح (كالمنع): إمرار اليد على الشيء . والروعة : الفزعة والخوف. والرأى المحصد : (بصيغة اسم المفعول) : المحصف الشديد المحكم الصائب .

(٤١) العدا : إسم جمع لعدوّ . ومتلثما : اسم فاعل من تلثّم أى شدّ اللثام ، وهو ما كان على الفم من النّقاب .

(٤٢) ينقضى وينفد : يفنى وينقطع .

(٤٣) غير مخلّد : غير باق ولا دائم .

القصيدة التاسعة عشرة

وقالَ يَذُمُّ رِجالَ الْحُكُومَةِ الاسْتِبْدادِيَّةِ فى عَهْدِ إسْماعِيلَ خديو مصر[*]

كَرَمُ الطَّبْعِ شِيمَةُ الْأَمْجادِ ... وَجَفَاءُ الْأَخْلاقِ شَأْنُ الْجَمادِ[1]

لَنْ يَسُودَ الْفَتَى ولَوْ مَلَكَ الحِكْـ ... ـمَةَ ما لَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَجْوادِ[2]

وَلَعَمْرِى لَرِقَّةُ الطَّبْعِ أَوْلَى ... مِنْ عِنادٍ يَجُرُّ حرْبَ الْفَسادِ[3]

قَدْ يَنَالُ الْحَلِيمُ بِالرِّفْقِ مَا لَيْـ ... ـسَ يَنالُ الْكَمِىُّ يوْمَ الْجِلادِ[4]

(*) جاءت هذه الأهْجُوَّة فى ثلاثين بيتاً . نشر منها فى الطبعات السابقة أربعة وعشرون بيتاً ، أما ستة الأبيات (٢٠ — ٢٥) فإنها لم تنشر من قبل لأنها مطموسة فى أصل الديوان المخطوط الذى بين أيدينا . وبجهد ومعاناة قرأناها ، ونشرناها فى هذه الطبعة ، مع كل ما استطعنا قراءته من المطموسات إتماماً للفائدة ، وحرصاً على منفعة القارئ والدارس .

(١) الشيمة : الغريزة والطبيعة والجبلّة التى خلق الإنسان عليها ، وجمعها شيم (بكسر ففتح) ، والأمجاد : جمع على غير قياس لماجد أو مجيد : وهما صفتان من المجد : وهو الكرم والعزّ والشرف ، والمجيد : الرفيع العالى ، والكريم الشريف الفعال ، (وفعله كنصر وكرم) . والجفاء : الغلظة والفظاظة . والشأن : الأمر والحال .

(٢) ساد قومه يسودهم (من باب كتب) سيادة : صار سيّدهم ، ورئيسهم المطاع. والاسم السودد: وهو المجد والشرف والرآسة . والحكمة : العدل والعلم والحلم . والأجواد : جمع جواد ، وهو السخىّ الكريم .

(٣) العمر : الحياة ، ولعمرى : وحياتى . وأولى : أحقّ وأحرى وأجدر ، والمراد أقرب إلى الخير . والعناد : مصدر عانده معاندة وعناداً : إذا ركب الخلاف والعصيان ، وردّ الحق وهو يعرفه . وحرب الفساد : الحرب المؤدّية للفساد ، أو الفساد الشبيه بالحرب .

(٤) الكمىّ : الشجاع المتكمّى فى سلاحه ، أى المتغطّى المتستّر بالدرع والبيضة ، وجمعه الكماة. والجلاد : القتال ، مصدر جالدته بالسيف : أى ضاربته .

فاقْرُنِ الحِلْمَ بالسَّماحَةِ تَبْلُغْ كُلَّ ما رُمْتَ نَيْلَهُ مِنْ مُرادِ[5]
وَضَعِ البِرَّ حَيْثُ يَزْكُو لِتَجْنِى ثَمَرَ الشُّكْرِ مِنْ غِرَاسِ الأَيَادِى[6]
وَاحْذَرِ النّاسَ ما اسْتَطَعْتَ فإنَّ النَّـ ـاسَ أَحْلاَسُ خُدْعَةٍ وتَعادِى[7]
رُبَّ خِلٍّ تَرَاهُ طَلْقَ المُحَيَّا وَهُوَ جَهْمُ الضَّمِيرِ بالأَحْقَادِ[8]
فَتَأَمَّلْ مَواقِعَ اللَّحْظِ تَعْلَمْ ما طَوَتْهُ صَحَائِفُ الأَكْبَادِ[9]
إنَّ فى العَيْنِ وَهْوَ عُضْوٌ صَغِيرٌ لَدَليــلاً عَلَى خَبَايَا الفُؤَادِ[10]
وأُناسٍ صَحِبْتُ مِنْهُمْ ذِئَاباً تَحْتَ أَثْوابِ أُلْفَةٍ وَوِدادِ[11]

---

(٥) قرن الشىء بالشىء : وصله به ، (وبابه ضرب ونصر) . والحلم : الأناة والصبر والعقل . والسماحة : الجود والكرم والسخاء . ورام الشىء : طلبه . (وبابه قال) .

(٦) البر : الخير ، والفضل ، والصلة ، والاتساع فى الإحسان . ويزكو : ينمى ويزيد . وجنى الثمرة (من باب رمى) : التقطها . والغراس (بكسر الغين) : الشجر المغروس : فعال بمعنى مفعول، مثل بساط بمعنى مبسوط . أو هو : جمع غرس : بمعنى مغروس ، من غرس الشجر يغرسه (من باب ضرب) : أى أثبته فى الأرض . والأيادى : جمع الأيدى ، والأيدى : جمع يد ، وهى (هنا) : بمعنى النعمة ، وغراس الأيادى : النعم المغروسة .

(٧) أحلاس : جمع حلس (بكسر فسكون) : وهو كساء يوضع على ظهر البعير والحمار والفرس ونحوها تحت البرذعة أو السرج أو نحوهما ، ومن كلام العرب : هو حلس بيته: إذا لم يبرح مكانه، والخدعة (بتثليث الخاء) : الخديعة ، وهما اسمان من خدعه (كمنعه) : إذا ختله ، وأراد به المكروه من حيث لايعلم كاختدعه ، وأحلاس خدعة : ملازمون للخداع . والتعادى : مصدر تعادى القوم : أى عادى بعضهم بعضاً .

(٨) الخل : الصادق . والطلاقة : الانبساط والبشر ، (وبابه ظرف) ، ورجل طليق الوجه ، وطلق الوجه : فرح ، ظاهر البشر ، متهلل بسام . والمحيا : الوجه . وجهم : كالح كدر ، وأصله من قولهم : رجل جهم الوجه : أى باسر الوجه كالحه . والأحقاد : جمع حقد (بكسر فسكون) : وهو الانطواء على العداوة والبغضاء .

(٩) المواقع : المساقط : جمع موقع : وهو اسم مكان من وقع الشىء يقع وقوعاً : أى سقط . واللحظ : النظر . وطوى الحديث : كتمه وأخفاه . ويريد بالأكباد : القلوب .
والمعنى : أن نظرات العيون تظهر ما يضمره الإنسان . وسيصرح بهذا فى البيت الآتى

(١٠) خبايا : جمع خبيئة : وهى ما خبئ وستر . وكان الأولى أن يقول « وهى عضو » .

(١١) وأناس : الواو (هنا) : واو رب . أى : ورب أناس ، ورب : حرف خافض يكون للتقليل غالباً ، ويدخل على النكرة دائماً . والأناس : لغة فى الناس . والألفة (بوزن الغرفة) =

يَتَمَنَّوْنَ لِي الْعِثَارَ ، ويَلْقَوْ نِي بِوَجْهٍ إلى الْمَوَدَّةِ صَادِي[12]

سَابَقُونِي فَقَصَّرُوا عَنْ لَحَاقِي إنَّما السَّبْقُ مِنْ خِصالِ الْجَوَادِ[13]

أنَا مَا بَيْنَ نِعْمَةٍ وحَسُودٍ والْمَعَــالِي كَثِيرَةُ الْحُسَّادِ[14]

فَلْيَمُوتُوا بِغَيْظِهِمْ ؛ فاحْتِمالُ الْـ غَيْظِ موْتٌ لَهُمْ بِلا مِيعَادِ[15]

كَيْفَ تَبْيَضُّ مِنْ أُناسٍ وُجُوهٌ صَبَغَ اللُّؤْمُ عِرْضَهُمْ بِسَوَادِ؟[16]

أظْهَرُوا زُخْرُفَ الْخِدَاعِ ، وأَخْفَوْا ذَاتَ نَفْسٍ كَالْجَمْرِ تَحْتَ الرَّمَادِ[17]

فَتَرى الْمَرْءَ مِنْهُمُ ضَاحِكَ السِّـ نِّ وَفِي ثَــوْبِهِ دِماءُ الْعِبَادِ[18]

مَعْشَرٌ لا وَلِيدُهُمْ طَاهِرُ الْمَهْـ دِ ، وَلَا كَهْلُهُمْ عَفِيفُ الْوِسَادِ[19]

= اسم من ألفت الشيء (من باب علم) : أى أنست به ، وأحببته . أو هى اسم من الائتلاف : وهو الالتئام والاجتماع . والوداد : الودّ والحبّ .

(١٢) العثار : التعس ، والزلل ، والكبوة ، والسقوط . والمودّة : المحبة . وصاد : صديان عطشان .

(١٣) اللحاق (بفتح اللام) : مصدر لحقه ، ولحق به (من باب سمع)أى أدركه . والجواد من الخيل : الكريم الجيّد الرائع .

(١٤) المعالى : جمع معلاة (بفتح فسكون) : وهى الرفعة والشرف ، كالعُلا ، والعَلاء .

(١٥) الغيظ : غضب كامن للعاجز . يدعو على حسّاده بالموت غيظاً ، ويقول : إن احتمال الغيظ موت دائم لهم .

(١٦) الأناس (بضم الهمزة) : لغة فى الناس . واللؤم : دناءة الأصل ، وشحّ النفس ، والخسّة ، والمهانة . والعرض : النفس ، أو الحسب .

(١٧) الزخرف (فى الأصل) : الذهب ، ثم يشبّه به كلّ مموّه مزوّر . والخداع : مصدر خادعه : أى ختله ، وأراد به المكروه من حيث لا يعلم . والجمر : القطع الملتهبة من النار ، الواحدة جمرة (بفتح فسكون) .

(١٨) المعنى : أنّ الواحد من هؤلاء المذمومين يظهر المسالمة والبشاشة وهو فى الحقيقة سفّاح قاتل سفّاك ويلاحظ أن النون الثانية المكسورة من كلمة « السنّ » هى أول الشطر الثانى .

(١٩) المعشر : الجماعة من الناس . والوليد : الصبىّ والصغير . والمهد : الموضع يهيّأ للصبىّ ويوطّأ . والكهل : من وخطه الشيب أى خالطه ، أو هو من جاوز الثلاثين ، أو أربعاً وثلاثين إلى إحدى وخمسين . وعفيف : صفة من العفة: وهى الكفّ عن الحرام ، والامتناع عما يشين . والوساد : المتّكأ والمخدّة . وعدم طهر المهد ، وعدم عفّة الوساد : كناية عن اختلاط الأنساب ، وارتكاب الفواحش والمنكرات .

حَكَمُوا مِصرَ وَهْيَ حَاضِرَةُ الدُّنْـ يَا ، (فَأَمْسَتْ) وَقَدْ خَلَتْ فِى الْبَوَادِى[20]
أَصْبَحَتْ مَنْزِلَ الشَّقَاءِ ، وكَانَتْ جَنَّةً لَيْسَ مِثْلُهَا فِى الْبِلَادِ[21]
وَقَعُوا بَيْنَ (رِيفِهَا وَقُرَاهَا) بِضُرُوبِ الْفَسَادِ وَقْعَ الجَرَادِ[22]

(٢٠) واو الجماعة فى « حكموا » : ضمير المهجوّين فى الأبيات السابقة : وهم رجال الحكومة الاستبداديّة فى عهد إسماعيل خديو مصر . والواو فى كلٍّ من الشطرين الأول والثانى : واو الحال . والجملة بعد كلٍّ منهما : جملة حاليّة . وحاضرة البلاد : المدينة الكبيرة التى يقيم فيها رجال الحكومة . ويراد بحاضرة الدنيا : أن مصر كانت – قبل أن يحكمها هؤلاء المهجوّون – نابهة الشأن ، عظيمة القدر بين ممالك العالم ، وأقطار الأرض . والكلمة التى بين قوسين فى أول الشطر الثانى « فأمست » تكملة اجتهاديّة من عندنا لنقص فى هذا البيت المطموس ، وبها استقام وزنه ، وتمّ معناه . وأمست : صارت . والإمساء فى الأصل : الدخول فى وقت المساء . وهو خلاف أصبح إصباحاً . وخلت : مضت ، وذهبت . (وبابه سما) . والبوادى : جمع البادية : وهى الصحراء . والبادية : خلاف الحاضرة . والبداوة : ضدّ الحضارة .

وصم حكم المهجوّين بالفساد والإفساد ؛ إذ تأخّرت مصر فى عهدهم ، وفقدت بفساد حكمهم ما كان لها من حضارة ، وازدهار ، ورفاهة ، وصيت واسع بعيد ذائع . وصارت شبيهة بالبوادى فى الإمحال والخمول ، وشقاء العيش ، وجفاء الحياة .

(٢١) يريد أن مصر شقيت ، وشقى أهلها بحكم هؤلاء المهجوّين ، بعد أن كانت من أعظم بلاد الله سعادة ، وحضارة ، ونضارة ، وعمراناً . وهو تكرار لمعنى البيت السابق .

(٢٢) وقع وقعاً (من باب وضع) : أى سقط . والمراد : نزل ، وتنقّل . أو هو من قولهم : وقع إلى كذا وقعا : أى ذهب إليه ، وانطلق مسرعاً . وفى القرآن الكريم : « قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب » الآية رقم ٧١ من سورة الأعراف . وفيه : « ولمّا وقع عليهم الرجز قالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك » الآية رقم ١٣٤ من سورة الأعراف . ويلاحظ أن هذا الفعل يستعمل كثيراً فى الشر والعذاب . وما بين القوسين فى هذا البيت تكملة اجتهادية ظنيّة من عندنا ، جعلناها مكان الكلمات التى بولغ فى طمسها ؛ فلم نستطع قراءتها . والريف : أرض فيها زرع وخصب . ويراد بالقرى : ما عدا الريف : أى المدن والأمصار ، والأبنية المتصلة الآهلة العامرة . الواحدة قرية . وضروب : صنوف ، وأنواع ، وألوان : جمع ضرب (بفتح فسكون) . والجراد : فصيلة من الحشرات المستقيمة الأجنحة . الواحدة جرادة للذكر والأنثى . ومن أنواع الجراد ما يتزايد ، ويكثر ، ويغزو الزرع والشجر والثمر ؛ فلا يبقى ، ولا يذر . قيل : وإنّما سمّى بذلك ؛ لأنه يجرد الأرض جرداً : أى يأكل كل ما عليها .

صوّر الشاعر فى هذا البيت ما ذاع وشاع ، وعمّ البلاد والبقاع من سوء حكم المهجوّين ، وإفسادهم . وقال : إنهم افتنّوا فى الشرّ والفساد ؛ فكان ضروباً وأنواعاً . وفى تشبيه وقعهم بوقع الجراد روعة وبلاغة .

فى زَمَانٍ قَدْ كَانَ لِلظُّلْمِ فِيهِ أَثَرُ النَّارِ فِى هَشِيمِ الْقَتَادِ(٢٣)

حِينَ لَمْ يُرْحَمِ الْكَبِيرُ ، وَلَمْ يُعْـ طَفْ عَلَى الْأُمَّهَاتِ وَالْأَوْلَادِ(٢٤)

تَحْتَ (رِجْزٍ) مِنَ الْعَذَابِ مُهِينٍ وَمُبِيرٍ مِنَ الْأَذَى رَعَّادِ(٢٥)

تِلْكَ آثَارُهُمْ تَدُلُّ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ جَفْوَةٍ وَتَبَادِى(٢٦)

لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ الْمَعَالِىَ لِلْفَخْـ رِ كَمَنْ يَطْلُبُ الْعُلَا لِلزَّادِ(٢٧)

وَقَلِيلًا مَا يَصْلُحُ الْمَرْءُ لِلْجَـ دِّ إِذَا كَانَ سَاقِطَ الْأَجْدَادِ(٢٨)

---

(٢٣) الهشيم : المهشوم ، المتحطم ، المتكسر . والقتاد : شجر صلب ، له شوك كالإبر .

فى البيت السابق وصم المهجوين وحكمهم بالفساد ، والافتنان فى الإفساد . وهذا البيت تخصيص بعد تعميم ؛ فإن الظلم من ضروب الفساد . والشطر الثانى تصوير لفظاعة ظلمهم وشناعته ؛ فإن النار فى هشيم القتاد عميقة الأثر ، بالغة الضرر .

(٢٤) يراد بالكبير : الهرم ، المتقدم فى السن . ويراد بالأولاد : الأطفال ، والولدان .

والغرض التنديد بفظاظة المهجوين ، وغلظ طباعهم وأكبادهم ، وتجردهم من العطف والرحمة وقسوتهم حتى على الضعفاء من بنى الإنسان . وقد يكون المعنى أعم من هذا ؛ فالمهجوون أشاعوا بين الناس الظلم الفساد ؛ ففسدت أخلاقهم ، وقست قلوبهم ، وتقطعت بينهم أواصر المودة والرحمة ، وقل التعاطف والتناصر ، وغاض التراحم والتعاون ، وشقى الضعفاء كل الشقاء .

(٢٥) ما بين القوسين فى الشطر الأول « رجز » تكلة من عندنا اجتهادية ظنية ، جعلناها مكان ما بولغ فى طمسه ؛ فلم نستطع قراءته . والرجز (بكسر فسكون ، أو بضم فسكون) : العذاب . أو أشده ، وأسوؤه . والرجز (فى الأصل) : الاضطراب . وسمى العذاب رجزاً ؛ لما فيه من الفزع والاضطراب . و « من » فى شطرى البيت : بيانية . ومهين : مذل ، مخز : اسم فاعل من أهانه إهانة : أى استخف به وأذله ، واستهزأ به ، واستحقره . ومبير : مهلك مرد : اسم فاعل من أباره إبارة : أى أهلكه وأرداه . ورعاد : كثير الرعد : وهو صوت السحاب . والمراد أنه أذى شديد مبيد .

(٢٦) الجفوة : الجفاء والإعراض . والتبادى : المجاهرة بالعداوة .

(٢٧) المعالى والعلا : الرفعة والعلاء والشرف ، الأولى جمع معلاة (بفتح الميم وسكون العين) ، والثانية جمع عليا ، مثل كبرى وكبر . والزاد فى الأصل : طعام يتخذ للسفر .

والمعنى : أن الذى يطلب المعالى للفخار والمباهاة بالمكارم والمناقب خير من ذلك الذى يطلبها للمال وعرض الدنيا .

(٢٨) الجد : العظمة والعلاء . والأجداد : جمع جد (بفتح الجيم أيضاً) وهو أبو الأب وأبو الأم .

فاعْتَصِمْ بِالنُّهَى تَفُزْ بِنَعِيمِ الدَّ هْرِ غَضًّا ، فالْعَقْلُ خَيْرُ عَتَادِ (٢٩)

إنَّ فى الْحِكْمَةِ الْبَلِيغَةِ لِلرُّو حِ غِذاءً كَالطِّبِّ لِلأَجْسَادِ (٣٠)

---

(٢٩) اعتصم بالشيء : استمسك به وتقوى وامتنع . والنهى : العقل ، أو هو جمع نهية (بضم سكون) وهى العقل، لأنها تنهى عن القبيح . وغضًّا : ناضراً حسناً . والعتاد : العدّة . يقال : أخذ للأمر عتاده ، وهو ما أعدّ من السلاح والدوابّ وآلة الحرب ونحوها .

(٣٠) الحكمة : القول الصائب .

القصيدة العشرون

وقالَ يَرْثِى زَوْجَهُ * وَقَدْ وَرَدَ إلَيْهِ نَعْيُهَا وَهُوَ بِسَرَنْدِيبَ (**) :

أَيَدَ الْمَنُونِ ! قَدَحْتِ أَىَّ زِنادِ   وأَطَرْتِ أَيَّةَ شُعْلَةٍ بِفُؤَادِى(1)

(*) يقال : هى زوج فلان ، وزوجته ، وامرأته ، وقرينته ، وحليلته . وفى القرآن الكريم « وقلنا يا آدم ، أسكن أنت وزوجك الجنة » الآية ٣٥ من سورة البقرة. والمرثية بهذه القصيدة : « عديلة يكن » بنت المشير « أحمد يكن باشا » : الزوجة الثانية للبارودى . تزوجها سنة ١٨٦٧ وسنها تسع عشرة سنة ، وسنه ثمان وعشرون سنة . وأنجب منها ابناً واحداً ، وأربع بنات . وتوفيت بالقاهرة سنة ١٨٨٣ وهى فى السابعة والثلاثين . ونعيت إليه بسرنديب ؛ فرثاها بهذه الدالية المطولة (٦٧ بيتاً) . ورثاء الزوجات غير مألوف فى البيئة العربية ، وقليل جداً فى الشعر العربى؛ فهى من المراثى الباكيات الباقيات، ومن الروائع والبدائع الطارئة على فنون الشعر العربى .

(**) سرنديب (سيلان) : جزيرة كبيرة بالمحيط الهندى ، فى الجنوب الشرقى للهند . سكانها نحو عشرة ملايين نسمة ، أكثرهم بوذيون ، وفيهم قلة من المسلمين وحاضرتها وأهم موانيها « كولمبو » . وفيما بين القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلادى قصدها تجار العرب ، وسموها « سرنديب » . وفى أواخر القرن الثامن عشر استولى عليها البريطانيون بعد البرتغاليين والهولنديين . وفى سنة ١٩٤٨ انتهى الحكم البريطانى وأصبحت « سيلان » دولة مستقلة فى نطاق الكومنولث البريطانى. وقد نفى البارودى إليها مع ستة من قادة الثورة العرابية بعد إخفاقها فى صفر سنة ١٣٠٠ هـ (ديسمبر سنة ١٨٨٢ م) .

(١) الهمزة فى أول هذا البيت : حرف نداء . والمنون : المنية والموت ، وهى مؤنثة . وقدح الزند : أوراه : أى أخرج ناره . والزناد : جمع زند (بفتح فسكون) : وهو الحديدة ، أو العود الذى تقدح به النار ، وهو الأعلى ، والسفلى زندة . والقدح : ضرب أحد الزندين بالآخر لإخراج النار منهما ، وأى فى مثل هذا الموضع تفيد التعظيم والتفخيم ، والتهويل ، ومثلها أية فى الشطر الثانى . والشعلة : لهب النار ، وجمعها شعل (بضم ففتح) .

أَوْهَنْتِ عَزْمِى وَهْوَ حَمْلَةُ فَيْلَقٍ وَحَطَمْتِ عُودِى وَهْوَ رُمْحُ طِرَادِ(٢)

لَمْ أَدْرِ هَلْ خَطْبٌ أَلَمَّ بِسَاحَتِى فَأَنَاخَ ، أَمْ سَهْمٌ أَصَابَ سَوَادِى(٣)؟

أَقْذَى الْعُيُونَ فَأَسْبَلَتْ بِمَدَامِعٍ تَجْرِى عَلَى الْخَدَّيْنِ كَالْفِرْصَادِ(٤)

ما كُنْتُ أَحْسَبُنِى أُرَاعُ لِحَادِثٍ حَتَّى مُنِيتُ بِهِ فَأَوْهَنَ آدِى(٥)

أَبْلَتْنِىَ الْحَسَرَاتُ حَتَّى لَمْ يَكَدْ جِسْمِى يَلُوحُ لِأَعْيُنِ الْعُوَّادِ(٦)

أَسْتَنْجِدُ الزَّفَرَاتِ وَهْىَ لَوَافِحٌ وَأُسَفِّهُ الْعَبَرَاتِ وَهْىَ بَوَادِى(٧)

---

(٢) أوهنت : أضعفت . والعزم : الإرادة القاطعة القويّة . والحملة : الكرّة فى الحرب . والفيلق : الجيش ، أو الكتيبة العظيمة منه . وحطمت : كسرت ، (وبابه ضرب) . والعود من الخشب معروف ، ويريد به (هنا) : جسمه . والطراد : مصدر طارده يطارده مطاردة وطراداً . ومطاردة الأقران : حمل بعضهم على بعض فى الحرب ونحوها .

يقول مخاطباً الموت : إنك أضعفت عزمى وكان شديداً قويًّا كحملة الكتيبة العظيمة من الجيش ، وكسرت جسمى وكان صلباً متيناً كرمح القتال والطعان .

(٣) الخطب : النازلة الشديدة من نوازل الدهر . وألمّ به : نزل . والساحة : الموضع المتّسع أمام = الدار . وأناخ : استقرّ وأقام . والسهم : واحد النبل (بفتح فسكون) ، وهو ما يرمى به الصائد ونحوه عن القوس ونحوها . وسواد الإنسان وغيره : شخصه . وسواد القلب : حبّته ، كسويدائه . وكان الأولى أن يستفهم هنا بالهمزة بدل « هل » .

(٤) أقذى : أى الخطب . وأقذى العيون : جعل فيها القذى : وهو ما يسقط فى العين فيهيجها ، ويسيل دموعها . وأسبلت العيون الدمع : أرسلته . وأسبل الدمع : هطل ، وتتابع ، وانصبّ . والمدامع : المآقى : وهى أطراف العيون ، ومجارى الدموع ، والمراد بها هنا : الدموع . والفرصاد (بكسر فسكون) : صبغ أحمر .

(٥) أحسبنى : أظننى . وأراع (بالبناء للمفعول) : أفزع وأخاف . وحادث الدهر : واحد حوادثه ، وهى نوبه ونوازله . ومنيت : ابتليت واختبرت (بالبناء للمجهول فى الثلاثة) . وبه أى بهذا الحادث . وأوهن : أضعف . والآد : القوّة .

(٦) أبلتنى : أنحلتنى وهزلتنى ، وأصلها من أبلى الإنسان ثوبه : أى صيّره بالياً خلقاً . والحسرات : جمع حسرة : وهى التأسّف والتلهّف الشديد على الشىء الفائت . ويلوح : يبدو ويظهر ، والعوّاد : جمع عائد : اسم فاعل من عدت المريض أعوده عيادة (بكسر العين) .

(٧) أستنجد الزفرات : أستعين بها على تخفيف الحزن . والزفرات : جمع زفرة (بفتح فسكون) : وهى إخراج النفَس طويلا ممدوداً . ولوافح : جمع لافحة أى محرقة . وأسفّه العبرات : أنسبها إلى السفه (بفتحتين) : وهو الجهل ، والطيش ، وخفّة النفس لنقصان العقل . والعبرات : جمع عبرة (بفتح فسكون) : وهى الدمعة قبل أن تفيض ، أو تردّد البكاء فى الصدر . وبواد : جمع بادية أى ظاهرة =

لا لَوْعَتِى تَدَعُ الْفُؤَادَ ، ولَا يَدِى ... تَقْوَى عَلَى رَدِّ الْحَبِيبِ الْغَادِى[٨]

يا دَهْـرُ ، فِيمَ فَجَعْتَنِى بِحَلِيلَةٍ ؟ ... كانَتْ خُلاصَةَ عُدَّتِى وَعَتَادِى[٩]

إنْ كُنْتَ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَاىَ لِبُعْدِها ... أَفَلا رَحِمْتَ مِنَ الْأَسى أَوْلادِى[١٠]؟

أَفْرَدْتَهُنَّ فَلَمْ يَنَمْنَ تَوَجُّعًا ... قَرْحَى الْعُيُونِ رَوَاجِفَ الْأَكْبَادِ[١١]

أَلْقَيْنَ دُرَّ عُقُودِهِنَّ ، وَصُغْنَ مِنْ ... دُرِّ الدُّمُوعِ قَلَائِدَ الْأَجْيَادِ[١٢]

يَبْكِينَ مِنْ وَلَهٍ فِرَاقَ حَفِيَّةٍ ... كانَتْ لَهُنَّ كَثِيرَةَ الْإِسْعَادِ[١٣]

فَخُدُودُهُنَّ مِنَ الدُّمُوعِ نَدِيَّةٌ ... وَقُلُوبُهُنَّ مِنَ الْهُمُومِ صَوَادِى[١٤]

=والمعنى : أستعين على تخفيف لوعة الحزن ، وإطفاء ناره بالزفرات وهي محرقة ؛ وأنسب العبرات إلى السفه حينما تسيل وتنهمر .

(٨) اللوعة : حرقة الحزن وألمه . والغادى : الذاهب ، وأصله من الغدوّ : وهو الذهاب فى أول النهار .

(٩) فجعه (كنعه) : أوجعه . والحليلة : الزوجة . وخلاصة الشيء : خياره ، وما خلص منه . والعدّة والعتاد : ما يعدّه المرء لاتّقاء حوادث الدهر ، كالمال والسلاح وآلات الحرب وغير ذلك ، ويقال : أخذ للأمر عتاده وعدّته ، أى تأهّب له واستعدّ .

(١٠) الضنى : مصدر ضنى يضنى (من باب صدى) : أى مرض مرضاً مخامراً ، كلما ظنّ برؤه نكس . والأسى : الحزن ، (وبابه صدى) .

(١١) أفردتهن : الخطاب للدهر ، والضمير يعود إلى « الأولاد » فى البيت السابق ، والولد يطلق على الذكر والأنثى . يقول : إنك أيها الدهر جعلت فتياتى وحيدات منفردات ، قد غيّب النوى أباهنّ ، وغيّب الموت أمهنّ . وتوجّعاً : مصدر توجّع : بمعنى تشكّى وتألّم ، أى لم ينمن بسبب التوجّع والتألّم . وقرحى : جمع قريح بمعنى مقروح : أى مجروح . والمراد أن عيونهن تقرّحت لكثرة البكاء . ورواجف جمع راجفة : أى مضطربة . والمراد بالأكباد : القلوب . وكنى برجيف أكبادهنّ عن اضطراب حالهن ، وما أصابهنّ من الفزع والرعب .

(١٢) الدرّ : جمع درّة : وهى اللؤلؤة العظيمة : والعقود جمع عقد (بكسر فسكون) : وهو القلادة . وصاغ الصائغ الذهب ونحوه يصوغه صوغاً : جعله حليّاً . والأجياد : جمع جيد (بكسر الجيم) : وهو العنق .

(١٣) الوله (بفتح الواو واللام) : الحزن ، أو ذهاب العقل حزناً . والحفيّة : صفة على وزن فعيلة بمعنى فاعلة من حفى به (كرضى) حفاوة : إذا بالغ فى إكرامه ، وأظهر السرور والفرح به ، وأكثر السؤال عن حاله . والإسعاد : مصدر أسعده : أى جعله سعيداً ، أو أسعده : بمعنى أعانه .

(١٤) ندية : مبتلّة . والهموم : جمع همّ : وهو الحزن . وصواد : جمع صاد : أى عطشان . فى الشطر الأوّل أن دموعهنّ لا تفتأ تجرى على خدودهنّ ؛ فهى على الدوام ندية بكثرة بكائهنّ . وفى الشطر الثانى أن قلوبهنّ محترقة بسبب الحزن والجزع والهمّ الشديد .

أَسَلِيلَةَ الْقَمَرَيْنِ ! أَىُّ فَجِيعَةٍ حَلَّتْ لِفَقْدِكِ بَيْنَ هَذَا النَّادِى[١٥]؟
أَعزِزْ عَلَىَّ بِأَنْ أَرَاكِ رَهِينَةً فِى جَوْفِ أَغْبَرَ قَاتِمِ الْأَسْدَادِ[١٦]!
أَوْ أَنْ تَبِينِى عَنْ قَرَارَةِ مَنْزِلٍ كُنْتِ الضِّيَاءَ لَهُ بِكُلِّ سَوَادِ[١٧]!
لَوْ كَانَ هَذَا الدَّهْرُ يَقْبَلُ فِدْيَةً بِالنَّفْسِ عَنْكِ ، لَكُنْتُ أَوَّلَ فَادِى[١٨]
أَوْ كَانَ يَرْهَبُ صَوْلَةً مِنْ فَاتِكٍ لَفَعَلْتُ فِعْلَ الْحَارِثِ بْنِ عُبَادِ[١٩]
لَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ لَيْسَ بِنَاجِعٍ فِيهَا سِوَى التَّسْلِيمِ وَالْإِخْلَادِ[٢٠]
فَبِأَىِّ مَقْدُرَةٍ أَرُدُّ يَدَ الْأَسَى عَنِّى وَقَدْ مَلَكَتْ عِنَانَ رَشَادِى[٢١]؟

---

(١٥) السليل : الولد ، والأنثى سليلة . والقمران : الشمس والقمر ، وأراد بالقمرين : أبويها المقليمين الماجدين . والفجيعة : الرزيئة والمصيبة . وحلّت : نزلت . ويراد بنادى الشاعر : أهله ، وعشيرته ، ومن يحزنون لحزنه .

(١٦) عزعليه أن يكون كذا يعزّ (كيقلّ ويملّ) : صعب واشتدّ . ورهينة : محبوسة . وفى جوف أغبر : فى جوف قبر أغبر . وأغبر : صفة من الغبرة (بضم فسكون) : وهى لون الغبار . وقاتم : أسود مغبرّ ، صفة من القتمة (بضم فسكون) : وهى سواد ليس بشديد . والأسداد : جمع سدّ (بفتح السين) : وهو الحاجزبين الشيئين . والمراد الجدران .

(١٧) البين : الفراق والبعد ، (وبابه باع) ، والقرار والقرارة : ما قرّ فيه الإنسان ، أى ثبت وسكن واستقر . والسواد : الظلام . وقد يكون المراد به : سواد العين ، أو سواد القلب

(١٨) فداه : يفديه‌فداء وفدى(بالمدّ والقصر) : أعطى شيئاً فأنقذه ، والفدية : ذلك الشىء المعطى. يقول : لو كان الدهر يقبل أن تفدى نفس بنفس لكنت أوّل من يفديك .

(١٩) يرهب : يخاف ، (وبابه طرب). والصولة : السطوة، والاستطالة، والوثوب، والهجوم. وفاتك : جرىء شجاع : وهو اسم فاعل من فتك به : أى انتهز منه فرصة فقتله، أو جرحه مجاهرة . والحارث بن عباد البكرىّ : كان من سادات العرب وشعرائهم وأبطالهم فى الجاهليّة ، ومن أيامه المشهورة يوم‌قضّة (بقاف مكسورة وضاد مشدّدة) : وهى موضع كانت فيه وقعة كبيرة بين قبيلتى بكر وتغلب ، ويوم تحلاق اللمم الذى انتصر فيه لقومه بنى بكر من بنى عمّهم « تغلب » قوم كليب فى حرب البسوس المشهورة .

(٢٠) الأقدار : جمع قدر (بفتحتين) وهو القضاء الذى يقدّره الله‌تبارك وتعالى . وليس بناجع : ليس بنافع ، وهو اسم فاعل من نجع الدواء ونحوه : إذا ظهر أثره ، (وبابه خضع) . والتسليم : مصدر سلّم أمره لله : أى رضى بحكمه . والإخلاد : مصدر أخلد إليه : إذا ركن ، وسكن إليه ، واطمأنّ ، والمراد الإخلاد إلى قضاء الله تعالى وقدره ، والرضا بحكمه ، والصبر على بلائه .

(٢١) المقدرة (مثلثة الدال) : القدرة والقوّة . والأسى : الحزن . والعنان : سير اللجام الذى تمسك به الدابّة . والرشاد : الهدى والصلاح ، وهو ضدّ الغىّ والجهل والفساد .

أَفَأَسْتَعِينُ الصَّبْرَ وَهْوَ قَسَاوَةٌ ؟ أَمْ أَصْحَبُ السُّلْوَانَ وَهْوَ تَعَادِي(٢٢)؟
جَزَعُ الْفَتَى سِمَةُ الْوَفَاءِ ، وَصَبْرُهُ غَدْرٌ يَدُلُّ بِهِ عَلَى الْأَحْقَادِ(٢٣)
وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنْ يُسَامَ أَخُو الْأَسَى رَعْيَ التَّجَلُّدِ وَهْوَ غَيْرُ جَمَادِ(٢٤)
هَيْهَاتَ بَعْدَكِ أَنْ تَقَرَّ جَوَانِحِي أَسَفاً لِبُعْدِكِ ، أَوْ يَلِينَ مِهَادِي(٢٥)
وَلَهِي عَلَيْكِ مُصَاحِبٌ لِمَسِيرَتِي وَالدَّمْعُ فِيكِ مُلَازِمٌ لِوِسَادِي(٢٦)
فَإِذَا انْتَبَهْتُ فَأَنْتِ أَوَّلُ ذُكْرَتِي وَإِذَا أَوَيْتُ فَأَنْتِ آخِرُ زَادِي(٢٧)

---

(٢٢) استعنته ، واستعنت به ، فأعانني . والقساوة : القسوة ، مصدر قسا قلبه : إذا غلظ واشتدّ . وصحبه (من باب سلم) صحابة (بفتح الصاد) وصحبة (بضم الصاد) . والسلوان (بضم السين) : مصدر سلاه ، وسلا عنه (كدعاه ورضيه) : أى صبر عنه ، ونسيه . والتعادى : التباعد .

والمعنى (كما يزعم الشاعر) : أن الصبر على فراق الأحبّة يعدّ من القساوة ، وصلابة القلب ، وجمود العاطفة ؛ وأن السلوّ عنهم تباعد عن الوفاء لهم . وسيصرّح بهذا المعنى فى البيت الآتى .

(٢٣) الجزع : ضد الصبر ، مصدر جزع جزعاً (من باب تعب) : إذا ضعفت قوّته عن حمل ما نزل به ، ولم يجد صبراً . والسمة : العلامة . والوفاء : ضدّ الغدر . والأحقاد : جمع حقد ، وهو الضغن (بكسر فسكون فيهما) ، والانطواء على العداوة والبغضاء .

(٢٤) البليّة : المصيبة ، وهى اسم من ابتلاه : أى اختبره . وسامه الأمر (من باب قال) كلّفه إيّاه ، وألزمه به ، وحمله عليه . والأسى : الحزن ، وأخو الأسى : الحزين . والرعى : مصدر رعيت أمره : أى حفظته ، كراعيته . والتجلّد : الصبر . وهو فى الأصل مصدر تجلّد : إذا تكلّف الجلد (بفتحتين) : وهو الصلابة والشدّة والقوّة ، ورعى التجلّد : المحافظة على الصبر .

(٢٥) هيهات : كلمة معناها البعد . وتقرّ (بكسر القاف وفتحها) : تستقرّ وتسكن ، وتثبت ، وتطمئنّ . والجوانح : أضلاع الصدر ، الواحدة جانحة . والأسف : أشدّ الحزن . والمهاد : الفراش ، وهو يكنى بخشونة مهاده ، وعدم استقرار جوانحه عن اضطراب أمره ، وشدّة همّه وبلباله .

(٢٦) الوله (بفتح الواو واللام) : الحزن ، أو ذهاب العقل من الحزن . والمسيرة : السير ، كالمسير والتسيار . ويريد بالمسيرة : يقظة النهار . والوساد : المتكأ ، والمخدّة ، كالوسادة .

(٢٧) انتبه من نومه : استيقظ . والذكرة (بضم الذال) : ضد النسيان ، كالذكر ، والذكرى (بكسر الذال فيهما) ؛ وأنت أول ذكرتى اى أنت أول شىء أذكره بقلبى ولسانى . وأوى إلى المنزل ونحوه : سكن وأقام . والزاد فى الأصل : الطعام يتّخذه المسافر لسفره . ويقصد بآخر زاده : أنه يختم نهاره بذكرها قبل نومه .

والمعنى : أنه يذكرها بالأسى والحسرة نهاراً وليلاً ، وأن الجزع لايكاد يفارقه ، أو يهادنه .

أَمْسَيْتُ بَعْدَكِ عِبْرَةً لِذَوِى الأَسَى ... فِى يَوْمِ كُلِّ مُصِيبَةٍ وحِدَادِ (٢٨)

مُتَخَشِّعاً أَمْشِى الضَّراءَ ، كَأَنَّنِى ... أَخْشَى الفُجَاءَةَ مِنْ صِيَالِ أَعَادِى (٢٩)

مَا بَيْنَ حُزْنٍ باطِنٍ .أَكَلَ الحَشَا ... بِلَهِيبِ سَوْرَتِهِ ؛ وسُقْمٍ بَادِى (٣٠)

وَرَدَ البَرِيدُ بِغَيْرِ ما أَمَّلْتُهُ ... تَعِسَ البَرِيدُ ؛ وشَاهَ وَجْهُ الحَادِى (٣١)

فَسَقَطْتُ مَغْشِيًّا عَلَىَّ كَأَنَّمَا ... نَهَشَتْ صَمِيمَ القَلْبِ حَيَّةُ وَادِى (٣٢)

وَيْلُمِّــهِ رُزْءًا أَطَارَ نَعِيُّهُ ... بِالقَلْبِ شُعْلَةَ مَارِجٍ وَقَّادِ (٣٣)

---

(٢٨) العبرة (بكسر العين) : اسم من الاعتبار : وهو الاتعاظ والعبرة (أيضاً) : العجب ، واعتبر منه : تعجّب وذوو الأسى : المحزونون . والحداد (بكسر الحاء) : الحزن ، وهو فى الأصل : مصدر حدّت المرأة تحدّ (بضم الحاء وكسرها) حداداً (بالكسر) : إذا امتنعت عن الزينة والخضاب بعد وفاة زوجها . يقول : لقد صرت بعدك مثار عجب للمحزونين فى كلّ مصيبة وحزن .

والمعنى : أنّ حزنه شديد جداً ، بحيث يتعجّب منه كل محزون ، ثم هو دائم متكرّر يتجدّد عند كلّ حزن ، ويوم كلّ مصيبة .

(٢٩) متخشّعاً : متضرّعاً متذلّلاً . والضّراء (بفتح الضاد) : الاستخفاء ، وأمشى الضّراء : أمشى مستخفياً . وأخشى : أخاف . والفجاءة : الهجوم والمفاجأة والمباغتة . والصيال (بكسر الصاد) : مصدر صال على قرنه : إذا سطا عليه واستطال ، ووثب فى القتال . أو هو مصدر صاوله : أى واثبه وغالبه .

(٣٠) حزن باطن : أى حزن خفىّ غير ظاهر . والحشا : ما اشتملت عليه الضلوع ، أو هو ما حواه الجوف . وسورة الحزن (بفتح السين وسكون الواو) : حدّته وشدّته . والسقم : المرض . وباد : ظاهر .

(٣١) ورد : وافى وحضر . وأمّلته : رجوته وترقّبته . وتعس : هلك أو سقط . وشاه : قبح . والحادى : اسم فاعل من حدا الرجل بالإبل ، وحدا الإبل : إذا حثّها على السير بالحداء (بضم الحاء) : وهو الغناء لها . يتخيّل أن الرسالة التى وردت عليه نقلتها الإبل ، على عادة العرب فى ذلك .

(٣٢) غشى عليه (بالبناء للمجهول) : أغمى عليه . ونهشته الحيّة : لسعته ، (وبابه قطع) . وصميم القلب . وسطه . والوادى : كل منفرج بين جبال أو تلال أو آكام ، يكون منفذاً للسيل . وحيّة الوادى : أخبث الحيّات ، وأشدّها فتكاً ، ولهذا يقولون : فلان حيّة الوادى : إذا كان داهياً ، خبيثاً ، شديد الشكيمة ، حامياً لحوزته .

(٣٣) ويلمه (بكسر اللام وضمها) : أصلها ويل لأمه ، فركبوه وجعلوه كالشىء الواحد . والويل : حلول الشرّ ، أو هى كلمة عذاب . والرزء : المصيبة . ونعيّه : نعى الرزء : أى : نبؤه والإخبار به ، أو ناعيه والمخبر به . والشعلة : لهب النار . والمارج : النار لادخان لها . ووقّاد : صيغة مبالغة من وقدت النار (من باب وعد) أى توقّدت واشتعلت .

قَدْ أَظْلَمَتْ مِنْهُ الْعُيُونُ ، كَأَنَّمَا كَحَلَ الْبُكَاءُ جُفُونَها بِقَتَادِ[٣٤]

عَظُمَتْ مُصِيبَتُهُ عَلَيَّ بِقَدْرِ مَا عَظُمَتْ لَدَىَّ شَمَاتَةُ الْحُسَّادِ[٣٥]

لَامُوا عَلَى جَزَعِي ، ولَمَّا يَعْلَمُوا أَنَّ الْمَلامَةَ لا تَرُدُّ قِيَادِي[٣٦]

فَلَئِنْ « لَبِيدُ » قَضَى بِحَوْلٍ كَامِلٍ فى الْحُزْنِ ؛ فَهْوَ قَضَاءُ غَيْرِ جوَادِ[٣٧]

لَبِسَ الزَّمَانَ عَلَى اخْتِلافِ صُرُوفِهِ دُوَلًا ، وَفَلَّ عَرَائِكَ الْآبَادِ[٣٨]

---

(٣٤) منه : أى من الرزء المذكور فى البيت السابق ، والمعنى بسببه . وكحل عينه (من باب نصر) : وضع فيها الكحل . والجفون : جمع جفن (بفتح فسكون) : وهو غطاء العين من أعلاها وأسفلها . والقتاد : شجر صلب له شوك كالإبر .

(٣٥) مصيبته : أى مصيبة الرزء ، والمراد : وقوعه وبأثيره . ولدىَّ : عندى . والشماتة : الفرح ببليّة العدوّ ومصيبته . والحسّاد : جمع حاسد .

(٣٦) لامه على كذا (من باب قال) لوماً وملاماً وملامة (بفتح الميم فيهما) : عذله . والجزع ضدّ الصبر : مصدر جزع (من باب طرب) : إذا ضعفت قدرته عن حمل ما نزل به ، ولم يجد صبراً . والقياد (ككتاب) : حبل تقاد به الدابّة ، كالمقود ، وردّ القياد : كناية عن المنع .

يقول : إنهم لامونى على جزعى ولم يعلموا أن اللوم لا يمنعنى من الجزع .

(٣٧) منع «لبيد» من الصرف ضرورة شعريّة . وهو لبيد بن ربيعة من بنى عامر بن صعصعة أحد بطون هوازن من مضر ، وأمّه من بنى عبس ، كان فى الجاهلية شريفاً جواداً شجاعاً شاعراً حكيما ، وقد أدرك الإسلام وأسلم ، وعمّر طويلا حتى مات فى أوائل خلافة معاوية سنة إحدى وأربعين من الهجرة ، وقيل إنه عاش ثلاثين ومائة سنة . والبارودى فى هذا البيت يشير إلى أبيات لبيد المشهورة التى قالها لابنتيه عند ما حضرته الوفاة وهى :

تمنّى ابنتاى أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر ؟
فقوما فقولا بالذى قد علمتما ولا تخمشا وجهاً ، ولا تحلقا الشعر
وقولا : هو المرء الذى لا خليله أضاع ، ولا خان الصديق ، ولا غدر
إلى الحول ، ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

فكانتا ترثيانه ولا تندبانه ، وأقامتا على ذلك حولا ، ثم انصرفتا . وقضى يقضى قضاء : حكم . والحول : السنة . وغير جواد : غير كريم ولا سخىّ .

يقول : إذا كان لبيد العامرىّ قد حكم بأن المرء إذا حزن عاماً على من يموت من أهله وأحبائه فقد صار ذا عذر ؛ فإن لبيداً كان فى هذا الحكم بخيلاً غير كريم .

(٣٨) لبس الزمان : تملّى به . وهذا من قولهم : فلان قد لبس الناس : إذا عاش معهم ، ولبس قوماً : تملّى بهم دهراً . وصروف الزمان : أحداثه ، واحدها صرف (بفتح فسكون) . والدول : جمع دولة =

كَمْ بَيْنَ عَادِيٌّ تَمَلَّى عُمْرَهُ حِقَباً : وَبَيْنَ حَدِيثَةِ الْمِيلَادِ[٣٩]
هَذَا قَضَى وَطَرَ الْحَيَاةِ ، وتِلْكَ لَمْ تَبْلُغْ شَبِيبَةَ عُمْرِهَا الْمُعْتَادِ[٤٠]
فَعَلامَ أتْبَعُ ما يَقُولُ ؟ وَحُكْمُهُ لا يَسْتَوِى لِتَبَايُنِ الأَضْدَادِ[٤١]
سِرْ يَا نَسِيمُ فَبَلِّغِ الْقَبْرَ الَّذِى بِحِمَى الإِمَامِ تَحِيَّتِى ووِدَادِى[٤٢]
أَخْبِرْهُ أَنِّى بَعْدَهُ فى مَعْشَرٍ يَسْتَجْلِبُونَ صَلاحَهُمْ بِفَسَادِى[٤٣]
طُبِعُوا على حَسَدٍ ، فَأَنْتَ تَرَاهُمُ مَرْضَى الْقُلُوبِ أَصِحَّةَ الأَجْسَادِ[٤٤]

وهى انقلاب الزمان ، ومن كلامهم : الدهر دول وعقب ونوب (بضم ففتح فى الثلاثة) ، والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ، ومرة عليهم ، وتداولوا الشىء بينهم : إذا حصل فى يدهذا تارة ، وفى يد هذا أخرى ، والاسم من كل ذلك الدولة (بفتح الدال وضمها) . وفلّ : كسر . والعرائك . جمع عريكة وهى الطبيعة ، أو النفس. يقال : هو لينّ العريكة : إذا كان سلسّ الخلق . والآباد : جمع أبد (بفتحتين) : وهو الدهر .
والمعنى : أن لبيداً العامرىّ عمّر طويلا ، وتغلّب على الزمان .

(٣٩) عادىّ : قديم معمّر ، كأنّه منسوب إلى عاد قبيلة هود عليه السلام ، وهى من قبائل العرب القديمة البائدة . وتملى عمره : استمتع به . وحقباً : سنين كثيرة ، واحدتها حقبة (بكسر فسكون) ، والحقبة من الدهر : مدّة لا وقت لها . والميلاد : وقت الولادة . يقول : إن الفرق بعيد ، والبون شاسع بين لبيد الذى عمّر ، وتمتّع بعمره مدّة طويلة ؛ وبين زوجه القصيرة العمر ، الحديثة الميلاد .
والمعنى : أنه إذا كان مثل لبيد يحزن عليه سنة ، فإن مثل زوجته جدير بأن يحزن عليه دهراً طويلا .
(٤٠) قضى وطره : بلغه وناله . والوطر : الحاجة . وقضى وطر الحياة : نال بغيته وحاجته منها .
والشبيبة : الحداثة ، وكذا الشباب ، وهو خلاف الشيب .
يقول : إن لبيداً العامرىّ نال من الحياة حاجته وبغيته ، أما المرثية بهذه القصيدة فإنها ماتت ولم تبلغ نهاية الشباب .
(٤١) لا يستوى : لا يستقيم ، ولا يصحّ ولا يستقرّ . والتباين : التباعد والاختلاف والافتراق .
والأضداد : جمع ضدّ ، وهو المخالف ، يقال : هذا ضدّ هذا : أى خلافه .
يقول : على أىّ شىء اتبع ما يقوله لبيد من الاكتفاء بسنة يبكيها المرء على الميت العزيز ؛ وحكمه هذا لا يستقيم هنا ؛ لاختلاف الحالين .
(٤٢) الحمى (فى الأصل) : المكان المحمىّ الذى لا يقرب ، ولا يجترأ عليه ، والمراد بحمى الإمام : مقبرة الإمام الشافعىّ (رضى الله عنه) بالقاهرة فى جنوبيّها الشرقىّ . وبلّغ القبر : أى بلّغ من فيه ، ويريد زوجه .
(٤٣) أخبره : أى أخبر القبر . والمعشر : الجماعة من الناس . ومعنى الشطر الثانى : أن هؤلاء الناس يطلبون ما ينفعهم ، ويصلح شأنهم من طريق الإضرار بى ، وإفساد أمورى .
(٤٤) هو مطبوع على اللؤم وغيره ، وقد طبع على كذا : أى فطر عليه وخلق . والحسد : أن

وَلَوَ انَّهُمْ عَلِمُوا خَبِيئَةَ ما طَوَى ... لَهُمُ الرَّدَى ، لَمْ يَقْدَحُوا بِزِنادِ(٤٥)

كُلُّ امْرِئٍ يَوْماً مُلاقٍ رَبَّهُ ... والنَّاسُ فى الدُّنْيَا عَلَى مِيعَادِ(٤٦)

وَكَفَى بِعَادِيَةِ الْحَوَادِثِ مُنْذِرًا ... لِلْغَافِلِينَ ، لَوِ اكْتَفَوْا بِعَوَادِى(٤٧)

فَلْيَنْظُرِ الإِنْسانُ نَظْرَةَ عاقِلٍ ... لِمَصَارِعِ الآبَاءِ وَالأَجْدَادِ(٤٨)

عَصَفَ الزَّمَانُ بِهِمْ ، فَبَدَّدَ شَمْلَهُمْ ... فى الأَرْضِ بَيْنَ تَهَائِمٍ ونِجَادِ(٤٩)

دَهْرٌ كَأَنَّا مِنْ جَرَائِرِ سِلْمِهِ ... فى حَرِّ يَوْمِ كَرِيهَةٍ وجِلادِ(٥٠)

أَفْنَى الْجَبَابِرَ مِنْ مَقَاوِلِ «حِمْيَرٍ» ... وأُولِى الزَّعَامَةِ مِنْ «ثَمُودَ» و«عَادِ»(٥١)

= يتمنّى الحاسد زوال نعمة المحسود ، وانتقالها إليه ، (وبابه دخل) . ومرضى : جمع مريض . وأصحّة : جمع صحاح (بفتح الصاد) : بمعنى صحيح . يقال : رجل صحيح وصحاح ، وقوم صحاح وأصحّاء وأصحّة .

(٤٥) الخبيئة : ما خبئ وستر وغاب . وطوى : أخفى وكتم . والردى : الهلاك . وقدح بالزند : أخرج به النار . والزناد : جمع زند ، وهو الحديدة أو العود الذى تقدح به النار . ومعنى لم يقدحوا بزناد : لم يحمّلوا أنفسهم عناء السعى المشوب بالطمع والحسد .

(٤٦) معنى الشطر الثانى من هذا البيت : أن الناس يعيشون فى الدنيا إلى أجل محدود ، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ، ولا يستقدمون .

(٤٧) عادية الحوادث : شرّها وشدّتها ، وجمعها عواد ، وهى اسم فاعل من عدا عليه عدواً (بفتح العين) وعدواناً (بضم العين) : إذا ظلم ، وتجاوز الحدّ .

(٤٨) مصارع : جمع مصرع (بفتح فسكون) : اسم مكان ، أو مصدر ميمىّ من صرعه (كمنعه) : أى أهلكه ، والصرع (فى الأصل) : الطرح على الأرض .

(٤٩) بدّد شملهم : فرّقهم . وتهامة : مكان بعينه بجزيرة العرب ، ولعل الشاعر أطلقه على كل منخفض من الأرض ؛ ولذلك ساغ جمعه على تهائم . والنجاد : جمع نجد (بفتح فسكون) : وهو ما ارتفع من الأرض .

(٥٠) الجرائر : جمع جريرة : وهى الجناية والذنب . والكريهة : الحرب . والجلاد : القتال ، وأصله القتال بالسيوف .

يقول : إذا سالم الدهر : فإنه يتبع سلمه مصائب ونوباً لها ما للحرب من شدّة وفتك .

(٥١) أفنى : أى الدهر . والجبابر : جمع جبّار : وهو العظيم القوىّ ، والعاتى ، والمتكبّر . والمقاول : جمع مقول (بكسر فسكون) : وهو الملك ، أو الملك من ملوك حمير (بكسر فسكون ففتح) ، كالقيل (بفتح فسكون) . أو هو دون الملك الأعلى . وحمير : قبيلة أو قبائل تنسب إلى حمير بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان : جدّ كثير من القبائل اليمنيّة ، وكانوا يسكنون أول أمرهم غربىّ صنعاء ، وأنشئوا لملكة كانت عاصمتها (ظفار) ، واستمرت دولتهم من أواخر القرن الثانى قبل الميلاد إلى أوائل القرن السادس الميلادىّ ، وقد امتازت هذه الدولة بالفتوح ، ومحاربة الفرس والحبشة . وقد تسمّى العرب كلّ دول اليمن الحميريّين ؛ لذيوع صيت حمير ، واتّساع شهرتها قبيل الإسلام . والزعامة : الرياسة والشرف والسيادة =

وَرَمَى «قُضَاعَةَ» فَاسْتَبَاحَ دِيَارَهَا بِالسُّخْطِ مِنْ «سَابُورَ» ذِى الْأَجْنَادِ(٥٢)

وَأَصَابَ عَنْ عُرْضٍ «إِيادَ» فَأَصْبَحَتْ مَنْكُوسَةَ الْأَعْلَامِ فِى «سِنْدَادِ»(٥٣)

فَسَلِ «الْمَدَائِنَ» فَهْىَ مَنْجَمُ عِبْرَةٍ عَمَّا رَأَتْ مِنْ حَاضِرٍ أَوْ بَادِى(٥٤)

كَرَّتْ عَلَيْهَا الْحَادِثَاتُ، فَلَمْ تَدَعْ إِلَّا بَقَايَا أَرْسُمٍ وَعِمَادِ(٥٥)

واعْكُفْ عَلَى الْهَرَمَيْنِ، واسْأَلْ عَنْهُمَا «بَلْهِيبَ» فَهْوَ خَطِيبُ ذَاكَ الْوَادِى(٥٦)

وثمود : قوم صالح . وعاد : قوم هود ، وهما قبيلتان من قبائل العرب البائدة؛ جاء ذكرهما فى القرآن كثيراً ، وكانت الأولى تسكن الحجر (بكسر فسكون) المسمّى الآن بمدائن صالح أو وادى القرى بين الحجاز والشام ، وكانت الثانية تسكن الأحقاف فى جنوبىّ الجزيرة العربية .

(٥٢) رمى : أى الدهر . وقضاعة : قبيلة يمنيّة، تنسب إلى عمرو بن مالك بن حمْيَر (بكسر فسكون ففتح) ، وقضاعة : لقبه . وكانت تسكن شمالىّ الحجاز ، وجنوبىّ الشام . واستباح ديارها : استحلّها، وتغلّب عليها . والسخط : الغضب . وسابور : معرّب « شاه بور » ، ولقبه « خواست » : وهو ابن أردشير ، وأحد الأكاسرة : ملوك الفرس . وقد بنى مدينة على بعد خمسة وعشرين فرسخاً من شيراز . والأجناد : جمع جند : وهم العسكر والأعوان والأنصار .

(٥٣) أصاب : أى الدهر ، وأصاب عن عرض(بضم فسكون ، أو بضمتين) : أى من غير مبالاة، ولا اكتراث . وهو من قولهم : يضربون الناس على عرض : أى لا يبالون من يضربون . وإياد : إحدى القبائل العدنانيّة ، وتنسب إلى إياد بن نزار بن معدّ بن عدنان ، وكانت تسكن قرب الأبلة جنوبىّ العراق العربىّ . ومنكوسة : اسم مفعول من نكسه: أى قلبه على رأسه، كنكّسه تنكيساً. وسنداد : منازل لإياد، نزلتها لما قاربت الريف ، وهو أسفل سواد الكوفة ، سمّيت باسم سنداد من ملوك الفرس .

(٥٤) المدائن : مدينة على نهر دجلة ، جنوبىّ بغداد ، تبعد عنها بنحو ستة فراسخ ، سمّيت بذلك لعظمها ، وتنسب إلى كسرى أنو شروان بن قباذ ، وبها إيوانه المشهور ، وكانت حاضرة مملكة الفرس قبل الإسلام . ومنجم عبرة : مطلع اعتبار ، ومظهر عظة . وحاضر : مقيم بالحاضرة ، وهى خلاف البادية . وباد : مقيم بالبادية .

(٥٥) كرّت : حملت ، وهجمت ، وتردّدت ، وأصله من قولهم : كرّ الفارس فى الحرب (من باب ردّ) : إذا فرّ للجولان ، ثم عاد للقتال . والأرسم : جمع رسم : وهو الأثر أو بقيّته ، أو ما لا شخص له من الآثار . والعماد : الأبنية الرفيعة ، واحدتها عمادة (بكسر العين) .

(٥٦) عكف على الشىء (من بابى دخل ، وجلس) أقبل عليه ، ولزمه ، ولم ينصرف عنه. ويريد بالهرمين : هرم الملك « خوفو » ، وهرم خليفته الملك « خفرع » ، وهما من ملوك الأسرة الرابعة التى حكمت مصر قبل ميلاد المسيح عيسى عليه السلام بنحو ثلاثة آلاف عام . وكان عصرها أزهى عصور الدولة المصرية القديمة .

و « بلهيب » : « أبو الهول » : نصب فرعونى ضخم هائل ، وأثر رائع بديع خالد على مقربة من هرمى « خوفو » و « خفرع » . نحت من صخرة واحدة . جسمه جسم أسد ، ووجهه وجه إنسان . وكانوا يرمزون بهما إلى عظمة فرعون ، وشدة بأسه ، ورجاحة عقله . طوله نحو سبعة وخمسين متراً ، وارتفاعه نحو عشرين متراً ، وعرض وجهه نحو أربعة أمتار . يروعك فيه الضخامة ، مع جمال الفن ودقة النحت وحسن التصوير ، والإغراق فى القدم ، والخلود على الزمن . وهو من آثار الأسرة الرابعة ، وقيل : بل أقيم فى عهد الأسرة الثالثة والوادى (فى الأصل) : كل منفرج بين الجبال ، والتلال ، والآكام ، يكون مسلكاً للسيل ومنفذاً =

تُنبئْكَ أَلْسِنَةُ الصُّموتِ بِمَا جَرَى ... فِى الدَّهْرِ مِنْ عَدَمٍ ومِنْ إيجَادِ[٥٧]

أَمَمٌ خلَتْ ، فَاسْتعْجَمَتْ أَخْبَارُها ... حَتَّى غَدَتْ مَجْهُولَةَ الإِسْنَادِ[٥٨]

فَعَلاَمَ يَخْشَى الْمَرْءُ صَرْعَةَ يَوْمِهِ ؟ ... أَوَ لَيْسَ أَنَّ حَيَاتَهُ لِنَفَادِ[٥٩] ؟

تَعَسَ امْرُؤٌ نَسِيَ الْمَعَادَ ، وَمَا دَرَى ... أَنَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ بِالْمِرْصَادِ[٦٠]

فَاسْتَهْدِ «يَامَحْمُودُ» رَبَّكَ ،وَالْتَمِسْ ... مِنْهُ الْمَعُونَةَ ، فَهْوَ نِعْمَ الْهَادِى[٦١]

واسْأَلْهُ مَغْفِرَةً لِمَنْ حَلَّ الثَّرَى ... بِالْأَمْسِ ، فَهْوَ مُجِيبُ كُلِّ مُنَادِى[٦٢]

هِيَ مُهْجَةٌ وَدَّعْتُ يَوْمَ زِيَالِهَا ... نَفْسِى، وَعِشْتُ بِحَسْرَةٍ وَبِعَادِ[٦٣]

ويراد به هنا : المكان الذى يجمع ذلك النصب أو الصنم ، أو التمثال ، والأهرام الثلاثة : الأكبر ، والأوسط ، والأصغر ، بالقرب من مدينة الجيزة ، فى جنوبيها الغربى .

(٥٧) تنبئك : تخبرك ، وهو أمر مجزوم فى جواب «اسأل» فى البيت السابق . والصموت : مصدر صمت : بمعنى سكت (من باب دخل) .

والمعنى : أنّ ألسنة هذه الآثار الصامتة تخبرك بما حدث على مرّ الزمان من مظاهر العدم والوجود ، والموت والحياة ، والخراب والعمران .

(٥٨) خلت : مضت وذهبت . واستعجمت اخبارها : استبهمت وخفيت ، وأصله من قولهم : استعجم الرجل : إذا سكت ، ولم يقدر على الكلام أصلا . والإسناد (بكسر الهمزة) : مصدر أسند القول إلى قائله : أى نسبه إليه . أو هو بفتح الهمزة : جمع سند (بفتحتين) ، والسند فى الأصل : معتمد الإنسان ، وأسناد الأخبار : أصولها التى تعتمد عليها ، وتستند إليها .

(٥٩) الصرعة : اسم مرة من صرعه (كنعه) : أى أهلكه ، والصرع فى (الأصل) : الطرح على الأرض .

(٦٠) تعس (من بابى قطع ، وتعب) عثر ، وسقط ، وأكبّ على وجهه ، وشقى ، وهلك . والمعاد : الآخرة ، والمرجع ، والمصير . والمنون : الموت ، وهى مؤنثة ، وتكون واحدة وجمعاً ، وأصلها من المنّ : بمعنى القطع ، أو النقص ، لأنها تقطع المدد ، وتنقص العدد . والمرصاد : الطريق ، والمكان يرصد فيه العدوّ ، وقعد له بالمرصاد : أى بطريق الارتقاب والانتظار .

(٦١) الهدى : الرشاد ، واستهديت الله تعالى : طلبت هدايته . والالتماس : الطلب .

(٦٢) حلّ : نزل ، يقال : حلّ بالبلد ، وحلّ البلد ، يتعدى بنفسه وبالباء (وبابه قعد) . والثرى (بوزن الحصى) : الأرض ، أو الأرض الندية .

(٦٣) المهجة : الروح والنفس . والزيال (بكسر الزاى) : المفارقة : مصدر زايله مزايلة وزيالاً : أى فارقه . والحسرة : التأسّف والتلهف الشديد على الشىء الفائت . والبعاد (بكسر الباء) : البعد ، أو الإبعاد ، أو المجانبة ، أو التفرقة : مصدر باعده مباعدة وبعاداً ، كتباعد منه وابتعد .

تَاللهِ ما جَفَّتْ دُمُوعِى بَعْدَمَا ذَهَبَ الرَّدَى بِكِ يَا بْنَةَ الْأَمْجَادِ(٦٤)

لاتَحْسَبِينِى مِلْتُ عَنْكِ مَعَ الْهَوَى هَيْهَاتَ ، ما تَرْكُ الْوَفاء بِعَادِى(٦٥)

قَدْ كِدْتُ أَقْضِى حَسْرَةً لَوْ لَمْ أَكُنْ مُتَوَقِّعًا لُقْيَاكِ يَوْمَ مَعَادِى(٦٦)

فَعَلَيْكِ مِنْ قَلْبِى التَّحِيَّةُ كُلَّمَا نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ عَلَى الْأَعْوَادِ(٦٧)

---

(٦٤) الردى : الهلاك ، وفعله (كصدى) . والأمجاد : جمع على غير قياس لمجيد أو ماجد ، وهما صفتان من المجد ، وهو الكرم والعزّ والشرف .

(٦٥) الهوى : ميل النفس وانحرافها نحو شهواتها ، ويطلق على الميل المذموم . وهيهات : كلمة معناها البعد . والعاد : جمع عادة . يقول : إن ترك الوفاء ليس من عاداته .

(٦٦) أقضى : أموت . والحسرة : الحزن ، والتأسّف ، وشدّة التلهّف على الفائت . (وفعله من باب تعب) . ومتوقّع : اسم فاعل من توقّعت الأمر : بمعنى انتظرت حصوله . واللقيا : اللقاء ، والمقابلة . ويوم معاده : يوم آخرته ، أو يوم رجوعه إلى الله تبارك وتعالى .

(٦٧) ناحت الحمامة : سجعت ، أى ردّدت صوتها . والمطوّقة : الحمامة ذات الطوق ، وهى التى فى عنقها ريش يخالف لونه لون باقى جسمها ، ويشبه الطوق . والأعواد : الأغصان ، واحدها عود .

القصيدة الحادية والعشرون

وَقَالَ يَرْثِي وَلَدَهُ * :

كَيْفَ طَوَتْكَ الْمَنُونُ يا وَلَدِي ؟ وَكَيْفَ أَوْدَعْتُكَ الثَّرَى بِيَدِي[1] ؟

وَاكَبِدِي يا «عَلِيُّ» بَعْدَكَ ! لَوْ كَانَتْ تَبُلُّ الْغَلِيلَ (وَاكَبِدِي)[2]

فَقْدُكَ سَلَّ الْعِظَامَ مِنِّي ، وَرَدَّ الصَّبْرَ عَنِّي ، وَفَتَّ فِي عَضُدِي[3]

كَمْ لَيْلَةٍ فِيكَ لا صَبَاحَ لَهَا سَهِرْتُهَا بَاكِيًا بِلَا مَدَدِ[4]

دَمْعٌ وَسُهْدٌ ، وَأَيُّ نَاظِرَةٍ تَبْقَى عَلَى الْمَدْمَعَيْنِ والسَّهَدِ[5] ؟

(*) توفيت بالقاهرة سنة ١٨٨٣ « عديلة يكن » زوجة البارودى ، وبعد وفاتها تزوج فى المنفى « أمينة يعقوب سامى » فى أواخر سنة ١٨٨٥ وهو فى نحو السادسة والأربعين . وهى ابنة زميله فى المنفى والجهاد اللواء « يعقوب سامى » : أحد قادة الثورة العرابية . ومن أولادهما فى المنفى « علىّ » المرثىّ بهذه القصيدة . وفى بعض أبياتها دلالة على أنه مات فى طفولته .

(١) المنون : الموت ، وهى مؤنثة . والثرى : الأرض ، أو التراب . والاستفهام فى شطرى البيت : للتعجّب والتحسّر .

(٢) الغليل : شدّة العطش وحرارته ، والمراد به (هنا) : حرقة الوجد ، وشدة الحزن .

(٣) السّلّ : (بفتح السين) : انتزاعك الشىء ، وإخراجه فى رفق ، والمراد بسلّ العظام : إضعاف الجسم ، واستلاب قوّته . وفتّ فى عضده : كسر قوّته ، وأضعفه . والدال الأولى فى « ردّ » آخر الشطر الأوّل .

(٤) لا صباح لها : طويلة ، طوّلها الحزن ، والهم ، والسهر . وبلا مدد : بلا معين ، ولا مساعد .

(٥) السهد (بضم السين وسكون الهاء وبفتحهما) : الأرق ، والسهر ، كالسهاد (وبابه طرب) . والناظرة : العين . والمدمعان : مثنى مدمع ، وهو مجرى الدمع من العين .

والمعنى : أن العيون لا يمكن أن تبقى سليمة مبصرة مع شدّة الحزن ، وكثرة البكاء ، وطول السهر .

لَهْفِى عَلَى لَمْحَةِ النَّجَابَةِ ! لَوْ دَامَتْ إِلَى أَنْ تَفُوزَ بِالسَّدَدِ[٦]
مَا كُنْتُ أَدْرِى إِذْ كُنْتُ أَخْشَى عَلَيْه لَكَ الْعَيْنَ أَنَّ الْحِمَامَ بِالرَّصَدِ[٧]
فَاجَأَنِى الدَّهْرُ فِيكَ مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ خَتْلاً ، وَالدَّهْرُ كَالْأَسَدِ[٨]
لَوْلَا اتِّقَاءُ الْحَيَاءِ لَاعْتَضْتُ بِالْحِلْمِ هُيَاماً يَحِيقُ بِالْجَلَدِ[٩]
لَكِنْ أَبَتْ نَفْسِى الْكَرِيمَةُ أَنْ أَثْلِمَ حَدَّ الْعَزَاءِ بِالْكَمَدِ[١٠]
فَلْيَبْكِ قَلْبِى عَلَيْكَ ، فَالْعَيْنُ لَا تَبْلُغُ بِالدَّمْعِ رُتْبَةَ الْخَلَدِ[١١]
إِنْ يَكُ أَخْنَى الرَّدَى عَلَيْكَ ، فَقَدْ أَخْنَى أَلِيمُ الضَّنَى عَلَى جَسَدِى[١٢]
عَلَيْكَ مِنِّى السَّلَامُ تَوْدِيعَ لَا قَالٍ ، وَلَكِنْ تَوْدِيعَ مُضْطَهَدِ[١٣]

---

(٦) لهف (كفرح) : حزن وتحسّر ، ويالهف : كلمة التحسّر . واللمحة : واحدة الملامح ، وهى المشابه ، وما بدا من محاسن الوجه . والنجابة : الكرم . والسدد : الاستقامة والصواب ، والمراد الكمال وبلوغ الغاية .

(٧) يريد بالعين (هنا) : الإصابة بالعين . والحمام (بكسر الحاء) : قضاء الموت وقدره . والرصد : الارتقاب والانتظار .

(٨) الختل : مصدر ختله (من باب ضرب) : أى خدعه ، وأراد به المكروه من حيث لا يعلم .

(٩) اعتاض : أخذ العوض : وهو البدل ، واعتضت هنا : بمعنى استبدلت . والحلم : الأناة ، والعقل ، والصبر . والهيام : الجنون من الجزع والحزن ، وأصله الجنون من العشق . ويحيق به : يحيط به ، ويصيبه ، ويأتى عليه . وهو مضارع حاق (من باب باع) أو أحاق . والجلد : القوّة والصبر .

(١٠) ثلمه (من باب ضرب) : كسره . والعزاء : الصبر . والكمد : الحزن المكتوم ، (وبابه طرب) .

(١١) الخلد (بفتح الخاء واللام) : القلب . يريد أن حزن العين الذى يظهر فى إرسالها دمعها لا يصل إلى منزلة حزن القلب .

(١٢) أخنى عليه : أهلكه . والردى : الهلاك . والضنى : المرض (وبابه صدى) ، وهو يريد المرض الذى جلبه إليه الحزن .

(١٣) قال : مبغض كاره : وهو اسم فاعل من قلاه يقليه (كرماه يرميه) قلى (بكسر ففتح) : أى أبغضه . ومضطهد : مقهور ، مغلوب على أمره .

القصيدة الثانية والعشرون

وَقَالَ فى النَّسِيبِ (*) :

مَا لِقَلْبِى مِنْ لَوْعَةٍ لَيْسَ يَهْدَا ؟ أَوَ لَمْ يَكْفِ أَنَّهُ ذَابَ وَجْدَا ؟[1]

وَسَمَتْنِى بِنَارِهَا الْغِيدُ حَتَّى تَرَكَتْنِى فى عَالَمِ الْحُبِّ فَرْدَا[2]

فَضُلُوعِى مِنْ قَدْحَةِ الزَّنْدِ أَوْرَى وَدُمُوعِى مِنْ صَفْحَةِ الْغَيْمِ أَنْدَى[3]

مَا عَلَى الْبَرْقِ لَوْ تَحَمَّلَ عَنِّى بَعْضَ ما خَفَّ مِنْ سَلَامٍ فَأَدَّى[4]

(*) النسيب : مصدر نسب الشاعر بالمرأة (كضرب) نسباً (بفتحتين) ونسيباً : إذا شبَّب بها فى الشعر ، وعرّض بهواها وحبِّها .

(١) اللوعة : حرقة فى القلب ، وألم من حب أو هم ، ولاعه الحب : أمرضه . ويهدا (بإبدال الهمزة ألفا) : يسكن ويطمئن . والوجد : الحب .

(٢) الوسم : أثر الكى ، ووسمه (من باب وعد) : جعل فيه بالكى أثراً وعلامة . والغيد : جمع غيداء ، وهى الحسناء الناعمة المتثنِّية ليناً ؛ والفعل غيد (كفرح) : إذا مالت عنقه ، ولانت أعطافه . ومعنى الشطر الثانى : أنه أصبح فى عالم الحب منفرداً متميزاً من سواه بشدة ما يعانيه من حرقة الهوى والصبابة ، وتباريح العشق والغرام .

(٣) القدحة : اسم مرّة من قدح الزند : أى أخرج منه ناره . والزند : العود الذى تقدح به النار ، وهو الأعلى ، والزندة السفلى ، وهما زندان . وأورى : اسم تفضيل من ورى الزند يرى وريا (كوعى يعى وعياً) : إذا خرجت ناره . والصفحة : الوجه ، وصفحة كل شىء : جانبه . والغيم : السحاب ، الواحدة غيمة (بفتح فسكون) . وأندى : أكثر ندى : وهو المطر والبلل .

والمعنى : أن حرقة الوجد بين ضلوعه أشد اتقاداً من نار الزند ، وأن دموعه أغزر من المطر .

(٤) أدّى السلام : أوصله ، وبلّغه .

أَيُّهَا السَّاهِرُونَ حَوْلَ وِسَادِي ... لَسْتُ مِنْكُمْ أَوْ تَذْكُرُوا لِيَ نَجْدَا (٥)

وَعُهُودًا لَمْ يَتْرُكِ الدَّهْرُ مِنْهَا ... لِأَخِي صَبْوَةٍ ذِمَاماً وَعَهْدَا (٦)

وَنَسِيماً إِذَا سَرَى ضَوَّعَ الآ ... فَاقَ مِسْكاً، وَعَطَّرَ الْجَوَّ نَدَّا (٧)

لا تَخُوضُوا فِي غَيْرِهِ مِنْ حَدِيثٍ ... فَهْوَ حَسْبِي، وَأَيُّ مَاءٍ كَصَدَّا؟ (٨)

هِيَ أُحْدُوثَةٌ تُسَاقُ وَلَكِنْ ... رُبَّمَا اسْتَوْجَبَتْ ثَنَاءً وَحَمْدَا (٩)

آهِ مِنْ لَوْعَةٍ أَطَارَتْ بِقَلْبِي ... شُعْلَةً شَفَّتِ الْجَوَانِحَ وَقْدَا (١٠)

كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ تَنَاهَى غَرَامِي ... عَادَ مِنْهُ مَا كَانَ أَصْمَى وَأَرْدَى (١١)

---

(٥) الوساد والوسادة (بكسر الواو فيهما) : المخدّة والمتّكأ ، وكلّ ما يتوسّده الإنسان . ونجد : اسم للأراضي العالية فى وسط الجزيرة العربية ، وخصّه الشاعر بالذكر ، لأنه كان موطن الحبّ العنيف العفيف .

(٦) العهود : جمع عهد : وهو المنزل المعهود به الشيء ، والموثق ، والحفاظ . والصبوة : جهلة الفتوّة ، أو الميل إلى جهل الفتاء وحرّيته ولهوه ومرحه ، والمراد بأخي الصبوة : العاشق المرح . والذمام : الحقّ ، والحرمة .

(٧) سرى : سار . وضوع العطر : نشره ؛ فقول الشاعر (ضوّع الآفاق) لا يتّجه اتجاهاً صحيحاً ، ولعلّه ضمّن الفعل معنى ضمّخ أو عطّر . والآفاق : جمع أفق ، وهو الناحية . والمسك : طيب معروف ، وهو أفضل الطيب عند العرب ، وكانت تسميه المشموم ، وهو فارسيّ معرّب . والندّ : نوع من الطيب ، أو هو العنبر .

(٨) خاض فى الحديث : دخل فيه . وفى غيره : أى فى غير ما ذكرت من نجد ، ومن عهود . . . ، ومن نسيم . . . وحسبي : يكفيني . وصدّا بالقصر لضرورة وزن الشعر : أصله صدّاء : اسم ركيّة ، أو عين لم يكن عند العرب أعذب منها . ومن أمثالهم : « ماء ولا كصدّاء » .

(٩) هي : أى قصّة الحبّ . والأحدوثة : ما يتحدّث به . والثناء : وصف بمدح . يقول : إنّ حبي سيكون حديث الناس ، ولكنّ هذا الحبّ قد يجلب إليّ ثناء الناس وحمدهم ؛ لأنه من الحبّ الشريف العفيف .

(١٠) اللوعة : حرقة فى القلب ، وألم من حبّ ، أو همّ . ولاعه الحبّ : أمرضه . والشعلة : لهب النار ، والمراد حرقة الحبّ ، وشفّه الهمّ ونحوه : هزله وأنحله . والجوانح : أضلاع الصدر ، واحدتها جانحة . والوقد : اتّقاد النار .

(١١) تناهى : انتهى : وذهب . وأصمى : أشدّ وأمضى ، اسم تفضيل من الصميان (بفتح الصاد والميم) : وهو المضيّ ، والوثب ، والسرعة . وأردى : أسرع وأكثر إصابة ، اسم تفضيل من ردى الفرس (كرمى) ردياً ورديانا إذا رجم الأرض بحوافره ، أو هو بين العدو والمشى . وردى فلان فلاناً : صدمه ، ورداه بحجر : رماه به . ويجوز أن يكون « أصمى » و « أردى » فعلين ماضيين .

والمعنى على هذا : كلما قلت إنني صحوت من الغرام عاد إليّ منه ما كان قد أصابني وقتلني فى أوّل عهدي به .

يَا رَفِيقِي إِذَا عَرَانِيَ خَطْبٌ وَنَصِيرِي إِذَا خَصِيمٌ تَصَدَّى[١٢]

أَصْبَحَتْ حَاجَتِي إِلَيْكَ ، فَخُذْلِي بِحُقُوقِي مِنْ ظَالِمٍ قَدْ تَعَدَّى[١٣]

وَجَدَ الْقَلْبَ خَالِياً . فَاحْتَوَاهُ وَرَأَى النَّفْسَ طَوْعَهُ فَاسْتَبَدَّا[١٤]

وَكَذَاكَ السُّلْطَانُ إِنْ ظَنَّ بِالْأُمَّةِ عَجْزًا سَطَا عَلَيْهَا وَشَدَّا[١٥]

فَأَقِلْنِي مِنْ عَثْرَةِ الْحُبِّ إِنْ أُوتِيتَ حُكْماً ، أَوْ قُلْ لِقَلْبِيَ يَهْدَا[١٦]

فَمِنَ الْعَارِ غَضُّ طَرْفِكَ عَنِّي إِنَّ خَيْرَ الصِّحَابِ أَنْفَعُ وُدًّا[١٧]

وَبِنَفْسِي حُلْوُ الشَّمَائِلِ ، مُرُّ الْهَجْرِ ، يُحْيِي وَصْلاً ، وَيَقْتُلُ صَدَّا[١٨]

ذُو قَوَامٍ أَعْدَى مِنَ الرُّمْحِ لِيناً وَلِحَاظٍ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ حَدَّا[١٩]

---

(١٢) عراه كذا (من باب عدا) ، واعتراه : غشيه ، وأصابه . والخطب : النازلة ، والشديدة من نوازل الدهر وشدائده . والخصيم : الخصم . وتصدى له : تعرّض . يتّجه فى هذا البيت على عادة العرب إلى صديق يستنجد به ، ويحدثه حديث غرامه .

(١٣) تعدّى : جار وظلم .

(١٤) احتواه : استولى عليه ، وضمّه إليه .

(١٥) سطا عليها : استطال عليها ، وقهرها بالبطش . وشدّ : فعل ماض من الشدّة (بفتح الشين) : وهى الحملة فى الحرب ، أو من الشدّ ، وهو الإيثاق والتقييد ، شدّه : أوثقه وقيّده .

(١٦) أقال الله عثرته : رفعه من سقوطه . ويهدا (بتسهيل الهمزة) : يسكن ويطمئن .

(١٧) الطرف : العين ، وغضّ طرفه : خفضه ، وهذا كناية عن إهمال شأنه ، وعدم مساعدته . يقول لرفيقه : إنّ من العار أن تتخلّى عنى ، وتهمل شأنى ، وإنّ خير الأصحاب من كان حبّه نافعاً ، وودّه مثمراً .

(١٨) الشمائل : جمع شمال (بكسر الشين) بمعنى الخُلُق والطبع . والصدّ : الإعراض والهجران . يقول : أفدى بنفسى حبيباً حلو الطباع ، مرّ الهجر ، يحيينى وصاله ، ويقتلنى صدّه وهجرانه .

(١٩) قوام الإنسان (بفتح القاف والواو) : قدّه ، وقامته ، وحسن طوله . وأعدى : اسم تفضيل من عدا عليه : بمعنى اعتدى عليه ، وظلمه ، وجاوز الحدّ . والرمح : قناة فى رأسها سنان يطعن به . ويضرب المثل بالرمح فى اللين ، والمرونة ، والاعتدال . واللحاظ (بكسر الكلام) : مصدر لاحظته : أى راقبته ، وراعيته . و (بكسر اللام ، وفتحها) : مؤخر العين مما يلى الصدغ . ويراد باللحاظ هنا : النظرة الساحرة الفاتنة . وأمضى : أحد وأنفذ وأسرع قطعاً . وحد السيف ونحوه : طرفه الرقيق الحاد القاطع . فى الشطر الأول تغزل بقدّ الحبيبة ، وحسن طولها ، واعتدال قامتها ، مع اللين والمرونة ؛ فقوامها كالرمح ، ولكنه يفوقه فى العدوان ، وقوة التأثير فى نفس العاشق المستهام . وفى الشطر الثانى أن نظرتها فاتنة ساحرة تفوق السيف فى حدّته ومضائه .

كَانَ قَلْبِي وَدِيعَةً عِنْدَ عَيْنَيْهِ • فَآلَى بِالسِّحْرِ أَلاَّ يُرَدَّا[٢٠]
مَا عَلَى قَوْمِهِ وَإِنْ كُنْتُ حُرًّا أَنْ دَعَتْنِي لَهُ الْمَحَبَّةُ عَبْدَا؟[٢١]
غُصْنُ بَانٍ، قَدْ أَطْلَعَ الْحُسْنُ فِيهِ بِيَدِ السِّحْرِ جُلَّنَارًا وَوَرْدَا[٢٢]
مَا هِلاَلُ السَّماءِ؟ مَا الظَّبْيُ؟ ما الوَرْ دُ جَنِيًّا؟ ما الْغُصْنُ إِذْ يَتَهَدَّى؟[٢٣]
هُوَ أَبْهَى وَجْهاً، وَأَقْتَلُ الْحا ظًا، وَأَنْدَى خَدًّا، وَأَلْيَنُ قَدَّا[٢٤]
فَدَعِ اللَّوْمَ يَا عَذُولُ؛ فَإِنِّى لَسْتُ أَبْغِي مِنَ الْعَوَاذِلِ رُشْدَا[٢٥]
لَا تَخَلْنِي عَلَى غَرَاتِكَ سَهْلاً أَنَا أَدْرَى بِلَوْعَتِي مِنْكَ جِدًّا[٢٦]
لَسْتُ أَقْوَى عَلَى الصُّدُودِ، وَإِنْ كُنْ تُ عَلَى سَوْرَةِ الْحَوَادِثِ جَلْدَا[٢٧]
إِنْ تَكُنْ رَحْمَةً فَنَفْسِيَ أَوْلَى أَوْ تَكُنْ ضَلَّةً فَرَبِّيَ أَهْدَى[٢٨]

(٢٠) آلى: حلف.

(٢١) يقول: ماذا يضير قوم هذه المحبوبة إذا شببت بها بعد أن صيّرني الحبّ لها عبداً.

(٢٢) البان: شجر يشبّه بغصنه قدّ الحسناء في الاعتدال واللين والتثنّي. والجلنار (بضم الجيم وفتح اللام المشددة): زهر الرمّان: معرّب «كلنار».

(٢٣) الهلال: القمر لليلتين أو ثلاث من أول الشهر. والظبي: الغزال. وجنيا: غضًّا نضيراً، قد جني من ساعته. ويتهدّى: يريد يتهادى ويتمايل. ولم نجد هذه الكلمة استعمالا بهذا المعنى. والمراد بالاستفهام هنا: التحقير وتصغير الشأن.

(٢٤) «و»: أي المحبوب. وأبهى: أجمل. والألحاظ: جمع لحظ: وهو النظر بمؤخر العين مما يلي الصدغ، ومن كلام العرب: فتنتني ألحاظها ولحظاتها، وأندى: اسم تفضيل من ندى (كرضى): إذا ابتل، والمراد أنضر وألين. والقدّ: القامة، وحسن التقطيع، والاعتدال.
يقول: إنّ حبيبه أجمل من القمر وجهاً، وأقتل من الغزال ألحاظاً، وأندى من الورد خدًّا، وألين من الغصن قدًّا.

(٢٥) عذول: صفة من عذله (من بابى نصر وضرب): أى لامه. وأبغى: أطلب. والعواذل: جمع عاذلة، والشاعر يريده جمعاً لعاذل. ولا نعرف له وجهاً فى فصيح الكلام. والرشد: الهدى والصلاح، وهو خلاف الغيّ والضلال.

(٢٦) لا تخلنى: لا تظننى. والغراة (بفتح الغين): اسم من أغرى فلان بين القوم: أى أفسد، وألقى بينهم العداوة. واللوعة: حرقة فى القلب، وألم من حب أو غيره.
يقول لعاذله: لا تحسبنى أتأثر بإفسادك: أو ألين لعذلك، وأنت لا تشعر بمثل ما أشعر به من لوعة الوجد وحرقة الحب.

(٢٧) الصدود: الإعراض والهجر. وسورة الحوادث: شدتها وسطوتها. وجلد: قوىّ صبور.

(٢٨) الضلّة (بفتح الضاد): الحيرة، أو هى اسم مرّة من الضلال: وهو ضدّ الهدى والرشاد، أو هى (بكسر الضاد): بمعنى الضلال أيضاً. وأهدى: اسم تفضيل من هداه يهديه هدى، وهو الرشاد والدلالة.
وعلى هذا يكون المعنى: إن توجد فى الحب رحمة فنفسى أحقّ وأجدر بها، وإن يوجد به ضلال وحيرة فالله تعالى خير من يهديني إلى سبيل الرشاد؛ ومفهوم البيت أنه ليس فى حاجة إلى عذل العاذل.

القصيدة الثالثة والعشرون

قَالَ :

دَعِ الذُّلَّ فى الدُّنيا لِمَنْ خَافَ حَتْفَهُ ... فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى أَذَى[1]

ولا تَصْطَحِبْ إلَّا امْرَأً إنْ دَعَوْتَهُ ... لَدَى جَمَرَاتِ الحَرْبِ ، لَبَّاكَ وَاحْتَذَى[2]

يَسُرُّكَ عِنْدَ الأَمْنِ فَضْلًا وحِكْمَةً ... ويُرْضِيكَ يَوْمَ الرَّوْعِ نَبْلًا مُقَذَّذَا[3]

فَيَا حَبَّذَا الخِلُّ الصَّفِيُّ! وَهَلْ أَرَى ... نَصِيباً مِنَ الدُّنْيَا إذَا قُلْتُ حَبَّذَا[4]؟

لَعمْرِي لَقَدْ نَادَيْتُ ، لَوْ أَنَّ سَامِعاً ... ونَوَّهْتُ بِالأَحْرَارِ ، لَوْ أَنَّ مُنْقِذَا[5]

---

(١) الحتف : الهلاك والموت .

(٢) جمرات النار : قطعها الملتهبة ، الواحدة جمرة (بفتح فسكون) ، ولدى جمرات الحرب : عند اتّقاد نارها . ولبّاك : أجابك ، وأقام على العتك . واحتذى مثالك : اقتدى بك .

(٣) يوم الروع : يوم الفزع والخوف فى الشدّة والحرب ونحوها . والنبل : السهام العربية ، وهى مؤنثة ، ولا واحد لها من لفظها ، بل الواحد سهم : وهو ما يرمى به الصائد ونحوه عن القوس ونحوها . ومقذّذ : مسوّى : اسم مفعول من قذّذ الرجل السهم تقذيذاً : إذا سوّاه ، وأحكم بريه .

يقول : إن هذا الصاحب يسرك عند الأمن بفضله وحكمته ، ويرضيك يوم الفزع بحسن دفاعه عنك .

(٤) الخلّ : الصديق المختص . والصفىّ : الحبيب المصافى الصادق الإخاء .

يمدح الخلّ الصفىّ ، ويتمنّى وجوده ، ويقول : إن كل شىء ممدوح محبوب فى الحياة قليل بعيد المنال .

(٥) لعمرى : اللام لتوكيد الابتداء . أو هى لام القَسَم . والعمر : المعيشة والحياة ، وهو مبتدأ خبره محذوف . والتقدير لعمرى قسمى ، أو لعمرى ما أقسم به . ونوّه به تنويهاً : دعاه ورفعه . يقول : وحياتى ، لقد ناديت لو أن سامعاً يجيبنى ، ودعوت الأحرار ، ورفعت بمديحى شأنهم ، لو أن منقذاً منهم أنجدنى .

وَطَوَّفْتُ بِالْآفَاقِ ، حَتَّى كَأَنَّنِى أُحَاوِلُ مِنْ هٰذِى الْبَسِيطَةِ مَنْفَذَا[6]

فَمَا وَقَعَتْ عَيْنِى عَلَى غَيْرِ أَحْمَقٍ غَوِىٍّ ، يَظُنُّ الْمَجْدَ فى الرَّىِّ وَالْغِذَا[7]

إِذَا مَا رَأَيْتُ الشَّىْءَ فى غَيْرِ أَهْلِهِ وَلَمْ أَسْتَطِعْ رَدًّا ، طَرَفْتُ عَلَى قَذًى[8]

فَحَتَّى مَتَى يَا دَهْرُ - أَكْتُمُ لَوْعَةً تُكَلِّفُ قَلْبِى كُلْفَةَ الرِّيحِ بِالشَّذَا؟[9]

أَلَمْ يَأْنِ لِلْأَيَّامِ أَنْ تُبْصِرَ الْهُدَى فَتَخْفِضَ مَأْفُوناً ، وَتَرْفَعَ جِهْبِذَا؟[10]

إِذَا لَمْ يَكُنْ بِالدَّهْرِ خَبْلٌ لَمَا غَدَا يَسِيرُ بِنَا فى ظُلْمَةِ الْجَوْرِ هٰكَذَا[11]

---

(٦) طوّف : أكثر التطواف . والآفاق : النواحى ، واحدها أفق (بضمتين) . والبسيطة : الأرض . ومنفذ : اسم مكان من نفذ السهم نفوذاً (من باب قعد) ونفاذاً ، أى خرق الرمية ، وخرج منها ، أو هو مصدر ميمى بمعنى النفاذ : وهو الخروج .

(٧) أحمق : قليل العقل . وغوىّ : ضالّ ، منهمك فى الجهل . والمجد : الكرم والعزّ والشرف . والرىّ (بفتح الراء) : مصدر روى من الماء يروى (كرضى يرضى) ريًّا ، والاسم الرى (بكسر الراء) والغذا : مقصور الغذاء : وهو ما يتغذى به من الطعام والشراب .

(٨) طرف بصره (من باب ضرب) : أطبق أحد جفنيه على الآخر . والقذى : ما يسقط فى العين فيهيجها ، ويسيل دمعها . والمراد أنه يحتمل ذلك على كراهية ، وتبرّم ، وغضض .

(٩) اللوعة : حرقة فى القلب ، وألم من همّ ونحوه . وكلّفه تكليفاً : أمره بما يشقّ عليه . والكلفة (بضم فسكون) : ما يتكلّفه الإنسان : أى يتحمّله على مشقّة . والشذا : قوّة ذكاء الرائحة .

يقول : إلى متى أكتم لوعة الحزن التى ضاقت بها نفسى ، والتى تكلف قلبى المستحيل فى صونها وكتمها ، كما تكلّف الريح صيانة ما بها من عطر شذىّ .

(١٠) ألم يأن : ألم يحن ، ولم يقرب ، مضارع أنى الشىء أنياً (من باب رمى) : أى دنا وقرب ، وجاء حينه ووقته . والمأفون : الضعيف الرأى والعقل . والجهبذ (بكسر فسكون فكسر) : النقّاد الخبير ببواطن الأمور .

(١١) الخبل (بفتح فسكون) : فساد الأعضاء حتى لا يدرى المختبل كيف يمشى ، والخبل (بفتح الخاء والباء) : الجنون وشبهه ، كالهوج والبله (بفتحتين فيهما) . والجور : الظلم والميل عن القصد ووقوع اللام (هنا) فى جواب إذا غير صحيح .

القصيدة الرابعة والعشرون

قَالَ يَصِفُ أَيَّامَ الرَّبيعِ ، ويَذْكُرُ مَوَاسِمَ اللَّهْوِ فى عَصْرِ الشَّبابِ .

رَمَتْ بِخُيُوطِ النُّورِ كَهْرَبَةُ الْفَجْرِ ... ونَمَّتْ بِأَسْرَارِ النَّدَى شَفَةُ الزَّهْرِ (١)

وَسَارَتْ بِأَنْفاسِ الْخَمائِلِ نَسْمَةٌ ... بَلِيلَةُ مَهْوَى الذَّيْلِ ، عاطِرَةُ النَّشْرِ (٢)

فَقُمْ نَغْتَنِمْ صَفْوَ الْبُكُورِ ، فَإِنَّهَا ... غَدَاةُ رَبِيعٍ زَهْرُهَا باسِمُ الثَّغْرِ (٣)

تَرَى بَيْنَ سَطْحِ الأَرْضِ والْجَوِّ نِسْبَةً ... تُشَاكِلُ مَا بَيْنَ السَّحائِبِ والْغُدْرِ (٤)

---

(١) نمّ السرّ و بالسرّ : أشاعه وأفشاه . والندى : البلل ، والمطر القليل ، وقطرات الماء تسقط من السماء آخر الليل

يصف طلوع الفجر وما يكون وقتئذ من انتشار نور الصباح وتفتّح الأزهار وظهور قطرات الندى عليها .

(٢) الأنفاس : جمع نفس (بفتحتين) . والخمائل: جمع خميلة (بفتح فكسر) ، وهى الشجر المجتمع الكثيف ، والموضع الكثير الشجر والنسمة (بفتح السين ، وإنما سكنت هنا لضرورة وزن الشعر) : نفس (بفتحتين) الريح ، إذا كانت معتدلة طيّبة ،كالنسيم . ومهوى الذيل: طرفه ، اسم مكان من هوى يهوى (كرمى يرمى) أى سقط . والنشر : الرائحة .

والمعنى أن النسيم يحمل ريح أزهار الخمائل بليلا عطراً .

(٣) اغتنم الشيء : أصابه غنيمة، وهى ما يفوز به الإنسان بلا تعب ولامشقّة . والصفو : ضدّ الكدر . والبكور : مصدر بكر عليه وإليه ، أى أتاه بكرة ، وهى أول النهار ، والتبكير مثل البكور ، وكذلك المباكرة . والغداة : أول النهار ، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس .

يدعو من يخاطبه إلى التبكير لاغتنام صفاء الحياة ، والاستمتاع بجمال الطبيعة زمن الربيع ، ويشير إلى تفتّح الأزهار فى أول النهار .

(٤) النسبة (بكسر النون وضمها) : النسب والقرابة، والمراد الصلة . وفى ثلاثة الأبيات الآتية بيان وتفصيل لها . وتشاكل: تشابه وتضارع وتوافق. والسحائب : جمع سحابة . والغدر : جمع غدير ، وهو القطعة من الماء يغادرها السيل ، أى يتركها .

فَفِى الْجَوِّ هَتَّانٌ يَسِيلُ ، وَفِى الثَّرَى سُيُولٌ تَرَامَى بَيْنَ أَوْدِيَةٍ غُزْرِ [٥]

غَمَامَانِ فَيَّاضَانِ : هَذَا بِأُفْقِـــهِ يَسِيرُ ، وهَذَا فِى طِبَاقِ الثَّرَى يَسْرِى [٦]

وَقَدْ مَاجَتِ الْأَغْصَانُ بَيْنَ يَدِ الصَّبا كَمَا رَفْرَفَتْ طَيْرٌ بِأَجْنِحَةٍ خُضْرِ [٧]

كَأَنَّ النَّدَى فَوْقَ الشَّقِيقِ مَدَامِعٌ تَجُولُ بِخَدٍّ ، أَوْ جُمَانٌ عَلَى تِبْرِ [٨]

إِذَا غَازَلَتْهَـــا لَمْعَةٌ ذَهَبِيَّةٌ مِنَ الشَّمْسِ رَفَّتْ كالشَّرارِ عَلَى الْجَمْرِ [٩]

---

(٥) سحاب هتّان كثير الهتون ، وهو الهطل (بفتح فسكون) والانصباب والتتابع . والثرى : الأرض . وترامى أصله تترامى : أى تطول وتمتدّ . والأودية : جمع الوادى .وغزر : كثيرة الماء .

(٦) غمامان : مثنى غمام ، وهو السحاب ، واحدته غمامة . والأفق (هنا): مجال السحب . والطباق : جمع طبق ، أو جمع طبقة (بفتحتين فيهما) . وطباق الثرى: طبقاته التى يعلو بعضها بعضاً . ويسرى يسير .

(٧) ماجت : تحركت واهتزّت .والصبا: ريح تهبّ فى بلاد العرب من جهة المشرق . ورفرف الطائر : حرّك جناحيه حول الشىء يريد أن يقع عليه .

(٨) الندى : البلل ، والمطر القليل ، وقطرات ماء تسقط من السماء آخر الليل . ويريد بالشقيق: شقائق النعمان ، وهو زهر معروف أحمر اللون ، وقد أضيف إلى النعمان بن المنذر من ملوك الحيرة ، لأنه أعجب بهذا النوع من الزهر ، فحماه وكثّره . أو هو مضاف إلى النعمان بمعنى الدم . ولم نجد كلمة « الشقيق» فيما نعرفه من المعجمات ، ولكنها وردت فى كلام بعض المولدين ، كقول أبى بكر الصنوبرى المتوفى سنة ٣٣٤ هـ .

وكأنّ محمرّ الشقيـــ ـق إذا تصوّب أو تصعّد

أعـــلام ياقـــوت نشر ن على رماح من زبرجـــد

ويريد بالمدامع : الدموع ، وهى فى الأصل المآقى ، أى أطراف العين حيث تسيل الدموع . وتجول: تهتزّ وتتحرّك . والجمان حبّ من فضّة يعمل على شكل اللؤلؤ ، وقد يسمّى به اللؤلؤ ، الواحدة جمانة (بضم الجيم) . والتبر : ما كان من الذهب غير مضروب ولا مصوغ .

(٩) غازلتها من المغازلة ، وهى فى الأصل محادثة النساء ، واللهو معهن ، والتودد إليهن ، والكلام هنا على المجاز .واللمعة : اسم مرة من لمع البرق ونحوه (من باب قطع) أى أضاء ، والمراد بها الشعاعة عن أشعّة الشمس . ورفّت برقت وتلألأت . والشرار : ما يتطاير من النار ، الواحدة شرارة . والجمر : القطع الملتهبة من النار ، الواحدة جمرة .

يقول إن أشعّة الشمس الذهبيّة تسطع أول النهار فوق شقائق النعمان ، فترفّ وتبرق ، كأنها شرار على جمر .

فَفِي كُلِّ مَرْعَى لَحْظَةٍ وَشْيُ دِيمَةٍ وَفِي كُلِّ مَرْمَى خَطْوَةٍ أَجْرَعٌ مُثْرِي[10]

مُرُوجٌ جَلَاهَا الزَّهْرُ ، حَتَّى كَأَنَّهَا سَمَاءٌ تَرُوقُ الْعَيْنَ بِالْأَنْجُمِ الزُّهْرِ[11]

كَأَنَّ صِحَافَ النَّوْرِ وَالطَّلُّ جَامِدٌ مَبَاسِمُ أَصْدَافٍ تَبَسَّمْنَ عَنْ دُرِّ[12]

وَقَدْ شَاقَنِي وَالصُّبْحُ فِي خِدْرِ أُمِّهِ حَنِينُ حَمَامَاتٍ تَجَاوَبْنَ فِي وَكْرِ[13]

هَتَفْنَ فَأَطْرَبْنَ الْقُلُوبَ ، كَأَنَّمَا تَعَلَّمْنَ أَلْحَانَ الصَّبَابَةِ مِنْ شِعْرِي[14]

---

(١٠) المرعى: الموضع تتنقل فيه الماشية لأكل الكلأ، وهو اسم مكان من رعت الماشية الكلأ إذا سرحت فيه . واللحظة (هنا): النظرة . والمراد بمرعى اللحظة : مجال النظر . والوشى: نقش الثوب، ويكون من كل لون ، وشى الصانع الثوب (كوعى) وشياً وشية (كوعد وعدة) أى نقشه ونمنمه وحسّنه . والديمة مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق . والمرمى: اسم مكان من رمى. والأجرع : الرملة السهلة المستوية ، الطيّبة المنبت . والمثرى الكثير الخير .

يقول إنه فى كل موضع تقع عليه العين نبات نضير ، مختلف الألوان ، كثير الأزهار ، من وشى الأمطار الغزيرة ، والمياه الدائمة ، وفى كلّ خطوة يخطوها الإنسان أرض طيّبة النبات كثيرة الندى والخير .

(١١) المروج : جمع مرج (بفتح فسكون) ، وهو أرض ذات نبات ومرعى . وجلاها الزهر: زيّنها وجمّلها ، أو علاها ، أو أوضح محاسنها . وتروق : تعجب . والزهر (بضم فسكون) النيّرة المشرقة ، البيض الحسان ، واحدها أزهر .

(١٢) الصحاف: جمع صحفة (بفتح فسكون) : وهى إناء يؤكل فيه . والنور: الزهر، واحدته نورة ، وصحاف النور : النور الشبيه بالصحاف . والطل : المطر الخفيف ، أو أضعف المطر ، والمراد به قطرات الندى فوق ورق الزهر . والمباسم : جمع مبسم (كمنزل) وهو الثغر (بفتح فسكون) ، والمبسم فى الأصل اسم مكان من البسم (بفتح فسكون) وهو أقل الضحك وأحسنه ، كالابتسام والتبسّم . والأصداف أغشية الدرّ، جمع صدف (بفتحتين) ، وواحدة الصدف صدفة . والدرّ : اللآلىء ، واحدته درّة (بضم الدال وتشديد الراء) .

(١٣) شاقنى : هيّج شوقى . والخدر: الستر. ووصف الصبح بأنه فى خدر أمّه: تعبير يراد به أنه فى أول ظهوره ، على التشبيه بالطفل . والحنين : صوت الطرب ، عن حزن أو فرح . وتجاوبن: جاوب بعضها بعضاً . والوكر : عشّ الطائر حيث كان فى شجر أو جبل .

(١٤) هتفت الحمامة تهتف (من باب ضرب) صاتت وسجعت . والطرب: خفّة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور ، (وبابه فرح) ، ويعدّى بالهمزة ، فيقال : أطربنى المغنّى ونحوه . والألحان: الأصوات المصوغة الموضوعة ، يرسلها المغنى بعد ضبطها ووزنها ، أو هى الأغانى . والصبابة : الشوق ، أو رقّته وحرارته ، أو رقّة الهوى .

وَقَامَ عَلَى الْجُدْرَانِ أَعْرَفُ لَمْ يَزَلْ	يُبَــدِّدُ أَحْلامَ النِّيَامِ وَلا يَدْرِى [١٥]
تَخَايَلَ فِى مَوْشِيَّةٍ عَبْقَرِيَّةٍ	مُهَدَّلَةِ الْأَرْدَانِ سَابِغَةِ الْأُزْرِ [١٦]
لَهُ كِبْرَةٌ تَبْدُو عَلَيْهِ ، كَأَنَّهُ	مَلِيكٌ عَلَيْهِ التَّاجُ يِنْظُرُ عَنْ شَزْرِ [١٧]
فَسَارِعْ إِلَى دَاعِى الصَّبُوحِ مَعَ النَّدَى	لِتَجْنِى بِأَيْدِى اللَّهْوِ بَاكُورَةَ الْعُمْرِ [١٨]
فَقَدْ نَسَمَتْ رِيحُ الشَّمَالِ ، فَنَبَّهَتْ	عُيُونَ الْقَمَارِى وَهْىَ فِى سِنَةِ الْفَجْرِ [١٩]

(١٥) أعرف: له عرف (بضم فسكون) والمراد بالأعرف (هنا) : الديك ، وعرفه (بضم فسكون) لحمة حمراء مستطيلة فى أعلى رأسه . ويبدّد : يفرّق .

(١٦) تخايل: تكبّر . وموشيّة منقوشة، اسم مفعول من الوشى ، وهو نقش الثوب، وشى الصانع الثوب (كوعى) وشياً وشية ، أى نمنمه ونقشه وحسّنه ، كوشّاة توشية ، والمراد ما يكسو جسمه من الريش المختلف الألوان . وعبقريّة : تامّة الحسن، نسبة إلى عبقر ، وهو — فيما تزعم العرب — موضع كثير الجنّ ، ينسبون إليه كلّ شىء تعجّبوا من حسنه وكماله ، أوهى منسوبة إلى قرية ثيابها فى غاية الحسن، اسمها عبقر: ومهدّلة . مسترسلة مرخاة طويلة . والأردان: جمع ردن (بضم فسكون) وهو أصل الكمّ ، والمراد به هنا : الكمّ . وسابغة : واسعة طويلة تامّة . والأزر (بضم فسكون ، وبضمتين) : جمع إزار ، وهو الثوب ، والملحفة ، وكلّ ما ستر الجسم ، كالإزر (بكسر فسكون) .

والمعنى أن الديك يزهى ويعجب بنفسه ، وقد طال جناحاه وذيله ، ولبس من الريش ثوباً جميلا مختلف الألوان .

(١٧) الكبرة (بكسر الكاف وسكون الباء) : العظمة والتجبّر والكبرياء ، كالكبر (بكسر فسكون) والتأنيث فى الكبرة للمبالغة . وتبدو : تظهر . ونظر إليه شزراً : إذا كان بمؤخر عينه ، وهو نظر فيه إعراض وتكبّر ، كنظر المباغض والغضبان .

(١٨) الصبوح (بفتح الصاد) : شراب الصباح. والندى : المطر القليل يسقط آخر الليل . وجنى فلان الثمرة (من باب رمى) واجتناها : التقطها . وباكورة الفاكهة : أول ما يدرك منها .

يدعو إلى مباكرة الصبوح ، والمسارعة إلى الشرب فى أول النهار ، والاستمتاع باللهو ، وملاذ الحياة فى زمن الصبا ، وريعان الشباب .

(١٩) نسمت الريح : هبّت ليّنة ضعيفة لطيفة. والقمارىّ (بتشديد الياء) ، جمع قمريّة (بضم فسكون فكسر فياء مشددة) : نوع من الحمام ، وخفّفت الياء هنا لضرورة وزن الشعر ، والقمرة فى الأصل البياض ، أو هى لون إلى الخضرة ، أو بياض فيه كدرة . والسنة (بكسر السين) : النعاس أو أول النوم.

وَنَادَى الْمُنَادِى للصَّلاةِ بِسُحْرَةٍ	فَأَحْيَا الْوَرَى مِنْ بَعْدِ طَىٍّ إلى نَشْرِ [٢٠]
فَبَادِرْ لِمِيقَاتِ الصَّلاةِ ، وَمِلْ بِنَا	إلى الْقَصْفِ مَا بَيْنَ الْجَزِيرَةِ والنَّهْرِ [٢١]
إِذَا مَا قَضَيْنَا وَاجِبَ الدِّينِ حَقَّهُ	فَلَيْسَ عَلَيْنَا فِى الْخَلاَعَةِ مِنْ وِزْرِ [٢٢]
أَلا رُبَّ يَوْمٍ كَانَ تَارِيخَ صَبْوَةٍ	مَضَى غَيْرَ إِثْرٍ فِى الْمَخِيلَةِ أَوْ ذِكْرِ [٢٣]
عَصَيْتُ بِهِ سُلْطَانَ حِلْمِى ، وَقَادَنِى	إِلَى اللَّهْوِ شَيْطَانُ الْخَلاعَةِ والسُّكْرِ [٢٤]
لَدَى رَوْضَةٍ رَيَّا الْغُصُونِ ، تَرَنَّحَتْ	مَعَاطِفُهَا رَقْصاً عَلَى نَغْمَةِ الْقُمْرِى [٢٥]

---

(٢٠) السحرة (بضم فسكون) : السحر (بفتحتين) وهو آخر الليل قبيل الصبح ، والمراد وقت الفجر . والورى : الخلق والناس. والمراد بإحياء الورى : إيقاظهم وتنبيههم من نومهم . والمراد بالطى: النوم. والمراد بالنشر اليقظة والانتشار فى الأرض .

(٢١) ميقات الصلاة : وقتها المضروب لأدائها. ومعنى المبادرة إلى ميقات الصلاة: المسارعة إلى تأديتها فى وقتها . والقصف: اللهو واللعب . ويريد بالجزيرة : روضة المقياس فى نهر النيل ، شرق الجيزة ، وغربىّ مصر القديمة .

يقول أدّ الصلاة ، وسر بنا بعدها إلى اللهو : متنقّلا ما بين الجزيرة والنهر .

(٢٢) الخلاعة : المجون وعدم المبالاة . والوزر : الإثم والذنب .

(٢٣) الصبوة : الميل إلى الجهل والفتوّة. والإثر (بكسر الهمزة): الأثر (بفتحتين) ، والمراد الصورة . والمخيلة : الوهم والخيال . والذكر (بكسر فسكون) : التذكّر ، والشىء يجرى على اللسان .

يحنّ إلى أيام كان فيها ناعماً لاهياً مرحاً مستمتعاً بما يستمتع به الفتيان ، منقاداً لأسباب الهوى والخلاعة ، ويقول إن هذه الأيام قد ذهبت ، وبعد عهدى بها ، حتى لم يبق منها غير أثر يتراءى فى خيالى ، أو حديث يجرى على لسانى .

(٢٤) به : أى فى ذلك اليوم الذى كان تاريخ صبوته . والحلم: الأناة والعقل . والخلاعة : المجانة وعدم المبالاة .

(٢٥) الروضة : أرض ذات شجر وعشب وزهر . وريّا : صفة من الرىّ (بكسر الراء وفتحها) وهو ضدّ العطش ، يقال : هو ريّان ، وهى ريّا . وترنّحت : تمايلت. ومعاطفها : جوانبها حيث تنعطف وتنثنى . والضمير يعود على الغصون . والنغمة جرس الصوت وحسنه . والقمرىّ : نوع من الحمام ، والجمع قمر (بضم فسكون ، كرومىّ وروم) ، والأنثى قمريّة .

تَدُورُ عَلَيْنَا بِالْمُـدَامَةِ بَيْنَها	تَمَاثِيلُ ، إلَّا أَنَّها بَيْنَنَا تَجْرِى [٢٦]
تَرَى كُلَّ مَيْلاءِ الْخِمارِ مِنَ الصِّبَا	هَضِيمَةِ مَجْرَى الْبَنْدِ ، نَاهِدَةِ الصَّدْرِ [٢٧]
إذَا انْفَتَلَتْ فِى حَاجَةٍ خِلْتَ جُؤْذُرًا	أَحَسَّ بِصَيَّادٍ فَأَتْلَعَ مِنْ ذُعْرِ [٢٨]
لَوَى قَدَّهَا سُكْرُ الْخَلَاعَةِ والصِّبَا	فَمَالَتْ بِشَطْرٍ ، واسْتَقَامَتْ عَلَى شَطْرِ [٢٩]
وَعَلَّمَهَــا وَحْىُ الدَّلالِ كَهَانَةً	فَإنْ نَطَقَتْ جَاءَتْ بِشَىْءٍ مِنَ السِّحْرِ [٣٠]
أَحَسَّتْ بِما فِى نَفْسِهَا مِنْ مَلاحَةٍ	فَتَاهَتْ عَلَيْنَا ، وَالْمَلاحَةُ قَدْ تُغْرِى [٣١]

(٢٦) المدامة: الخمر . وبينها ، أى بين الغصون ، أو بين نواحى هذه الروضة . وأراد بالتماثيل الفتيات الحسان اللاتى يسقينهم .

(٢٧) ميلاء مائلة . والخمار: ثوب تغطى به المرأة رأسها. والصبا: الشباب. ومعنى ميلاء الخمار من الصبا: أنها تميل من زهو الصبا فيميل خمارها . وهضيمة: ضامرة خميصة نحيفة لطيفة . والبند: النطاق. ومجرى البند الخاصرة والوسط . وناهدة صفة من نهد الثدى (كمنع ونصر) نهوداً إذا ظهر وارتفع .

(٢٨) انفتلت: انصرفت . والجؤذر (بضم الذال وفتحها): ولد البقرة الوحشية تشبه به المرأة الحسناء فى الرشاقة وجمال العيون واتساعها . وأتلع الظبى ونحوه : سما بجيده ، ومد عنقه متطاولا . والذعر : الخوف ، وهو اسم من ذعره (من باب قطع) إذا أفزعه وأخافه .

والمعنى أنها حينما تقوم لعمل شىء تنهض فى رشاقة وخفة مرتفعة الرأس ، كأنها الظبى أحس صياداً .

(٢٩) القد: القوام (بفتح القاف) والاعتدال. والخلاعة: المجون وعدم المبالاة . والصبا: جهلة الفتوة والشوق والحنين والمرح واللهو ، أو الصبا : الصغر . وشطر كل شىء نصفه .

(٣٠) الوحى : الإيماء والإشارة والإلهام، وكل ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه . ودلال المرأة ودلها: رشاقتها ، وجمال حركتها، وحسن هيئتها، وأصله من دلت المرأة على زوجها، إذا أرته جرأة عليه فى تكسر وتشكل ، كأنها تخالفه وما بها خلاف .والكهانة مصدر كهن له (كمنع ونصر وكرم) إذا قضى له بالغيب والمراد بالكهانة هنا: السحر ، أو عذوبة القول ، ولطف الحديث ، لأن الكاهن يستميل من يكهن له بكلام ساحر شديد التأثير.

(٣١) الملاحة : الحسن ، والجارية المليحة هى التى إذا كررت فيها بصرك زادتك حسناً، وقيل الملاحة : عذوبة النفس ، والظرف واللطف ، وخفة الدم والظل . وتاهت تكبرت . وأغراه بالشىء : أولعه به ، وحفزه إليه .

وَأَعْجَبَها وَجْدِى بِها ، فَتَكَبَّرَتْ عَلَىَّ دَلالًا ، وَهْىَ تَصْدُرُ عَنْ أَمْرِى [٣٢]

قَنَاةٌ يَجُولُ السِّحْرُ فِى لَحَظَاتِها مَجَالَ الْمَنَايَا فِى الْمُهَنَّدَةِ الْبُتْرِ [٣٣]

إِذَا نَظَرَتْ ، أَوْ أَقْبَلَتْ ، أَوْتَهَلَّلَتْ فَوَيْلُ مَهَاةِ الرَّمْلِ ، والْغُصْنِ ، والْبَدْرِ [٣٤]

فَمَا زِلْنَ يُغْرِينَ الطِّلاَ بِعُقُولِنا إلى أَنْ سَقَطْنَا لِلْيَدَيْنِ ولِلنَّحْرِ [٣٥]

فَمِنْ واقِعٍ يَهْذِى ، وآخَرَ ذاهِلٍ لَهُ جَسَدٌ مافِيهِ رُوحٌ سِوَى الْخَمْرِ [٣٦]

صَرِيعٌ يَظُنُّ الشُّهْبَ مِنْهُ قَرِيبَةً فَيَسْدُو بِكَفَّيْهِ إلى مَطْلَعِ النَّسْرِ [٣٧]

---

(٣٢) الوجد : المحبّة . وتصدر : ترجع وتنصرف ، والواو هنا للحال . وتصدر عن أمره . تطيعه ولا تخالفه .

يقول إنها تحسّ بجمالها ، وبشغفه بها ، فتزهو عليه وتتكبّر وإن كانت فى كنفه ، وتجب عليها طاعته .

(٣٣) يجول : يطوف ويتردّد . واللحظات: جمع لحظة ، اسم مرة من لحظه (كنعه) ، ولحظ إليه لحظاً (بفتح فسكون) ولحظاناً (بفتحتين) إذا نظر إليه بمؤخر عينه . ومجال : مصدر ميمى بمعنى الجولان (بفتح الجيم والواو) وهو الطواف والدوران . والمنايا: جمع منيّة ، وهى الموت . والمهنّدة السيوف المطبوعة من حديد الهند ، وهى أجود السيوف ، يقال سيف هندوانى ومهنّد ، أو المهنّدة المشحوذة ، اسم مفعول من هنّد الصيقل السيف ، أى شحذه وأحدّه . والبتر : جمع أبتر ، أى نافذ قاطع .

والمعنى أن نظراتها فاتنة ساحرة جذّابة .

(٣٤) تهلّلت : تلألأ وجهها وأشرق . والمهاة : البقرة الوحشية ، تشبّه بها الحسناء فى جمال العيون واتساعها .

والمعنى أنها إذا نظرت كانت كالبقرة الوحشية ، جميلة العيون،ساحرة النظر ، وإذا أقبلت كانت كالغصن متثنّية ، جميلة القدّ ، ليّنة الأعطاف ، وإذا أشرق وجهها وتلألأ ، كانت كالبدر باهرة الضياء ، تامّة البهاء .

(٣٥) أغراه بالشىء : أولعه به ، وحمله عليه ، وحفزه إليه ، والطلاء (بكسر الطاء): الخمر ، وقصرت هنا لضرورة وزن الشعر . والنحر : موضع القلادة من الصدر .

(٣٦) يهذى : يتكلّم بغير معقول . وذاهل : اسم فاعل من ذهل عن الشىء (كنع) ذهلا (بفتح فسكون) وذهولا (كقعود) إذا نسيه وغفل عنه .

(٣٧) صريع : مطروح على الأرض. والشهب (ككتب ، ويجوز تسكين عينه) : النجوم السبعة المعروفة بالدرارى، والمراد بها هنا : النجوم مطلقاً . وسدا بيده يسدو : مدّها . والنسر : كوكب معروف ، وهما اثنان ، يقال لأحدهما : النسر الطائر ، وللآخر النسر الواقع .

إِذَا مَا دَعَوْتَ الْمَرْءَ دَارَ بِلَحْظِهِ ... إِلَيْكَ ، وَغَشَّاهُ الذُّهُولُ عَنِ الْجَهْرِ[٣٨]

بَعِيدٌ عَنِ الدَّاعِي وَإِنْ كَانَ حَاضِرًا ... كَأَنَّ بِهِ بَعْضَ الْهَنَاتِ مِنَ الْوَقْرِ[٣٩]

تَحَكَّمَتِ الصَّهْبَاءُ فِيهِمْ ، فَغَيَّرَتْ ... شَمَائِلَ مَا يَأْتِي بِهِ الْجِدُّ بِالْهَذْرِ[٤٠]

فَيَا سَامَحَ اللهُ الشَّبَابَ وَإِنْ جَنَى ... عَلَيَّ ، وَحَيَّا عَهْدَهُ سَبَلُ الْقَطْرِ[٤١]

مَلَكْتُ بِهِ أَمْرِي، وَجَارَيْتُ صَبْوَتِي ... وَأَصْبَحْتُ مَرْهُوبَ الْحَمِيَّةِ وَالْكِبْرِ[٤٢]

إِذَا أَبْصَرُونِي فِي النَّدِيِّ تَحَاجَزُوا ... عَنِ الْقَوْلِ وَاسْتَغْنَوْا عَنِ الْعُرْفِ بِالنُّكْرِ[٤٣]

---

(٣٨) اللحظ : مصدر لحظه (كمنعه) ولحظ إليه ، إذا نظر إليه بمؤخر عينه . ومعنى دار بلحظه إليك : نظر إليك نظرات حائرة . وغشّاه : غطّاه وغلبه. والذهول: الغفلة . والجهر: رفع الصوت بالكلام.

(٣٩) الهنات: جمع هنة ، وهى الشيء اليسير . والوقر : ثقل فى الأذن، أو ذهاب السمع كلّه . والمعنى كأنّ به شيئاً من الصمم .

(٤٠) الصهباء: الخمر ، أو المعصورة من عنب أبيض، وهو اسم لها كالعلم . والشمائل: جمع شمال (بكسر الشين) بمعنى الخُلق والطبع . والهذر: مصدر هذر فى منطقه (من بابى ضرب ونصر) إذا خلط وتكلم بما لا ينبغى ، والاسم الهذر (بفتح الهاء والذال) وهو الهذيان .

يقول إن الخمر قد سيطرت على عقولهم ، فبدّلتهم بصفات الجدّ هذياناً واختلاطاً .

(٤١) عهده: زمانه . والعهد أيضاً: المنزل المعهود به الشيء، كالمعهد. والسبل (بفتح السين والباء) المطر الغزير المسبل ، أى الذى أرسل دفعه وتكاثف ، كأنما أسبل ستراً ، أى أرسله وأرخاه ، أو هى سبل جمع سبلة ، (كغرف جمع غرفة) ، والسبلة : المطرة الواسعة . والقطر : المطر .

(٤٢) به : فى زمن الشباب. والصبوة: جهلة الفتوة ، وانقياد الفتى لدواعى اللهو والمرح ، وجريه فى سبل الغى والمجانة . ومرهوب : مهيب مخوف . والحميّة : الأنفة والاستكبار.

يبين فى هذا البيت سبب دعائه للشباب ، فيقول : إنّه كان مصدر قوّة ولذّة وهيبة .

(٤٣) الندىّ : مجلس القوم ، أو المجلس ما داموا مجتمعين فيه كالنادى والمنتدى . وتحاجزوا عن القول : منع بعضهم بعضاً . والعرف (هنا) ما يستحسن من كريم الآداب . والنكر : المنكر .

والمعنى أنه مهيب مخشىّ بأسه ، إذا أبصره الناس فى مجالسهم سكتوا عن الكلام اهتياباً وإجلالاً ، ولم يجرؤ واحد منهم أن يستنكر ما هو فيه من عبث ولهو .

وَقَالُوا فَتًى مَالَتْ بِهِ نَشْوَةُ الصِّبَا ... وَلَيْسَ عَلَى الْفِتْيَانِ فِى اللَّهْوِ مِنْ حَجْرِ (٤٤)

يَخَافُونَ مِنِّى أَنْ تَثُورَ حَمِيَّتِى ... فَيَبْغُونَ عَطْفِى بِالْخَدِيعَةِ وَالْمَكْرِ (٤٥)

أَلَا لَيْتَ هَاتِيكَ اللَّيَالِى وَقَدْ مَضَتْ ... تَعُودُ ، وَذَاكَ الْعَيْشُ يَأْتِى عَلَى قَدْرِ (٤٦)

مَوَاسِمُ لَذَّاتٍ تَقَضَّتْ ، وَلَمْ يَزَلْ ... لَهَا أَثَرٌ يَطْوِى الْفُؤَادَ عَلَى أُثْرِ (٤٧)

إِذَا اعْتَوَرَتْهَا ذُكْرَةُ النَّفْسِ أَبْصَرَتْ ... لَهَا صُورَةً تَخْتَالُ فِى صَفْحَةِ الْفِكْرِ (٤٨)

فَذَلِكَ عَصْرٌ قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ ... وَخَلَّفَنِى أَرْعَى الْكَوَاكِبَ فِى عَصْرِ (٤٩)

لَعَمْرُكَ مَا فِى الدَّهْرِ أَطْيَبُ لَذَّةً ... مِنَ اللَّهْوِ فِى ظِلِّ الشَّبِيبَةِ وَالْيُسْرِ (٥٠)

---

(٤٤) النشوة : السكر (بضم فسكون) ، والمراد المرح والطرب . والصبا : الصغر والفتاء ، أو الميل إلى الجهل والفتوّة ، والانقياد لدواعى اللهو والمرح . والحجر المنع والكفّ (وبابه نصر) .

(٤٥) الحميّة : الأنفة والغضب . ويبغون : يطلبون .

(٤٦) القدر : الغنى واليسار ، والقوّة والقدرة ، أو القدر : التقدير ، ومعنى « يأتى على قدر » : على تقدير منى ، أو على موعد ، أو على حسب ما أهوى وأحبّ .

(٤٧) تقضّت : ذهبت وانقضت . والأثر (بفتحتين) : بقيّة الشىء ، وما بقى من رسمه . والأثر (بضم فسكون) : أثر الجراح يبقى بعد البرء .

(٤٨) اعتورتها : تداولتها ، والضمير يعود إلى مواسم اللذات فى البيت السابق . والذكرة : ضد النسيان . وتختال : تزهى وتفخر وتتكبّر ، من الاختيال ، وهو الكبر والإعجاب .

(٤٩) أرعى الكواكب : أراقبها وأنتظر مغيبها ، وهذا كناية عن الحيرة والحسرة . و « عصر » فى الشطر الأول بمعنى الزمان والدهر ، وفى الشطر الثانى بمعنى الحبس والمنع واليبس ، وهذه كلها من لوازم الشيخوخة والهرم ، وقد تكون « عصر » الأخيرة بمعنى الأولى .

فهو يقول متحسّراً : إن زمن الشبيبة قد مضى ، وتركنى أرعى النجوم فى زمن آخر ، هو زمن الشيب والهرم .

(٥٠) الشبيبة : حداثة السنّ قبل الكهولة ، كالشباب ، وهما خلاف الشيب .

القصيدة الخامسة والعشرون

وقال* :

بِناظِرِكَ الْفَتَّانِ آمَنْتُ بِالسِّحْرِ ... وَهَلْ بَعْدَ إِيمانِ الصَّبَابَةِ مِنْ كُفْرِ؟(١)

فَلا تَعْتَمِدْ بِالْهَجْرِ قَتْلَ مُتَيَّمٍ ... فَإِنَّ الْمَنَايَا لا تَزِيدُ عَنِ الْهَجْرِ(٢)

فَلَوْلاكَ مَا حَلَّ الْهَوَى قَيْدَ مَدْمَعِي ... وَلاشَبَّ نِيرَانَ اللَّوَاعِجِ فِي صَدْرِي(٣)

وَإِنِّي عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ لَصَابِرٌ ... لِعِلْمِيَ أَنَّ الْفَوْزَ مِنْ ثَمَرِ الصَّبْرِ

---

* هذه القصيدة من السرنديبيات اللامعة الممتعة ؛ نظمها البارودى وهو أشيب ، فى السابعة والخمسين ، أى فى نحو سنة ١٨٩٦ ، وقد أضاء له الشيب سبل الحياة ، وبدّد من حوله الظلمات ، ووقاه الضلالات ، ووسّعت له سنّه دائرة المعارف والتجارب ؛ فاهتدى إلى ما لم يهتد إليه غيره .

(١) الفتّان : صيغة مبالغة من فتنت المرأة الرجل إذا دلّهته واستمالته وأعجبته . والصبابة : رقّة الهوى، وحرارة الشوق . والاستفهام فى الشطر الثانى معناه النفى .

(٢) تعتمد : تتعمّد وتقصد، عمده واعتمده وتعمّده بمعنى . ومتيّم: اسم مفعول من تيّمه العشق، أى عبّده وذلّله . والمنايا : جمع منيّة ، وهى الموت .

(٣) الهوى : الحب والغرام . والمدمع : الدمع . وحلّ قيد مدمعه: كناية عن صبّه وإسالته . وشبّ النار : أذكاها وأوقدها، وشبّت النار : ذكت وتوقّدت ، فالفعل لازم متعدّ. واللواعج: جمع لاعج، صفة من لعجه الهمّ والحبّ ونحوهما، أى أحرقه وآلمه ، (وبابه منع) ، وبه لاعج الشوق ولواعجه ، أى حرقه وتباريحه .

فَلَيْتَ الَّذِى أَهْدَى الْمَلَامَةَ فِى الْهَوَى ... تَوَسَّمَ خَيْرًا ، أَوْ تَكَلَّمَ عَنْ خُبْرِ (٥)

رَأَى كَلَفِى لا يَسْتَفِيقُ ، فَظَنَّ بِى ... هَنَاتٍ ، وَسُوءُ الظَّنِّ داعِيَةُ الْوِزْرِ (٦)

وَمَاذَا عَلَيْهِ وَهْوَ خَالٍ مِنَ الْجَوَى ... إِذَا هِمْتُ شَوْقاً ، أَوْ تَرَنَّمْتُ بِالشِّعْرِ ؟ (٧)

فَإِنْ أَكُ مَشْغُوفًا فَذُو الْحِلْمِ رُبَّمَا ... أَطَاعَ الْهَوَى ، وَالْحُبُّ مِنْ عُقَدِ السِّحْرِ (٨)

وَأَىُّ امْرِئٍ يَقْوَى عَلَى رَدِّ لَوْعَةٍ ... إِذَا الْتَهَبَتْ أَرْبَتْ عَلَى وَهَجِ الْجَمْرِ ؟ (٩)

عَلَى أَنَّنِى لَمْ آتِ فِى الْحُبِّ زَلَّةً ... تَغُضُّ بِذِكْرِى فِى الْمَحَافِلِ أَوْ تَزْرِى (١٠)

---

(٥) توسّم الشيء : تخيّله وتفرّسه . والخبر : العلم والمعرفة .

يتمنّى أن يكون الذى فنّده ولامه على حبّه ممن يظنون بالناس خيراً ، ولا يتكلّمون إلا عن علم ويقين . ومعنى هذا أنّ لائمه كان فى لومه وتفنيده باغياً آثماً ، سيّئ الظنّ ، خاطئ الحكم . وسيصرّح بشيء من هذا فى البيت الآتى .

(٦) الكلف : العشق والولوع والغرام . ولا يستفيق : لا يهدأ ولا يغادر ، والأصل : استفاق الرجل من مرضه ، ومن سكره ، إذا أفاق وصحا . وهنات : خصال سوء ، يقال : فيه هنات (بفتح الهاء) ، وهنوات (كسنوات) ، جمع هَنَة (كسَنَة) ، وهُنَيّات ، جمع هُنَيَّة . والوزر : الإثم والذنب .

(٧) الجوى هوى باطن ، والحرقة ، وشدّة الوجد ، وتبريح الغرام . وهام يهيم هيا (بفتح فسكون) وهياناً (بفتحتين) أحبّ ، أو صار كالمجنون من العشق . وترنّم تغنّى وطرّب .

(٨) مشغوفاً مستهاماً عاشقاً ، وأصله اسم مفعول من شغفه الحبّ ، أى أصاب شغافه (بفتح الشين) وهو غشاء القلب وغلافه . والحلم : الأناة والعقل . والهوى : العشق . والعقد (بضم ففتح) : جمع عقدة (بضم فسكون) وهى موضع العقد (بفتح فسكون) ، وأصله أن السحرة يعقدون عقداً يزعمون أن فيها السحر ، ومن أجل هذا سمى الساحر معقّداً ، وقيل : أعوذ بالله من شرّ المعقّد .

والمعنى أن الحبّ كالسحر ، فهو من الأمور التى لا طاقة للإنسان بدفعها ، ولو كان راجح العقل ، سديد الرأى .

(٩) اللوعة : حرقة فى القلب ، وألم من حبّ أو همّ . وأربت : زادت . والوهج : اسم من وهجت النار (من باب وعد) تهج وهجاً (بفتح فسكون) ووهجاناً (بفتحتين) أى اتّقدت . والجمر : جمع جمرة وهى القطعة الملتهبة من النار .

(١٠) زلّة : خطأ ، وهى اسم مرّة من زلّ المرء فى منطقه أو فعله (من بابى ضرب وتعب) أى زلق وسقط وأخطأ . وغضّ منه : نقصه وعابه ووضع من قدره (وبابه ردّ) ، وهذا الفعل يتعدّى بمن لا بالباء . والذكر : الصيت والشاء والشرف . والمحافل : جمع محفل (كمجلس) وهو المجتمع ، اسم مكان من حفل القوم (من باب ضرب) أى اجتمعوا . وتزرى : مضارع زرى عليه فعله (من باب رمى) إذا عابه وعنّفه كأزرى ، وأزرى بأخيه : أدخل عليه عيباً ، وحقّره .

وَلٰكِنَّنِي طَوَّفْتُ فِي عَالَمِ الصِّبَا	وَعُدْتُ وَلَمْ تَعْلَقْ بِفَاضِحَةٍ أُزْرِي (١١)
سَجِيَّةُ نَفْسٍ آثَرَتْ ما يَسُرُّهَا	وَلِلنَّاسِ أَخْلَاقٌ عَلَى وَفْقِهَا تَجْرِي (١٢)
مَلَكْتُ يَدِي عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَمَنْطِقِي	فَعِشْتُ بَرِيءَ النَّفْسِ مِنْ دَنَسِ الْعُذْرِ (١٣)
وأَحْسَنْتُ ظَنِّي بالصَّدِيقِ ، وَرُبَّمَا	لَقِيتُ عَدُوِّي بِالطَّلَاقَةِ وَالْبِشْرِ (١٤)
فَأَصْبَحْتُ مَأْثُورَ الْخِلَالِ مُحَبَّبًا	إلى النَّاسِ ، مَرْضِيَّ السَّرِيرَةِ وَالْجَهْرِ (١٥)
فَمَا أَنَا مَطْلُوبٌ بِوَتْرٍ لِمَعْشَرٍ	وَلَا أَنَا مَلْهُوفُ الْجَنَانِ عَلَى وَتْرِ (١٦)
رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وإِنْ كُنْتُ مثْرِيًا	بِعِفَّةِ نَفْسٍ لا تَمِيلُ إلى الْوَفْرِ (١٧)
وَأَخْلَصْتُ لِلرَّحْمٰنِ فِيمَا نَوَيْتُهُ	فَعَامَلَنِي بِاللُّطْفِ مِنْ حَيْثُ لا أَدْرِي

(١١) طوّف : أكثر التطواف. والصبا : الميل إلى الجهل والفتوّة . وعلق الشوك ونحوه بالثوب (من باب تعب) وتعلّق : نشب به واستمسك . والفاضحة : الفضيحة ، فضحه فافتضح ، أى كشف مساوبه ، (وبابه قطع) . والأزر (بضم فسكون) : جمع إزار ، وهو الثوب ، وكلّ ما سترك .

والمعنى أنه سلك طرق المرح واللهو ، وجرى فى أساليب الهوى والغرام ، ولكنه كان فى لهوه وهواه عفيفاً ، بعيداً عن العيب والنقص .

(١٢) السجيّة: الخُلق والطبيعة . وآثرت: فضّلت وقدّمت . وعلى وفقها: على حسبها وموافقتها .

(١٣) الدنس (بفتحتين): القذر ، وأراد بدنس العذر : الاعتذار من العيب والقبائح التى تضع من قدر المرء ، وتدنّس عرضه .

(١٤) الطلاقة : مصدر طلق الوجه (من باب ظرف) ، ورجل طلق (بفتح فسكون) الوجه : فرح ظاهر البشر ، متهلّل بسّام .

(١٥) مأثور الخلال: خصاله محمودة ، وفضائله مشهورة ، يأثرها الناس ، أى ينقلونها، و يتحدّثون بها . والسريرة : السرّ .

(١٦) الوتر (بفتح الواو وكسرها) . الذحل ، وهو الثأر (بفتح فسكون فيهما) . والمعشر : جماعة الناس . والملهوف : المتحيّر المضطرب .

والمعنى أنه مطمئنّ هادئ البال ، يسالم الناس ويسالمونه ، فلا هو مطلوب بترة تزعجه ، وتنغّص عليه عيشه ، ولا هو مطالب غيره بثأر يقضّ عليه مضجعه ، ويملأ قلبه ضغينة وحقداً وحيرة وهمّا .

(١٧) مثرياً : غنيًّا كثير المال . والوفر : المال الكثير .

إذا مَا أرادَ اللهُ خَيْرًا بِعَبْدِهِ	هَدَاهُ بِنُورِ الْيُسْرِ فى ظُلْمَةِ الْعُسْرِ
فَيابْنَ أَبِى (والنَّاسُ أَبْنَاءُ واحِدٍ)	تَقَلَّدْ وَصَاتِى ، فَهْىَ لُؤْلُوَةُ الْفِكْرِ [٢٠]
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا فَلا تَكُنْ	لَدُودًا ، وَلا تَدْفَعْ يَدَ اللِّينِ بِالْقَسْرِ [٢١]
وَلا تَحْتَقِرْ ذَا فَاقَةٍ ، فَلَرُبَّمَا	لَقِيتَ بِهِ شَهْماً يُبِرُّ عَلَى الْمُثْرِى [٢٢]
فَرُبَّ فَقِيرٍ يَمْلأُ الْقَلْبَ حِكْمَةً	وَرُبَّ غَنِىٍّ لا يَرِيشُ وَلا يَبْرِى [٢٣]
وَكُنْ وَسَطاً ، لا مُشْرَئِبًّا إلى السُّهَى	وَلا قَانِعاً تَبْغِى التَّزَلُّفَ بِالصُّغْرِ [٢٤]
فَأَحْمَدُ أَخْلاقِ الْفَتَى مَا تَكَافَأَتْ	بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ التَّوَاضُعِ وَالْكِبْرِ [٢٥]

(٢٠) يابن أبى: نداء لكلّ إنسان . والناس أبناء واحد: يريد أبناء رجل واحد ، وهو آدم عليه السلام . وتقلّد وصاتى : احرص على وصيتى ، وانتفع بها ، من قولهم: تقلّد الإنسان القلادة ، أى جعلها فى عنقه ، وقلّدته السيف ، إذا ألقيت حمالته فى عنقه ، فتقلّده .

(٢١) لدوداً : شديد الخصومة . والقسر : القهر والشدّة . ومعنى « لا تدفع يد اللين بالقسر » : لا تخاشن من يلاينك .

(٢٢) الفاقة : الفقر والحاجة . والشهم : السيد الذكىّ الفؤاد المتوقّد ، الجلد (بفتح فسكون) ذو المروءة . ويبر : مضارع أبرّ الرجل على خصمه ، أى غلبه وفاقه . والمثرى : الكثير المال . ومعنى « يبرّ على المثرى » : يغلبه فى الفضل والبرّ ، ويفوقه فى المروءة والخير .

(٢٣) لا يريش ولا يبرى: لا ينفع ولا يضرّ ، وأصله من راش النابل السهم يريشه ، إذا ألزق عليه الريش، ومن المجاز راش فلان فلاناً ، أى قوّى جناحه بالإحسان إليه ، وراش الرجل غيره : أطعمه وسقاه وكساه ، وأصلح حاله ونفعه . وبرى السهم يبريه برياً : نحته . وبراه السفر : هزله . قال الشاعر :

فرشنى بخير ، طالما قد بريتنى — فخير الموالى من يريش ولا يبرى

(٢٤) اشرأبّ إليه : مدّ عنقه لينظر ، أو رفع رأسه كهيئة الشارب . والسها : كوكب خفىّ ، من بنات نعش الصغرى ، يمتحن الناس به أبصارهم . والقانع : صفة من القنوع ، بمعنى الرضا بالقسم ، والمراد الرضا باليسير الدون . ويبغى : يطلب . والتزلّف : التقرّب . والصغر (بضم فسكون) : الذلّ والضيم والمهانة كالصغار .

يقول : كن وسطاً فى أمرك ، فلا تتطلّع إلى ما لا يدرك فيرديك الطمع ، كما لا ينبغى أن ترضى فى معيشتك باليسير الدون ، وتتقرّب إلى من فوقك بإذلال نفسك وامتهانها .

(٢٥) أحمد الأخلاق: أولاها بالحمد والشكر ، وأجدرها بالرضا والجزاء . وتكافأت: تساوت وتماثلت . ومعنى تكافؤ الأخلاق : أنها أصبحت بمكان متوسّط بين التواضع والتكبّر .

ولا تَعْتَرِفْ بِالذُّلِّ فى طَلَبِ الْغِنَى فَإِنَّ الْغِنَى فى الذُّلِّ شَرٌّ مِنَ الْفَقْرِ [٢٦]
وَإِيَّاكَ وَالتَّسْلِيمَ بِالْغَيْبِ قَبْلَ أَنْ تَرَى حُجَّةً تَجْلُو بِها غَامِضَ الأَمْرِ [٢٧]

ودارِ الَّذِى تَرْجُو وَتَخْشَى وِدَادَهُ وَكُنْ مِنْ مَوَدَّاتِ الْقُلُوبِ عَلَى حِذْرِ [٢٨]
فَقَدْ يَغْدِرُ الْخِلُّ الْوَفِىُّ لِهَفْوَةٍ وَيَحْلُو الرِّضَا بَعْدَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ [٢٩]
وفى النَّاسِ مَنْ تَلْقَاهُ فى زِىِّ عَابِدٍ وَلِلْغَدْرِ فى أَحْشَائِهِ عَقْرَبٌ تَسْرِى [٣٠]

إِذَا أَمْكَنَتْهُ فُرْصَةٌ نَزَعَتْ بِهِ إلى الشَّرِّ أَخْلاقٌ نَبَتْنَ عَلى غِمْرِ [٣١]
وَلا تَحْسَبَنَّ الْحِلْمَ يَمْنَعُ أَهْلَهُ وُقُوعَ الأَذَى، فَالْمَاءُ وَالنَّارُ مِنْ صَخْرِ [٣٢]
فَهَذِى وَصَاتِى ، فَاحْتَفِظْهَا تَفُزْ بِما تَمَنَّيْتَ مِنْ نَيْلِ السَّعَادَةِ فى الدَّهْرِ

فَإِنِّى امْرُؤٌ جَرَّبْتُ دَهْرِى ، وَزَادَنِى بِهِ خِبْرَةً صَبْرِى عَلَى الْحُلْوِ والْمُرِّ

---

(٢٦) تعترف : تصبر ، أو تقرّ .

والمعنى على الأول : لا تصبر على الحياة وأنت متصف بالذلّ . وعلى الثانى : لا تقرّ لمخلوق إقراراً يفهم منه أنك ذليل . وفى طلب الغنى ، أى فى سبيل نيله .

(٢٧) يقول : إذا غابت عنك حقيقة أمر ، فاحذر التسليم بها قبل أن تطيل النظر فيها ، وتكشف بالحجّة غامضها ، وتظهر بالبرهان خافيها .

(٢٨) داريته مداراة : لاطفته ولاينته . والوداد : الحبّ والمودّة . والمودّات : جمع مودّة . والحذر (بكسر فسكون) : التحرّز والاحتراس كالحذر (بفتحتين) . ومفعول تخشى محذوف ، أى عداوته أو بأسه . أو المعنى : تخشى مغبّة وداده ، وترى هذا الوداد منطوياً على الختل والخديعة ، وكأنما يدعو بالشطر الثانى إلى التفرقة بين أنواع المودّة ، وتمييز الخالص الصادق من المموّه الكاذب .

(٢٩) فى هذا البيت والذى قبله لفّ ونشر مرتّب ، فالشطر الأول « فقد يغدر الخل . . . » يعود إلى الصديق الذى ترجو وداده وحبّه ، والشطر الثانى « ويحلو الرضا . . . » يعود إلى العدوّ الذى تخشى عداوته وبأسه .

(٣٠) الأحشاء: جمع حشا ، وهو ما اجتمعت عليه الضلوع ، أو ما حواه البطن ، والمراد الضمير والقلب ، حيث يكون الضغن والعداوة . وتسرى : تسير .

(٣١) نزعت به : مالت وذهبت . والغمر : الحقد (وزناً ومعنى) .

(٣٢) الحلم : الأناة والعقل .

والمعنى : أنّ الحليم قد يكون منه الأذى على الرغم من التضادّ والاختلاف بين الحلم والأذى ، كالحجر يورى النار ، ويتفجّر منه الماء ، على رغم ما بين النار والماء من تضادّ .

بَلَغْتُ مَدَى خَمْسِينَ ، وازْدَدْتُ سَبْعَةً … جَعَلْتُ بِهَا أَمْشِي عَلَى قَدَمِ الْخِضْرِ (٣٥)

فَكَيْفَ تَرَانِي الْيَوْمَ أَخْشَى ضَلالَةً … وَشَيْبِيَ مِصْبَاحٌ عَلَى نُورِهِ أَسْرِي ؟ (٣٦)

أَقُولُ بِطَبْعٍ لَسْتُ أَحْتَاجُ بَعْدَهُ … إلى الْمَنْهَلِ الْمَطْرُوقِ ، وَالْمَنْهَجِ الْوَعْرِ (٣٧)

وَلِي مِنْ جَنَانِي - إنْ عَزَمْتُ - وَمِقْوَلِي … سِرَاجٌ وَعَضْبٌ ، ذَا يُضِيءُ ، وَذَا يَفْرِي (٣٨)

إذَا جَاشَ طَبْعِي فَاضَ بِالدُّرِّ مَنْطِقِي … وَلا عَجَبٌ ، فَالدُّرُّ يَنْشَأُ فِي الْبَحْرِ (٣٩)

تَدَبَّرْ مَقَالِي إنْ جَهِلْتَ خَلِيقَتِي … لِتَعْرِفَنِي ، فَالسَّيْفُ يُعْرَفُ بِالأَثْرِ (٤٠)

وَلا تَعْجَبَنْ مِنْ مَنْطِقِي إنْ تَأَرَّجَتْ … بِهِ كُلُّ أَرْضٍ ، فَهْوَ رَيْحَانَةُ الْعَصْرِ (٤١)

---

(٣٥) الخضر : صاحب موسى عليهما السلام . وقصّتهما فى القرآن مشهورة ، من قول الله تعالى : « فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ... » إلى قوله تعالى : « ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا » ٦٥ — ٨٢ سورة الكهف . والشطر الثانى من هذا البيت كناية عن علمه ، واهتدائه إلى ما لم يهتد إليه غيره .

(٣٦) سرى يسرى (كجرى يجرى) سرى (بضم السين) : سار عامّة الليل .
والمعنى أنّ شيبه كسبه الخبر (بضم فسكون) والهداية ، وأنار له طريق الحياة .

(٣٧) المنهل : المورد ، وهو عين الماء التى يستقى منها ، وأصله اسم مكان من النهل (بفتحتين) وهو الشرب الأول (وبابه طرب) . والمطروق : الذى تطرقه الدوابّ والناس . والمنهج : الطريق . والوعر : الصعب (وزناً ومعنى) .
والمعنى أنه شاعر مطبوع مخترع ، لا ينسج على منوال غيره ، ولا يغترف من بحر سواه ، ولا يتكلّف القول تكلّفاً ، كمن يسير فى طريق وعر .

(٣٨) الجنان (بفتح الجيم) : القلب . والمقول : اللسان . والعضب : السيف القاطع . ويفرى : يقطع (وبابه رمى) ، وفى البيت لفّ ونشر مرتّب .

(٣٩) جاش طبعه : اهتزّ وتحرّك ، وأصله من جاشت القدر ، إذا غلت ، ومن المجاز : جاش البحر بالأمواج .

(٤٠) الخليقة : الطبيعة . والأثر (بفتح الهمزة وكسرها) : فرند السيف ورونقه وديباجته .

(٤١) تأرّجت : تعطّرت وتطيّبت ، وأصله من الأرج (بفتحتين) وهو توهّج ريح الطّيب ، أرج الطيب (كفرح) وتأرّج . والريحان : كلّ نبت طيّب الرائحة ، والريحانة : واحدته ، أو الطاقة منه .

سَيَذْكُرُنِى بِالشِّعْرِ مَنْ لَمْ يُلاقِنِى   وَذِكْرُ الْفَتَى بَعْدَ الْمَمَاتِ مِنَ الْعُمْرِ (٤٢)

---

(٤٢) معنى الشطر الأول: أنه مذكور بشعره، خالد بخلوده، نابه بأدبه، معروف لمن لاقاه ، ولمن لم يلاقه . والشطر الثانى تذييل جار مجرى المثل ، مؤكّد لهذا المعنى؛ فالذكر للإنسان عمر ثان ، والموت يطوى حياة الأحياء ، وتبقى للعظيم بعد مماته حياة أدبية خالدة ، مأثورة منشورة ، يتحدّث الناس بها ، ويفيدون منها ، ويذكرون صاحبها بالإطراء ، وحسن الثناء .

وفى ستة الأبيات الأخيرة (٣٧ – ٤٢) فخر صادق بمجده الأدبىّ ، وطبيعته الشاعرة المتفجّرة ومثل هذا الفخر كثير جدّاً فى شعره .

القصيدة السادسة والعشرون

وقال *

أَبَى الشَّوْقُ إِلَّا أَنْ يَحِنَّ ضَمِيرُ ... وَكُلُّ مَشُوقٍ بِالْحَنِينِ جَدِيرُ (١)

وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ كِتْمانَ لَوْعَةٍ ... يَنِمُّ عَلَيْهَا مَدْمَعٌ وَزَفِيرُ ؟ (٢)

خَضَعْتُ لِأَحْكَامِ الْهَوَى ، وَلَطَالَمَا ... أَبَيْتُ فَلَمْ يَحْكُمْ عَلَيَّ أَمِيرُ (٣)

(*) قصد أبو نواس من بغداد الخصيب بن عبد الحميد العجمي ، أمير مصر في عصر هارون الرشيد ، فدحه برائية مشهورة مطلعها :

أجارة بيتينا ، أبوك غيور ... وميسور ما يرجى لديك عسير

فعارضها البارودي بهذه القصيدة ، أي أتى بمثلها ، ونسج على منوالها في وزنها ورويّها .

(١) يحن : ينزع ويميل ويهيم ويشتاق ، من الحنين ، وهو الشوق وتوقان النفس إلى لقاء من تحبّه وتهفو إليه . والضمير : السرّ ، والشيء الذي تضمره في قلبك ، أي تخفيه ، والمراد بالضمير (هنا) : القلب . يقول إن اشتياقه إلى من يحب قد جعله مستهام الفؤاد ، فهو ينزع ويميل إلى محبوبه ، ويهفو قلبه في إثره ، ولا غرو فكلّ مشوق حقيق بأن يحنّ إلى من شاقه . ومشوق : مشتاق ، وهواسم مفعول من الشوق ، يقال : شاقني الشيء (من باب قال) فالشيء شائق ، وأنا مشوق . وجدير : حقيق وخليق .

(٢) اللوعة : حرقة في القلب ، وألم من حبّ أو همّ أو مرض أو نحو ذلك . وينمّ عليها : يدل عليها ويظهرها ، من قولهم : نمّت على المسك رائحته (وفعله كقتل وضرب) . والمدمع : مسيل الدمع ، أو هو مجتمع الدمع في نواحي العين ، وجمعه المدامع ، وهي المآق وأطراف العيون . والمراد بالمدمع هنا : الدمع . والزفير : إخراج النفس طويلا ممدوداً ، ويكون ذلك عادة إذا اشتدّت اللوعة ، وعظم الهمّ . ومن كلام العرب : رأيته يزفر زفرة الثكلى . والاستفهام في أول البيت معناه النفي .

يقول : إن الإنسان لا يستطيع إخفاء حرقة في قلبه يظهرها بكاؤه ودمعه . وتدلّ عليها زفراته .

(٣) الهوى : الحبّ .

يقول : إنه خضع واستكان لأحكام الحبّ ، على الرغم من إبائه وعزّة نفسه ، وعدم انقياده حتى لمن ينقاد له الناس عادة كالأمراء والحكّام . وهذا المعنى كثير في كلام الشعراء .

أَفُلُّ شَبَاةَ اللَّيْثِ وَهْوَ مُنَاجِزٌ وَأَرْهَبُ لَحْظَ الرِّئْمِ وَهْوَ غَرِيرُ[4]

وَيَجْزَعُ قَلْبِى لِلصُّدُودِ ، وَإِنَّنِى لَدَى الْبَأْسِ إِنْ طَاشَ الْكَمِىُّ صَبُورُ[5]

وَمَا كُلُّ مَنْ خَافَ الْعُيُونَ يَرَاعَةٌ وَلا كُلُّ مَنْ خَاضَ الْحُتُوفَ جَسُورُ[6]

وَلَكِنْ لِأَحْكَامِ الْهَوَى جَبَرِيَّةٌ تَبُوخُ لَهَا الْأَنْفَاسُ وَهْىَ تَفُورُ[7]

(٤) فلّ الشيء : كسره (وبابه ردّ) . وشباة كلّ شيء : حدّه ، وفلّ شباته: قهره وغلبه. والليث : الأسد . ومناجز : اسم فاعل من المناجزة ، وهى المقاتلة . واللحظ : النظر ، وأصله النظر بمؤخر العين ، مصدر لحظه (كنعه) ولحظ إليه . والرئم : الظبى الخالص البياض ، تشبّه به النساء الملاح فى الرشاقة وجمال الجيد والعينين . والمراد بالغرير (هنا) : الهادئ الوديع ، من قولهم : شابّ غرير ، لمن لا تجربة له ، وعيش غرير ، أى رخىّ لا يفزع أهله .

يقول : إنه قوىّ شجاع شديد البأس ، يقهر الليث وهو يصارعه ويقاتله ، غير أنه لا يقوى على مغالبة سلطان الحبّ ، فهو يخشى نظرات الحبيب على الرغم من هدوئه ورقّته ووداعته .

(٥) الجزع : نقيض الصبر ، جزع (من باب تعب) إذا ضعفت منّته ، أى قوّته عن حمل ما نزل به ، ولم يجد صبراً . والصدود : الهجران والإعراض . والبأس: الشدّة فى الحرب . وطاش : ضعف وجبن وفرّ ، والطيش فى الأصل : النزق والخفّة ، وذهاب العقل ، وانحراف السهم عن الهدف . والكمىّ : الشجاع المتكمّى فى سلاحه ، أى المتغطّى المتستّر به .

(٦) يريد بالعيون : عيون الحسان ، وما فيها من سحر وفتنة وجمال . ويراعة : جبان . والحتوف : جمع حتف ، وهو الموت والهلاك . والجسور : الشجاع المقدام .

يريد أنه — وإن ضعف عن احتمال قوّة الهوى وتأثيره — ليس بجبان ، وأنه إذا خاض الحروب كان أشجع الشجعان إذا خام غيره وجبن ، إذ ليس كلّ من يلاقى الحروب يستطيع الصبر عليها وهو فى البيتين السابقين يلمح قول الشاعر :

نحن قوم تذيبنا الأعين النجـ ـل على أننا نذيب الحديدا

وترانا لدى الكريهة أحرا راً ، وفى السلم للحسان عبيدا

(٧) جبريّة (بفتح الجيم والباء ، أو بكسرهما ، أو بكسر فسكون ، أو بفتح فسكون) : شدّة وقوة وعظمة وجبروت . وتبوخ : تسكن ، مضارع باخت النار ، أى سكنت وهمدت وطفئت . وهى تفور : أى وهى فى شدّتها .

يقول : إن العاشق قد تفور نفسه غيظاً مما يلاقى من هجر المحبوب وإدلاله ، غير أنّ سلطان الحبّ وقوّته تهدئ هذه الثورة ، فيستسلم لأحكام الغرام .

وَإِنِّى عَلَى مَا كَانَ مِنْ سَرَفِ الْهَوَى ... لَذُو تُدْرَإٍ فى النَّائِبَاتِ مُغِيرُ[٨]

يُرَافِقُنِى عِنْدَ الْخُطُوبِ إِذَا عَرَتْ ... جَوَادٌ ، وَسَيْفٌ صَارِمٌ ، وَجَفِيرُ[٩]

وَيَصْحَبُنِى يَوْمَ الْخَلَاعَةِ وَالصِّبَا ... نَدِيمٌ ، وَكَأْسٌ رَيَّةٌ ، وَمُدِيرُ[١٠]

فَطَوْرًا لِفُرْسَانِ الصَّبَاحِ مُطَارِدٌ ... وَطَوْرًا لِإِخْوَانِ الصَّفَاءِ سَمِيرُ[١١]

وَيَا رُبَّ حَىٍّ قَدْ صَبَحْتُ بِغَارَةٍ ... تَكَادُ لَهَا شُمُّ الْجِبَالِ تَمُورُ[١٢]

---

(٨) سرف الهوى : شدة الحب وضرواته . ورجل ذو تدرأ وذو تدرأة (بضم فسكون ففتح فيهما) : مدافع ، ذو عزّ ومنعة وقوّة ، ، والعرب تقول: فلان ذو تدرأ ، إذا كان قويّاً على دفع أعدائه . ومغير : اسم فاعل من أغار الرجل على عدوّه إغارة ، أى دفع عليهم الخيل ، وأغار الفرس : اشتدّ عدوه ، والمراد بالإغارة هنا النجدة ، والهجوم على العدوّ .

(٩) عرت : نزلت وغشيت ، عراه كذا (من باب عدا) أى غشيه وأصابه . وصارم : قاطع . والجفير : الجعبة (بفتح فسكون) ، وهى كنانة النشّاب ، أى النبل والسهام ، وتكون عادة من الجلد ، وقد تصنع من خشب لا جلود فيها .

(١٠) الخلاعة : المجانة وعدم المبالاة ، والانغمار فى اللهو والمرح . والصبا : الميل إلى الجهل والفتوّة ، والجرى فى أساليب الهوى والخلاعة . والنديم : المنادم ، فعيل بمعنى مفاعل ، من نادمه منادمة ونداماً ، إذا جالسه على الشراب . وكأس ريّة : مملوءة ، أو كثيرة الشراب ، من قولهم : هذه عين ريّة ، أى كثيرة الماء . ويريد بالمدير : الساقى الذى يدير كئوس الشراب على الندماء والشاربين .

(١١) الفرسان : جمع فارس ، وهو راكب الفرس ونحوه . ومطاردة الأقران : أن يحمل بعضهم على بعض فى القتال ، يقال : هم فرسان الطراد ، أى القتال والنزال . والسمير : المسامر ، فعيل بمعنى مفاعل ، من المسامرة ، وهى الحديث بالليل .

يريد أنه قد يجمع بين جدّ الحرب ولهو الشباب ، وخص المطاردة بالصباح لأنه وقت الإغارة عند العرب عادة .

(١٢) الحىّ : القبيلة من قبائل العرب ، أو هو البطن من بطونهم ، ويقال أنساب العرب ست مراتب : أكبرها الشعب ، ثم القبيلة ، ثم العمارة ، ثم البطن أو الحى ، ثم الفخذ ، ثم الفصيلة . وصبحهم (كنعهم) أتاهم صباحاً . والغارة : الهجوم ، اسم من أغار على القوم إغارة ، أى دفع عليهم الخيل . وشمّ الجبال : الجبال المرتفعة العالية ، يقال : جبل أشمّ أى طويل شاهق ، وجبال شمّ . وتمور : تتحرك وتهتز .

وَلَيْلٍ جَمَعْتُ اللَّهْوَ فِيهِ بِغَادَةٍ ... لَهَا نَظْرَةٌ تُسْدِى الْهَوَى وَتُنِيرُ (١٣)

عَقَلْنَا بِهِ مَا نَدَّ مِنْ كُلِّ صَبْوَةٍ ... وَطِرْنَا مَعَ اللَّذَّاتِ حَيْثُ تَطِيرُ (١٤)

وَقُلْنَا لِسَاقِينَا أَدِرْهَا ، فَإِنَّمَا ... بَقَاءُ الْفَتَى بَعْدَ الشَّبَابِ يَسِيرُ (١٥)

فَطَافَ بِهَا شَمْسِيَّةً ذَهَبِيَّةً ... لَهَا عِنْدَ أَلْبَابِ الرِّجَالِ ثُئُورُ (١٦)

إِذَا مَا شَرِبْنَاهَا أَقَمْنَا مَكَانَنَا ... وَظَلَّتْ بِنَا الْأَرْضُ الْفَضَاءُ تَدُورُ (١٧)

إِلَى أَنْ أَمَاطَ اللَّيْلُ ثِنْيَ لِثَامِهِ ... وَكَادَتْ أَسَارِيرُ الصَّبَاحِ تُنِيرُ (١٨)

---

(١٣) الغادة : المرأة الناعمة المتثنية اللينة الأعطاف. وتسدى : مضارع أسدى النسّاج الثوب ، أى أقام سداه ، وهو ما يمدّ منه طولا فى النسج ، وهو خلاف لحمته . والهوى : الحبّ . وتنير : مضارع أنار الثوب ، كناره ونيّره ، أى جعل له نيراً (بكسر النون وسكون الياء) وهو لحمة الثوب (بضم اللام وفتحها) أى ما ينسج منه عرضاً ، والنير أيضاً : علم (بفتحتين) الثوب وهدبه (بضم فسكون) . وتسدى الهوى وتنير : توجده ، وتحكم أسبابه .

ومعنى الشطر الثانى : أن نظراتها ساحرة فاتنة ، يراها الإنسان ، فيقع فى شرك الحبّ ، وحبائل الغرام .

(١٤) عقلنا : قيدّنا ، وأصله منعقلت البعير (من باب ضرب) أى ثنيت وظيفه مع ذراعه ، وشددتهما جميعاً فى وسط الذراع بحبل ، ويسمى هذا الحبل عقالا . وبه : أى بالليل . وندّ : نفر وشرد ، وذهب على وجهه : والصبوة ، جهلة الفتوّة ، واتباع الهوى .

والمعنى أنهم جمعوا فى هذا الليل كلّ أسباب الهوى واللهو ، وجروا فى مجال اللذّات والشهوات ، واستمتعوا بمرح الفتوّة ، ودواعى الشباب .

(١٥) أدرها : أى الخمر . ويسير : قليل .

(١٦) شمسية ذهبية : كالشمس والذهب فى اللون والصفاء والإشراق . والألباب : جمع لبّ ، وهو العقل . وثئور : جمع ثأر .

والمعنى أنها تذهب بعقول الرجال ، كأنّ لها ثأراً عندها ، فهى تدرك بذلك ثأرها .

(١٧) يصف فى هذا البيت ما يصيب الشارب من الخمار والدوار .

(١٨) أماط : كشف ونحّى . والثنى : واحد أثناء الثوب ونحوه ، وهى تضاعيفه وأطواقه ، يقال : دسّه فى ثنى ثوبه ، وكلّ شىء ثنى بعضه على بعض أطواقاً ، فكلّ طاق من ذلك ثنى (بكسر فسكون) . واللثام (بكسر اللام) : ما يكون على الفم من النقاب ، والشطر الأول كناية عن ذهاب الليل وانكشاف ظلمته . والأسارير : محاسن الوجه .

وَنَبَّهَنَا وَقْعُ النَّدَى فِي خَمِيلَةٍ   لَهَا مِنْ نُجُومِ الأُقْحُوَانِ ثُغُورُ[19]

تَنَاغَتْ بِهَا الأَطْيَارُ حِينَ بَدَا لَهَا   مِنَ الفَجْرِ خَيْطٌ كَالحُسَامِ طَرِيرُ[20]

فَهُنَّ إِلَى ضَوْءِ الصَّبَاحِ نَوَاظِرٌ   وَعَنْ سُدْفَةِ اللَّيْلِ المُجَنَّحِ زُورُ[21]

خَوَارِجُ مِنْ أَيْكٍ، دَوَاخِلُ غَيْرِهِ   زَهَاهُنَّ ظِلٌّ سَابِغٌ وَغَدِيرُ[22]

تَوَسَّدُ هَامَاتٌ لَهُنَّ وَسَائِدًا   مِنَ الرِّيشِ فِيهِ طَائِلٌ وَشَكِيرُ[23]

---

(١٩) الندى : مطر ضعيف ، وقطرات ماء تسقط آخر الليل . والخميلة : الشجر الكثير الملتف ، والموضع الكثير الشجر . والأقحوان (بضم الهمزة والحاء) : البابونج ، وهو نبت طيب الرائحة ، حواليه ورق أبيض ، ووسطه أصفر ، وأوراق زهره صغيرة مفلّجة تشبّه بها الأسنان . والثغور : جمع ثغر ، وهو الفم ، أو مقدّم الأسنان .

والمعنى أنهم باتوا غارقين فى الهوى واللذّة والشراب ، لاهين بدواعى الصبوة وجهلة الفتوّة والشباب حتى نبّههم على إدبار الليل ومطلع الصبح تساقط قطرات الندى فى خميلة لها ثغور من زهر الأقحوان الشبيه بالنجوم .

(٢٠) تناغت : المراد صدحت وتجاوبت وتبارت ، والذى فى اللسان وغيره : ناغت المرأة ولدها ، إذا كلّمته بما يعجبه ويسرّه . وبدا : ظهر . والحسام : السيف القاطع . وطرير : جميل ذو منظر ورواء .

(٢١) سدفة الليل (بفتح السين وضمها) : ظلمته . والمجنّح : ذو الجناح ، على تشبيه الليل بالطائر الأسود . وهو من قول العرب : قدّم فلان إلينا ثريدة لها جناحان من عراق ، ومجنحة بالعراق . انظر أساس البلاغة لأبى القاسم الزمخشرى ، مادة « جنح » . وزور : مائلات عن ظلمة الليل ، جمع أزور ، أو جمع زوراء ، وفى رواية أخرى « صور » (بضم الصاد وسكون الواو) جمع أصور ، أو صوراء ، وهما صفتان من صور (كفرح) أى مال .

(٢٢) الأيك : الشجر الكثير الملتف ، الواحدة أيكة . وزهاهنّ : دعاهنّ إلى الزهو وهو الإعجاب والتيه والفخر ، وأصله من زهت الريح النبات إذا هزّته ، والمراد أمرحهن . وسابغ : ممدود متّسع طويل ظليل . والغدير : القطعة من الماء يغادرها السيل ، أى يتركها .

(٢٣) توسّد : أصلها تتوسّد ، وحذفت إحدى التاءين تخفيفاً ، وتوسّد النائم الوسادة : اتكأ عليها ونام . والوسائد : جمع وسادة ، وهى المتكأ والمخدّة . وهامات : جمع هامة ، وهى الرأس . والمراد بالطائل : الطويل ، أو الكبير ، وهو اسم فاعل من طاولنى فطاولته (من باب نصر) ، أى فقته فى الطول . والشكير من الريش : صغاره بين كباره .

كَأَنَّ عَلى أَعْطافِها مِنْ حَبِيكِها   تَمائِمَ لَمْ تُعْقَدْ لَهُنَّ سُيُورُ(٢٤)

إِذَا ضَاحَكَتْها الشَّمْسُ رَفَّتْ ، كَأَنَّما   عَلى صَفْحَتَيْهَا سُنْدُسٌ وَحَرِيرُ(٢٥)

فَلَمَّا رَأَيْتُ اللَّيْلَ وَلَّى ، وَأَقْبَلَتْ   طَلائِعُ مِنْ خَيْلِ الصَّباحِ تُغِيرُ(٢٦)

ذَهَبْتُ أَجُرُّ الذَّيْلَ تِيهاً ، وإِنَّما   يَتِيهُ الْفَتَى إِنْ عَفَّ وَهْوَ قَدِيرُ(٢٧)

وَلِي شِيمَةٌ تَأْبَى الدَّنَايَا ، وَعَزْمَةٌ   تَفُلُّ شَباةَ الْخَطْبِ وَهْوَ عَسِيرُ(٢٨)

---

(٢٤) الأعطاف : الجوانب . والحبيك : المحبوك، وهو ما أحكم نسجه ، ويراد به هنا : ريش الأعطاف والجناحين ، على تشبيهه بالثوب . والتمائم : جمع تميمة ، وهى عوذة (بضم العين وسكون الواو وفتح الذال) تعلّق على الصبىّ ، يعوّذ بها من العين والفزع ونحوهما . والسيور : جمع سير ، وهو ما يقدّ من الجلد ونحوه ، وتربط به التمائم ونحوها .

يشبّه ما على أجنحة هذه الطيور من ريش يخالف لونها بتمائم لم تشدّ بسيور .

(٢٥) ضاحكتها الشمس: طلعت عليها وقت الصباح بنورها وبريقها . ورفّت: حرّكت أجنحتها. وصفحتاها : جانباها . والسندس : ما رقّ من الديباج ، وهو الحرير الخالص .

يشير إلى ابتهاج الطير بالصباح ، وإلى أن ما ترسله الشمس من أشعة على أجنحتها عند طيرانها يحدث بريقاً كبريق الحرير . أو البيت فى وصف الحميلة عند الشروق .

(٢٦) ولّى : ذهب وأدبر . والطلائع : جمع طليعة ، وهو من يبعث فى مقدّمة الجيش ليطّلع طلع العدوّ للواحد والجميع . وأغارت الخيل : اشتدّ عدوها فى الغارة ، وهى الهجوم على العدوّ .

(٢٧) التيه : الكبر (بكسر فسكون) والزهو والفخر ، تاه يتيه تيهاً . وعف : كفّ عما لا يحلّ ولا يجمل .

يقول إنّ الذى يعفّ عن المحرّمات وهو قادر على غشيانها جدير بأن يجرّ ذيله تيهاً وفخراً ، لأنه كبح جماح نفسه ، وانتصر على هواه .

(٢٨) الشيمة: الغريزة والطبيعة والجبلّة والخلُق . والدنايا: النقائص والعيوب . وتفلّ : تكسر ، (وبابه ردّ) . وشباة الخطب (بفتح الشين) : شدّته ، وشباة كلّ شىء : حدّه . والخطب : النازلة الشديدة من نوازل الدهر . وعسير : صعب شديد .

مُعَوَّدَةٌ أَلَّا تَكُفَّ عِنَانَهَا عَنِ الْجِدِّ إِلَّا أَنْ تَتِمَّ أُمُورُ[٢٩]

لَهَا مِنْ وَرَاءِ الْغَيْبِ أُذْنٌ سَمِيعَةٌ وَعَيْنٌ تَرَى مالا يَرَاهُ بَصِيرُ[٣٠]

وإنِّى امْرُؤٌ صَعْبُ الشَّكِيمَةِ بالِغٌ بِنَفْسِى شَأْوًا لَيْسَ فِيهِ نَكِيرُ[٣١]

وَفَّيْتُ بِما ظَنَّ الْكِرامُ فِراسَةً بِأَمْرِى ، وَمِثْلِى بِالْوَفاءِ جَدِيرُ[٣٢]

فَمَا أَنَا عَمَّا يُكْسِبُ الْعِزَّ ناكِبٌ وَلا عِنْدَ وَقْعِ الْمُحْفِظَاتِ حَسِيرُ[٣٣]

إِذَا صُلْتُ كَفَّ الدَّهْرُ مِنْ غُلَوائِهِ وَإِنْ قُلْتُ غَصَّتْ بِالْقُلُوبِ صُدُورُ[٣٤]

---

(٢٩) العنان : سير اللجام الذى تمسك به الدابة .

وصف عزمته ، أى إرادته فى البيت السابق بالقوّة والصلابة ، والتغلّب على حوادث الدهر ونكباته ، وهو فى هذا البيت يصفها بالمثابرة والاجتهاد حتى تدرك الغاية ، ويتمّ المراد ، وتنكير كلمة « أمور » هنا له مرمًى بلاغىّ بعيد .

(٣٠) المعنى أنه حادّ الحواسّ ، صائب الرأى ، صادق النظر فى الأمور .

(٣١) الشكيمة : الطبع ، وصعب الشكيمة : شديد النفس أنف (بفتح فكسر) أبىّ لا ينقاد . والشأو : الغاية والأمد . والنكير : الإنكار والجهل ، نكر فلان الأمر (كفرح) نكوراً ونكيراً ، وأنكره واستنكره وتناكره ، إذا جهله . ومعنى « ليس فيه نكير » : أنه شأو رفيع عظيم ، لا ينكر ولا يجهل .

يفخر بشدّة شكيمته ، وعزّة نفسه ، وعظم بأسه ، وأنفته وإبائه ، وبعد همّته فى الحياة .

(٣٢) الفراسة : اسم من قولك تفرّست فيه الخير ، إذا تعرّفته بالظنّ الصائب . والأمر : الشأن والحال . وجدير : حقيق وخليق .

يفخر بأنه حقّق ماتفرسّه الكرام فيه من الكرم والخير ، وأنه جرى على أساليبهم ، ووفى بظنّهم ، ومثله جدير بالوفاء .

(٣٣) ناكب : منحرف ومائل ، اسم فاعل من نكب عنه (كنصر وفرح) أى عدل . والمحفظات : جمع محفظة ، اسم فاعل من أحفظه ، إذا أغضبه ، والمراد العدوان ، والأمور التى تثير الغضب . وحسير : عاجز ضعيف .

يقول : إنه لا يحيد ، ولا ينحرف عن كل ما يكسبه العزّ والمجد والعلاء ، وإنه لا يضعف ، ولا يعجز عن دفع العدوان ، وردّ الشر .

(٣٤) صال : سطا ووثب للقتال ، واستطال وقهر وبطش . والغلواء : الغلوّ ، أى الشدّة ومجاوزة الحدّ . وغصّت : أصيبت بالغصّة ، وهى ألم يعترى الآكل والشارب عند البلع .

يتمدّح بالشجاعة والإقدام ، ثم بالبلاغة وحسن البيان ، حتى إنه إذا قال كبت حاسديه ، فغصّت صدورهم حقداً وكمداً .

مَلَكْتُ مَقَالِيدَ الْكَلامِ ، وَحِكْمَةً لَهَا كَوْكَبٌ فَخْمُ الضِّيَاءِ مُنِيرُ[٣٥]

فَلَوْ كُنْتُ فِى عَصْرِ الْكَلامِ الَّذِى انْقَضَى لَبَاءَ بِفَضْلِى «جَرْوَلٌ» و«جَرِيرُ»[٣٦]

وَلَوْ كُنْتُ أَدْرَكْتُ النُّوَاسِىَّ لَمْ يَقُلْ (أَجَارَةَ بَيْتَيْنَا أَبُوكِ غَيُورُ)[٣٧]

وَمَا ضَرَّنِى أَنِّى تَأَخَّرْتُ عَنْهُمُ وَفَضْلِىَ بَيْنَ الْعَالَمِينَ شَهِيرُ[٣٨]

فَيَا رُبَّمَا أَخْلَى مِنَ السَّبْقِ أَوَّلٌ وَبَذَّ الْجِيَادَ السَّابِقَاتِ أَخِيرُ[٣٩]

---

(٣٥) مقاليد الكلام : مفاتيحه ، واحدها مقلاد (كمفتاح) وزناً ومعنى . وملك مقاليد الكلام : تمكّن من أسباب البيان ، واستطاع التصرّف فى فنون القول . والحكمة : قول وجيز رائع يتضمّن حكماً صحيحاً مسلّماً ، وتكون نثراً ، كما تكون نظماً . وفخم : عظيم .

والمعنى أنّ حكمه بالغة واضحة كالكوكب الدرىّ ، تضىء للناس ظلمات الحياة .

(٣٦) باء بفضل : أقرّ به واعترف . وجرول : لقب الحطيئة ، وهو شاعر مشهور مخضرم ، أجاد فى كلّ ضرب من ضروب الشعر ، ولا سيما الهجاء والمديح ، ومات سنة ٥٩ هـ . وجرير بن عطيّة ابن الخطفى : شاعر واسع الشهرة ، عظيم الصيت ، من بنى يربوع ، أحد أحياء قبيلة تميم ، ولد باليمامة ، ونشأ بالبادية ، ومدح عبد الملك بن مروان بدمشق ، وكانت بينه وبين الفرزدق والأخطل مهاجاة طويلة مشهورة ، لم يطفأ نارها غير الموت ، ومات جرير باليمامة سنة ١١٠ هـ .

والمعنى أنه لو تقدّم به الزمان ، فأدرك الحطيئة وجريراً وأمثالهما من فحول الشعراء لأقرّوا بنبوغه وتفوّقه ، واعترفوا بفضله عليهم .

(٣٧) يريد بالنواسى : أبا نواس الحسن بن هانئ ، الشاعر المتفنّن ، الجادّ الماجن ، صاحب الصيت الطائر ، والشعر السائر ، ورأس المحدثين بعد بشّار ، وهو فارسىّ الأصل ، ولد بقرية من كورة خوزستان سنة ١٤٥ هـ ، ومات ببغداد سنة ١٩٩ هـ ، ومدح الرشيد وابنه محمداً الأمين ، وكان يقصد بعض عمّال الولايات ويمدحهم . والشطر الثانى من هذا البيت مطلع قصيدة أبى نواس فى مدح الخصيب أمير مصر فى عهد الرشيد ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك .

والمعنى أنه لو أدرك النواسىّ لفاقهُ وأخمله ، وكفّه عن القول .

(٣٨) عنهم : عن متقدّمى الشعراء ، أمثال الحطيئة وجرير وأبى نواس . وشهير : مشهور معروف .

(٣٩) أخلى : خلا . وبذّ : غلب وسبق (وبابه ردّ) . والجياد : جمع جواد ، وهو الفرس الرائع السبّاق .

القصيدة السابعة والعشرون

قَالَ يُقَرِّظُ* دِيوانَ «حافظ بك إبراهيم»**

هَيْهَاتَ ، لَيْسَ لِحافِظٍ مِنْ مُشْبِهٍ فى الْقَوْلِ غَيْرُ سَمِيِّهِ الشِّيرازِى[1]

* يقرّظه : يمدحه ، ويثنى عليه .

** حافظ بك إبراهيم الشاعر المصرى المشهور ، كان مستخدماً بوزارة الحربية ، ثم وزارة الداخلية ، ثم رئيساً للقسم الأدبى بدار الكتب المصرية ، توفى فى يوليه سنة ١٩٣٢ م وتولت وزارة المعارف طبع ديوانه سنة ١٩٣٧ بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة .

وقد جمع « حافظ » فى حياته بعض شعره ، ونشره فى ثلاثة أجزاء : الأول سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) والثانى سنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) . والثالث سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) :

ويُلاحظ أن البارودى عاد من منفاه إلى مصر فى اليوم السادس من جمادى الأولى سنة ١٣١٧ هـ (الثانى عشر من سبتمبر سنة ١٨٩٩ م) وأنه توفى أصيل يوم الاثنين السادس من شوال سنة ١٣٢٢ هـ (الثانى عشر من ديسمبر سنة ١٩٠٤ م) ومن هذا يتضح أنه قرظ الجزء الأول من هذا الديوان سنة ١٩٠١ بعد عودته من سرنديب بنحو سنتين ، وقبل وفاته بنحو ثلاث سنوات . ومن مدائح حافظ للبارودى :

أَمِيرَ الْقَوَافِى ، إِنَّ لِى مُسْتَهَامَةً بِمَدْحِكَ ، وَمَنْ لِى فيه أَنْ أَبْلُغَ الْمَدَى؟

أَعِرْنِى لِمَدْحِيكَ الْيَرَاعَ الَّذِى بِهِ تَخُطُّ ، وَأَقْرِضْنِى الْقَرِيضَ الْمُسَدَّدَا

وَمُرْ كُلَّ مَعْنًى فارِسِىٍّ بِطاعَتِى وَكُلَّ نَفُورٍ منه أَنْ يَتَوَدَّدَا

وَهَبْ لِىَ مِنْ أَنْوارِ عِلْمِكَ لَمْعَةً على ضَوْئِها أَسْرِى ، وَأَقْفُو مَنِ اهْتَدَى

وَأَرْبُو على ذاكَ الْفَخُورِ بِقَوْلِهِ إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا

(١) سميه : نظيره ، ومن اسمه كاسمه . والشيرازى : هو شمس الدين محمد ، الشهير بحافظ الشيرازى ، المتوفى سنة ٧٩٢ هـ ، وله ديوان شعر باللغة الفارسية ، يعرف بديوان حافظ ، متداول مشهور ببلاد الفرس ، والناس هنالك يتمثلون بأبياته ، ويعجبون بشعره .

جَارَاهُ فى حُسْنِ الْبيَانِ ، وَفَاتَهُ   فى الْمَنْطِقِ الْعَرَبِىِّ بِالْإِعْجَازِ [٢]

لبِق بِتَصْرِيفِ الْكَلَامِ يَسُوقُهُ   مَا شَاء بَيْن سُهُولَةٍ وعَزَازِ [٣]

فَإِذَا تَغَزَّلَ فَالنُّفُوسُ نَوَازِعٌ   وَإِذَا تَحَمَّسَ فَالْقُـــلُوبُ نوازِى [٤]

كَالصَّارِمِ الْبَتَّارِ فى إفرِنْدِهِ   وَصِقالِهِ ، وَالْمَارِنِ الْهَزْهَازِ [٥]

حَاكَ الْقَرِيضَ بِلَهْجَة عَرَبِيَّةٍ   أَغْنَتْ عَنِ الْإِسْهَابِ بِالْإِيجازِ [٦]

---

(٢) جاراه : جرى معه ، وشاكله وشابهه . وفاته : سبقه . وفى هذا البيت إشارة إلى فضل اللسان العربىّ على سائر الألسنة واللغات ، وتفوّقه بالبلاغة والإعجاز .

(٣) لبق : رفيق حاذق . وتصريف الكلام : تنويعه وتقليبه وتوجيهه . والعزاز (كسحاب) : ما صلب من الأرض واشتدّ .

يقول : إنه رفيق حاذق بتصريف الكلام ، مالك لأعنته ، خبير بوجوه القول ومقتضياته ؛ فهو يورده رقيقاً ليّناً سهلا إذا شاء ، ويجعله صلباً قويًّا جزلا إذا أراد .

(٤) تغزّل الشاعر: تحدّث فى شعره بأوصاف النساء ومحاسنهن ، وتغنّى بصبوته إليهنّ ، وذكر أحوالهنّ ، ومايجرى بينه وبينهنّ من هجر ووصال وغير ذلك ، وهو قريب من النسيب والتشبيب . ونوازع : مشتاقة متصابية ، جمع نازع ، وهى صفة من النزوع والنزاع ، بمعنى الشوق والحنين . وتحمس : اشتدّ وصلب فى قوله ، وحضّ على الحماسة والشجاعة . ونواز : متوثبة متحمسة طامحة .

والمراد أن شعره جيد فى جميع الأغراض ، شديد التأثير فى النفوس .

(٥) الصارم ، والبتّار : السيف القاطع . وإفرند السيف : جوهره ووشيه وماؤه ورونقه . وصقاله : جلاؤه (بكسر الجيم) ، وهو اسم من صقل الصيقل السيف (من باب نصر) أى جلاه وأتمّ صنعه . والمارن : من صفات الرمح ، يقال : رمح مارن ، إذا كان مع صلابته لدناً (بفتح فسكون) أى ليّناً . والهزهاز : المهتزّ .

شبّه كلام الممدوح وشعره بالسيف القاطع فى وشيه ومائه ورونقه وصقاله ، ثم بالرمح المهتزّ فى المرونة والجودة .

والغرض بيان جماله وقوّته وشدّة تأثيره فى النفوس ، كما تقدّم فى البيت السابق .

(٦) حاك القريض: نسج الشعر (بكسرفسكون) ولاءم بين أجزائه ، وأجاد صياغته وتأليفه . والإسهاب : مصدر أسهب المتكلّم ، أى أكثر الكلام وأطاله . والإيجاز : إقلال الكلام فى بلاغة ووفاء بالغرض .

والمعنى : أن الممدوح يحوك الشعر وينسجه على منوال عربىّ سليم ، ويصوغه بأسلوب فصيح ، ولغة خالصة ، تغنى بإيجازها وبلاغتها عن الإسهاب والتطويل .

أَلْفَاظُهَا نَمَّتْ عَلَى مَا تَحْتَهَا وَصُدُورُهَا دَلَّتْ عَلَى الْأَعْجَازِ (٧)
فإِذَا تَلَاهَا قَارِئٌ لَمْ يَشْتَبِهْ فِي الْقَوْلِ بَيْنَ حَقِيقَةٍ وَمَجَازِ (٨)
عَبِقَتْ كَأَنْفَاسِ النَّسِيمِ تَعَلَّقَتْ بِالرَّوْضِ غِبَّ الْعَارِضِ الْمُجْتَازِ (٩)
قَدْ كَانَ جِيدُ الْقَوْلِ عُطْلاً قَبْلَهُ فَحَبَاهُ أَحْسَنَ حِلْيَةٍ وطِرازِ (١٠)
مَلَكَتْ مَوَدَّتُهُ الْقُلُوبَ ، فَأَصْبَحَتْ تَلْقَاهُ بِالتَّوْقِيرِ وَالْإِعْــزازِ (١١)
لَا زَالَ يَبْلُغُ شَأْوَ كُلِّ فَضِيلَةٍ بِمَضَاءِ صَمْصَامٍ ، وَصَوْلَةِ بَازِ (١٢)

(٧) ألفاظها : أى ألفاظ اللهجة العربية التى تقدم ذكرها فى البيت السابق . ونمّت على ماتحتها : المراد دلّت دلالة واضحة على معانيها ويمايراد منها . وصدورها : أوائلها ، جمع صدر . وأعجازها : أواخرها ، جمع عجز (بفتح فضم) .

والمعنى : أنها فصيحة خالية من الإبهام والغموض ، واضحة غاية الوضوح ، سهلة تشفّ عن معانيها ، ويدلّ أوّلها على آخرها ، فليس فى قوافيها تكلّف ولا اعتساف .

(٨) تلاها : قرأها . يقول : إن مافيها من الحقيقة والمجاز سواء فى الجمال والروعة والوضوح .

(٩) عبقت : لصقت وبقيت ، من قولهم : عبق به الطيب (كطرب) أى لزق ، والمراد : بقيت فى نفس القارئ آثارها الطيّبة . والنسيم : الريح الطيّبة . وأنفاسها : نسماتها وحركاتها اللطيفة الهادئة . والروض : الحدائق والغياض وماشابهها ، ومنابت الشجر والزهر ، الواحدة روضة (بفتح فسكون) . وغبّ : بعد . والعارض : السحاب يعترض فى الأفق . والمجتاز : اسم فاعل من قولهم : اجتاز فلان الطريق ، أى اجتابه وسلكه . والمراد بالعارض المجتاز : السحاب الذى مرّ بسماء هذه الرياض فأمطرها وجادها ، وكساها ثياب النضارة والنضارة ، ونمت به أشجارها ، وتفتّحت أزهارها .

(١٠) الجيد (بكسر الجيم) : العنق (بضمتين) . وعطل (بضم فسكون) : خال من الحلى والزينة . وحباه : أعطاه ومنحه . والحلية (بكسر فسكون) : ماتتزيّن به المرأة من مصوغ المعدنيّات والحجارة الكريمة ، والحلية أيضاً : الزينة . والطراز (ككتاب) : علم الثوب ، ومايكون فيه من وشى وزينة ، وطرّزت الثوب تطريزاً : جعلت له طرازاً .

والمعنى : أنه سبق إلى إحياء الشعر وتجويده وتنميقه ، وبلغ من ذلك غاية لم يبلغها غيره .

(١١) مودّته : محبّته ، أى محبّة الناس له . والتوقير : الإجلال والإكبار والتعظيم . والإعزاز : الإكرام .

(١٢) الشأو : الأمد والغاية . وسيف صمصام : صارم قاطع لا ينثنى ولا ينبو . والصولة : الوثوب والسطوة . والبازى والباز : ضرب من الصقور ، يضرب المثل بقوّته وإبعاده فى الطيران .

يدعو له بالاستمرار فى بلوغ غايات الفضائل بعزم شديد نافذ يمضى مضاء الصمصام ، وهمّة رفيعة عالية قويّة كصولة البازى

القصيدة الثامنة والعشرون

وقال* :

نَزَعْتُ عَنِ الصِّبَا ، وعَصَيْتُ نَفْسِي ... وَدَافَعْتُ الْغَـوَايَةَ بِالتَّأَسِّي[1]

وَقُلْتُ لِصَبْوَتِى - وَالْعَيْنُ غَرْقَى ... بِأَدْمُعِهَا - رُوَيْدَكِ ، لَا تَمَسِّى[2]

فَقَدْ وَلَّى الصِّبَا إِلاَّ قَلِيلاً ... أُنَازِعُ سُؤْرَهُ بِفُضُولِ كَأْسِى[3]

وَمَنْ يَكُ جَاوَزَ الْعِشْرِينَ تَتْرَى ... وأَرْدَفَهَـا بِأَرْبَعَةٍ وخَمْسِ[4]

* نظم البارودى هذه السينية سنة ١٨٦٨ وهو فى التاسعة والعشرين ، بعد أن تزوّج « عديلة يكن » بنحو سنة . وفى هذه القصيدة أن يومه وأمسه ، أى حاضره وماضيه متباينان مختلفان ، وأن سنة ١٨٦٨ فصلت بين طورين مختلفين متناقضين من أطوار حياته : طور اللهو والغواية ، وطور الجدّ والهداية .

(١) نزعت عن الشيء : أقلعت عنه وتركته .والصبا (بكسر الصاد) : جهلة الفتوة ، كالصبوة . ودافعت : دفعت وأزلت . والغواية : الجهل والضلال . والتأسّى : التعزّى والتسلّى والتصبّر ، أو هو مصدر تأسّيت بفلان ، أى اقتديت به ، واتّبعت فعله ، وجملته أسوتى .

يقول : إنه عصى نفسه ، فأقلع عن الصبوة والهوى واللهو والغواية والضلال ، وصبر على ترك هذه اللذات مقتدياً بمن يقتدى به فى هذا .

(٢) رويدك : أمهل وتأنّى وارفقى . ولا تمسّى : لاتقربينى .

يصوّر الشاعر فى هذا البيت مدافعته لصبوته ، ومغالبته لهواه .

(٣) ولّى : أدبر وذهب . والصبا (بكسر الصاد) : الصغر، والمراد الفتاء والشباب . وأنازع : أجاذب . وسؤر الصبا : بقيّته . وفضول الكأس : بقاياها ، أى مافضل فيها من الشراب .

يقول : إن شبابه قد ذهب وأدبر ،ولم يبق منه غير بقيّة قليلة ، وهو يحاول المحافظة على القليل الباقى من هذا الشباب بالتسامح فى قليل من اللهو ، عبّر عنه بفضول الكأس .

(٤) تترى : متواترة . وأردفها : أتبعها .

يريد أنه بلغ من العمر تسعاً وعشرين سنة ، وجواب « من » فى البيت الآتى .

فَقَدْ سَفَرَتْ لِعَيْنَيْهِ اللَّيَالِي ... وَبَانَ لَهُ الْهُدَى مِنْ بَعْدِ لَبْسِ (٥)

نَظَرْتُ إِلَى الْمِرَاةِ فَكَشَّفَتْ لِي ... قِنَاعاً لَاحَ فِيهِ قَتِيرُ رَأْسِي (٦)

وَكُنْتُ وَكَانَ فَيْنَانًا أَثِيثاً ... أُنَازِعُ شِرَّتِي ، وَأَذُودُ بَأْسِي (٧)

فَعُدْتُ وَقَدْ ذَوَى مِنْ بَعْدِ لِينٍ ... أُدَارِي صَبْوَتِي ، وَأُسِرُّ يَأْسِي (٨)

فَمَا أَمْسِي كَيَوْمِي حِينَ أَغْدُو ... عَلَى كِبَرٍ ، وَمَا يَوْمِي كَأَمْسِي (٩)

وَمَا الْأَيَّامُ إِلَّا صَائِبَاتٌ ... تَمُرُّ بِكُلِّ سَابِغَةٍ وَتُرْسِ (١٠)

أَبَادَتْ قَبْلَنَا إِرَمًا وَعَادًا ... وَطَارَتْ بَيْنَ ذُبْيَانٍ وَعَبْسِ (١١)

---

(٥) سفرت : اتضحت وظهرت ، من قولهم : سفرت المرأة ، إذا كشفت عن وجهها . والمراد : ظهر له ماكان خفيًّا من أمور الحياة . وبان : ظهر . ولبس : غموض وإبهام واختلاط .

(٦) القناع : مايقنّع به الرأس، أي يغطّى، والمراد الشعر . ولاح : بدا وظهر. والقتير : أول مايظهر من الشيب . يقول : إنه نظر إلى المرآة ، فأظهرت له ما وخط شعره من الشيب .

(٧) شعر فينان : كثير ، له أفنان كأفنان الشجر، أي أغصانه. وأثيث : كثير طويل، من قولهم : أثّ النبات، إذا كثر والتف. والشرّة : النشاط وقوّة الشباب. وأذود: أدفع . والبأس: الشدّة والقوّة والإقدام .

يقول : إنه كان قبل أن يلوح فيه الشيب فينان الشعر أثيثه ، شديد شرّة الشباب ، عظيم القوّة ، كثير الإقدام ، حتى إنه مع جهل الشباب كان يرى أن شرته وإقدامه قد جاوزا الحدّ ، فيعمل على كبحهما .

(٨) عدت : صرت . وذوى : ذبل وضعف، أي الشعر، على تشبيهه بالنبات والأغصان ، كما تقدّم في البيت السابق. ويريد باللين : النضارة والغضاضة . وأدارى : أخفى . ويريد بالصبوة : الولوع بالشباب، والحسرة على فواته ، والحنين إلى مرحه ودواعيه . واليأس : انقطاع الرجاء بسبب ما صار إليه من ضعف وشيب.

(٩) أغدو على كبر أصير كبيراً ، وتعلو بي السنّ .

والمعنى : أنني حينما تعلو بي السنّ يكون أمسي خيراً من يومي ، ويومي شرًّا من أمسي .

(١٠) صائبات : مصيبات ، من قولهم صاب السهم الغرض (من بابي قال وباع) أي أصابه ، ولم يخطئه . والسابغة : الدرع الواسعة . والترس : المجنّ ونحوه ، مما يتستّر به المقاتل ، لاتّقاء النبال وغيرها.

يقول : ليست الأيام إلا سهاماً صائبة تخترق السوابغ والترّوس .

والمعنى : أن الاحتراس والحيطة والوقاية لا تدفع حوادث الأيام ، ولا تصدّ خطوب الزمان .

(١١) أبادت : أهلكت ، اى الأيام . وإرم (كعنب) : قبيلة عاد الأولى ، وهي من القبائل العربية البائدة، تسمية لها باسم جدّها إرم بن سام بن نوح ، وقيل إرم بلدتهم ، وحاضرة ملكهم ، ومقرّ قوّتهم وعظمتهم، وفي القرآن الكريم « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ) الآيات ٦ – ٨ من سورة الفجر . وعاد : من سلالة إرم السابقة ؛ وتسمّى عاداً الآخرة تسمية =

وَأَلْوَتْ بِالْمُضَلَّلِ ، وَاسْتَمَالَتْ عِمادَ الشَّنْفَرَى ، وَهَوَتْ بِقُسٍّ (١٢)
فَلَا «جمشيدُ» دَافَعَ إِذْ أَتَتْهُ بِحَادِثِها ، وَلَا رَبُّ الدِّرَفْسِ (١٣)
عَلَى هذَا يَسِيرُ النَّاسُ طُـرًّا وَيَبْقَى اللهُ خَالِقُ كُلِّ نَفْسِ (١٤)

= لها باسم جدّها عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ، وكانت تسكن الأحقاف شرقي بلاد اليمن ، وقصتها مذكورة في القرآن الكريم . والمراد بينهم : فرّقتهم وأهلكتهم ، أي الأيام . وعبس وذبيان : قبيلتان عظيمتان من العرب المستعربة ، وهما أختان من سلالة قبيلة غطفان ، وغطفان من قيس عيلان ، وقيس عيلان من مضر أعظم القبائل العدنانية وأشهرها ، وكانت بينهما في الجاهلية حروب طويلة مشهورة ، أشهرها حرب داحس والغبراء ، وقد وصفها زهير بن أبي سلمى في معلّقته المشهورة ، ومنها : =

= تدار كتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ، ودقّوا بينهم عطر منشم

يخاطب هرم بن سنان الذبياني المزيّ ، والحارث بن عوف ، لسعيهما في الصلح بين القبيلتين .

(١٢) ألوت به الأيام : أهلكته . والمضلّل : امرؤ القيس الكنديّ ، أشهر شعراء الجاهلية ، وكان يلقب بالملك الضلّيل (كسكّين) والمضلّل . واستمالت عماده : كناية عن إبادته وإهلاكه . والشنفرى : شاعر جاهليّ قحطانيّ من الأزد ، وكان فاتكا شجاعاً عدّاء ، ولهذا ضرب به المثل فقيل : « أعدى من الشنفرى » . وهوت به : أهلكته . وقسّ بن ساعدة الإياديّ : خطيب العرب وحكيمها في الجاهلية ، وقد سمعه النبي صلّى الله عليه وسلّم يخطب بعكاظ قبيل البعثة ، فأعجب به ، وأثنى عليه .

(١٣) جمشيد : لقب ملك عظيم من ملوك الفرس الأقدمين ، قيل إنه أول من علّم الناس اتّخاذ الأسلحة ، وكانوا يحاربون قبلها بالحجارة والعصيّ ، وأوّل من كشف صناعة النسج ، واستخرج اللآلئ من البحر ، والمعادن من بطن الأرض ، وكان من المعمّرين . وأتته : أي الأيام . والدرفس : العلم الفارسيّ الكبير . ولعلّ الشاعر يعني بربّ الدرفس : كسرى أنوشروان ، من أعظم ملوك الفرس ، وأبعدهم صيتاً ، وأسيرهم ذكراً ، أقام بالمدائن حاضرة ملكه نحو ٤٧ سنة ، وفي أيامه وصلت بلاد فارس إلى غاية مجدها وارتقائها ، وفي عصره ولد نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم ، وإليه ينسب القصر الأبيض والإيوان ، وكان من عجائب الدنيا ، وفي وصفه يقول البحتريّ في سينيّته المشهورة :

فإذا ما رأيت صورة أنطا كيّة ارتعت بين روم وفرس
والمنايا مواثل ، وأنوشر وان يزجي الصفوف تحت الدرفس

وصف الشاعر في هذا البيت وثلاثة الأبيات قبله صولة الأيام ، وبطش الدهر ، ونوازل الزمان ، ومثّل ببعض الأمم والملوك ، وبعض ذوي السير الخالدة ، والذكريات الباقية ، وكلّ هؤلاء فتك بهم الدهر ، وأبادتهم صروف الليالي ، ولم يبق بعدهم غير العبرة لمن أراد أن يعتبر .

(١٤) طرًّا : جميعاً .

القصيدة التاسعة والعشرون

قال وهو بِسَرنديبَ :

مَتَى تَرِدُ الْهِيمُ الْخَوَامِسُ مَنْهَلاً ... تَبُلُّ بِهِ الأَكْبَادَ وهْيَ عِطَاشُ ؟[1]

أَرَى الْغَيْثَ عَمَّ الأَرْضَ مِنْ كُلِّ جانِبٍ ... ومَوْضِعُ رَحْلِي لَمْ يُصِبْهُ رَشَاشُ[2]

فَهَلْ نَهْلَةٌ مِنْ جَدْوَلِ النِّيلِ تَرْتَوِي ... بِها كَبِدٌ ظَمْآنَةٌ ومُشاشُ ؟[3]

وهلْ مِنْ مَقِيلٍ تَحْتَ أَفْنَانِ سِدْرَةٍ ... لَهَا مِنْ زَرَابِيِّ النَّبَاتِ فِراشُ ؟[4]

---

(١) ورد البعير وغيره الماء يرده وروداً : أشرف عليه ، وبلغه ، ووافاه . والهيم : الإبل العطاش ، المفرد أهيم ،أو هيماء . والخوامس: الشديدة الظمأ ، جمع خامسة ، صفة من خمست الإبل ، أى وردت الماء اليوم الخامس ، واسم هذا الضرب من الظمأ : الخمس (بكسر فسكون) ، ومن كلامهم : الخمس شرّ الأظماء . والمنهل : المشرب . وبلّه : ندّاه ، (وبابه ردّ) .

والشاعر يشبّه حاله فى غربته ، وانقطاعه عن وطنه وأهله ، وشدّة كلفه بهم ، واشتياقه إليهم بالإبل التى اشتدّ بها العطش ، وطال انقطاعها عن الماء ، وهو يتمنّى عودة تطمئن بها نفسه ، وتندى كبده الحرّى .

(٢) الغيث : المطر . والرحل : المسكن ، وما يستصحبه المرء من الأثاث . والرشاش (بفتح الراء) ماترشّش من الماء ، (وبالكسر) : جمع الرشّ (بفتح الراء وتشديد الشين) وهو المطر القليل .

(٣) نهلة : اسم مرة من النهل (بفتحتين) ، وهو أول الشرب . والمشاش : رءوس العظام الليّنة ، الواحدة مشاشة (بضم الميم) . والمشاش أيضاً : النفس .

(٤) مقيل : اسم مكان من قال (من باب باع) . أو هو مصدر بمعنى القيلولة ، وهى نومة نصف النهار ، أو الاستراحة فى هذا الوقت إذا اشتدّ الحرّ . والأفنان : الأغصان ، واحدها فنن (بفتحتين) . والسدرة : شجرة النبق ، وجمعها سدر (بكسر فسكون) . وزرابىّ النبات : النبات الشبيه بالزرابىّ ، وهى البسط (بضمتين) والنمارق ، الواحد زربىّ (بكسر فسكون) ، والزرابى من النبات : مااصفرّ واحمرّ وفيه خضرة .

يتمنّى أن يقيل تحت أغصان سدرة لها فراش من النبات الشبيه بالبسط والنمارق ، فهو يتمنّى العودة إلى وطنه ، لأن السدر يكثر فى بعض أراضى مصر

لَدَى أَيْكَةٍ رَيَّا الْغُصُونِ ، كَأَنَّمَا عَلَيْهَا مِنَ الزَّهْرِ الْجَنِيِّ رِيَاشُ(٥)
تَرَى الزَّهْرَ أَلْوَاناً ، يَطِيرُ مَعَ الصَّبَا كَمَا هَاجَ إِبَّانَ الرَّبِيعِ فَرَاشُ(٦)
دِيَارٌ يَعِيشُ الْمَرْءُ فِيهَا مُنَعَّمًا وَأَطْيَبُ أَرْضِ اللهِ حَيْثُ يُعَاشُ(٧)
فَيَارَبِّ ، رِشْنِي كَيْ أَعِيشَ مُسَدَّدًا فَقَدْ يَسْتَقِيمُ السَّهْمُ حِينَ يُرَاشُ(٨)

---

(٥) الأيكة : الشجر الكثير الملتف . وريّا : مؤنث ريّان ، صفة من الريّ ، والمراد غضة ناضرة . والجنيّ : المجتنى ، أى المقتطف مادام غضًّا طريًّا ، والمراد بالزهر الجنيّ : المتفتّح الناضر . والرياش : اللباس الحسن الفاخر ، والزينة .

(٦) الصبا : ريح تهبّ من مطلع الشمس فى بلاد العرب ، وهى أحبّ الرياح إليهم . وهاج : اهتاج وثار . وإبّان الربيع : زمانه . والفراش (بفتح الفاء) : جمع الفراشة التى تتهافت حول السراج ونحوه . يشبّه الزهر المختلف الألوان يطير مع ريح الصبا بالفراش الذى يهيج ويكثر فى وقت الربيع .

(٨) رشنى : أمر للدعاء ، من راشه الله تعالى ، إذا أنعشه وأعانه وقوّاه ، وأصلح حاله ، ويسّر أمره . وأصله من راش النابل السهم (من باب باع) إذا ألزق عليه الريش . ومسدّد : موفّق للسداد والقصد والصواب . والسهم : واحد النبل (بفتح فسكون) ، وهو مايرمى به الصائد ونحوه عن القوس ونحوها .
يدعو الله أن يريشه ، ويقوّى جناحه بالإحسان إليه ، كى يعيش موفّقاً للسداد ، كما يستدّ السهم ويقوى ويستقيم ، ويصيب إذا ريش .

القصيدة الثلاثون

وقال فى الحكمة :

بَادِرِ الْفُرْصَةَ ، وَاحْــذَرْ فَوْتَهَا ... فَبُلُوغُ الْعِزِّ فى نَيْلِ الْفُرَصْ[1]

واغْتَنِمْ عُمْرَكَ إِبَّانَ الصِّبَا ... فَهْوَ إِنْ زَادَ مَعَ الشَّيْبِ نَقَصْ[2]

إِنَّمَا الدُّنْيَــا خَيَالٌ عَارِضٌ ... قَلَّمَا يَبْقَى ، وَأَخْبَارٌ تُقَصْ[3]

تَارَةً تَدْجُو ، وَطَوْرًا تَنْجَلِى ... عَادَةُ الظِّلِّ : سَجَا ، ثُمَّ قَلَصْ[4]

فَابْتَدِرْ مَسْعَاكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ ... بَادَرَ الصَّيْدَ مَعَ الْفَجْرِ قَنَصْ[5]

---

(١) بادر الفرصة: عاجلها، وسارع إليها . وفوتها : فوا وذهابها ،مصدر فاته الشىء (من باب قال) .

(٢) اغتنم عمرك : المراد انتفع به ، ولانفسه ، وأصله من اغتنم المرء الشىء ، إذا عده غنيمة ، وفاز به بلا مشقة . وإبان الصبا : وقت الصغر . ومعنى الشطر الثانى : أن العمر إذا زاد نقصه الشيب وطواه .

يريد الحض على الانتفاع بالحياة ، وتقديم صالح الأعمال فى زمن الفتاء والشباب ؛ قبل أن يحل المشيب ، فيحل معه الضعف والفتور .

(٣) الخيال : كل شىء تراه كالظل ، وخيال الشىء: صورة تمثاله . وعارض : باد، ظاهر . وتقص : تحكى ، ويتحدث بها .

(٤) تدجو : تظلم ، والمراد تسوء : وتنجلى : تنكشف وتتفسح ، والمراد تحسن وتزدهر، وتواتى صاحبها . وسجا : امتد وسكن ودام . وقلص : انقبض وانزوى وانضم .

(٥) ابتدر الإنسان الشىء ، وبادره : عاجله وسارع إليه . ومسعاك : سعيك فى الخير وصالح الأعمال . والصيد : يكون مصدر صاد (كباع)ويكون اسما لكل مايصاد . وقنص الصائد الصيد(من باب ضرب) : صاده .

لَنْ يَنَالَ الْمَرْءُ بِالْعَجْزِ الْمُنَى إِنَّمَا الْفَوْزُ لِمَنْ هَمَّ فَنَصْ[6]

يَكْدَحُ الْعَاقِلُ فِى مَأْمَنِهِ فَإِذَا ضَاقَ بِهِ الْأَمْرُ شَخَصْ[7]

إِنَّ ذَا الْحَاجَةِ مَا لَمْ يَغْتَرِبْ عَنْ حِمَاهُ مِثْلُ طَيْرٍ فِى قَفَصْ[8]

وَلْيَكُنْ سَعْيُكَ مَجْدًا كُلُّهُ إِنَّ مَرْعَى الشَّرِّ مَكْرُوهٌ أَحَصْ[9]

وَاتْرُكِ الْحِرْصَ تَعِشْ فِى رَاحَةٍ قَلَّمَا نَالَ مُنَاهُ مَنْ حَرَصْ[10]

قَدْ يَضُرُّ الشَّىْءُ تَرْجُو نَفْعَهُ رُبَّ ظَمْآنَ بِصَفْوِ الْمَاءِ غَصْ[11]

مَيِّزِ الْأَشْيَاءَ تَعْرِفْ قَدْرَهَا لَيْسَتِ الْغُرَّةُ مِنْ جِنْسِ الْبَرَصْ[12]

وَاجْتَنِبْ كُلَّ غَبِىٍّ مَائِقٍ فَهْوَ كَالْعَيْرِ ، إِذَا جَدَّ قَمَصْ[13]

---

(٦) يريد بالعجز : التوانى وضعف الهمّة . والمنى : الأمانى والآمال ، واحدتها منية (بضم فسكون) وهمّ بالشىء : أراده ، (وبابه ردّ) . ونصّ : المراد أنفذ ماهمّ به ؛ من قولهم : نصّ الرجل ناقته (من باب ردّ) : إذا استخرج أقصى ماعندها من السير ، ونصّ الشىء : حرّكه . ونصّه أظهره . ونصّ فلان فلاناً : إذا استقصى مسألته عن الشىء .

(٧) يكدح : يكدّ ويجتهد ، من الكدح ، وهو السعى والكدّ والكسب والشدّة والدءوب فى العمل ، (وبابه قطع) . ومأمنه : مكان أمنه ، والمراد بلده ووطنه . والمراد بضيق الأمر : الفقر والضنك وسوء الحال . وشخص (كذهب) : انتقل وارتحل وهاجر .

(٨) يغترب : ينزح عن وطنه ويبتعد . والحمى : المكان المحظور الذى لايقرب ، والمراد به هنا : الوطن .

(٩) المجد : العزّ والشرف والكرم والعلاء ، ومعنى الشطر الأول : ليكن سعيك كلّه فى سبيل المجد . والمرعى : الكلأ ، أوهو مصدر بمعنى الرعى ، أو هو اسم مكان من الرعى (بفتح فسكون) والكلام على التشبيه . والأحصّ : النكد المشئوم الوبيل الذى لاخير فيه . والأصل : حصّ الشعر (كلّ) : أى تساقط ، وتناثر ؛ فهو أحصّ ، وهى حصّاء .

(١٠) الحرص (بكسر فسكون) : الجشع والشره (بفتحتين فيهما) وقد حرص (كضرب ، وسمع) ، فهو حريص . والمنى : الأمانى والآمال والمطالب ، وحدتها منية (بضم فسكون) .

(١١) ظمآن : صفة من الظمأ (بفتحتين) وهو العطش ، أوأشده . وصفو الماء : ماصفا منه ؛ وهو متعلّق بغصّ . وغصّ بالماء (من باب تعب) : شرق به ، أووقف فى حلقه ، فلم يكد يسيغه .

(١٢) قدر الشىء : مقداره ومبلغه ودرجته . والغرّة : بياض مستحسن فى جبهة الفرس . والبرص (بفتحتين) : بياض يظهر فى ظاهر البدن لفساد مزاج ، وهو من الأدواء البشعة الفظيعة ، (وبابه تعب) .

(١٣) مائق : أحمق ، غبىّ ، سيّئ الخلق . والعير (بفتح فسكون) : الحمار . وجدّ فى السير : أسرع واجتهد . وقمص الحمار ونحوه : اضطرب فى سيره واستنّ ، وهو أن يرفع يديه ، ويطرحهما معاً ، ويعجن برجليه ، (وبابه ضرب وقتل) .

إِنَّمَا الْجَاهِلُ فِى الْعَيْنِ قَذًى ... حَيْثُمَا كَانَ ، وَفِى الصَّدْرِ غَصَصْ (١٤)

واحْذَرِ النَّمَّامَ تَأْمَنْ كَيْدَهُ ... فَهْوَ كَالْبُرْغُوثِ إِنْ دَبَّ قَرَصْ (١٥)

يَرْقُبُ الشَّرَّ ، فَإِنْ لَاحَتْ لَهُ ... فُرْصَةٌ تَصْلُحُ لِلْخَتْلِ فَرَصْ (١٦)

سَاكِنُ الْأَطْـرَافِ ، إِلَّا أَنَّهُ ... إِنْ رَأَى مَنْشَبَ أُظْفُورٍ رَقَصْ (١٧)

وَاخْتَبِرْ مَنْ شِئْتَ تَعْرِفْهُ ، فَمَا ... يَعْرِفُ الْأَخْلَاقَ إِلَّا مَنْ فَحَصْ (١٨)

هَـذِهِ حِكْمَةُ كَهْلٍ خَابِرٍ ... فَاقْتَنِصْها ، فَهْىَ نِعْمَ الْمُقْتَنَصْ (١٩)

---

(١٤) القذى : مايقع فى العين فيهيجها ويؤذيها . والغصص (بفتحتين) : مصدر غصصت بالطعام والشراب (من باب تعب) ، والغصة (بضم الغين وتشديد الصاد) : ماغص به الإنسان من طعام ، وقد يسمى الغيظ غصة على التشبيه ، وجمعها غصص (كغرفة وغرف) .

(١٥) النمام : صفة من النم والنميمة ، وهى رفع الحديث على وجه الإشاعة والإفساد ، أو تزيين الكلام بالكذب . والكيد : الختل والخديعة والروغان (بفتحتين) والبرغوث (بوزن العصفور) : ضرب من صغار الهوام ، عضوض ، شديد الوثب ، فى صورة الفيل . وجمعه براغيث . ودب : سار على هينته (بكسر الهاء وسكون الياء) سيراً ليناً . وقرص : لسع ، (وبابه قتل) .

(١٦) يرقب الشر (من باب قعد) : ينتظره ويرصده ويتوقعه . ولاحت : بانت ووضحت وظهرت . والختل : مصدر ختله (من باب ضرب) ، أى خدعه وراد به المكروه من حيث لايعلم . وفرص الفرصة (من باب ضرب) : انتهزها وأصابها واغتنمها .

(١٧) الأطراف : المراد الأعضاء . ومنشب (بوزن مذهب) : اسم مكان من نشب الشىء فى الشىء (من باب فرح) أى علق فيه ، وأمسك به . والأظفور : الظفر (بضم فسكون) والمراد بمنشب الأظفور : مجال الشر ، وموضع السعاية والنميمة مهما صغر .

يقول : إن النمام يبدو هادئاً ساكن الأطراف ، ولكنه يرتقب الشر ، فإذا رأى مجاله رقص وطرب ، وسارع إليه .

(١٨) فحص : بحث .

(١٩) الحكمة : العلم ، والقول الرائع يتضمن حكماً صحيحاً مسلماً . والكهل : الرجل إذا وخطه الشيب ، أى خالطه ، والمراد المجرب العاقل . وخابر : عالم . واقتنصها : أمر من الاقتناص ، وهو الصيد . والمقتنص : اسم مفعول من الاقتناص

القصيدة الحادية والثلاثون

قال يَرُوضُ القَوْلَ :

هَلْ فى الزَّمَانِ لَنَا حُكْمٌ فَنَشْتَرِطُ؟ أَمْ تِلْكَ أُمْنِيَّةٌ فى طَيِّهَا قَنَطُ [1]

نَبْكِى عَلَى غَيْرِ شَىْءٍ ، ثُمَّ يُضْحِكُنَا مَا لَيْسَ فِيهِ لَنَا بُقْيَا فَنَخْتَلِطُ [2]

وَكَيْفَ نَرْجُو مِنَ الأَيَّامِ عَافِيَةً وَصِحَّةُ الْمَرْءِ مَقْرُونٌ بِها السَّقَطُ ؟ [3]

نَرْعَى مِنَ الدَّهْرِ غَيْثاً نَبْتُهُ أَسَفٌ لِلرَّائِدِينَ ، وَرَوْضاً زَهْرُهُ شَطَطُ [4]

---

(١) الأمنيّة : مايتمنّاه الإنسان ويرجوه ويقدّر حصوله . وفى طيّها : فيما انطوت عليه . وقنط : قنوط ويأس ، مصدر قنط (كفرح) . و« أم » فى الشطر الثانى بمعنى « بل » .

يقول : هل لنا على الزمان حكم وسلطان ، لنشترط عليه أن يجرى كما نحبّ ونهوى ؟ بل تلك أمنيّة تنطوى على اليأس والقنوط ، أى أمل ميئوس منه ، لا رجاء فيه .

(٢) البقيا (بضم فسكون) : اسم بمعنى الإبقاء . ويصحّ أن تقرأ بقياً (بالتنوين مع فتح الباء وسكون القاف) وهومصدر بقى (كسعى) . ونختلط : من الاختلاط ، وهو فساد العقل .

يقول : إننا فى حياتنا نبكى على غير شىء ، ثم يضحكنا ما يفنى ، ولا نستطيع إبقاءه ، فتفسد عقولنا .

والمعنى : أننا ننخدع بزخرف الحياة الدنيا وباطلها ، فنحزن على ما لا يستحقّ الحزن ، ونفرح بما لا يبقى ، فنوصم بضعف العقل واختلاطه .

(٣) العافية : السلامة من العلل والبلاء . ومقرون : اسم مفعول من قرنت الشىء بالشىء ، إذا وصلته به ، (وبابه ضرب ونصر) . والسقط : العثرات والزلات .

والمعنى : أنه لا يرجى من الأيام استمرار الصحة والعافية والسلامة من العلل والآفات ؛ لأن هذه صفات عارضة غير ثابتة ، تنتهى حتماً إلى المرض والضعف والسقام .

(٤) نرعى : مضارع رعى (كسعى) من قولهم : رعت الماشية الكلأ ، أى أكلته . والغيث : الكلأ ، وأصله المطر . والنبت : النبات . والمراد بنبته : ثمره . والأسف : أشدّ الحزن . والرائد :=

فَلَا يَغُرَّنْكَ مِنْ دَهْرٍ بَشَاشَتُهُ ... فَإِنَّمَا هُوَ بِشْرٌ تَحْتَهُ سخطُ[٥]
لَا يُدْرِكُ الْغَايَةَ الْقُصْوَى سِوَى رَجُلٍ ... ثَبْتِ الْعَزِيمَةِ مَاضٍ حَيْثُ يَنْخَرِطُ[٦]
إنْ مَسَّهُ الضَّيْمُ نَاجَى السَّيْفَ مُنْتَصِرًا ... أَوْ هَمَّهُ الْأَمْرُ لَمْ يَعْلَقْ بِهِ الثَّبَطُ[٧]
فَاقْذِفْ بِنَفْسِكَ فِى أَقْصَى مَطَالِبِهَا ... إِنَّ النَّجَاحَ بِسَعْيِ الْمَرْءِ مُرْتَبِطُ[٨]
قَدْ يَظْفَرُ الْفَاتِكُ الْأَلْوَى بِحَاجَتِهِ ... وَلَيْسَ يُدْرِكُهَا الْهَيَّابَةُ الْخَلِطُ[٩]
وَإِنْ شَأَتْكَ الْمُنَى فَاقْنَعْ بِأَقْرَبِهَا ... فَلَيْسَ فِى كُلِّ حِينٍ يُدْرَكُ الْوَسَطُ[١٠]

=الذى يرسل فى طلب الكلأ . والروض : جمع روضة ، وهى أرض ذات بقل وعشب وزهر وماء . والشطط : الجور والظلم ومجاوزة القدر فى كل شىء .

يشير إلى أن الدنيا كخضراء الدمن فى حسن المنظر وسوء المخبر ، وأنها تخدع أصحابها ، ثم تذيقهم مرارة الحسرة والحرمان .

(٥) لا يغرنك : لايخدعنك . والبشاشة : البشر والفرح وطلاقة الوجه . والسخط : الغضب .

(٦) ثبت : ثابت قوى . والعزيمة : العزم والإرادة . وماض : نافذ مقدام . وينخرط : يتجه ويسرع ، من قولهم : انخرط فى العدو (بفتح فسكون) إذا أسرع .

(٧) مسه الضيم : أصابه الظلم . وناجاه : ساره ، والمراد بمناجاة السيف : الاعتماد عليه فى دفع الظلم . ومنتصراً : اسم فاعل من الانتصار ، بمعنى الانتقام ، أى منتصراً ممن ظلمه . وهمه الأمر : حزنه وأقلقه . ويعلق : ينشب (وبابهما تعب) . والثبط (بفتحتين) : الضعف والتوانى والكسل . (والفعل من باب تعب) .

(٨) مرتبط (بصيغة اسم الفاعل ، أو بصيغة اسم المفعول) : مربوط مشدود بالرباط ، وهذا كناية عن الملازمة وشدة الاتصال .

يحض على السعى والمخاطرة بالنفس فى طلب الغايات البعيدة والمطالب الرفيعة ؛ إذ النجاح موصول بالسعى ، وثمرة من ثماره .

(٩) يظفر : يفوز . والفاتك : الجرىء . والألوى : الجدل (بفتح فكسر) الشديد الخصومة ، والمراد الجرىء الشجاع المقدام . والهيابة : الخائف الجبان . والخلط : الأحمق الضعيف .

(١٠) شأتك : سبقتك ، (وبابه عدا) ، والمراد بعدت عنك ، ولم تواتك . والمنى : الأمانى والآمال والمطالب ، واحدتها منية (بضم فسكون) . والوسط : منتصف الشىء الذى بين طرفيه . والوسط أيضاً : الخير . يقال : فلان وسط فى قومه ، وهو من أوساط الناس : أى من خيارهم .

والمعنى : وإن فاتتك الأمانى ، وعز عليك إدراكها ، فاقنع بما واتاك منها ، وقرب مأخذه ، إذ الوصول إلى الغايات ، أو منتصف الغايات — فضلا عن نهايتها — غير ميسور فى كل الأحيان .

لَا تَغْفُلَنَّ إِذَا أُمْنِيَّةٌ عَرَضَتْ   فَإِنَّمَا الْعَيْشُ فِى هَذَا الْوَرَى لَقَطُ[11]

إِنِّى وَإِنْ كَانَتِ الْأَيَّامُ قَدْ أَخَذَتْ   مِنِّى، وَأَخْنَى عَلَىَّ الضَّعْفُ وَالشَّمَطُ[12]

فَقَدْ أَذُودُ السَّبَنْتَى عَنْ فَرِيسَتِهِ   وَأَفْجَأُ الْبَطَلَ الْحَامِى فَأَخْتَبِطُ[13]

وَأَصْدَعُ الْجَيْشَ وَالْفُرْسَانُ مِنْ مَرَحٍ   تَحْتَ الْعَجَاجِ بِأَطْرَافِ الْقَنَا نُخُطُ[14]

---

(١١) غفل عن الشيء (من باب قعد): تركه وسها عنه. والأمنية: واحدة الآمانىّ والآمال وعرضت: ظهرت وسنحت. والعيش: المعيشة والحياة. والورى: الخلق (بفتح فسكون). واللقط (بفتحتين): ماالتقط (بالبناء للمجهول) ويصح أن تقرأ هكذا: لقط (بضم ففتح) جمع لقطة (كغرفة) وهى: ما يلتقط.

يقول: إذا سنحت لك أمنية فانتهزها واغتنمها، ولاتغفل عنها حتى تضيع، فإنما الحياة فى هذا العالم فرص تغتنم.

(١٢) أخذت الأيام منه: أضعفته. وأخنى عليه: بلغ منه، ونقل عليه وطال، من قولهم: أخنى عليهم الدهر، إذا بلغ منهم بشدائده أهلكهم. والشمط (بفتحتين): بياض شعر الرأس يخالط سواده، والمراد الشيب.

(١٣) أذود: أدفع وأطرد. والسبنتى: النمر، أو الأسد لجرأته وشدّة بأسه. والبطل: الشجاع. وأفجؤه: أهجم عليه بغتة. والحامى اسم فاعل من حميت الشيء (من باب رمى) أى منعته ودافعت عنه، والحامى: الشجاع الذى يحمى حوزته. وأختبطه: أضربه ضرباً شديداً، واختبط الرجل عدوّه: جلده بالسيف.

يقول: إنه وإن نالت منه الأيام، وأخنى عليه الضعف والشيب، فقد يدفع الأسد أو النمر عن فريسته، ويهجم على البطل الشجاع الذى يحمى حوزته، فيضربه بسيفه.

والمعنى: أنه ما زال قويًّا فاتكاً شجاعاً على الرغم من شيبه، وضعف جسمه، وعدوان الأيام عليه.

(١٤) أصدع: أشقّ وأفرّق. والفرسان: جمع فارس، وهو راكب الفرس. والمرح: شدّة الفرح والنشاط، أو هو التبختر والاختيال. والعجاج: الغبار تثيره سنابك الخيل، وحركات المتحاربين. والقنا: الرماح، الواحدة قناة. ونخط (بضمتين): لاعبون بالرماح شجاعة وبطولة. يقول: إنه جرىء شجاع يخوض غمار الحرب، ويقتحم نارها، والفرسان لايبالون أهوالها، ولايكترثون لويلاتها، كأنهم تحت عجاجها يلعبون بالقنا والرماح من المرح والنشاط.

والمعنى: أنه يستطيع بشجاعته وشدّة بأسه أن يهزم الجيش القوىّ الباسل الشجاع.

فَما بِنَصْلِيَ إنْ لَاقَى ضَرِيبَتَهُ نَكْلٌ، وَلَا فى جَفِيرِى أَسْهُمٌ مُرُطُ (١٥)

وَرُبَّ يَوْمٍ طَوِيلِ الْعُمْرِ قَصَّرَهُ جَرْىُ السَّوَابِقِ والْوَخَّادَةُ النُّشُطُ (١٦)

كَأَنَّمَا الْوَحْشُ مِنْ تَلَهَّابِ جَمْرَتِهِ مُبَدَّدًا تَحْتَ أَشْجَارِ الْغَضَى خَبَطُ (١٧)

تَرَى بِهِ الْقَوْمَ صَرْعَى لَا حَرَاكَ بِهِمْ كَأَنَّهُمْ مِنْ عَتِيقِ الْخَمْرِ قَدْ سَقَطُوا (١٨)

وَلَيْلَةٍ ذَاتِ تَهْتَانٍ وَأَنْدِيَةٍ كَأَنَّمَا الْبَرْقُ فيها صَارِمٌ سَلِطُ (١٩)

---

(١٥) النصل : حديدة الرمح والسهم والسيف ونحوها . والضريبة : ما ضربته بالسيف ونحوه ، (فعيلة بمعنى مفعولة). ونكل : نبوٌّ وتباعد ، مصدر نكل عن عدوّه (من باب تعب) إذا جبن ونكص وتأخّر. والجفير : الجعبة (بفتح فسكون) ، وهى كنانة السهام. وأسهم مرط : لاريش عليها ، المفرد أمرط (كأحمر وحمر).

يتمدّح بتمام أهبته واستعداده ، وقدرته على القتال والجلاد والنزال .

(١٦) السوابق : العاديات من الخيل ، المفرد سابق أو سابقة. والوخّادة : المسرعة ، صفة من الوخد ، وهو سعة الخطو فى المشى مع الإسراع ، أو هو أن يرمى البعير ونحوه بقوائمه كمشى النعام. ونشط : المعروف أن الصفة من الفعل نشط (كسمع) ناشط ونشيط ، وكلاهما لايجمع على نشط ، والذى يجمع من الصفات على فعل (بضمتين) ماكان على وزن فعول كغفور ، وجاء فى القاموس : والنشط (بضمتين) ناقضو الحبال ، من نشط (من باب ضرب) . فكأنه جمع نشوط ، أما نشط (كسمع) فلا نعرف له وصفاً بهذا الوزن .

والمعنى : أن ماركبوه من سابقات الخيل والإبل المسرعة النشيطة قد قصّر ذلك اليوم الطويل ، فلم يشعروا بطوله ، ولم يحسّوا فى سفرهم تعباً كثيراً .

(١٧) الوحش : مالايستأنس من دوابّ البرّ . وتلهاب جمرته : اتّقاد ناره واشتعالها ، والضمير المجرور يعود إلى « يوم » فى البيت السابق ، والمراد بتلهاب جمرته : اشتداد حرّه . ومبدّداً : مفرّقاً . والغضى : شجر من نبات الأراضى الرملية ، وخشبه من أصلب الخشب ، الواحدة غضاة . والخبط (بفتحتين) : مايسقط تحت الشجر من ورق ونحوه (فعل بمعنى مفعول) .

يقول : كأنما الوحش من شدّة حرّ ذلك اليوم خبط متناثر تحت أشجار الغضى .

(١٨) صرعى : جمع صريع ، وهو المطروح على الأرض . وما به حراك : مابه حركة . وعتيق الخمر الخمر العتيقة القديمة الجيّدة .

يقول : إنك فى هذا اليوم الشديد الحرّ ترى القوم صرعى لا يتحركون ، كأنهم سكروا بخمر معتّقة ، واشتدّ بهم السكر فسقطوا .

(٢٩) التهتان : مطر ضعيف دائم ، أو هو مطر ساعة ، ثم يفتر، ثم يعود. وأندية : جمع ندى ، وهو البلل . والصارم : السيف القاطع . والسلط (بفتح فكسر) : الذى لاالتواء فى نصله .

لَفَّ الغَمَامُ أَقَاصِيها بِبُرْدَتِهِ وَانْهَلَّ فى حَجْرَتَيْهَا وَابِلٌ سَبِطُ[٢٠]

بَهْمَاء لَا يَهْتَدِى السَّارِى بِكَوْكَبِهَا مِنَ الغَمَامِ ، وَلَا يَبْدُو بِهَا نَمَطُ[٢١]

يَكَادُ يَجْهَلُ فِيها القَوْمُ أَمْرَهُمُ لَوْلَا صَهِيلُ جِيادِ الخَيْلِ وَاللَّغَطُ[٢٢]

يَطْغَى بِهَا البَرْقُ أَحْيَاناً ، فَيَزْجُرُهُ مُخْرَنْطِمٌ زَجِلٌ مِنْ رَعْدِهَا خَبِطُ[٢٣]

كَأَنَّمَا البَرْقُ سَوْطٌ ، وَالحَيَا نُجُبٌ يَلُوحُ فى جِسْمِهَا مِنْ مَسِّهِ حَبَطُ[٢٤]

---

(٢٠) الغمام : السحاب ، الواحدة غمامة . والمراد بالأقاصى : الأطراف والنواحى وآفاق السماء . والبردة : كساء يلتحف به . وانهلّ : انصبّ وسال بشدّة . وحجرتاها . ناحيتاها مثنّى حجرة (بفتح فسكون) . ووابل : مطر غزير شديد . وسبط (بفتح فكسر) : شديد متدارك .

يصفها بكثرة الغمام وانتشاره ، وغزارة المطر وتتابعه وانهماره .

(٢١) بهماء : سوداء مظلمة ، وهى صفة الليلة . والسارى : السائر ليلا . والنمط : الطريق. و« من الغمام » فى الشطر الثانى : تعليل لعدم اهتداء السارى بكوكبها .

يصفها بشدّة الظلمة ، وإطباق الغمام وكثرته وتراكمه .

(٢٢) معنى الشطر الأول : يكاد المرء لايرى أخاه ، فيجهل أمره ومكانه لشدّة الظلمة ، واحتجاب النجوم وراء السحاب المتراكم .

والصهيل : صوت الفرس . وجياد الخيل : كرامها ، وما راعك منها، الواحد جواد . واللغط : الأصوات المبهمة المختلطة والجلبة (بفتحتين) .

(٢٣) يطغى: يزيد ويعظم ويشتدّ. ويزجره: يمنعه وينهاه وينتهره . ومخرنطم : غضبان، وهو اسم فاعل من اخرنطم الرجل ، أى رفع أنفه واستكبر وغضب . وزجل: عالى الصوت . ومن رعدها : بيان لزجل . وخبط : غضوب ثائر .

(٢٤) السوط: الذى يجلد به ، كالمقرعة ونحوها. والحيا: المطر، والمراد السحب. والنجب(بضمتين): كرام الخيل والإبل وعتاقها وجيادها ، المفرد نجيب .ويلوح : يبدو ويظهر . ومن مسّه: بسبب مسّه وأذاه وضرّه ، أى السوط . والحبط (بالتحريك) : آثار السياط بالبدن، أو الآثار الوارمة التى لم تشقّق .

جعل البرق وهو يبدو متألقاً فى السحاب ، كالسوط تضرب به نجائب الإبل والخيل ، لما يشاهد فى كلا الحالين من حركة سريعة متوالية متقطّعة ، وجعل ما يظهرمن غلظ السحب وتراكمها فى بعض نواحى السماء ، كآثار السياط فى أجسام هذه النجب .

كَأَنَّهُ صَارِمٌ يَرْفَضُّ مِنْ عَلَقٍ ... بِالْأُفْقِ يُغْمَدُ أَحْيَاناً وَيُخْتَرَطُ[٢٥]

مَزَّقْتُ جِلْبَابَهَا بِالْخَيْلِ طَالِعَةً ... مِثْلَ الْحَمَائِمِ فِى أَجْيَادِهَا الْعُلُطُ[٢٦]

وَقَدْ تَخَلَّلَ خَيْطُ النُّورِ ظُلْمَتَهَا ... كَمَا تَخَلَّلَ شَعْرَ اللِّمَّةِ الْوَخَطُ[٢٧]

كَأَنَّهَا وَصَدِيعُ الْفَجْرِ يَصْدَعُهَا ... مِنْ جَانِبٍ أَدْهَمٌ قَدْ مَسَّهُ نَبَطُ[٢٨]

وَمَرْبَعٍ لِنَسِيمِ الْفَجْرِ هَيْنَمَةٌ ... فِيهِ ، وَلِلطَّيْرِ فِى أَرْجَائِهِ لَغَطُ[٢٩]

(٢٥) كأنه : أى البرق . وصارم : سيف قاطع . ويرفض : يسيل وينهل ويقطر ويترشش ويتفرق . والعلق : الدم . والأفق: ناحية السماء ، وآفاق السماء: نواحيها .ويغمد : يدخل فى غمده (بالبناء للمجهول فيهما) .ويخترط : يسل ويجرد من غمده .

شبه البرق فى طوله ولمعانه وتألقه وتفرق الحمرة فى جوانبه بسيف قاطع يقطر منه الدم ، ثم جعل ظهور البرق واختفاءه كتجريد السيف وإغماده .

(٢٦) الجلباب: القميص ، أو هو ثوب واسع دون الملحفة ، أو هو الملاءة . ويريد بتمزيقه جلباب هذه الليلة : أنه سار فى ظلماتها فى سرعة ومضاء . والحمائم : جمع حمامة . وأجيادها : أعناقها ، جمع جيد (بكسر الجيم) . والعلط (ككتب) : جمع علاط (ككتاب) وهو من الحمامة طوقها فى صفحتى عنقها بسواد ، والعلاط أيضاً : حبل يجعل فى عنق البعير ونحوه .

يقول : إنه مزق جلباب هذه الليلة ، وشق ثيابها بالخيل طالعة كالحمائم، فى خفتها وسرعة جريها، ثم شبه ما يكون فى أجيادها من المقاود والأعنة ونحوها بأطواق هذه الحمائم .

والمعنى : أنه ركب وسافر فى هذه الليلة الليلاء المظلمة الماطرة .

(٢٧) تخلل النور الظلمة: ثقبها وخالطها . ويريد بخيط النور : بياض الصبح. واللمة: ماجاوز شحمة الأذن من شعر الرأس . والوخط : الشيب القليل . والبيت وصف لطلوع الفجر فى تلك الليلة .

(٢٨) كأنها: أى الليلة. والصديع : الفجر، لأن الليل ينصدع، أى ينشق عنه ، والصديع أيضاً: انصداع الصبح، أى انفطاره وانفلاقه . ويصدعها : يشقها . وأدهم : فرس أسود. والنبط (بفتح النون والباء): بياض فى بطن الفرس .

يقول : كأن هذه الليلة ونور الفجر يشقها من بعض جوانبها فرس أدهم فى بطنه بياض .

(٢٩) المربع (كمقعد): الموضع يرتبع القوم فيه ، أى يقيمون به زمن الربيع. والهينمة(بفتح فسكون ففتح): صوت كأنه كلام خفى لايفهم ، أو قراءة غير بينة . والأرجاء : جمع رجا ، وهو الناحية. واللغط : الجلبة والأصوات المختلطة .

كَأَنَّمَا الْقَطْرُ دُرٌّ فى جَوَانِبِهِ يَكَادُ مِنْ صَدَفِ الْأَزْهَارِ يُلْتَقَطُ(٣٠)

وَلِلنَّسِيمِ خِلَالَ النَّبْتِ غَلْغَلَةٌ كَمَا تَغَلْغَلَ وَسْطَ اللِّمَّةِ الْمُشُطُ(٣١)

وَالرِّيحُ تَمْحُو سُطُورًا ، ثُمَّ تُثْبِتُهَا فِى النَّهْرِ لَاصِحَّةٌ فيها وَلَا غَلَطُ(٣٢)

وَلِلسَّماءِ خُيُوطٌ غَيْرُ وَاهِيَةٍ تَكَادُ تُجْمَعُ بِالْأَيْدِى فَتُرْتَبَطُ(٣٣)

كَأَنَّهَا وَأَكُفُّ الرِّيحِ تَضْرِبُهَا سُلُوكُ عِقْدٍ تَوَاهَتْ ، فَهْىَ تَنْخَرِطُ(٣٤)

---

(٣٠) يريد بالقطر : الندى وقطرات الماء التى على أوراق الشجر والزهر . والدرّ : اللآلىء ، الواحدة درّة . والصدف : المحار (كسحاب) ، وصدف الدرّة : غشاؤها الذى يشتمل عليها ويغطّيها ، الواحدة صدفة (بفتحتين) .

شبّه القطر والندى المتناثر فى جوانب هذا المربع بالدرّ فى صفائه ونقائه ولمعانه ، وجعل الأزهار المشتملة على الندى صدفاً لذلك الدرّ وغلافاً ، ثم أغرق فى التشبيه فقال : إن هذا الصدف يكاد يؤخذ ويلتقط من صدف الأزهار .

(٣١) النسيم : الريح الطيّبة اللطيفة ، أو هو نفَس الريح إذا كان ضعيفاً ، أو هو ابتداء كلّ ريح قبل أن تقوى . وخلال النبت : بينه ووسطه وحواليه . وغلغلة : إمعان وسرعة . وتغلغل : دخل . واللمّة : الشعر المجاوز شحمة الأذن ، والمراد شعر الرأس مطلقاً . والمشط (كعنق) : آلة يمتشط بها الشعر ، أى يسرّح .

يقول : إن النسيم يتغلغل خلال النبات ، كما يتغلغل المشط وسط الشعر .

(٣٢) السطور : جمع السطر (بفتح فسكون) ، وهو الصفّ من الكتابة .

يشير إلى عبث الريح بمياه الجداول والأنهار ، فهى تثبت على سطح الماء موجات خفيفة هادئة تشبه سطور الكتابة ، ثم تمحو ما أثبتته ، وهكذا دواليك . ومعنى « لا صحة فيها ولا غلط » : أنها ليست كتابة ، فلا توصف بصحّة ولا غلط .

(٣٣) يريد بخيوط السماء : ماتساقط وتتابع من مطرها كالسلوك . وواهية : ضعيفة . وترتبط : تربط وتشد .

(٣٤) كأنها : أى الأمطار الشبيهة بالخيوط والأسلاك . والأكفّ : جمع الكفّ . والسلوك : الخيوط . والعقد : القلادة وتواهت : بليت وضعفت ، ولم نجدها فيما بين أيدينا من المعجمات . وتنخرط : تنتثر وتتفرّق ، مطاوع خرط الرجل الشجر ، إذا انتزع الورق منه اجتذاباً .

يقول : إن الريح تضرب بأيديها خيوط المطر ، فتتفرّق وتنتثر ، كأنها سلوك قلادة واهية يتناثر درّها .

فالضوء مُختَبِس ، وَالْمَاءُ مُنطَلِقٌ   وَالْجَوُّ مُنْقَبِض ، وَالظِّلُّ مُنْبَسِطُ (٣٥)
لُذْنَا بِأطْرافِهِ وَالطَّيْرُ عَاكِفَةٌ   عَلَيْهِ ، وَالنُّورُ بِالظَّلْمَاءِ مُخْتَلِطُ (٣٦)
فِى فِتْيَةٍ رَضِعُوا ثَدْىَ الْوِفَاقِ ، فَمَا   فِيهِمْ إِذَامَا انْتَشَوْا جَوْرٌ وَلَا شَطَطُ (٣٧)
تَحَالَفُوا فِى صَفَاءِ الْوُدِّ ، وَاجْتَمَعُوا   عَلَى الْوَفَاءِ طَوَالَ الدَّهْرِ ، وَاشْتَرَطُوا (٣٨)
كَالْغَيْثِ إِنْ وَهَبُوا ، وَاللَّيْثِ إِنْ وَثَبُوا   وَالْمَاءِ إِنْ عَدَلُوا ، وَالنَّارِ إِنْ قَسَطُوا (٣٩)
تَكَشَّفَ الدَّهْرُ عَنْهُمْ بَعْدَ غُمَّتِهِ   كَمَا تَكَشَّفَ عَنْ مَكْنُونِهِ السَّفَطُ (٤٠)
مِيلٌ بِأَبْصَارِهِمْ نَحْوِى لِيَسْتَمِعُوا   قَوْلِى ، وَكُلٌّ لِأَمْرِى طَائِعٌ نَشِطُ (٤١)

(٣٥) مختبس : محجوب . ومنقبض : المراد كدر غير صاف . ومنبسط : ممدود .

(٣٦) لاذبه (من باب قال) : لجأ إليه وعاذ به . وأطرافه: نواحيه ، أى المربع ، الواحد طرف (بفتحتين) . وعاكفة عليه : مقبلة مقيمة به لنضرته وغضارته . ويشير باختلاط النور بالظلماء إلى مطلع الفجر .

(٣٧) فتية : فتيان (بكسر فسكون فيهما) ، جمع فتى . وانتشوا : سكروا . والجور : الظلم ، وهوضد القصد . والشطط : مجاوزة القدر ، والميل عن القصد .

وصف أصحابه بالوفاق والائتلاف ، وكرم الخلق ، وأنهم إذا شربوا لم تظهر الخمر فى أخلاقهم جوراً ، أو خروجاً عن جادة الطبع الكريم .

(٣٨) تحالفوا : تعاهدوا . والود: المحبة والمودة . والوفاء: نقيض الغدر ، والخلق الشريف الرفيع العالى . وطوال الدهر : مداه وغايته . واشترطوا : شارط كل منهم أصحابه على الود والصفاء والوفاء ونحوهذا ، فهوقريب من معنى « تحالفوا » فى أول البيت .

(٣٩) الغيث: المطر . ووهبوا : أعطوا . والليث : الأسد . ووثبوا : المراد هجموا فى الحرب والقتال . وقسطوا : جاروا وظلموا ، والمراد : انتقموا من أعدائهم .

(٤٠) تكشف: انكشف. والغمة: الكرب والشدة . ومكنونه: مستوره وما خفى فيه . والسفط : الذى يعبأ فيه الطيب (بكسر الطاء) وما أشبهه من أدوات النساء .

(٤١) ميل : مائلون ، جمع أميل . وطائع: اسم فاعل من طاع له ، بمعنى انقاد . ونشط : صوابها نشيط ، صفة من النشاط وهوالخفة والسرعة ، وطيب النفس للعمل .

يتمدح باتجاه أصحابه إليه، وإقبالهم عليه، وإنصاتهم لكلامه ، وإطاعتهم لأمره ، فى سرعة وارتياح ونشاط .

إنْ سِرْتُ سَارُوا ، وإنْ أَصْعَدْ إلَى نَشَزٍ كَانُوا صُعُودًا ، وَإنْ أَهْبِطْ بِهِمْ هَبَطُوا[٤٢]

يَمْشُونَ حَوْلِى ، كَمَا يَمْشِى القَطَا بَدَدًا فَإنْ مَضَى بَقَطٌ مِنْهُمْ أَتَى بَقَطُ[٤٣]

إنْ يَكْتَنِفُونِىَ مِنْ حَوْلِى فَلَا عَجَبٌ لَا يَسْقُطُ الطَّيْرُ إلَّا حَيْثُ يَلْتَقِطُ[٤٤]

نَمْشِى بِهِ بَيْنَ أَشْجَارٍ كَأَنَّ عَلَى أَفْنَانها مِنْ بُرُودِ الْيُمْنَةِ الرِّيَطُ[٤٥]

مِثْلِ الطَّوَاوِيسِ فِى أَذْنَابِها عَجَبٌ لِلنَّاظِرِينَ ، وَفِى أَجْيَادِهَا عَنَطُ[٤٦]

كَأَنَّهُنَّ جِمَالَاتٌ مُوَقَّرَةٌ تَمُورُ مَوْرًا عَلَى أَثْبَاجِها الْغُبُطُ[٤٧]

---

(٤٢) النشز : ماارتفع من الأرض . وصعوداً : مصدر صعد (كسمع) وهو صفة لموصوف محذوف ، أى كانوا قوماً صعوداً ، أى صاعدين ، كاتقول : رجال عدل ، أو أنه أراد المبالغة فى طاعتهم فقال إنهم كانوا الصعود نفسه .

(٤٣) القطا : ضرب من الحمام ، الواحدة قطاة . وبدداً : متفرقاً ، من قولهم : جاءت الخيل بدداً بدداً ، أى متفرقة . والبقط : الفرقة (بكسرفسكون) ، والقطعة من الشىء ، والجماعة المتفرقة .

(٤٤) يكتنفونى : يحيطون بى .

يتمدّح بكرمه وسخائه ، ويقول : إن أصحابه يحيطون به لما تعوّدوه من بذله وعطائه ، كالطير تسقط إذا وجدت ما تلتقطه من الحبّ . وهذا البيت قريب من بيت بشّار المشهور :

تسقط الطير حيث ينتثر الحـ ـبّ ، وتغشى منازل الكرماء

(٤٥) به : أى بذلك المربع . وأفنانها : أغصانها . والبرود : الثياب المرقومة المطرّزة الموشيّة . واليمنة : اليمن ، وكان مشهوراً بصنع البرود الجيّدة . والريطة (بفتح فسكون) : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ، وهى كل ثوب ليّن رقيق ، وجمعها فى المعجمات ريط (بفتح فسكون) ورياط (بكسر الراء) ويظهر أن الشاعر جمعها على فعل (بكسر ففتح) جرياً على جمع عيبة وخيمة ، ولكننا لانعرف أن هذا قياس.

يقول : إننا نمشى بهذا المربع بين أشجار ، على أغصانها زهر كثير كأنه الرياط من برود اليمن .

(٤٦) مثل : صفة لأشجار فى البيت السابق . والطواويس : جمع الطاووس ، وهو طائر يمتاز بمنظر بهىّ ، وريش جميل ، وذيل عجيب يشبه المروحة إذا بسطه . والأذناب : جمع ذنب (بفتحتين) وهو الذيل . وأمر عجب (بفتحتين) : يتعجّب منه . والأجياد : جمع جيد (بكسر الجيم) وهو العنق . وعنط (بفتحتين) : طول وحسن وملاحة . شبه الأشجار المزهرة بالطواويس فى بهائها وجمال ألوانها .

(٤٧) كأنهن : أى الأشجار . وجمالات : جمع جمال ، وهذه جمع جمل (بفتحتين) . وموقّرة : مثقلة بأحمالها . وتمور : تتحرّك وتهتزّ وتضطرب . وأثباجها : ظهورها ، جمع ثبج (بفتحتين) وهو مابين =

وَلِلْفَوَاخِتِ فى أَفْنَانِها هَزَجٌ قَدْ مَاجَ مِنْ لَحْنِهِنَّ السَّهْلُ والْفُرُطُ (٤٨)
خُضْرُ الْجَنَاحَيْنِ وَالأَطْوَاقِ ، تَحْسَبُهَا أَطْفَالَ مَلْكٍ لَهَا مِنْ سُنْدُسٍ قُمُطُ (٤٩)
حَتَّى إِذَا حَلَّ ضَاحِي الْيَوْمِ حَبْوَتَهُ وَكَادَتِ الشَّمْسُ بَيْنَ الْغَرْبِ تَنْهَبِطُ (٥٠)
رُحْنَا نَجُرُّ ذُيُولَ الْعِزِّ ضَافِيَةً وَكُلُّنَـا بِنَعِيمِ الْعَيْشِ مُغْتَبِطُ (٥١)
يَوْمٌ مِنَ الدَّهْرِ أَهْوَى لَو بَذَلْتُ لَهُ مَا شَاءَ فِى مِثْلِهِ لَوْ كَانَ يَشْتَرِطُ (٥٢)

= الكاهل إلى الظهر . والغبط (بضمتين) : جمع غبيط ، وهو الرحل (بفتح فسكون) يوضع على ظهر البعير ويشدّ عليه الهودج .

يشبّه الأشجار المثمرة بجمال محمّلة ، تهتزّ الرحال على ظهورها ، لثقل أحمالها .

(٤٨) الفواخت : ضرب من الحمام المطوّق ، الواحدة فاختة . وهزج : صوت مطرب . والهزج : من الأغانى وفيه ترنّم . والمراد : هديلها وتطريبها وتغريدها . وماج : أضطرب ، والمراد اهتزّ طرباً . واللحن : من الأصوات المصوغة الموضوعة ، وجمعه ألحان ولحون ، والمراد غردها (بفتحتين) . والفرط : الأكمة تكون دون الجبل .

(٤٩) خضر : صفة للفواخت فى البيت السابق ، الواحدة خضراء . والأطواق : جمع طوق (بفتح فسكون) وهو حلى يجعل فى العنق ، والمطوق من الحمام : ماكان فى عنقه شبه الطوق من الريش . وتحسبها : تظنها . والسندس : رقيق الديباج ورفيعه : والقمط (ككتب) : جمع قماط (ككتاب) وهو مايلفّ فيه الطفل من الثياب .

وصف الفواخت بخضرة ريش الأطواق والجناحين ، وشبّهها بأطفال الملوك لفّت فى قمطها وثيابها الحريريّة الناعمة الرقيقة . وهو يشير بهذا إلى بهاء منظر الفواخت ونعومة ريشها .

وفى الأصل المخطوط : « خضر الجناجن » ؛ وهو تحريف ظاهر .

(٥٠) حلّ العقدة ونحوها (من باب ردّ) : نقضها وفتحها . والضاحى : المشرق المضىء ، وأصله البارز للشمس فى غير مايظلّه ويكنّه . والاحتباء بالثوب : الاشتمال به ، واحتبى الرجل : إذا جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها . والحبوة (بفتح الحاء وضمها) : اسم من الاحتباء ، وهى أيضا (بكسر الحاء وضمها) الثوب الذى يحتبى به ، وحلّ اليوم حبوته : كناية عن ذهابه و إدباره . وتنهبط : تنزل وتنحطّ .

(٥١) رحنا : عدنا آخر النهار . وضافية : سابغة واسعة . ونعيم العيش : رفاهة الحياة وطيبها ولينها . ومغتبط : مسرور حسن الحال .

(٥٢) هوى (من باب صَدِىَ) : أحبّ وتمنّى .

والمعنى : أن ذلك اليوم كان يوم لهو ومرح ومتعة ونعيم ، ولهذا يهزى الشاعر ويتمنّى أن يهب له الدهر مثله ، على أن يعطيه ما شاء من ثمن ، إذا اشترط عليه ثمناً أو بدلا .

القصيدة الثانية والثلاثون

قَالَ فِى الْغَزَل :

سَكِرَتْ بِخَمْرِ حَدِيثِكِ الأَلْفَاظُ ... وَتَكَلَّمَتْ بِضَمِيرِكِ الأَلْحَاظُ.(١)

يَا دُمْيَةً لَوْلا التَّقِيَّةُ لاسْتَوَتْ ... فِى حُبِّهَا الفُتَّاكُ والوُعَّاظُ(٢)

مَالِى مَنَحْتُكِ خُلَّتِى ، وَجَزَيْتِنِى ... نَارًا لَهَا بَيْنَ الضُّلُوعِ شُوَاظُ؟(٣)

هَلَّا مَنَنْتِ إِذِ امْتَلَكْتِ ! ، فَطَالَمَا ... مَنَّ الْكَرِيمُ وَقَلْبُهُ مُغْتَاظُ(٤)

---

(١) خمر حديثك: حديثك الشبيه بالخمر ، والمراد أنه عذب شهى جذاب ، حسن التأثير فعّال فى نفس السامعين ماتفعل الخمر. وألحاظها : نظراتها الفاتنة الساحرة .

ومعنى الشطر الثانى : أن نظرات هذه المحبوبة تدل على ما تضمره وتخفيه .

وصفها بعذوبة الحديث ، وبجمال العينين ، وأنها تدل على مكنونها بوحى ألحاظها .

(٢) الدمية : الصورة المنقّشة من العاج وغيره ، ويكنى بها عن المرأة الحسناء والتقيّة : التقوى ، وهى أن تتقى الله تبارك وتعالى ، وتحفظ نفسك مما يغضبه ويخالف أمره . والفتّاك : جمع فاتك ، وهو القاتل الجرىء . والوعّاظ : جمع واعظ ، وهو الناصح الذى يعظ الناس ، ويلين قلوبهم بالقول المؤثّر ، والحكمة البالغة .

يقول لها : لولا خشية الله تبارك وتعالى لافتتن بك الوعّاظ ، وشغلوا بحبّك، وتساوى جميع الناس فى هواك والتعلّق بك . يشير إلى أنها فائقة الجمال ، بارعة الحسن .

(٣) منحتك : أعطيتك . وخلّتى : صداقتى المختصّة . وجزيتنى : كافأتنى . والشواظ (بضم الشين و كسرها) : لهب لادخان فيه.

(٤) هلاّ : كلمة حث وتحضيض . ومننت : أنعمت ، يريد مننت علىّ بالوصال . وامتلكت : يريد أنها امتلكت أمره ، وسيطرت عليه بسلطان الحب والغرام .

فَلَقَدْ هَجَرْتُ إِلَيْكِ جُلَّ عَشِيرَتِى ... فَقُلُوبُهُمْ أَبَدًا عَلَىَّ غِلَاظُ(٥)

وَنَفَيْتِ عَنْ عَيْنِى الْمَنَامَ ، فَمَالَهَا ... غَيْرَ الْمَدَامِعِ وَالسُّهَادِ لَمَاظُ(٦)

هَذَا ،وَمَا اخْتَضَبَتْ لِغَيْرِكِ أَسْهُمٌ ... بِدَمِى ، وَلَا احْتَكَمَتْ عَلَىَّ لِحَاظُ(٧)

فَعَلَامَ تَسْتَمِعِينَ مَا يَأْتِى بِهِ ... عَنِّى إِلَيْكِ الْحَاسِدُ الْجَوَّاظُ؟(٨)

فَصِلِى مُحِبًّا ، مَا أَصَابَ خَطِيئَةً ... فِى دِينِ حُبِّكِ ، وَالْغَرَامُ حِفَاظُ(٩)

---

(٥) جلّ الشيء : معظمه . وعشيرتى : أهل وقومى . وغلاظ : جمع غليظ ، صفة من الغلظة ، وهى ضد الرفق والرحمة والحنان .

يستعطفها بقوله : إنه هجر بسبب حبّه لها أكثر أهله ، وفقد عطفهم ومودّتهم ، ولم يبق بينه وبينهم غير القطيعة والجفاء .

(٦) المنام : النوم والنعاس . والمدامع : المآق ،وهى أطراف العيون حيث تسيل الدموع ، الواحد مدمع (كمذهب) ، والمراد بالمدامع هنا: الدموع نفسها . والسهاد : الأرق والسهر ، وهو نقيض الرقاد. ولماظ (كسحاب) : شىء تذوقه ، من قولهم : ليس له لماظ ، أى شىء يذوقه ويتلمّظ به .

يقول : إن هيامه بها نفى عنه النوم ، فما تذوق عيناه غير السهاد والدموع ، فهو يبيت ساهراً باكياً .

(٧) الخضاب (بكسر الخاء) : مايختضب به كالحنّاء ونحوه . واختضبت الأسهم بالدم: صبغت به ، كأنه الخضاب فوقها . والأسهم: جمع سهم ، وهو مايرمى به الصائد ونحوه عن القوس ونحوها ، وتشبّه نظرات الحسان بالسهام فى شدّة تأثيرها فى قلوب العشاق . واحتكمت على : سيطرت ، وكان لها الحكم والسلطان . ولحاظ (بكسر اللام) : كأنه جمع لحظة (بفتح فسكون) ، اسم مرة من لحظه (كنعه) لحظاً (بفتح فسكون) ، إذا نظر إليه بمؤخر عينه . والمراد باللحاظ : النظرات الفاتنة الساحرة . ومن كلامهم : فتنته ألحاظها ولحظاتها .

ومعنى البيت : أنى لم أفتتن بغيرك ، ولم أعشق سواك .

(٨) الجوّاظ (كشدّاد) : الكثير الكلام فى الشرّ. يلومها على الاستماع لكلام الوشاة والحاسدين.

(٩) صلى : أمر من الوصل ، وهو ضدّ الهجران ، (وبابه وعد) . وما أصاب خطيئة : ما ارتكب إثماً ولاذنباً. والغرام : الحب والعشق. والحفاظ (بكسر الحاء) : المحافظة على العهد، والدفاع عن المحارم، والوفاء ، والتمسّك بالودّ .

يحضّها على وصاله ومراعاة أمره، ويتمدّح بأن حبّه لها عذرىّ شريف عفيف ، لم يشوّه جماله إثم، ولم ينقص جلاله ذنب ، ويقول فى آخر البيت: إن الغرام ينبغى أن يلازمه الحفاظ والوفاء .

يَهْوَاكِ حَتَّى لَا يَمِيلُ بِطَبْعِهِ ... فِى حُبِّكِ الْإِيذَاءُ وَالْإِحْفَاظُ[10]

نَابِى الْمَضَاجِعِ ، لَا تَزُورُ جُفُونَهُ ... سِنَةُ الْكَرَى ، وَأُولُو الْهَوَى أَيْقَاظُ[11]

مُتَحَمِّلٌ مَا لَوْ تَحَمَّلَ بَعْضَهُ ... أَهْلُ الْمَحَبَّةِ وَالْغَرَامِ لَفَاظُوا[12]

فَإِذَا اسْتَهَلَّ تَرَبَّعُوا فِيمَا جَرَى ... مِنْ دَمْعِهِ ، وَإِذَا تَنَفَّسَ قَاظُوا[13]

هَذَا هُوَ الْحُبُّ الَّذِى ضَاقَتْ بِهِ ... تِلْكَ الصُّدُورُ ، وَقَلَّتِ الْحُفَّاظُ[14]

---

(١٠) يهواك : يحبّك . والإحفاظ : مصدر أحفظه ، أى أغضبه .

ومعنى البيت : أنه يحبّك حبًّا شديداً ، حتى أن الإيذاء والإحفاظ والهجر والإعراض ونحوه. لا يميل بطبعه ، ولا يعوّج سجيته وخليقته ، ولاينقص حبّه وغرامه ووفاءه . أولعلّه يريد ما يصيبه ويعانّيه من إيذاء العاذلين ، وإحفاظ اللائمين .

(١١) نبا الشيء : تجافى وتباعد ، وتباجنبه عن الفراش : لم يطمئنّ عليه. والمضاجع : جمع مضجع (كمذهب) ، وهو مكان الضجوع ، أى النوم على الجنب . ونابى المضاجع : قلق أرق سهدّ لاينام . والجفون : جمع جفن (بفتح فسكون) وهو غطاء العين من أعلاها وأسفلها . وسنة الكرى : أوائل النوم. وأولو الهوى : العاشقون المحبّون. وأيقاظ: جمع يقظ (بفتح فكسر) صفة من اليقظة (بفتحتين).

(١٢) فاظوا : هلكوا وماتوا .

يقول : إنه يحتمل من لواعج الحبّ وتباريح الغرام ما لا يستطيع احتمال بعضه المحبّون .

(١٣) استهلّ : انصبّ وجرى ، أى دمعه ، من قولهم : استهلّ المطر إذا اشتدّ انصبابه. وتربّع البعير : أكل الربيع ، أى الكلأ ، وتربّع القوم بمكان كذا : أقاموا فيه زمن الربيع ، والضمير فى « تربّعوا » يعود على أهل المحبّة فى البيت السابق ، وتربّعهم فيماجرى من دمعه : كناية عن كثرة بكائه ، وشدّة لوعته ، وغزارة دمعه . وقاظ القوم بالمكان : أقاموا به زمن القيظ ، وهو صميم الصيف حين يشتدّ الحرّ .

ومعنى « و إذا تنفّس قاظوا » : أن أنفاسه حارّة لاعجة محرقة ، لشدّة مايخامره من لواعج الحبّ ، وتباريح الوجد والغرام .

(١٤) الحفّاظ : جمع حافظ .

يقول : إن حبه عظيم شديد لاتتسع له ، ولا تقوى على مثله صدور المحبّين ، ويقلّ من يحفظه ويصونه ويرعاه .

القصيدة الثالثة والثلاثون

قَالَ يَرُوضُ الْقَوْلَ* :

مَتَى أَنْتَ عَنْ أُحْمُوقَةِ الْغَيِّ نَازِعُ ... وَفِى الشَّيْبِ لِلنَّفْسِ الْأَبِيَّةِ وَازِعُ ؟(1)

أَلَا إِنَّ فِى تِسْعٍ وَعِشْرِينَ حِجَّةً ... لِكُلِّ أَخِى لَهْوٍ عَنِ اللَّهْوِ رَادِعُ(2)

فَحَتَّامَ تُصْبِيكَ الْغَوَانِى بِدَلِّهَا ... وَتَهْفُو بِلِيتَيْكَ الْحَمَامُ السَّوَاجِعُ ؟(3)

(*) نظم الشاعر هذه العينية الطويلة الرائعة الخالدة سنة ١٨٦٨ م ، وهو فى التاسعة والعشرين ، بعد عودته من حرب « كريد » ، وبعد أن تزوج « عديلة يكن » بنحو سنة .

(1) الأحموقة : اسم من الحماقة ، وهى قلة العقل ، ووضع الشىء فى غير موضعه ، مع العلم بقبحه. والغى الجهل والضلال. ونازع : اسم فاعل ، من قولهم : نزع فلان عن الأمر ، إذا كف عنه وانتهى . والأبية : صفة من الإباء ، وهو كراهية الشىء والامتناع منه . ووازع : اسم فاعل من وزعه ، أى كفه وزجره ومنعه .

يقول : إن الشيب يزع النفس الأبية الكبيرة ، ويكفها عن الغواية والفساد ، ولهذا كان جديراً بمن ظهر الشيب فى رأسه أن يقلع عن أعمال الحمق والجهل والضلال . وهو يخاطب نفسه ، أو يسوق الكلام على سبيل الحكمة والموعظة الحسنة ، ويوجهه لكل قارئ وسامع .

(2) حجة : سنة . واللهو : اللعب ، وما لهوت به وشغلك من هوى وطرب ونحوهما . ورادع : اسم فاعل من ردعه عن الشىء (من باب قطع) أى كفه وزجره .

والمعنى : أن من بلغ من العمر تسعاً وعشرين سنة كان جديراً بترك اللهو واللعب ، والرجوع إلى الرشد والصلاح .

(3) تصبيك : تشوقك وتفتنك ، وتدعوك إلى الصبا والحنين والغرام . والغوانى : جمع غانية : وهى المرأة التى غنيت بحسنها عن الزينة. ودل المرأة : حسن حديثها ، وحسن مزحها ، وجمال هيئتها . وتهفو به : تميله وتحركه . والليتان : صفحتا العنق ، مثنى الليت (بكسر اللام) وهو صفحة العنق وجانبه . والسواجع : جمع ساجعة ، اسم فاعل من سجعت الحمامة ، إذا هدلت وطربت فى صوتها ، ووالته على طريق واحد . والشطر الثانى كناية عن طربه وشدة تأثره بالغناء ونحوه .

أَمَا لَكَ فِى الْمَاضِينَ قَبْلَكَ زَاجِرٌ يَكُفُّكَ عَنْ هَذَا ؟ بَلَى ، أَنْتَ طَامِعُ(٤)

وَهَلْ يَسْتَفِيقُ الْمَرْءُ مِنْ سَكْرَةِ الصِّبَا إِذَا لَمْ تُهَذِّبْ جَانِبَيْهِ الْوَقَائِعُ ؟(٥)

يَرَى الْمَرْءُ عُنْوَانَ الْمَنُونِ بِرَأْسِهِ وَيَذْهَبُ يُلْهِى نَفْسَهُ وَيُصَانِعُ(٦)

أَلَا إِنَّمَا هَذِى اللَّيَالِى عَقَارِبٌ تَدِبُّ ، وَهَذَا الدَّهْرُ ذِئْبٌ مُخَادِعُ(٧)

فَلَا تَحْسَبَنَّ الدَّهْرَ لُعْبَةَ هَازِلٍ فَمَا هُوَ إِلا صَرْفُهُ وَالْفَجَائِعُ(٨)

---

(٤) زاجر : كافّ رادع ، اسم فاعل من زجره عن كذا ، إذا كفّه ونهاه ومنعه .

والمعنى : أن المرء يرى فى سير الماضين وأحوال السابقين من العبر والعظات ما يزجره ويكفّه عن اللهو والعبث والغواية ، ولكنّه مع ذلك يتغافل وينخدع ، لطمعه وشدّة حرصه على ملاهى الحياة ولذّاتها .

(٥) يستفيق : يفيق ويصحو . ويريد بسكرة الصبا : مايفتن المرء ويستميله ويشغله من دواعى الصبا وأحواله كاللهو والغزل ، لأن الإنسان إذا انهمك فى هذه الأحوال كان كالذاهل أو السكران .

والتهذيب : التنقية والإصلاح والتطهير . والمراد بالوقائع : صروف الدهر وحوادثه ونوازله .

يقول : إن المرء لا يصحو من سكرة الصبا إلا إذا نبّهته حوادث الأيام ، وهذّبت نفسه نوازل الزمان ، وخلّصته المحن من عوامل الغواية والجهل والفساد .

(٦) المنون : الموت (وهى مؤنثة) . وعنوانها : دليلها الذى يظهر أمرها ، ويشير إليها ، ويذكّر بها ، والمراد به الشيب . ويلهى نفسه : يشغلها ، أو يحملها على اللهو . ويصانع : يدارى ويداهن ويخادع ، أى نفسه .

يقول : إن المرء يرى فى رأسه الشيب المؤذن بموته وانتهاء حياته ، ولكنه على الرغم من ذلك يلهى نفسه ويخادعها .

(٧) تدبّ : تسير سيرا ليّنا .

والمعنى : أن الليالى تفجأ الناس بما تخفيه من المكاره ، وأن مثلها فى هذا كمثل العقارب تدبّ فتلسع ، وأن الدهر يخدعهم كأنه الذئب يخدع فرائسه .

(٨) هو : أى الدهر . وصرفه : حدثانه ونوائبه . والفجائع : المصائب الشديدة الفادحة ، الواحدة فجيعة .

يقول : لا تغترّ بالدهر فى أوقات مرحك ونعيمك ظاناً أنه صفو كلّه ، فإنما هو — لمن حقّق وجرّب — محن وخطوب ، وليست السعادة فيه إلا طيفاً عارضاً .

فَبَارُ بِمَا بَاتَ الْفَتَى وَهْوَ آمِنٌ ... وَأَصْبَحَ قَدْ سُدَّتْ عَلَيْهِ الْمَطَالِعُ[٩]

فَفِيمَ اقْتِنَاءُ الدِّرْعِ وَالسَّهْمُ نَافِذٌ ؟ ... وَفِيمَ ادِّخَارُ الْمَالِ وَالْعُمْرُ ضَائِعُ ؟[١٠]

يَوَدُّ الْفَتَى أَنْ يَجْمَعَ الْأَرْضَ كُلَّهَا ... إِلَيْهِ ، وَلَمَّا يَدْرِ مَا اللهُ صَانِعُ[١١]

فَقَدْ يَسْتَحِيلُ الْمَالُ حَتْفاً لِرَبِّهِ ... وَتَأْتِي عَلَى أَعْقَابِهِنَّ الْمَطَامِعُ[١٢]

أَلَا إِنَّمَا الْأَيَّامُ تَجْرِي بِحُكْمِهَا ... فَيُحْرَمُ ذُو كَدٍّ ، وَيُرْزَقُ وَادِعُ[١٣]

---

(٩) المطالع : المسالك والطرق ومواضع الطلوع ، واحدها مطلع (بفتح اللام وكسرها) وهو اسم مكان من طلع (كنع ونصر) .

والمعنى : أن الدهر متقلّب مخادع ، فقد يمسّي الإنسان بالخير والأمن والطمأنينة ، ويصبّحه بالشر والخوف والهلاك .

(١٠) الدرع : لبوس الحديد ؛ يلبسها المحارب ؛ ليتّقي بها السهام والسيوف والرماح ونحوها. والسهم : واحد النبل، وهو مايرمى به الصائد ونحوه عن القوس ونحوها، والمراد باقتناء الدرع : الاحتراس والحذر والتوقّي ، والمراد بالسهم : قدر الله وقضاؤه الذى لايردّه شيء .

والمعنى : أنه لا قيمة للحذر والاحتراس وشدّة الحرص على الحياة وجمع المال وادّخاره، لأن المقدور لا بدّ من وقوعه ، والحياة لا بدّ من زوالها .

(١١) المعنى : أن الإنسان لو علم صنع الله تعالى وقضاءه وتدبيره ما اشتد جشعه ، ولا أفرط فى طمعه وحرصه .

وفى البيت الآتى تفسير وتوضيح لمعنى هذا البيت .

(١٢) يستحيل : يتحول ويصير . وحتفاً : هلاكاً . وربّه : صاحبه ومالكه . وتأتى على أعقابهنّ المطامع : المراد أنها ترتدّ فلا يدركها مؤمّلها .

يقول : إن المال قد يصير مصدر هلاك لصاحبه ، وإن المطامع قد تخيب . وهذا كله لا يعقب غير الحسرة والأسف والندامة .

(١٣) الكدّ : الشدّة فى العمل، وطلب الكسب، والإلحاح فى محاولة الشيء. والوادع : الساكن الهادئ يريد أنه لا فائدة من الجشع والحرص والتكالب على جمع المال ، وأن الخير فى الاعتدال والقصد والقناعة .

فَلَا تَقْعُدَنْ لِلدَّهْرِ تَنْظُرُ غِبَّهُ   عَلَى حَسْرَةٍ ، فَاللهُ مُعْطٍ وَمانِعُ[14]

فَلَوْ أَنَّ ما يُعْطَى الْفَتَى قَدْرُ نَفْسِهِ   لَمَا بَاتَ رِئْبَالُ الشَّرَى وَهْوَ جَائِعُ[15]

وَدَعْ كُلَّ ذِى عَقْلٍ يَسِيرُ بِعَقْلِهِ   يُنَازِعُ مِنْ أَهْوَائِهِ مَا يُنَازِعُ[16]

فَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالَّذِى أَنَا عَالِمٌ   قَدِيماً ، وَعِلْمُ الْمَرْءِ بِالشَّىْءِ نَافِعُ[17]

ولَسْتُ بِعلَّامِ الْغُيُوبِ ، وَإِنَّمَا   أَرَى بِلِحَاظِ الرَّأْىِ مَا هُوَ وَاقِعُ[18]

وَذَرْهُمْ يَخُوضُوا ، إِنَّمَا هِىَ فِتْنَةٌ   لَهُمْ بَيْنَهَا عَمَّا قَلِيلٍ مَصَارِعُ[19]

---

(١٤) غبّه : عاقبته وآخره . والحسرة : أشدّ التلهّف على الشيء الفائت .

والمعنى : دع المقادير تجرى فى أعنّتها ، ولاتتحسر على ما فات ، واستسلم لقضاء الله تعالى ، فهو الذى يعطى ، وهو الذى يمنع .

(١٥) الرئبال : الأسد . والشرى : موضع تكثر فيه الأسد (بضم فسكون) وتنسب إليه ، قيل هو جانب الفرات وناحيته حيث تكثر الغياض والآجام ، أو هو جبيل (بصيغة التصغير) بتهامة ، أو مازيق فى سلمى (كسكرى) من أراضى نجد .

يقول : لو أن الفتى يعطى من الرزق على قدر قوّته وبأسه ما بات أسد الشرى وهو جائع .

(١٦) ينازع : يجاذب . والأهواء : جمع الهوى ، وهو ميل النفس وإرادتها .

يدعو إلى ترك الناس وشأنهم ، وعدم تكليف النفس ما لا تطيق من الاهتمام بأمور غيرها ، فقد وهب الله لكل ذى عقل عقلا يقوده ويرشده ويهديه ، ويكافح أهواء النفس وتكافحه .

(١٧) يشير إلى أن أحوال الناس متقاربة متشابهة فى قديم الزمان وحديثه ، فأكثرهم يميل بطبعه إلى الفتنة والشرّ والفساد ، ويقول : إن علمه بهم يفيده وينفعه ويحفظه من كيدهم وأذاهم .

(١٨) الرأى : العقل والتدبير والبصيرة والحذق بالأمور ، ولحاظ الرأى : ملاحظته ، وحسن النظر فيه .

يقول : إنه لا يعلم الغيب ، ولكنّه برجحان عقله . وحسن تدبيره ، وقوّة بصيرته ، وصدق نظره ، وحذقه بالأمور — يستطيع معرفة الشيء قبل وقوعه ، كمن يحسن اسباب النتائج من مقدّماتها ، وقياس الغائب على الحاضر ، والمستقبل على الماضى .

(١٩) ذرهم : اتركهم ، أى الناس . والمعنى : لاتعبأبهم ، ولاتكترث لهم . وخاض الناس فى الحديث : دخلوا فيه وتفاوضوا ، والمراد أنهم يخوضون فى أحاديث الفتنة والشرّ والباطل . والفتنة : الابتلاء والاختبار والامتحان ، وهى أيضاً المحنة واختلاف الناس بالآراء . ومصارع : مهالك ، جمع مصرع ، وهو اسم مكان ، أو مصدر ميمىّ من قولهم : المنيّة تصرع الحيوان ، أى ترديه وتهلكه ، وأصل الصرع (بفتح فسكون) : الطرح على الأرض .

فَلَوْ عَلِمَ الإِنْسَانُ مَا هُوَ كَائِنٌ ... لَمَا نَامَ سُمَّارٌ ، وَلَا هَبَّ هَاجِعُ[٢٠]
وَمَا هَذِهِ الأَجْسَامُ إِلَّا هَيَاكِلٌ ... مُصَوَّرَةٌ ، فِيهَا النُّفُوسُ وَدَائِعُ[٢١]
فَأَيْنَ المُلُوكُ الأَقْدَمُونَ تَسَنَّمُوا ... قِلَالَ العُلَا؟فَالأَرْضُ مِنْهُمْ بَلَاقِعُ[٢٢]
مَضَوْا ، وَأَقَامَ الدَّهْرُ ، وَانْتَابَ بَعْدَهُمْ ... مُلُوكٌ ، وَبَادُوا ، وَاسْتَهَلَّتْ طَلَائِعُ[٢٣]
أَرَى كُلَّ حَيٍّ ذَاهِباً بِيَدِ الرَّدَى ... فَهَلْ أَحَدٌ مِمَّنْ تَرَحَّلَ رَاجِعُ ؟[٢٤]

---

(٢٠) السمّار : جمع سامر ، اسم فاعل من السمر (كالسهر) وهو حديث الليل. أوهى « سمّار » (بفتح السين وتشديد الميم) ، صيغة مبالغة . وهبّ : انتبه واستيقظ . وهاجع : نائم .

يقول : لو علم الإنسان ما يكون من أمور الغيب ، وأحوال المستقبل ما نام يقظان ، ولاانتبه نائم . والمعنى : لتقطّعت أسباب الأمل ، وبطلت حركة الحياة .

(٢١) الهياكل : جمع هيكل (بفتح فسكون ففتح) وهو الضخم من كلّ شىء ، والبناء المشرف العالى ، والمراد بالهياكل هنا : الأوعية ونحوها .

يريد أن الأجسام كالأوعية المصوّرة ، والنفوس فيها كالودائع التى لا يلبث مودعها أن يستردّها . وهو يشير إلى فناء الأحياء ، ومفارقة الأرواح للأجساد .

(٢٢) تسنّموا : ركبوا وعلوا. وقلال العلا : ذراها وأعاليها ، جمع قلّة (بالضم والتشديد) ، وهى رأس كلّ شىء وأعلاه . وبلاقع : خالية مقفرة ، جمع بلقع (كجعفر) .

يقول تعزيزاً لمعنى البيت السابق : أين الملوك الأقدمون الذين سموا إلى أرفع درجات العلا ؟ لا ريب أنهم هلكوا وبادوا ، فالأرض خالية منهم .

(٢٣) انتاب بعدهم ملوك: أى توالى بعدهم ملوك، من قولهم : انتاب فلان القوم ، إذا أتاهم مرّة بعد أخرى. وبادوا: هلكوا . واستهلّت: ظهرت ، أورفعت أصواتها . والطلائع : القوم الذين يبعثون ليطّلعوا طلع العدوّ ، المفرد طليعة ، للواحد والجمع .يقال : هو طليعة الجيش، وهم طليعته ، والمراد بالطلائع هنا: جماعات الناس.

يقول : إن هؤلاء الملوك الأقدمين ذهبوا وبادوا وهلكوا ، وأقام الدهر على حاله ، ثم توالى بعدهم ملوك آخرون فبادوا ، ثم ظهرت جماعات أخرى ، هم خلائف الموتى ، وهم فى طريق الفناء دائبون ، وهكذا يفنيهم الدهر جيلا بعد جيل .

(٢٤) الردى : الهلاك والموت . وترحّل : انتقل وذهب ، والمراد مات .

والمعنى : أن الأحياء جميعاً يموتون ، ولا يعود منهم أحد إلى الحياة الدنيا ، سنّة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنّة الله تبديلا .

أُنَادِي بِأَعْلَى الصَّوْتِ ، أَسْأَلُ عَنْهُمُ فَهَلْ أَنْتَ يَادَهْرَ الأَعَاجِيبِ سَامِعُ ؟[٢٥]

فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْمَعْ نِدَاءً ، وَلَمْ تُحِرْ جَوَاباً ، فَأَيُّ الشَّيْءِ أَنْتَ أُنَازِعُ ؟[٢٦]

خَيَالٌ لَعَمْرِي ، لَيْسَ يُجْدِي طِلَابُهُ وَمَأْسَفَةٌ تُدْمَى عَلَيْهَا الأَصَابِعُ[٢٧]

فَمَنْ لِي ـ وَرَوْعَاتُ الْمُنَى طَيْفُ حَالِمٍ ـ بِذِي خُلَّةٍ تَزْكُو لَدَيْهِ الصَّنَائِعُ ؟[٢٨]

---

(٢٥) عنهم : عمن مات من الملوك وغيرهم .

يقول : إنه ينادى بأعلى صوته سائلا عن هؤلاء الموتى ، ويتمنّى أن يسمعه الدهر ذو العجائب ، فيجيبه ، ويعرّفه بأحوالهم ، وما صار إليه أمرهم .

(٢٦) لم يحر جوابا : لم يرجع ولم يردّ ، مضارع أحرت عليه جوابه ، أو أحرت له جواباً ، إذا رددته. وأنازع : أجاذب وأخاصم ، والمراد أحاور .

يقول مخاطباً الدهر : فإن كنت لا تسمع نداء ، ولا تحير جواباً ، فأىّ شيء أنت ؟ وما حقيقة ذلك الذى أحاوره فلا يجيب ؟ والغرض تصوير عجائب الدهر ، والإشارة إلى خفاء سرّ الموت ، وغموض حقيقته .

(٢٧) الخيال : ماتشبّه لك فى اليقظة أو الحلم من صورة ، وهو أيضاً الشخص والطيف ، وماتراه لكلّ شىء كالظلّ ، وخيال الإنسان فى المرآة وفى المنام : صورة تمثاله . ويجدى : ينفع ويغنى . والطلاب : مصدر طالبه بكذا مطالبة وطلاباً ، والاسم منه الطلب (بفتحتين) . والمأسفة : الأسف ، وهو المبالغة فى الحزن والجزع والتلهّف على مافات . وتدمى : تجرح فيسيل منها الدم ، والمراد أن الأسف ، يشتدّ بصاحبه حتى يعضّ أصابعه ويدميها .

رجع الشاعر فى هذا البيت إلى نفسه ، وصحا من ذهوله ، فقال : إن مخاطبة الدهر ، وسؤاله عمن حوتهم القبور خيال لا نفع فيه ، ووهم لا يغنى تطلّبه ولا يفيد ، وليس من ورائه إلا إثارة الأسى وتجديد الأسف والحزن الشديد .

(٢٨) الروعات : جمع روعة : اسم مرة من راعه الشىء ، أى راقه وبهره وأعجبه . والمنى : الأمانىّ والآمال ، وروعات المنى : الأمانىّ الرائعة . والطيف : الخيال الطائف فى المنام . وحالم : اسم فاعل من حلم الإنسان بالشىء (كنصر) إذا رآه فى النوم . والخلّة : الصداقة المختصّة الخالصة . وتزكو : تنمو وتزيد . والصنائع : جمع صنيعة ، وهى العطيّة والكرامة والإحسان واليد والمعروف تسديه إلى إنسان لتصطنعه به ، وجملة « وروعات المنى طيف حالم » جملة حاليّة ، ومعناها أنّ الأمانى الرائعة التى يعجب بها المرء ، ويتوق إليها كالخيال الطائف فى المنام ، يراه الحالم ، ثم لا يلبث أن تكذبه اليقظة .

أُشَاطِرُهُ وُدِّى ، وَأُفْضِى لِسَمْعِهِ بِسِرِّى ، وَأُمْلِيهِ الْمُنَى وَهْوَ رَابِعُ[٢٩]
لَعَلِّى إذَا صادفتُ فِى الْقَوْلِ رَاحَةً نَضَحْتُ غَلِيلاً مَا رَوَتْهُ الْمَشَارِعُ[٣٠]
لَعَمْرُ أَبِى ، وهْوَ الَّذِى لَوْ ذَكَرْتُهُ لَما اخْتَالَ فَخَّارٌ ، وَلَا احْتَالَ خَادِعُ[٣١]

(٢٩) أشاطره ودى : المراد أهب له محبّتى ووداده ، من قولهم : شاطرته مالى ، أى ناصفته ، فأمسكت شطره ، وأعطيته شطره الآخر . وأفضى إليه بسرى : أظهره عليه . وأمليه المنى : أمتعه بها ، من قولهم : أملاه الله العيش ، أى متّعه به . أو أمل عليه المنى والآمال ، بمعنى أفضى إليه بها ، من قولهم : أمليت الكتاب على الكاتب . ورابع : اسم فاعل من ربع (كذهب) بمعنى وقف وتحبّس وانتظر ، أو بمعنى أقام واطمأن .

(٣٠) صادفت : وجدت . وفى القول ، أى فى حديثى إليه . ويراد بالراحة : الارتياح الذى يحسّه الإنسان إذا شكا أمره إلى ذى مروءة . ونضحت : أرويت . والغليل : شدّة العطش وحرارته ، وربما سمّيت حرارة الحبّ والحزن غليلا . وروته : يريد أروته ، أى أزالت عطشه ، والمفهوم من المعجمات أن الفعل بهذا المعنى لازم ، روى من الماء (من باب رضى) ، ويعدّى بالهمزة والتضعيف ، فيقال : أرويته وروّيته ، فتعدية الفعل هنا إلى الضمير المنصوب العائد على الغليل غير معروف فى فصيح الكلام . وفى لسان العرب : يقال رويت القوم أرويهم ، إذا استسقيت لهم . وتسميتهم المزادة فيها الماء بالراوية ، وهو اسم فاعل من روى – يشفع لاستعمال هذا الفعل متعديا . والمشارع : موارد الشاربة ، والمواضع التى ينحدر المستقى منها إلى الماء ، والمراد بالمشارع : مياهها الغزيرة ، الواحدة مشرعة (بفتح فسكون ففتح) .

يرجو أن يجد ما يريحه فى محادثة هذا الخليل ، وبذلك يروى غليلاً لم تروه المياه الغزيرة .

(٣١) اختال : زهى وتكبّر . وفخّار (بفتح الفاء وتشديد الخاء) صيغة مبالغة من الفخر ، وهو التمدّح بالخصال ، وعدّ القديم ، والمباهاة بالمكارم والمناقب من حسب ونسب وغيرهما . واحتال : من الاحتيال ، وهو طلب الحيلة ، أو الحذق وجودة النظر ، والقدرة على التصرّف ، والمراد بالاحتيال هنا : المخادعة . وخادع : اسم فاعل من خدعه (من باب قطع) إذا ختله وأراد به المكروه من حيث لا يعلم .

يقسم بأبيه ، ويفتخر بأنه كان رفيع القدر ، جيّد الرأى ، جامعاً للمناقب ، تبهر ذكراه كلّ فخور مختال ، وتسكت كلّ مخادع محتال .

وكان الشطر الثانى من هذا البيت فى الأصل المخطوط : « على الموت لم يجزع من الموت جازع » فضرب عليه ، أى عدل عنه ، وكتب بإزائه فى الهامش بدلا منه : « لما اختال فخار ، ولا احتال خادع » . وهذا مثال من أمثلة التبديل والتهذيب التى نصادفها فى هذا الأصل .

لَمَا نَازَعَتْنِى النَّفْسُ فِى غَيْرِ حَقِّهَا وَلَا ذَلَّلَتْنِى لِلرِّجَالِ الْمطَامِعُ[٣٢]

ومَا أَنَا ـ وَالدُّنْيَا نَعِيمٌ وَلَذَّةٌ ـ بِذِى تَرَفٍ تَحْنُو عَلَيْهِ الْمَضَاجِعُ[٣٣]

فَلَا السَّيْفُ مَفْلُولٌ ،وَلَا الرَّأْىُ عازِبٌ وَلَا الزَّنْدُ مَغْلُولٌ ،وَلَا السَّاقُ ظَالِعُ[٣٤]

وَلَكِنَّنِى فِى مَعْشَرٍ لَمْ يَقُمْ بِهِمْ كَرِيمٌ ،وَلَمْ يَرْكَبْ شَبَا السَّيْفِ خَالِعُ[٣٥]

لَوَاعِبُ بِالْأَسْمَاءِ يَبْتَدِرُونَهَا سَفَاهاً ، وَبِالْأَلْقَابِ ، فَهِىَ بَضَائِعُ[٣٦]

---

(٣٢) نازعتنى : جاذبتنى وخاصمتنى . وذلّله : أخضعه وحمله على الذلّ والهوان . والمطامع : جمع مطمع (كمذهب) وهو الطمع ، أوالشيء الذى يطمع فيه. و « ما نازعتنى ... » الخ جواب القسم فى البيت السابق ، وجملة « وهو الذى لو ذكرته . . . » جملة معترضة بين القسم وجوابه . ولانعرف وجهاً لوقوع اللام فى جواب القسم هنا .

(٣٣) « أنا » فى أول هذا البيت مبتدأ ، خبره «بذى ترف» ، وجملة « والدنيانعيم » جملة حالية . والترف : الرفاهية والتنعّم . وتحنوعليه : تميل إليه ، وتعطف عليه وتشفق . والمضاجع : جمع مضجع (كمذهب) وهومكان الضجوع ،أىالنوم ،يقال: ضجع الرجل (كقطع وخضع)أىوضع جنبه بالأرض . يتمدّح بأنه حينما أقبلت عليه الدنيا بنعيمها ولذاتها لم يكن مترفاً رافهاً يؤثر الدعة والراحة فى ظلّ الخمول .

وفى البيت الآتى تفصيل وتوضيح لمعنى هذا البيت .

(٣٤) مفلول : منثلم متكسّر . والرأى: العقل والتدبير ونفاذ البصيرة والحذق بالأمور . وعازب: غائب بعيد . والزند : موصل طرف الذراع بالكفّ ، والمراد اليد . ومغلول : مقبوض مقيّد ممنوع من العمل . والساق من الإنسان : مابين الركبة والقدم ، والمعروف أنها مؤنثة . وظالع : صفة من الظلع (كالمنع) وهو غمز فى المشى يشبه العرج .

يفخر بشجاعته ، وتمام أهبته واستعداده للحرب والدفاع ، ثم بجودة تدبيره ، وحسن رأيه ، وحصافة عقله ، ثم بانبساط يده فى الخير ، وانطلاقها فى المكرمات ، وعدم تأخّره عن الغايات

(٣٥) المعشر : الجماعة من الناس ، والمراد جماعة من قومه وبنى وطنه . وشباة كلّ شيء: حدّه ، وجمعها شبا ،(كقناة وقنا) . وخالع : المراد شابّ قوىّ قادر على حمل السلاح والمجالدة والقتال . وركوب شبا السيف : كناية عن ركوب الأخطار ، واقتحام المخاوف .

(٣٦) لواعب : جمع لاعبة ، وقد أراد الشاعر جمع لاعب ، والمعروف أن فاعلا لا يجمع على فواعل قياساً إلا إذا كان وصفاً لغير عاقل . ويبتدرونها : يعاجلونها ويسارعون إليها . والسفاه: (بفتح السين) الجهل وخفّة العقل والحمق ، وهونقيض الحلم .

يرميهم بالسفاهة والحماقة والاشتغال بما لا يفيد ، والتباهى بالأسماء والألقاب ، فهى بضائعهم وسلعهم التى فيها يتجرون .

وهلْ فِى التَّحَلِّى بِالْكُنَى مِنْ فَضِيلَةٍ ... إذَا لَمْ تُزَيِّنْ بِالْفَعَالِ الطَّبائعُ ؟[٣٧]

أُعاشِرُهُمْ رَغْماً ، وَوُدِّى لَوَ انَّ لِى ... بِهِمْ نَعَماً أَدْعُو بِهِ فَيُسَارِعُ[٣٨]

فَياقَوْمُ ، هُبُّوا ، إنَّمَا الْعُمْرُ فُرْصَةٌ ... وَفى الدَّهْرِ طُرْقٌ جَمَّةٌ وَمَنافِعُ[٣٩]

أَصَبْرًا عَلَى مَسِّ الْهَوَانِ ، وَأَنْتُمُ ... عَدِيدُ الْحَصَى ؟ إنِّى إلَى اللهِ رَاجِعُ[٤٠]

---

(٣٧) التحلّى : التزيّن . والكنى : جمع كنية (بضم الكاف فى المفرد والجمع ، والكسرفيهمالغة ، مثل برمة وبرم ، وسدرة وسدر) ، والمراد بها : مايطلق على الرجل للتعظيم والتوقير . والفعال (بفتح الفاء) : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم والمروءة ونحوها ، أو هو الفعال (بالكسر) جمع فعل (بكسر فسكون) والمراد الفعال الصالحة . والطبائع : جمع طبيعة ، وهى الخليقة والسجيّة التى جبل الإنسان عليها .

والمعنى : أن الكنى المشعرة بالتعظيم ، والألقاب الرفيعة — لاتعدّ من الفضائل التى يزدان بها الناس ، وترتفع من أجلها أقدارهم ومراتبهم ، إلا إذا استقامت طبائعهم ، وحسنت أخلاقهم ، وزيّنت بالفعال سجاياهم .

(٣٨) أعاشرهم رغماً : أى أخالطهم وأعيش معهم على كره منى . وبهم : أى بدلهم ، وعوضاً منهم . والنعم : الإبل ونحوها . وأدعو به : أصيح به وأناديه، وهو متعدّ بنفسه ، ولعلّ الشاعر عدّاه بالباء على تضمينه معنى صاح .

يقول : إنه يعاشر هؤلاء الناس على الرغم منه ، ويودّ لو يبدّله الله بهم نعماً يدعوه فيسارع إليه . وهذا قريب من قول طرفة :

فليت لنا مكان الملك عمرو ... رغوثاً حول قبّتنا تخور

والرغوث (بفتح الراء) : كلّ مرضعة . والخوار (بضم الخاء) : صوت البقر ونحوه .

(٣٩) هبّوا : انتبهوا واستيقظوا ، يشير إلى ماهم فيه من غفلة كأنها النوم . والطرق (بضمتين ويجوز تسكين وسطه كما فى البيت) : جمع طريق . وجمّة : كثيرة. والمراد بالطرق الجمّة : الوسائل الكثيرة المختلفة التى يكسب بها العامل المجدّ الشرف والنباهة والعزّة فى الحياة .

يحضّهم على ترك الغفلة والخمول ، وانتهاز فرصة العمر ، والعمل المثمر الصالح ، لكسب المنافع بشتى الوسائل والأساليب .

(٤٠) الاستفهام فى أول هذا البيت للإنكار والتوبيخ. والهوان: الذلّ والخزى . وعديد الحصى : مثله فى العدد والكثرة ، يقال : هم عديد الحصى ، إذا كانوا لايحصون كثرة ، كما يعزّ الحصى على الإحصاء . .

بعد أن ذكر حالهم من احتمال الذلّ والمهانة مع كثرة عددهم ردّد ما يقوله اليائس الحزين من عبارات الرجوع إلى الله ، والاستسلام لحكمه ، وكأنه يشير بهذا إلى موت صفات الرجولة فيهم .

وَكَيْفَ تَرَوْنَ الذُّلَّ دَارَ إِقَامَةٍ	وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ فِى الْأَرْضِ وَاسِعُ(٤١)
أَرَى أَرْؤُساً قَدْ أَيْنَعَتْ لِحَصَادِهَا	فَأَيْنَ ـ وَلَا أَيْنَ ـ السُّيُوفُ الْقَوَاطِعُ؟(٤٢)
فَكُونُوا حَصِيدًا خَامِدِينَ ، أَوِ افْزَعُوا	إِلَى الْحَرْبِ حَتَّى يَدْفَعَ الضَّيْمَ دَافِعُ(٤٣)
أَهَبْتُ ،فَعَادَ الصَّوْتُ لَمْ يَقْضِ حَاجَةً	إِلَىَّ ، وَلَبَّانِى الصَّدَى وَهْوَ طَائِعُ(٤٤)
فَلَمْ أَدْرِ أَنَّ اللهَ صَوَّرَ قَبْلَكُمْ	تَمَاثِيلَ لَمْ يُخْلَقْ لَهُنَّ مَسَامِعُ(٤٥)
فَلَا تَدَعُوا هَذِى الْقُلُوبَ ، فَإِنَّهَا	قَوَارِيرُ مَحْنِىٌّ عَلَيْهَا الْأَضَالِعُ(٤٦)
وَدُونَكُمُوهَا صَعْدَةً مَنْطِقِيَّةً	تَفُلُّ شَبَا الْأَرْمَاحِ وَهْىَ شَوَارِعُ(٤٧)

(٤١) يوبّخهم على الرضا بالذلّ ، والإقامة فى داره ،والإخلاد إلى الهوان ؛ والحال أن فضل الله ورزقه واسع كثير يملأ الأرض .

(٤٢) أروس : جمع رأس . وأينعت : أدركت ونضجت وحان قطافها ،أى الرءوس على تشبيهها بالثمار . والحصاد (بفتح الحاء وكسرها) : مصدر حصدت الزرع والنبات (من بابى ضرب وقتل) أى قطعته بالمنجل ونحوه . ومعنى « أينعت لحصادها » أنها أدركت ، وآن لها أن تحصد . والقواطع : جمع القاطع . و« لا أين » : جملة معترضة يستبعد بها وجود السيوف .

يقول : أرى رءوساً قد أينعت وحان حصادها ، واستحقت القطاف ، ويتمنّى لو توجد السيوف التى تبترها ، وتستأصل شأفتها ، ولكن لا توجد .

(٤٣) الحصيد : الزرع المحصود، (فعيل بمعنى مفعول) . وخامدين: موتى ساكتين هامدين ، وأصله من خمدت النار (كقعدت)إذا سكن لهبها ، ولم يطفأ جمرها. وافزعوا : الجئوا ، أمر من فزعت إليه أى لجأت . والضيم : الظلم .

(٤٤) أهاب بصاحبه : دعاه وناداه وصاح به . ولبّانى : أجابنى . والصدى : الصوت الذى يرتدّ إليك مماثلا لصوتك فى الجبال ونحوها .

والمعنى : أنه دعا قومه ، وأهاب بهم فلم يفد دعاؤه ، ولم يرجع إليه طائعاً غير صدى صوته .

(٤٥) المسامع : جمع مسمع (كمنبر) وهو الأذن . يرميهم بالصمم وعدم الإحساس .

(٤٦) لاتدعوا : لاتتركوا. والقوارير : جمع قارورة ، وهى الزجاجة يقرّ فيها الشراب ونحوه . ومحنىّ : معطوف . ويريد بالأضالع : أضلاع الصدر التى تنضم على القلب وتنحنى .

يسخر منهم ، ويشبّه قلوبهم بالقوارير فى الضعف .

(٤٧) دونكموها : خذوها ، أى خذوا هذه القصيدة المشتملة على المشورة والنصيحة. والصعدة : القناة التى تنبت مستوية، فلا تحتاج إلى تثقيف . ومنطقيّة: نسبة إلى المنطق أى الكلام . وتفلّ : ــ

تَسِيرُ بِهَا الرُّكْبَانُ فِى كُلِّ مَنْزِلٍ ... وَتَلْتَفُّ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهَا الْمَجَامِعُ(٤٨)
فَمِنْهَا لِقَوْمٍ أَوْشُحٌ وَقَلَائِدٌ ... وَمِنْهَا لِقَوْمٍ آخَرِينَ جَوَامِعُ(٤٩)
أَلَا إِنَّهَا تِلْكَ الَّتِى لَوْ تَنَزَّلَتْ ... عَلَى جَبَلٍ أَهْوَتْ بِهِ ، فَهْوَ خَاشِعُ(٥٠)

= تثلم وتكسر ، (وبابه ردّ) . وشباة الرمح ونحوه: حدّه وسنانه، والجمع شبا . والأرماح: جمع رمح. وشوارع : مسدّدة موجّهة إلى الأعداء ، مفردها شارع ، وهو اسم فاعل من شرع الرمح ، إذا قرب من المطعون.

جعل هذه القصيدة فى قوّتها وشدّة تأثيرها كالقناة ، ثم قال إنها قناة صلبة قويّة، تثلم أسنّة الرماح وهى مشرعة .

(٤٨) الركبان: جماعة الراكبين فى السفر ، الواحد راكب . وفى كلّ منزل : فى كلّ مكان ينزلون به.وتلتفّ : تجتمع وتزدحم وتتكاثف . والمجامع : جمع مجمع (كذهب)،وهو اسم المجتمعين من الناس . وصف قصيدته بالذيوع والانتشار ، وتهافت الناس عليها ، وصغو أسماعهم إليها . .

(٤٩) منها: أى من الصمدة المنطقيّة المكنىّ بها عن هذه القصيدة . والأوشح: جمع وشاح (بكسر الواو وضمها) ، وهو كرسان (بكسر فسكون) ، أى نظمان أو فرعان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما ،معطوف أحدهما على الآخر تتوشّح المرأة به . والوشاح أيضاً: شبه قلادة ينسج من أديم عريضاً ويرصّع بالجوهر وتشدّه المرأة بين عاتقها وكشحها . والذى نعرفه أن مثل « وشاح » لايجمع قياساً على أوشح . والقلائد : جمع قلادة (بكسر القاف) ، وهى مايجعل فى العنق للزينة كالعقد (بكسر فسكون) ونحوه . والجوامع : الأغلال ، وهى الأطواق الحديدية التى تجعل فى الأعناق . الواحدة جامعة .

يقول : إن من قصيدته هذه زينة وجمالا لقوم ، وإن منها أغلالا وأطواقاً لقوم آخرين . وهو يشير بالشطر الثانى إلى ما يتركه شعره البليغ الرائع فى نفوس حاسديه من الضيق والهمّ ، ومضاعفة مايعانيه هؤلاء الحسّاد من الضغينة والحقد .

(٥٠) تنزّلت : نزلت . وأهوت به: أسقطته ، والمراد أثّرت فيه تأثيراً شديداً . وخاشع : ساكن خاضع ، والمراد أنه تصدّع وتداعى واستوى بالأرض .

يشير إلى شدة تأثير شعره ونصحه حتى فى الجماد . وهذا قريب من معنى قول الله تبارك وتعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله » الآية ٢١ من سورة الحشر .

تعليق وجيز :

نظم الشاعر هذه القصيدة ونظائرها بعد أن هذّبت جانبيه الوقائع ، وهاله ما تضانيه بلاده من المذلة والشقاء، وأقضّ عليه مضجعه سوء الأحوال السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ؛ فاستفاق من سكرة

الصبا ، ولهو الشباب ، واستنكف أن يحيا لنفسه وملاهيه وأهوائه ، وآثر أن يحيا لوطنه وعزته ورخائه ؛ فجاشت نفسه بانفعالات وعواطف نهج بها منهج الثائرين الأحرار ، والمكافحين المستبسلين ؛ وأنتج بها مثل هذا الشعر الحماسى الفائر ، الغزير الثائر . ثم رأى أن يطويه إلى حين إيثاراً للملاينة والمهادنة ، والتربص والاحتراس ؛ فلما توقدت الثورة العرابية ، وحمل الوطنيون السلاح فى وجه الطغيان والعدوان — ظهر مثل هذا الشعر وانتشر ، وأنجد وأتهم ، وذاع وشاع ، وملأ البقاع والأسماع .

* * *

إن البارودى فى هذه العينية ثار هذه الثورة العارمة حوالى سنة ١٨٦٨ وهو ابن تسع وعشرين ، قبل أن يثور الناس بنحو أربعة عشر عاماً ؛ فرصد الحاكم وإسرافه وانحرافه ، والحكم وفساده واستبداده ، وهجا الحاشية الفاسدة المفسدة ، ورثى للفلاح المسخر المعذب ، وأشفق على العامل المحروم المظلوم . ونبه وأيقظ ، وحذر وأنذر ، وداوى وعالج ، ولان واشتد ، وهدد وتوعد ، ووعظ ونصح . وتمنى وأمل ، وأسف وتحسر ، وهجا وافتخر ، وشكا وسخر ، وأنب اللاعبين بالأسماء والألقاب ، وحرض على دفع الظلم بالكفاح وقوة السلاح ، وندد بالمقيمين على الضيم والهوان .

وكثير من أبيات هذه القصيدة يجرى مجرى الحكم والأمثال ، وكثير من أبياتها يهز العواطف والمشاعر هزاً عنيفاً ينبه الغافلين ، ويحمس المستضعفين ويرد إلى المتردد عزمه وحزمه ، ويحمل الخائر الجبان على الإقدام والاستبسال . وبعضها يدفع بصريح العبارة إلى الثورة العامة المسلحة .

* * *

ومما يسترعى النظر والانتباه ، ويدعو إلى الاعتبار والإكبار أن البارودى صاهر أسرة « يكن » بزوجته : « عديلة يكن » فانعقدت له بهذا الزواج قرابة وصلة وثيقة بالأسرة الخديوية . وقبل هذا وبعده حظى عند الخديو « إسماعيل » ، ونال ثقته وتقديره ، ورقى فى المناصب والمراتب العسكرية والإدارية ترقيات واسعة متتابعة سريعة كثيرة ، وعاش قبل النفى والاغتراب عيشة المترفين السعداء ، الرافهين الأعزاء ، واستمتع كل الاستمتاع بامتيازات السيادة والجاه ، والغنى والثروة ، والنفوذ والسلطان ؛ فثورته مع هذا كله على الفساد والطغيان تستأهل تقدير الوطن ، وحسن ثناء الناس .

وقد تكون هذه القصيدة من الشعر الذى لم يقصد به الشاعر غير مجاراة نزعته الحماسية الفخرية ، ومحاكاة من أولع بهم من شعراء الحماسة والفخر . ويلاحظ أن البارودى نظم هذه العينية الطويلة تحت عنوان : « قال يروض القول » .

القصيدة الرابعة والثلاثون

وَقَالَ فِي الْغَزَلِ :

لَوَى جِيدَهُ وَانْصَرَفْ فَمَا ضَرَّهُ لَوْ عَطَفْ؟[1]

غَزَالٌ لَـــهُ نَظْرَةٌ أَعَانَتْ عَلَيَّ الْكَلَفْ[2]

تَبَسَّمَ عَنْ لُؤْلُؤٍ لَهُ مِنْ عَقِيقٍ صَدَفْ[3]

وَتَاهَ فَلَمْ يَلْتَفِتْ وَشَأْنُ الْجَمَالِ الصَّلَفْ[4]

---

(١) لوى : أمال . والجيد : العنق ،ولىّ الجيد : كناية عن الصدّ والإعراض . وعطف عليه : حنا عليه ، ومال إليه .

(٢) الغزال من ولد الظباء : الشادن إذا تحرّك ومشى وقوى واستغنى عن أمّه . وفى الغزَل ، أو النسيب ، أو التشبيب يشبّه الشاعر المتغزّل حبيبته بالغزال فى جمال الجيد واتساع العينين وحسنهما ، والرشاقة ولطف الحركة وحسن التثنّى . والكلف: الغرام والهوى والحبّ الشديد ، مصدر كلف المرء بالشىء (من باب تعب) أى لهج به وأولع وأغرم .

يشبّه الحبيب بالغزال ، ويصف نظرته بأنها فاتنة ساحرة ، جعلته أسير الهوى، صريع الغرام

(٣) التبسّم : أقلّ الضحك وأحسنه . واللؤلؤ : الدرّ ، وتشبّه به الأسنان فى البياض والنقاء والصفاء الواحدة لؤلؤة . والعقيق : حجر كريم تتّخذ منه فصوص الخواتم ،ويكثر باليمن ، وأجود أنواعه الأحمر . والصدف : غشاء الدرّ وغلافه ، الواحدة صدفة (بفتحتين) وهى المحارة (بفتح الميم) .

شبّه أسنان الحبيب باللؤلؤ ، بشفتيه بالعقيق الأحمر .

(٤) تاه: تكبّر ، من التيه (بكسر التاء وسكون الياء) وهو الكبر ، (وبابه باع) .والشأن :الأمر والحال.والصلف : التمدّح بما ليس عنده ،أو هو مجاوزة قدر الظرف ، والادّعاء فوق ذلك تكبّراً ، ويراد به هنا : التيه والكبر .

يقول : إنه انصرف عنى ، ولم يلتفت إلىّ تيهاً وكبراً ، وفى الشطر الثانى شبه بيان لعذر هذا الحبيب ، إذ الجمال يغرى صاحبه بالعجب والصلف والتيه والخيلاء .

جَرى الْبَنْدُ فِى خَصْرِهِ عَلَى حَرَكَاتِ الْهَيَفْ(٥)

وما ذَاكَ خَالٌ بَدَا ولَكِنْ وِسَامُ التَّرَفْ(٦)

رَآنِى بِهِ مُولَعاً فَعاتَبَنِى وَانْحَـرَفْ(٧)

وَلَمْ يَدْرِ أَنِّى بِهِ عَلَى جمَـراتِ التَّلَفْ(٨)

فَقُلْتُ لَهُ : سَيِّدِى ! تَرَفَّـقْ بِصَبٍّ دَنِفْ(٩)

فَقَال : أَخَافُ الْعِدَا فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَخَفْ(١٠)

فَإِنِّى عفيفُ الْهَوَى وَمَا كُلُّ صَبٍّ يَعِفْ(١١)

---

(٥) البند : كلمة فارسية معرّبة ، ويراد بها هنا : المنطقة والحزام وشبههما . والخصر : وسط الإنسان . والهيف : رقّة الخصر ، وضمور البطن ، وهو من محاسن النساء .

وصفه برقّة الخاصرة ، وضمور البطن ، واهتزاز البند فى وسطه ، تبعاً لاهتزاز الخاصرة وحركات الرشاقة .

(٦) الخال : شامة أو نكتة سوداء تكون فى خدّ الإنسان ، وقد تضعه المرأة للزينة . وبدا : ظهر. والوسام (فى الأصل) : العلامة توسم بها الدابة ، ومثله السمة ، يقال: ماسمة دابّتك ؟ وماسمات إبلك؟ وقد استعمل الوسام حديثاً فيما ينعم به الملوك على من يستحقّون التكريم ، كالأنواط ونحوها . والترف : النعيم والرفاهية .

جعل الشامة السوداء الظاهرة على خدّ الحبيب وساماً وعلامة على ترفه وتنعّمه .

(٧) مولعاً : مغرماً ، من الولوع (كصبور) وهو الإغرام وشدّة التعلّق بالشىء . وانحرف : مال وانصرف . وإنما عاتبه لأنه يشهره ، ويهتف باسمه .

(٨) به : بسبب تعلّق به ، وحبّى إيّاه . والجمرات : قطع النار المتّقدة ، الواحدة جمرة (كسجدة وسجدات) . والتلف : الهلاك والعطب .

(٩) صبّ : عاشق مشتاق ، صفة من الصبابة، وهى حرارة الشوق ، ورقّة الهوى . ودنف: براه المرض حتى أشفى على الموت ، صفة من الدنف (بفتح الدال والنون) وهو المرض الملازم المخامر ، وأكثر مايستعمل فيمن برّح به الهوى والحبّ ، وأضنته الصبابة والغرام .

(١٠) العدا : الأعداء ، وهو جمع لا نظير له ، أو هو اسم جمع لعدوّ .

(١١) عفيف : صفة من العفّة ، وهى الكفّ عما لايحلّ ولا يجمل ، يقال: عفّ المرء عن المحارم والدنايا يعف (كخفّ يخفّ)أى كفّ نفسه عنها ، فهو عفيف . والهوى : الحبّ والعشق .

يقول : إن هواه عذرىّ عفيف لا تشوبه ريبة .

وَأَنْشَدْتُهُ قِطْعَــةً وَشِعْرِيَ إِحْدَى الطُّرَفْ(١٢)

فَأَصْغَى لَهَا بَاسِماً وَبَانَ عَلَيْهِ الْأَسَفْ(١٣)

وَنَمَّتْ بِهِ خَجْلَةٌ تَدُلُّ عَلَى مَا اقْتَرَفْ(١٤)

وَقَالَ : أَهَذَا الضَّنَى جَنَاهُ عَلَيْكَ الشَّغَفْ ؟(١٥)

فَقُلْتُ : نَعَمْ ، سَيِّدِي! وَأَبْرَحُ مِمَّا أَصِفْ(١٦)

فَصَــدَّقَ ، لَكِنَّهُ تَجَاهَــلَ لَمَّا عَرَفْ(١٧)

وَقَالَ : أَطَعْتَ الْمُنَى وَبَعْضُ الْأَمَانِي سَرَفْ(١٨)

وَمَا كُلُّ ذِي حَاجَةٍ يَفُوزُ بِهَا إِنْ عَكَفْ(١٩)

---

(١٢) أنشد الشعر : قرأه بصوت مسموع . والطرف : جمع طرفة (كغرفة وغرف) وهى الشيء المستحدث الطريف الممتع المعجب .

يقول : إنه أنشد هذا المحبوب مقطوعة من شعره الطريف البديع المعجب الرائع .

(١٣) أصغى لها : مال بسمعه إليها ، أى إلى المقطوعة الشعرية . وبان : ظهر واتضح . والأسف الحزن الشديد . ويظهر أن القطعة كانت تتضمن وصف مايلاقيه الشاعر من الوجد واللوعة .

(١٤) نمت : ظهرت . وخجلة : اسم مرة من الخجل (بفتحتين) وهو التحير والدهش من الاستحياء. واقترف الإنسان الذنب وغيره : اكتسبه وأتاه وفعله .

والمعنى : أن الحبيب لما سمع شعره تأثر به فاستحيا وخجل ، وأسف على ما اقترفه من تعذيبه بالصد والإعراض والهجران .

(١٥) الضنى : مرض مخامر كلما ظن برؤه نكس. وجناه عليك : جره عليك ، وجلبه إليك . والشغف : مصدر شغفه الحب ، أى أحرق قلبه ، أو أمرضه ، أو اخترق شغاف قلبه (بفتح الشين) وهو غلافه وحجابه وغطاؤه .

(١٦) أبرح : أشد برحاً (بفتح فسكون) وشدة وعذاباً ، وهو اسم تفضيل على غير قياس من قولهم : برح به الشوق والهوى ، أى قوى وشق واشتد ، وجاوز الحد .

(١٧) تجاهل : أظهر الجهل ، أو أرى من نفسه الجهل وليس به .

والمعنى : أنه عرف حقيقة أمرى ، فصدق وآمن ، ولكنه أظهر الجهل دلالاً أو صدوداً .

(١٨) المنى : جمع منية (بضم فسكون) وهي مايتمناه الإنسان ، ويتوق إليه ، ومثلها الأمنية ، وجمعها الأمانى (بتشديد الياء فى المفرد والجمع ، وقد يخفف الجمع بترك التشديد). والسرف : مجاوزة القصد ، وضد الاعتدال ، كالإسراف .

والمعنى : أنه تعلق بأمنية بعيدة المنال ، وأمل لا يرجى تحققه ، وهو التلاقى والوصال .

(١٩) عكف على الشيء : أقبل عليه مثابراً مواظباً (وبابه دخل)

يشير إلى أن أمله فى وصاله من الحاجات البعيدة الممتنعة التى لا يظفر بها ، ولا يصل إليها ، ولو عكف عليها ، واهتم بها ، وثابر على أسبابها .

فَأَشْفَقْتُ مِنْ قَوْلِهِ وَلَكِنَّ رَبِّي لَطَفْ[٢٠]

فَلَمَّا رَأَى أَدْمُعِي تَوَالَتْ ، وَقَلْبِي رَجَفْ[٢١]

تَبَسَّمَ لِي ضَاحِكاً وَمَانَعَ ، ثُمَّ انْعَطَفْ[٢٢]

فَأَغْرَمْتُهُ قُبْلَةً (عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفْ)[٢٣]

---

(٢٠) أشفقت : خفت وجزعت . ولطف : رفق، من اللطف ، بمعنى الرحمة والرفق والإحسان .

(٢١) توالت : تتابعت . ورجف : خفق واضطرب .

(٢٢) تبسّم : جواب لمّا فى البيت السابق. وانعطف : مال، وهو مطاوع عطفه ، أى أماله وحناه.

(٢٣) أغرمته قبلة : المراد قبّلته ولثمته ، وقد جعل القبلة كالغرامة التى يلزم أداؤها . وسلف : مضى وذهب . والشطر الثانى اقتباس من القرآن الكريم ؛ قال تعالى :

« يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ ، أَو كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ ، أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ، عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ ، وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ ، وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ » الآية ٩٥ من سورة المائدة

القصيدة الخامسة والثلاثون

وقال :

أيُّ قَلْبٍ عَلَى صُدُودِكَ يَبْقَى؟ أَوَ لَمْ يَكْفِ أَنَّنِي ذُبْتُ عِشْقَا ؟[1]

لَمْ تَدَعْ مِنِّيَ الصَّبَابَةُ إِلَّا شَبَحاً شَفَّهُ السَّقَامُ فَدَقَّا[2]

وَدُمُوعاً أَسَالَهَا الْوَجْدُ حَتَّى غَلَبَتْ أَدْمُعَ الْغَمَامَةِ سَبْقَا[3]

فَتَصَدَّقْ بِنَظْرَةٍ مِنْكَ تَشْفِي داءَ قَلْبٍ مِنَ الْغَرَامِ مُلَقَّى[4]

---

(١) الصدود : الإعراض والصدوف والهجران . والعشق : إفراط الحب (وفعله من باب علم) ، وقد ذهب بعض العلماء إلى أن أول مراتب الحب الهوى ، ثم العلاقة ، ثم الكلف (بفتحتين) ، ثم العشق ، ثم الشغف (بفتحتين) ، ثم التيم (بفتح فسكون) ، ثم التبل (بفتح فسكون) ، ثم الوله (بفتحتين) ، ثم الهيام (بضم الهاء) .

والمعنى :أن قلبه لا يقوى على البقاء والحياة مع صدود الحبيب وإعراضه وهجرانه، وأن العشق قد برّح به ، وأذابه وأضعفه وأضناه .

(٢) لم تدع : لم تترك . والصبابة : رقّة الهوى ، وحرارة الشوق . والشبح : الشخص . وشفّه : أنحله وهزله ، وأوهنه وأضعفه . والسقام : المرض . ودقّ : هزل وضعف ، من الدقّة ، وهي الغموض والصغر ، وفاعل دقّ ضمير الشبح .

(٣) الوجد : الحب . والغمامة : السحابة ، وأدمعها : المطر، على التجوّز .

يشكو ما فعلت به الصبابة والوجد من الضنى والهزال والهمّ والبكاء .

(٤) مُلَقّى : لايزال يلقاه مكروه ، أو ممتحن مبتلى ، وهي صفة لقلب .

يسأله أن يتفضّل عليه بنظرة عطف وإقبال تشفي ما يعانيه من الجوى وحرق الوجد وتباريح الغرام .

كَانَ أَبْقَى مِنْهُ الْغَرَامُ قَلِيلًا فَأَذَابَ الصُّدُودُ مَا قَدْ تَبَقَّى (٥)
لَا تَسَلْنِي عَنْ بَعْضِ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ غَرَامٍ ، فَلَسْتُ أَمْلِكُ نُطْقًا (٦)
سَلْ إِذَا شِئْتَ أَنجُمَ اللَّيْلِ عَنِّي فَهْيَ أَدْرَى بِكُلِّ مَا بِتُّ أَلْقَى (٧)
نَفَسٌ لَا يَبِينُ ضَعْفاً ، وَجِسْمٌ سَارَ فِيهِ الضَّنَى ، فَأَصْبَحَ مُلْقَى (٨)
فَتَرَفَّقْ بِمُهْجَةٍ شَفَّهَا الْوَجْدُ ، فَذَابَتْ ، وَأَدْمُعٍ لَيْسَ تَرْقَا (٩)
إِنْ يَكُنْ دَأْبُكَ الصُّدُودَ فَقَلْبِي عَنْكَ رَاضٍ ، وَإِنْ غَدَا بِكَ يَشْقَى (١٠)
فَعَلَيْكَ السَّلَامُ مِنِّي ، فَإِنِّي مُتُّ شَوْقاً ، وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١١)

(٥) منه : من قلبه الملقى .

يقول : إن صدود الحبيب وإعراضه أفنى ما أبقاه الحبّ والغرام من قوّة قليلة ، وحياة ضئيلة كانت فى قلبه الملقى المعنّى ؛ فهو قتيل الحبّ ، صريع الغرام .

(٦) يشير إلى تبريح الهوى به ، وإضناء الغرام له ، حتى صار من الضعف بحيث لا يقوى على النطق ، ولا يستطيع الإجابة إذا سئل .

(٧) أدرى : أعلم وأعرف .

يصف ما يعانيه بسبب الحبّ والغرام من السهاد والسهر ورِعْيَة النجوم ،ولهذا يقول لمن يخاطبه : إذا أردت أن تسأل عنى فسل نجوم الليل ، فهى أدرى بما أجده وألاقيه وأقاسيه طوال الليالى من همّ ووجد وأرق وجوى والتياع و . . .

(٨) يبين : يظهر ويتّضح . وضعفاً : من الضعف ، أى بسببه . والضنى : المرض والهزال والضعف . وأصبح : صار . وملقى : مطروح مرمىّ .

يقول : إنّ نفسه (بفتح النون والفاء) لا يظهر إذا تنفّس ؛ لضعفه ونفاد قوّته ، وإنّ جسمه قد سار فيه الضنى ، ونهكه المرض ، وأذابه العشق والصبابة : فأصبح ملقى مطروحاً ، كأنه هالك .

(٩) المهجة : الروح والنفس. وشفّها: أضعفها وأذابها . والوجد : الحبّ . وليس ترقا : ليست ترقأ (بالهمز) ، بمعنى تجفّ وتنقطع ، أى الدموع (وبابه نفع) .

(١٠) غدا : صار .

يقول : إن يكن صدودك وإعراضك من دأبك وعادتك ، فقلبى راض عنك ، غير متبرّم بك ، على رغم ما يكابده ويقاسيه من تعس وشقاء ، بسبب ذاك الصدود والإعراض .

(١١) يودّعه بالتحيّة والسلام متوديع المرتحل المفارق ، وقد جعل ارتحاله وفراقه موتاً سببه الشوق والصبابة ، ثم ذيّل الكلام بقوله : « والله خير وأبقى » وهو تذييل لا يظهر لنا وجه اتصاله بما سبقه من الكلام ، إلاّ أن يريد أنه بعد موته سيكون فى الدار الآخرة متمتّعاً بعطف الله ورحمته ، وذلك خير له وأبقى من الدنيا ومن فيها .

القصيدة السادسة والثلاثون

قَالَ فِي الْغَزَلِ :

غَلَبَ الْوَجْدُ عَلَيْهِ ، فَبَكَى وَتَوَلَّى الصَّبْرُ عَنْهُ ؛ فَشَكَا[1]

وَتَمَنَّى نَظْرَةً يَشْفِى بِهَا عِلَّةَ الشَّوْقِ ، فَكَانَتْ مَهْلَكَا[2]

يَا لَهَا مِنْ نَظْرَةٍ ! مَا قَارَبَتْ مَهْبِطَ الْحِكْمَةِ حَتَّى انْهَتَكَا[3]

---

(١) الوجد : الحب ، والوجد أيضاً : الهم والحزن . وتولى : أدبر وذهب .

والمعنى : أن الحب والهيام بالحبيب ، أو الحزن والهم الناجم عن العشق قد غلبه ، واشتد عليه ، فبكى ، وأنه لم يجد صبراً على هذا الأمر ؛ فشكا ما يكابده ويعانيه من تبريح الشوق ، ولواعج الحب ، وهجر الحبيب . . .

(٢) هلك الشيء هلاكاً ومهلكاً (بتثليث اللام) : مات وفنى .

يقول : إنه تمنى أن يظفر من الحبيب بنظرة يشفى به علة اشتياقه إليه ، فكانت سبب موته وهلاكه .

والمعنى : أنها ضاعفت وجده وهيامه ، وزادت شوقه وغرامه .

(٣) يالها من نظرة : تركيب يفيد التعجب ، وفرط انفعال النفس وتأثرها بالمتعجب منه ، وهو النظرة . والمهبط (كمنزل) : موضع الهبوط ، وهو النزول . والحكمة : العلم والحلم ، وقد كنى بمهبط الحكمة عن القلب . وانهتك : انشق وتقطع وتمزق .

يعجب من هذه النظرة الفاتنة الساحرة التي لم تكد تصل إلى قلبه حتى هتكته ، والمراد أنها أوقعته في شرك الهوى ، وحبائل الغرام ، وأثرت في نفسه تأثيراً شديداً ، وتيمته ، وشغلت باله ...

نَظْرَةٌ ضَمَّ عَلَيْهَا هُدْبَهُ ثُمَّ أَغْرَاهَا ، فَكَانَتْ شَرَكَا(٤)
غَرَسَتْ فِي الْقَلْبِ مِنِّي حُبَّهُ وَسَقَتْهُ أَدْمُعِي حَتَّى زَكَا(٥)
آهِ مِنْ بَرْحِ الْهَوَى ! إِنَّ لَهُ بَيْنَ جَنْبَيَّ مِنَ النَّارِ ذَكَا(٦)
كَانَ أَبْقَى الْوَجْدُ مِنِّي رَمَقًا فَاحْتَوَى الْبَيْنُ عَلَى مَا تَرَكَا(٧)
انَّ طَرْفِي غَرَّ قَلْبِي ، فَمَضَى فِي سَبِيلِ الشَّوْقِ حَتَّى هَلَكَا(٨)

---

(٤) هدب العين : ما نبت من الشعر على أشفارها . وأغراها : المراد سلّطها على المحبّ ، ووجّهها إليه ، من قولهم : أغريت الكلب بالصيد ، أى ولّعته به ، ودعوته إليه ، وحضضته عليه . والشرك : حبائل الصيد ، وما ينصب للطير .

يقول : إن الحبيب ضمّ أهدابه على تلك النظرة ، ثم أغراها به ، ووجّهها إليه ، فكانت شركاً له ، وكانت سبب الفتنة والحب والغرام .

(٥) غرست : أثبتت ، أى النظرة الفاتنة الساحرة التى وجّهها إليه الحبيب ، وهو مستعار من غرس الشجر . وزكا : نما وترعرع .

يقول : إنّ نظرة الحبيب إليه غرست حبّه فى قلبه ، ثم إنه سقى شجرة ذلك الحبّ بماء عينيه حتى نمت وزكت .

والمعنى : أن نظرة الحبيب إليه كانت سبب تعلّق الشاعر بهذا الحبيب ، وحبّه إيّاه ، ثم كانت علة ما ترتّب على ذلك الحبّ من صبابة ووجد وهمّ وبكاء .

(٦) آه : كلمة تقال عند الشكاية ، أو عند التوجّع والتحزّن . وبرح الهوى : شدّة الوجد ، وتبريح الغرام . وذكا (كفتى) : مصدر ذكت النار (من باب سما) أى اشتدّ لهبها ، وعظم اتّقادها .

(٧) الرمق : بقيّة الحياة فى المحتضر والمذبوح ونحوهما . واحتواه ، واحتوى عليه : جمعه ، وأحرزه ، وحازه ، واشتمل عليه ، والبين : الفرقة (بضم فسكون) .

والمعنى : أن الوجد والهمّ والهيام والعشق أضناه وهزله وأذابه وبرّح به ، حتى لم يبق منه إلا رمق من الحياة ، ثمّ إنّ الحبيب فارقه ؛ فذهب الفراق بذلك الرمق ، وتركه قتيل الحبّ ، صريع الغرام .

(٨) الطرف : العين . وغرّه : خدعه ، وأطمعه بالباطل .

يقول : إن عينه نظرت إلى هذا الحبيب ، فخدعت بذلك النظر قلبه ومنّته الأمانىّ الكاذبة فاغترّ ، وسار فى طريق الشوق والصبابة والغرام حتى هلك .

والغرض الإشارة إلى ما ترتّب على رؤية الحبيب من تعلّق قلب ، واشتغال بال ، وحبّ وهيام ، وفتنة وغرام ، وشوق مبرّح . . .

قَدْ تَوَلَّى إِثْرَ غِزْلَانِ النَّقَا	لَيْتَ شِعْرِى ، أَىَّ وَادٍ سَلَكَا؟[9]
لَمْ يَعُدْ بَعْدُ ، وَظَنِّى أَنَّهُ	لَجَّ فِى نَيْلِ الْمُنَى فَارْتَبَكَا[10]
وَيْحَ قَلْبِى مِنْ غَرِيمٍ مَاطِلٍ	كُلَّمَا جَدَّدَ وَعْدًا أَفَكَا[11]
ظَنَّ بِى سُوءًا وَقَدْ سَاوَمْتُهُ	قُبْلَةً ، فَازْوَرَّ حَتَّى فَرِكَا[12]
فَاغْتَفِــرْهَا زَلَّةً مِنْ خَاطِئٍ	لَمْ يَكُنْ بِاللهِ يَوْماً أَشْرَكَا[13]

(٩) تولّى: ذهب. وإثره : عقبه وبعده ، من قولهم : جاء على إثره ، وخرج فى إثره ،وكان هذا إثر ذاك،أى بعده . وغزلان: جمع غزال (بفتح الغين) ،وهو ولد الظبية حين يتحرّك ويترعرع و يمشى ، وبه تشبّه الحسناء من النساء فى الرشاقة ولطف الحركة ، وبجمال الجيد والعينين ، وفى التشبيه إشارة إلى حداثة سنّ المشبّه ، وهذا أكمل فى الجمال . والنقا : الكثيب من الرمل ، أو القطعة منه تنقاد محدودبة . وليت شعرى : ليتنى أشعر وأعلم . وسلك الطريق : ذهب فيه وسار (وبابه دخل) .

(١٠) لجّ فى الأمر: لازمه، وواظب عليه ، وأمعن فيه ، وألحّ (وبابه تعب). والمنى: الأمانىّ والآمال، الواحدة منية (بضم فسكون) . وارتبك المرء فى أمره :نشب فيه ، واختلط عليه ، ولم يكد يتخلّص منه ، وارتبك الصيد فى الحبالة : اضطرب .

(١١) ويح : كلمة رحمة . أوهى كلمة عذاب ، بمعنى « ويل » . والغريم (هنا) : الذى عليه الدَّين (بفتح فسكون) ، وقد يستعمل الغريم بمعنى الدائن ، كقول كثيّر عزّة :

قضى كلّ ذى دين ، فوفّى غريمه وعزّة ممطول معنّى غريمها

وماطل : اسم فاعل من مطله بدينه (من باب نصر) أى سوّفه بوعد الوفاء مرّة بعد أخرى . وأفك (كضرب وعلم) : كذب .

جعل المحبوب مديناً يمطله بالوصال ، ويكرّر الوعد بلا وفاء ، وطلب لقلبه الرحمة من أوصاب الهجر ، وحسرات المطال .

(١٢) ساومته قبلة: أردتها منه ،وعرضتها عليه ،وهو مستعار من المساومة فى البيع والشراء . وازورّ: انحرف وأعرض . وفرك : أبغض وكره (وبابه سمع) ، يقال : فلانة فارك من الفوارك ، وهى خلاف العروب (بوزن العروس) ، وقد فركت زوجها فركاً ، نقيض عشقته عشقاً .

(١٣) اغتفرها : تجاوز عنها ، ولا تؤاخذنى بها . والزلّة : الخطيئة والسقطة. وخاطئ : مذنب. والشاعر فى الشطر الثانى من هذا البيت يلمح قول الله تبارك وتعالى :

« إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ »

يَا غَـزَالًا نَصبَتْ أَهْدَابُهُ بِيَدِ السِّحْرِ لِضَمِّي شَبَكَا[١٤]
قَدْ مَلَكْتَ الْقَلْبَ ، فَاسْتَوْصِ بِهِ إِنَّهُ حَقٌّ عَلَى مَنْ مَلَكَا[١٥]
لَا تُعَذِّبْهُ عَـلَى طَاعَتِهِ بَعْـدَ مَا تَيَّمْتَهُ ، فَهْوَ لَكَا[١٦]
غَلَبَ الْيَأْسُ عَلَى حُسْنِ الْمُنَى فِيكَ ،وَاسْتَوْلَى عَلَى الضِّحْكِ الْبُكَا[١٧]
فَإِلَى مَنْ أَشْتَكِي مَا شَفَّنِي مِنْ غَرَامٍ ، وَإِلَيْكَ الْمُشْتَكَى؟[١٨]
سَلَكَتْ نَفْسِي سَبِيلًا فِي الْهَوَى لَمْ تَدَعْ فِيهِ لِغَيْرِي مَسْلَكَا[١٩]

---

(١٤) الأهداب : ما نبت من الشعر على أشفار العين ، جمع هدب (بضم فسكون) . والضم : الجمع ، وضمّت الشبكة الصيد، أي احتوته ، وانطوت عليه ، ويراد بالضم هنا : الاستمالة، وتأثير المعشوق في نفس العاشق . والشبك : جمع شبكة (بفتحتين) ،وهي ماينصب لصيد الطير والسمك وغيره ، ومثلها الشركة (بفتحتين أيضاً) .

يشير إلى رشاقة المحبوب ، ولطف حركته ، وحسن تثنّيه ، وحداثة سنّه ، وجمال جيده ، وأن أسباب الفتنة والسحر والإعجاب والغرام تنبعث من عينيه وأهدابه .

(١٥) استوصى به : قَبِلَ الوصيّة . ويقال : استوصى به خيراً : أي أراد الخير له ، وفَعَلَه . وحق : ثابت واجب . يقول للمحبوب : إنك قد ملكت قلبي ، واستوليت عليه ، فاستوص به خيراً ، فإنه من الواجب على المالك أن يستوصي بالمملوك ، ويرحمه ويحسن إليه . والضمير في « إنه » يعود على الاستيصاء المفهوم من الشطر الأول .

(١٦) تيّمته : عبّدته وذلّلته .

(١٧) المعنى : أنه كان يمنّي نفسه بوصال هذا الحبيب ، ويترقّب إقباله ضاحكاً مستبشراً ، فلمّا لم يتحقّق شيء من هذه الأمانيّ الحسان ــ انقطع أمله ورجاؤه ، واستولى عليه اليأس والقنوط ، وساوره الهمّ والغمّ ، وغلبه الحزن والبكاء .

(١٨) شفّه الهمّ والمرض (من باب ردّ) : هزله وأوهنه وأضناه وأضعفه . والغرام : الحبّ المعذّب للقلب . والمشتكى : مصدر ميميّ بمعنى الاشتكاء أو الشكوى .

والمعنى : أنه لا يجد أحداً غير الحبيب يبثّه وجده ، ويشكو إليه ماهزله وأضناه من لواعج الحبّ ، وحرق الصبابة ، وتباريح الغرام .

(١٩) يقول : إنه سلك في حبّه سبيلاً لم يترك فيه موضعاً لسلوك أحد غيره . ولعلّ المعنى : أنه احتمل بسبب العشق ما لا يقوى على احتماله عاشق سواه . أو أنه انفرد بنوع من الهوى لم يعرفه غيره من المحبّين . أو أنّ ما كابده وعاناه من أوصاب الهوى وآلام الغرام يجعل غيره يحجم عن سلوك هذا السبيل .

القصيدة السابعة والثلاثون

وَقَالَ يَرُوضُ* القَوْلَ فِي بَعْضِ الأَسَالِيبِ** :

رَدَّ الصِّبَا بَعْدَ شَيْبِ اللِّمَّةِ الغَزَلُ ... وَرَاحَ بِالجِدِّ مَا يَأْتِي بِهِ الهَزَلُ(1)

---

* يروض القول : يعالج الشعر ، ويزاوله ، ويمارسه ، ويمرن نفسه عليه ؛ مستعار من راض الإنسان المهر (من باب قال) : أى ذلله ، وطوّعه ، وعلّمه السير ؛ ومن كلامهم : « راض الشاعر القوافى الصعبة ، فارتاضت له » : أى انقادت ، وانطاعت له ، وسهلت عليه .

** الأساليب : جمع أسلوب (بوزن عصفور) : وهو هنا : المذهب . وأساليب الكلام : مذاهبه ، وفنونه ، وأنواعه .

والشاعر فى هذه القصيدة الطويلة سلك مسلك الفحول من قدامى الشعراء ؛ فآثر جزالة اللفظ ، وقوته ، وصلابته ؛ وحاكاهم فى أغراضهم ، ومعانيهم ، وأخيلتهم ؛ إذ افتتح قصيدته بالغزل ، ثم افتخر بإقدامه وشجاعته فى الحروب ، ووصف جواده وسيفه ، ثم وصف يوماً من أيام الطرد والصيد ، ثم أورد أبياتاً فى الحكمة ، ثم ختم القصيدة مفتخراً بأدبه وشعره ؛ كل هذا فى ديباجة عربية نقية ، وفى تشبه تام بمن نهج نهجهم ، وضرب على غرارهم ، وراض قوله بأساليبهم ، وفى تعبير وتصوير وثيق الاتصال بالبيئة العربية البدوية ، وجرى على الطبيعة والسليقة الفياضة المتدفقة .

(1) رد الغزل الصبا : رجعه ، وأعاده إلى الشاعر ؛ فالغزل فاعل « رد » . والصبا مفعوله : وهو الصغر ، والحداثة ؛ ويراد به هنا : الفتوة والشباب . واللمة (بوزن القمة) : الشعر الذى يجاوز شحمة الأذن ؛ ويراد به هنا : شعر الرأس كله . وشيبه : بياضه . والغزل : مصدر غزل الرجل بالمرأة (من باب فرح) : أى حادثها ، وتودد إليها ، ولها معها ، وأفاض بذكرها ، وتغنى بمحاسنها ومفاتنها . وراح به := ذهب به ، وأبعده ، وقضى عليه ، وأزاله ، وأقصاه . وفاعله كلمة « ما » : وهى اسم موصول بمعنى الذى : أى راح الهزل وملابساته بالجد وملابساته . والجد (بفتح الجيم ، وتشديد الدال) : مصدر جدّ فى كلامه (من باب ضرب) : ضد هزل ؛ والاسم منه الجد (بكسر الجيم) . وملابسات الجد : الصرامة ، والرزانة ، والوقار

وعَادَ مَا كَانَ مِنْ صَبْرٍ إلَى جَزَعٍ   بَعْدَ الإباء ، وَأَيَّامُ الْفَتَى دُوَلُ(٢)

والحلم ، ونحوه . وهزل فى كلامه (من بابى ضرب وفرح) : مزح : وهو ضد الجد . وبملابسات الهزل ونحوها يأتى به ، ويتجه : الخفة ، والمرح ، والطيش ، والدعابة ، والمزاح ، وما إليه . والصلة بين شطرى هذا البيت : أن الجد والرزانة والوقار والحلم والعقل والأناة ونحوها من ملابسات الشيب ودواعيه ؛ أما الهزل والمرح والمزاح والخفة والطيش والدُّعابة ونحوها فإنها من ملابسات الشباب ودواعيه ونتائجه فى الكثير الغالب ؛ والغزل كذلك يوائم الشباب ، ويشاكله ، ويسايره ، ويجاريه ، ولا يكاد يوائم الشيب ، أو يناسبه ، أو يليق به ، أو يحسن فيه .

والمعنى : أن غزله ، وعبثه ، ولهوه قد رده إلى عهد الصبا والفتاء ، ونزوات الشباب وجهالاته ، بعد أن وهَن العظم منه ، واشتعل الرأس شيباً ؛ وأن ما يصدر عنه اليوم من ضروب الهزل والمزاح والمجانة قد جرده من الجد والوقار والرزانة ؛ وحرمه ما يليق بمثله ، فى جلال مشيبه ، وتقدم سنه ، ورجحان عقله .

(٢) عاد الأمر كذا : صار إياه ؛ كما يقال : عاد الماء ثلجاً ، وعاد فلان شيخاً ، ومثله عاد الصبر جزعاً . والجزع : أشد الحزن ، أو هو حزن يصرف الإنسان عما هو بصدده ، ويقطعه عنه ، (وفعله من باب تعب) ، ونقيضه الصبر . والإباء : الامتناع ، والاستعصاء : مصدر أبى الشيء علىّ : أى امتنع ، واستعصى . وأبيتُ الشيء : عِفْتُه ، وكرهته ، ولم أرضه . وأبيته : استنكفتُ منه ، وترفّعتُ عنه . والدول : جمع دولة (بفتح فسكون) : مصدر دال الزمان : أى دار ، وانقلب من حال إلى حال . أو هو جمع دولة : بمعنى الشيء المتداول الذى يكون مرة لهذا ، ومرة لذاك . والدهر دُوَل : أى لاثبات له ، ولا استقرار فيه . وأيام الفتى دُوَل : أى تسالمه أحياناً ، وتحاربه أحياناً ، وهكذا تياسره وتعاسره ، وتصالحه وتخاصمه ، وتُقْبِل عليه ، وتعرض عنه ، فمرة له ، ومرة عليه ؛ لأن فى طبعها التحول والتقلب . وهو تذييل جار مجرى المثل . ويراد بالفتى هنا : الإنسان مطلقاً ، فى كل أطوار حياته ، ومراحل سنه وعمره .

يقول : إنه كان – بعد أن وَخَطَه الشيب ، وتقدمتْ به السن – صبوراً ، لا يستجيب لدواعى الشباب ، ولا يجزعه ما فات من متعه وملاهيه ؛ فلما عاد إلى الغزل واللهو والمجانة – انقلب صبره جزعاً بعد طول التأبِّى ، والتحرج ، والتمنع . ويراد بالجزع هنا : ما يعتوره ، أو يساوره أحياناً من الحزن ، والأسى ، وانقباض النفس ، كلما استيقظ وجدانه ، وفطِن لما غرق فيه من الهزل والعبث والمجون ، وعلم أن هذا كله لا يليق بشيبته وتقدم سنه ، ورجحان عقله .

وقد يكون المعنى : أنه كان فى مشيبه جاداً عازفاً عن اللهو ، صابراً على حياة الجد والصرامة ؛ فلما أنساه الغزل والهزل تلك الحياة ، وأعاده إلى شبابه وصباه – استشعر الجزع : أى الضجر والقلق ، خوفاً من ذهاب هذه المتعة الطارئة ، وفوات هذه اللذة المستحدثة ؛ لعلمه أن الأيام من شأنها التحوّل والتقلب ؛ ويلاحظ أن هذا البيت وثيق الاتصال بالبيت الذى قبله .

فَلْيَصْرِفِ اللَّوْمَ عَنِّى مَنْ بَرِمْتُ بِهِ ... فَلَيْسَ لِلْقَلْبِ فِى غَيْرِ الْهَوَى شُغُلُ[3]

وَكَيْفَ أَمْلِكُ نَفْسِى بَعْدَ مَا ذَهَبَتْ ... يَوْمَ الْفِرَاقِ شَعَاعًا إِثْرَ مَنْ رَحَلُوا؟[4]

تَقَسَّمَتْنِى النَّوَى مِنْ بَعْدِهِمْ ،وَعَدَتْ ... عَنْهُمْ عَوَادٍ ؛ فَلَا كُتُبٌ ، وَلَا رُسُلُ[5]

فَالصَّبْرُ مُنْخَذِلٌ ، وَالدَّمْعُ مُنْهَمِلٌ ... وَالْعَقْلُ مُخْتَبِلٌ،وَالْقَلْبُ مُشْتَغِلُ[6]

---

(٣) صرفه : دفعه ، ورده . واللوم : العذل . وبرم به (من باب تعب) : سئمه ، وملّه . وضَجِر منه ، وضاق صدره به . والهوى : الحب ، والعشق . وشغل (بوزن عُنُق ، وسبب) : ضد الفراغ . وشُغِل عنه بكذا (على ما لم يُسَمّ فاعله): أى اشتغل ، وتعلق به ، وتلَهّى ، وانصرف إليه ، وانهمك فيه ، وترك ما عداه .

والمعنى : أن الحب شغل قلبه ، واستأثر به ، وصرفه عما عداه؛ فإذا عذله عاذل تبرّم به ، وضجِر منه ، وضاق بالعذل ذَرْعُه ، وأمَرَه بالكف عنه .

(٤) الاستفهام فى أول هذا البيت : معناه النفى ؛ فالشاعر لا يملك نفسه بعد ارتحال أحبائه . وذهبتْ نفسه شَعاعاً: تمزقتْ ، وتبددت من الهم ونحوه . أو تفرقت همها وآراؤها ؛ فلا تتجه لأمر جزْمٍ وذهب فى إثْرِه ، وذهب إثرَه : ذهب فى عقبه ، بلا توان ، أو تراخ . ورحلوا : ارتحلوا ، وساروا ، وانتقلوا ، ومضوْا .

يقول : لما فارقه أحباؤه ، افترق شمله ، وتمزق من الوجد قلبه ، وذهبتْ نفسه عليهم حسرات .

(٥) النوى : البُعد ، وهى مؤنثة ؛ ويريد بها : بعد أحبائه ، وارتحالهم عنه . وتقسّمتنى النوى: فرّقت شملى ، وشتتت خواطرى . وعداه عن الأمر (كدعاه) : صرفه عنه ، وشغله . والعوادى : جمع العادية : وهى الشغل يصرفك عن الشيء . وعوادى الدهر : عوائقه ، ونوائبه . والكتب : جمع كتاب : وهو الرسالة . والرسُل : جمع الرسول ، أو الرسيل : بمعنى الرسالة . أو من ترسله إلى غيرك . و « تقسمتنى النوى من بعدهم » : شبه تكرار لمعنى البيت السابق ؛ فعلى إثر رحيلهم برّح به الوجد والبعد ، وتقسمته الهموم والأوصاب .

يشكو فُرقة هؤلاء الأحباب ، وبُعدهم عنه ؛ فالفُرقة والبُعد شغلا باله ، ومزّقا شمله ، وشتّتا خواطره ؛ وحالت بينه وبينهم العوادى والعوائق ؛ فانبتّت الصلات ، وتقطعت الأسباب .

(٦) منخذل : ضعيف . ومنهمل : منصب غزير . ومختبل (بصيغة اسم المفعول ، أو صيغة اسم الفاعل) : مضطرب ، فاسد . ومشتغل: مشغول ، مهموم . وفى البيت محسّن بديعى لفظىّ ، يسمونه السجع المطرف ؛ ومن أمثلته قول أبى تمام فى المديح :

تَجلّى به رشدى ، وأثرتْ به يدى ... وفاض به ثمْدِى ، وأورى به زَنْدِى

أَرْتَاحُ إِنْ مَرَّ مِنْ تِلْقَائِهِمْ نَسَمٌ تَسْرِى بِهِ فِى أَرِيجِ الْعَنْبَرِ الْأُصُلُ (٧)

سَارُوا ،فَمَا اتَّخَذَتْ عَيْنِى بِهِمْ بَدَلًا إِلَّا الْخَيَالَ ، وَحَسْبِى ذَٰلِكَ الْبَدَلُ (٨)

فَخَلِّ عَنْكَ مَلَامِى يَا عَذُولُ ، فَقَدْ سَرَتْ فُؤَادِى -عَلَى ضَعْفٍ بِهِ- الْعِلَلُ (٩)

= يشير إلى ما يكابده ويضانيه بعد فرقة أحبابه من قلة الصبر ، وضعف التجلد ، وغلبة الجزع ، وكثرة البكاء ، واختبال العقل ، واضطراب الفكر ، واشتغال القلب بمساورة الهموم ، ومغالبة الأحزان .

(٧) ارتاح للأمر : سُرَّ به ، ونشط . ومن تلقائهم : من تلقاء أحبابه : أى من جهتهم . ونسم الريح : أولها حين تُقبل بلين ، قبل أن تشتد . وتسرى به : أى تَسرى بالنسَم : أى تُحركه ، وتسيّره ، وتدفعه . وفاعله « الأصُل » : جمع أصيل : وهو الوقت بعد العصر إلى المغرب . أو هو الوقت حين تصفرّ الشمس لمغيبها . وفيه تَنَسيم الريح لطيفة لينة طيبة . وفى أريج العنبر : فى مثل أريج العنبر : أى رائحته الفائحة ، المتوهجة ، الطيبة ، الذكية ، العطرة . والعنبر : نوع من العطور التى يُتطيب بها لحسن رائحتها . أو هو مادة صُلبة ، لا طعم لها ، ولا ريح إلا إذا سُحقت ، أو أحرقتْ . ويقال : إنه رَوْث دابة بحرية .

يقول : إنه يُسرّ وينشط ، وتطيب نفسه ، ويهدأ باله ، ويستشعر الارتياح والانشراح إذا مر به من جهة أحبابه ، وقت الأصيل – نسيم لطيف ، لين هادئ ، طيب عَطِر .

ربط النَسم المعطَّر بأحبابه ؛ لأن مثله لا يستقبل من تلقائهم غير هذا النسم ، ولا يتلقاه إلا بالارتياح . واختار وقت الأصيل ؛ لأنه خير الأوقات فى مثل هذا المقام . والبيت كله أسلوب لطيف من أساليب الغزَل .

(٨) البدل من الشىء : الخلف ، والعوض . والخيال : الطيف . وما تشبه لك فى اليقظة والمنام من صورة . ويريد بأخيلة أحبابه : صورهم الحية فى ذهنه . وحسبى . يكفينى ، ويغنينى . واتخذت عينى خيالهم بهم بدلاً : أى جعلت عينى خيالهم خلَفاً لهم ، وبدلاً منهم ، وعوضاً عنهم ؛ كما تقول : اتخذتُ فلاناً خليلا .

والمعنى : ارتحل أحبابه ، وغابت عنه أشخاصهم ، وفرقتْ النوى بينه وبينهم ، واستعصى عليه لقاؤهم ؛ فلم يسعه إلا أن يقنع برؤية أخيلتهم ، ومناجاة أطيافهم ، ويبقى على الدوام حافظاً لعهدهم ، مقيماً على ودهم ، يتخيلهم آناء الليل ، وأطراف النهار ، ولا يرى بعد غيابهم غير صورهم ، ولا يشتغل قلبه بسواهم ، ولا تصرفه عنهم عوادى الدهر ، وعوائق الزمان .

(٩) خلّ عنك ملامى : لا تلمنى . خلّى الأمر عنه تخلية : تركه . وعذول : صيغة مبالغة من العذل : وهو اللوم . وسرّه (من باب رد) : طعنه فى سُرته : أى فى وسط بطنه . والمراد هنا : مطلق الطعن والإصابة . وسره سروراً : أفرحه . و « فؤادى » مفعوله . و « العلل » فاعله : جمع عِلة : وهى المرض الشاغل ؛ ويراد بالعلل هنا : أوصاب الحب ، وتباريح الشوق ، ومرارة الفراق =

لَا تَحْسَبَنَّ الْهَوَى سَهْلًا ؛ فَأَيْسَرُهُ خَطْبٌ - لَعَمْرُكَ لَوْمَيَّزْتَهُ - جَلَلُ[10]

يَسْتَنْزِلُ الْمَلْكَ مِنْ أَعْلَى مَنَابِرِهِ وَيَسْتَوِي عِنْدَهُ الرِّعْدِيدُ وَالْبَطَلُ[11]

فَكَيْفَ أَدْرَأُ عَنْ نَفْسِي وَقَدْ عَلِمَتْ أَنْ لَيْسَ لِي بِمُنَاوَاةِ الْهَوَى قِبَلُ ؟[12]

= يقول : إن قلبه — على رقته ، وضعف احتماله — قد أصابته أوصاب الهوى والغرام ، وأضنته تباريح الصبابة والشوق ، وبرّحت به مرارة النوى والفراق. أو أنه يجد فى هذا كله المتعة واللذة ، والارتياح والسرور.

ومعنى هذا : أن العشق دلهه بتيّمه ، والوجد وله وعبّده ، وحال بينه وبين الاستماع لعذل العاذل ، والإنصات للوم اللائم ، وقد أعلن ؛ البيت الثالث تبرمه به ، وضجره منه ؛ فالعذل لمثله عقيم ، لا ينتج ، ولا يُجدى ؛ بل يضايقه ويعاسره : ويضاعف أوصابه ومتاعبه .

(١٠) لا تحسبن : لا تظن . والهوى : الحب ، والعشق ، والغرام . وأيسره : أيسر الهوى : أى أسهله ، وأهونه ، وأقله . والخطب : الأمر الشديد ، والنازلة الفادحة ، وجمعه خطوب . وجلل : عظيم ؛ وهو نعت لـ « خطب » . و « لعمرك لو ميزته » : كلام معترض بين النعت ومنعوته . و « لعمرك » : قسَم بحياة المخاطب ؛ وهم يرفعونه بالابتداء؛ ويضمرون الخبر ؛ والتقدير : لعمرك قسمى ، أو يمينى ، أو ما أحلف به . واللام الداخلة على المبتدإ هنا : لام الابتداء ؛ وفائدتها توكيد مضمون الجملة . ولو ميزته : لو عرفته ، وفطنت له ، وأدركت حقيقته .

يقول لكل مخاطب ، وبخاصة العاذل اللائم : إن العشق صعب المراس ، مستعص على العلاج ؛ يزيده اللوم ويضاعفه ، ويُذْكيه العذل ويؤجّجه؛ ولو عرفته ، وأدركت حقيقته ، أو وقفت على شىء من كنهه وسره ، لعلمت أنه — فى أيسر حالاته ، وأقل مراتبه — خطب جلل ، وأمر شديد ، يذهل العاشق ويضنيه ، ويذهب بلبه ويتيّمه .

(١١) يستنزله : يُنْزله ، ويحطه . وفاعله ضمير « الهوى » فى البيت السابق . والمنابر : جمع منبر (بوزن منجل ومناجل) : وهو مَرْقاة يرتقيها الخطيب ، أو الواعظ ؛ ليخاطب من فوقها جموع المستمعين ؛ ويراد بمنابر الملك هنا : مرتبته العالية ، ومنزلته الرفيعة ، ووقاره المهيب ، وحصنه الحصين . =

= واستوى الشيئان : تساويا ، وتماثلا ، وتشابها . وعنده : عند الهوى : أى أمامه ، وفى حضرته ، وتحت إمرته وسلطانه . والرعديد : الجبان يشتدّ به الجبن ؛ فيكثر ارتعاده ، واضطرابه ، وارتعاشه . وضدّه البطل : وهو الجرىء الشجاع المقدام ، وجمعه أبطال .

والمعنى : أن سلطان الحب قاهر غلاّب ، يَسْتَعْبِد الملوك والسُّوقة ، ولا تصمد أمامه البطولة والشجاعة ؛ فالبطل الشجاع كالرعديد الجبان ؛ يتساويان تحت سيطرة الحبّ وسطوته .

(١٢) الاستفهام فى أول البيت : معناه النفى . ودرأه (كنعه) : دفعه ، وصدّه . وناواه مناواة : عاداه ، وقاومه ، وناهضه ؛ وأصله الهمز . وقِبَل (بوزن عنب) : طاقة ، ومقدرة . وفى القرآن الكريم : « فلنأتينّهم بجنود لا قِبَلَ لهم بها » الآية رقم ٣٧ من سورة النمل : أى لا طاقة لهم بها ، ولا قدرة لهم على مقاومتها =

فَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى شَيْءٍ هَمَمْتُ بِهِ   فِي الْحُبِّ ،لَكِنْ قَضَاءٌ خَطَّهُ الْأَزَلُ (١٣)

وَلِلْمَحَبَّةِ قَبْلِي سُنَّةٌ سَلَفَتْ   فِي الذَّاهِبِينَ ؛ وَلِي فِيمَنْ مَضَى مَثَلُ (١٤)

= فى البيت السابق أشار إلى ضخامة سلطان الهوى ، وسيطرته على الملوك والسوقة ، والأبطال والرعاديد . وفى هذا البيت شِبْه اعتذار ، واحتجاج لنفسه ، وقَطْعٍ لما قد يأمله العاذلون من سلوانه ؛ فكيف يدرأ عن نفسه ذلك السلطان القاهر ، وهو يعلم أن لا طاقة له به ، ولا قدرة له عليه ، ولا مَناصَ منه ؟

(١٣) قدر على الشيء (كضرب ، وعلم ، ونصر) . وهمّ به (من باب ردّ) : أراده ، وقصده ، وعزم على القيام به ، ولكنّه لم يفعله . و « فى الحب » متعلّق بمحذوف ، صفة لشيء . وجملة «هممت به » جواب « لو» : أى فلو قَوِيت على شيء مستطاعٍ فى أمر الحبّ ، يدفعه ، أو يصدّه ، أو يصرفه ، أو يَحُدّه — لهممت به . ومعنى هذا : أنه لم يقدر ، ولم يهمّ . والتعبير بـ « هممت » هنا يشعر بضعف هذا المحبّ أمام سلطان الحبّ وسطوته ؛ فعلى فرض أنه أوتى القوّة ، والمقدرة على مقاومة هذا السلطان ومكافحته ، لم يجرؤ على المقاومة نفسها ، ولم يتجاوز نطاق الهمّ : وهو الإرادة ، أو الرغبة المجرّدة من الإقدام والعمل والتنفيذ . ولكن قضاء : أى ولكنّ الحبّ قضاء : أى حكم فاصل ، لا مردّ له ، ولا استئناف . وخطّه : كتبه ، ورسمه ، وقدّره ، وقضى به . والأزل : القِدَم ، ويراد بالقضاء الذى خطّه الأزل : أنه قضاء أزلىّ مُعْرِق فى القدم ، لا سبيل إلى نقضه ، أو ردّه ، أو الفرار منه .

والمعنى : أن الحبّ من الأمور المقدّرة المقضيّة التى لا معدى عنها ، ولا مفرّ منها ؛ وقد كتب عليه قبل أن يوجد ؛ ولو استطاع أن يتخلّص منه ، أو يُجْرِيه على حسب مشيئته — لفعل ؛ ولكن هيهات . ويلاحظ أن الشاعر عُنِىَ عناية ظاهرة فى البيت الثالث ، ثم فى الأبيات (٩-١٤) بملاحاة عاذليه ، والاحتجاج لنفسه ، وتأكيد عجزه عن مغالبة الهوى ؛ ليستيئسوا منه ، وينصرفوا عنه .

(١٤) سنّة : مذهب ، وطريقة ، وسيرة . وسلفتْ : مضت ، وتقدمتْ ؛ وفاعله ضمير « سنّة » ، والجملة صفة لها : أى وللحبّ قبلى سنّة سالفة فى الذاهبين : أى الماضين من الناس فى سالف الزمان . والمثل (بوزن سبب) : المِثْل (بكسر فسكون) ، والشَّبَه ، والنظير ؛ و « فيمن » متعلق بمثل : أى ولى مثل فيمن مضى .

والمعنى : أن الحبّ شيء يعرفه الناس من قديم الزمان ؛ وله فيهم سُنّة ثابتة ، وصفات متميّزة ، وطريقة مرسومة ، وخصائص واضحة ، وآثار خفيّة وظاهرة ، وسيرة لا تتخلّف ؛ وللشاعر أشباه ونظراء من المحبين العاشقين فى الذاهبين الأوّلين ؛ يسلك مسلكهمْ ، ويجرى على سننهم . والغرض من مثل هذا البيت محاولة إقناع العاذلين ، والاحتجاج لنفسه ، وتخفيف حَمَلات العذل ؛ وهو ختام سبعة أبيات دارت كلّها حول هذا الغرض .

فَإِنْ تَكُنْ نَازَعَتْنِي النَّفْسُ بَاطِلَهَا ... وَأَطْلَعَتْنِي عَلَى أَسْرَارِهَا الْكِلَلُ (١٥)

فَقَدْ أَسِيرُ أَمَامَ الْقَوْمِ ضَاحِيَةً ... وَالْجَوُّ بِالْبَاتِرَاتِ الْبِيضِ مُشْتَعِلُ (١٦)

بِكُلِّ أَشْقَرَ قَدْ زَانَتْ قَوَائِمَهُ ... حُجُولُهُ غَيْرَ يُمْنَى زَانَهَا الْعَطَلُ (١٧)

---

(١٥) جواب « إن » الشرطيّة فى البيت الآتى : « فإن تكن نازعتْنى النفس باطلها فقد أسير ... » . ونازعتْنى النفس باطلها : عاطتْنى نفسى ذلك الباطل : أى ناولتْنى إيّاه : والمراد أنها مهّدتْ لى سبيله ، وسوّلتْه لى ، وأغرتْنى به ، وأوقعتْنى فيه . أو هو من قولهم : نازعته الثوب : أى جاذبته إيّاه : والمراد أنى شاركتها فى الباطل ، وشاركتْنى فيه . ويراد بالباطل هنا : اللهو ، والحبّ ، والغزل . والكِلل : جمع كِلّة (بوزن علّة وعلل) : وهى هنا ثوب رقيق ، يخاط كالبيت ، تستتر فيه المرأة . وإطّلاع الكلل إيّاه على أسرارها : كناية عن إحاطته بشئون الحسان المحجّبات ، ووقوفه على أسرارهن ، وظهوره على الخفىّ المكتوم من أمورهن . وصلة الشطر الثانى بالشطر الأول : أن اطّلاعه على أسرار الغانيات من الأباطيل التى أوقعتْه فيها نفسه . وصلة هذا البيت بالأبيات السابقة كلّها : أنّ ما ردّده الشاعر فيها من الغزل وملاحاة العاذلين ضرب من ضروب الباطل الذى نازعته نفسه إيّاه . وصلته بالبيت الذى بعده : أن الشاعر جمع فى حياته بين الهزل والجد ، واللهو والصرامة ، والحبّ والقتال .

جعل الشاعر هذا البيت تمهيداً لانتقاله من اللهو والهزل ، والحبّ والغزَل إلى الفخر بشجاعته وبطولته الحربيّة ، والابتهاء بسيره أمام المحاربين يقودهم ، ويتقدّم صفوفهم .

(١٦) « فقد أسير . . . » : جواب « إن » الشرطية فى البيت السابق . ويريد بالقوم : جماعة المحاربين . وضاحية : علانية ، جهاراً . والجوّ : الفضاء بين السماء والأرض . وجوّ كلّ شىء : بطْنه ، = = وداخله . ويراد به هنا : جوّ الحرب ، وساحة الوغى ، وميدان القتال . والباترات : جمع باتر : وهو السيف القاطع . والبيض : جمع أبيض : وهو السيف . ومشتعل : ملتهب ، متّقد ، مضطرم . وهو هنا من مجاز اللغة ؛ فبريق السيوف ، ولمعانها ، واضطراب حركاتها فى جوّ القتال يشبه اشتعال النيران وتوقّدها . والواو فى أول الشطر الثانى : واو الحال ، والجملة الاسميّة بعدها حاليّة ، وصاحب الحال فاعل « أسير » ، وبالباترات متعلّق بمشتعل .

ومعنى هذا البيت والذى قبله : أنه إذا كان ينقاد للهوى ، ويجرى مع اللهو أحياناً ، ويغازل الغانيات من ربّات الحجال — فإنه إذا جدّ الجدّ ، واتّقدتْ الحرب ، وحَمِىَ الوطيس ، قدّمَ المحاربين ، وقاد المقاتلين ، وبرز لأعدائه فى جرأة وشجاعة وإقدام ؛ وفى غير مبالاة ، أو تردّد ، أو اكتراث . وفى عشرة الأبيات الآتية يصف الشاعر جواده .

(١٧) بكلّ أشقر : بكلّ فرس أو جواد أشقر ، وهو متعلّق بالفعل « أسير » فى البيت السابق . وأشقر : صفة من الشُّقْرة : وهى فى الخيل : حمرة صافية ، يحمرّ معها العُرْف والذّنَب . والعرب تقول : « أكرم الخيل ، وذوات الخير منها شُقْرها » . وقوائمه : يداه ، ورجلاه ، الواحدة قائمة ، وهو مفعول به للفعل « زان » . وفاعله « حجوله » : جمع حجل (بكسر فسكون أو بفتح فسكون) =

كَأنَّهُ خاضَ نَهْرَ الصُّبحِ ،فَانْتَبَذَتْ يُمْنَاهُ ، وَانبَثّ في أَعْطَافِهِ الطَّفَلُ (١٨)

زُرْقٌ حَوَافِرُهُ ، سُودٌ نَوَاظِرُهُ خُضْرٌ جَحَافِلُهُ ، في خَلْقِهِ مَيَلُ (١٩)

كَأنَّ فِي حَلْقِهِ نَاقُوسَ رَاهِبَةٍ بَاتَتْ تُحَرِّكُهُ ، أَوْ رَاعِدٌ زَجِلُ (٢٠)

=وهو البياض في قائمة الفرس ، يكون في موضع القيد منها ؛ وفي مثل الموضع الذي يكون فيه حجل المرأة : وهو الخلخال الذي تزيّن به رجلها . وفرس محجّل : في قوائمه حجول . وزانت حجوله قوائمه : جمّلتها ، وحسّنتها . وغير يمنى : غير قائمة يمنى . والعطل هنا : خلاف التحجيل . يقال : عطلت المرأة (من باب فرح) ؛ إذا لم يكن عليها حليّ . والمراد أن يمنى هذا الجواد خلت من التحجيل .

يقول : إنه يتقدّم قومه محارباً بكلّ جواد أشقر ، ازدانت ثلاث من قوائمه بالتحجيل ، وخلَتْ منه الرابعة ، وهي رجله اليمنى ؛ فزانها هذا الخلوّ ، وحسّنها ، وجمّلها .

(١٨) كأنه : كأنّ هذا الجواد الأشقر . وخاض الماء : دخله ، ومشى فيه . ونهر الصبح : الصبح الشبيه بالنهر . وانتبذت : اعتزلت ، وتنحّت . يريد أنه خاض نهر الصبح بثلاث من قوائمه ؛ أمّا الرابعة ، وهي اليمنى ، فإنها انتبذت عن هذا النهر : أي ابتعدت عنه ، ولم تخضه . وانبثّ : تفرّق ، وانتشر . وأعطافه : جوانبه : جمع عطف (بكسر فسكون) ؛ ويراد بأعطافه : جسمه . وطفل الغداة : الوقت بُعَيْدَ طلوع الشمس . وطفّل العشيّ : قُبَيْلَ غروبها ، حين اختلاط أول الليل بآخر النهار . ومثله ،أو قريب منه الشفق : وهو بقيّة ضوء الشمس ، وحمرتها في أول الليل .

وهذا البيت تكرار لمعنى البيت السابق ؛ فالجواد مُحَجَّل في ثلاث من قوائمه ، وبياض تحجيله كبياض ضوء الصبح ؛ وشُقْرَة أعطافه وجسمه كحمرة الشَّفَق .

(١٩) زرق : جمع أزرق : صفة من الزرقة . والحوافر : جمع الحافر : وهو للدابّة كالقدم للإنسان . وسود : جمع سوداء . والنواظر : جمع ناظرة : وهي العين . وخضر : جمع خضراء : صفة من الخضرة : وهي في ألوان الخيل والإبل : غُبْرَة تخالطها دُهْمَة : أي سواد . والجحافل : جمع جَحْفَلَة (بوزن كوكبة) : وهي لذوات الحافر من الخيل والبغال والحمير : كالشَّفَة من الإنسان . وفي خلقه : في خِلْقته : أي في فِطْرته التي فُطِرَ عليها . والميل : مصدر مَيِلَ (من باب فرح) : أي كان مائلاً خِلْقة ، فهو أمْيَل ، وهي مَيْلاء ؛ ويراد بالميل هنا : ما يُعْرَف في الصافنات الجياد ، ونجائب الخيل من التبختُر ،والتمايل ، والتثنّي ، وحسن المِشْيَة .

استوعب الشاعر في هذا البيت وصف حوافر جواده ، وعينيه ، وجحفلتيه — بالزرقة ، والسواد ، والخضرة على الترتيب ؛ وهي الألوان المعروفة في نجائب الخيل وجيادها . ثم أشار إلى بعض محاسنه الخِلْقيّة الوراثيّة المتأصّلة فيه ، كالميل : أي التبختر ، وجمال المِشْيَة ، والمرونة ، وحسن التثنّي .

(٢٠) في حلقه : في حلق جواده الأشقر . والناقوس : جرس كبير ، يضرب به النصارى في كنائسهم إيذاناً بحلول وقت صلاتهم . والراهبة : مؤنث الراهب من رُهْبان النصارى : وهو من اعتزل الناس ، وتفرّغ للعبادة في دَيْر أو صومعة . وبات يفعل كذا : أي فعَلَه ليلاً . وباتت هنا : بمعنى صارت =

يَمُرُّ بِالْوَحْشِ صَرْعَى فِى مَكَامِنِهَا فَمَا تَبِينُ لَهُ شَدًّا ؛ فَتَنْخَذِلُ(٢١)
يَرَى الْإِشَارَةَ فِى وَحْيٍ ؛ فَيَفْهَمُهَا وَيَسْمَعُ الزَّجْرَ مِنْ بُعْدٍ، فَيَمْتَثِلُ(٢٢)

أو جعلت . والجملة نعت لراهبة . وجملة « تحركه » : خبر « بات » الناقصة . أو : حال من فاعل « بات » التامة : وهو ضمير الراهبة . و « راعد » : خبر لمبتدإ محذوف . والتقدير : أو هو : أى الجواد الأشقر راعد ؛ أى صائت كصوت الرعد . أو التقدير : فى حلْقة راعد : أى سحابٌ راعد. وزَجِل: صائح صاخب : صفة من زجل (من باب فرح) : أى رفع صوته ، وأجلَب .

والبيت فى وصف صهيل ذلك الفرس بالقوّة والشدة ؛ فهو كصوت أجراس الأديرة والكنائس ، أو صوت السحاب الراعد الزاجل .

(٢١) الوحش: ما لا يستأنس من دواب البرّ وحيوانه؛ يذكّر ، ويؤنّث، واحدها وَحْشِىّ ، والجمع وُحُوش . وصَرْعَى : حال من الوحش : أى ملقاة على الأرض : جمع صريع : فعيل بمعنى مفعول . ومكامنها : مخابئها : جمع مكن (بوزن مذهب) : اسم مكان من كن (كقعد): أى توارى ، وتَستَّر ، واستخفى . وتبين : تستبين ، وتكشف ، وتعرف ؛ مضارع « بان » المتعدّى ، وفاعله ضمير الوحش، ومفعوله « شدًّا » : أى عَدْوا ، وجريا ، ورَكْضاً : مصدر شدّ الفرس = = وغيره ؛ أى عدا ، وركض ، وأحضر ، وجرى. وله : للفرس . وتنخذل : تضعف ، وتنهار ، وتسقط على الأرض مغلوبةً مأخوذة ، أو تنهزم ، وتحاول الفرار والنجاة ؛ وهو فى الأصل مطاوع « خذله » : أى تَخلّى عن عونه ونصرته .

والمعنى : أن هذا الفرس يمرّ بالوحوش وهى مختبئة فى مكامنها آمنة مطمئنة ، لا تخاف عَدُوًّا ؛ ولكنّه يفاجئها ويباغتها ، قبل أن تلمح ركضه ، أو تحسّ به ؛ فلا تكاد تجد وسيلة للفرار منه ؛ ولهذا تسقط بين يديه مغلوبة مأخوذة .

والغرض : وصفه بسرعة العَدْو ، والتمرّس بالصيد ، وإعانة راكبه عليه ، وتمكينه منه ؛ وقد غالى فى هذا المعنى ، كما غالى غيره من الشعراء ؛ فقال : إن الصيد ، أو الوحوش تنصرع وتسقط فى أماكنها وهو يمرّ بها ، ويطوى إليها الأرض طيًّا؛ وإنما سقطت ؛ لأنها لم تكد تستبين ركضه ، أو عَدْوَه إليها ؛ ولو استبانته ، أو أحست به لفرّتْ من وجهه ، وحاولتْ النجاة . وأبلغ من هذا قول امرئ القيس فى معلّقته ، واصفاً جواده :

وقد أغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد ، قيد الأوابد ، هيكل
مكر ، مفر ، مقبل ، مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل

(٢٢) يراد بالإشارة : إشارة صاحبه ، أو راكبه : مصدر أشار إليه ، وأشار بيده ، أو نحوها : أى أوْمَأ إليه : معبّراً بالإيماء والإشارة عن معنى من المعانى التى يقصدها ، كالدعوة إلى الدخول ، أو الخروج ، أو الوقوف ، أو السير ، أو القفز والتَخَطّى . . . وفى وَحْىٍ : فى سرعة ، أو فى خفاء . والزجر : مصدر زجره (من باب نصر) : أى منعه، وكفّه ، ونهاه ، وانتهره ، وصاح به ، وأثاره ؛ أو حثّه ، وحمله على السرعة . ويمتثل : يطيع ، وينقاد =

لَا يَمْلِكُ النَّظْرَةَ الْعَجْلَاءَ صَاحِبُهَا ... حَتَّى تَمُرَّ بِعِطْفَيْهِ فَتُحْتَبَلُ (٢٣)

إِنْ مَرَّ بِالْقَوْمِ حَلُّوا عَقْدَ حَبْوَتِهِمْ ... وَاسْتَشْرَفَتْ نَحْوَهُ الْأَلْبَابُ الْمُقَلُ (٢٤)

= يقول : إنه يرى الإشارة فى سرعة ، فيفهمها ، ويستجيب لها مهما خفيت ؛ ويسمع الزجر ، فيمتثله ويحتذيه ، وينقاد له ، ولو جاءه من مكان بعيد .

وصفه بدقّة الإحساس ، ورهافة الحواسّ ، وقوة الإدراك ، وسرعة فهمه لإشارات صاحبه أو راكبه ولو خفيت ؛ وسرعة السمع والطاعة ، والانقياد له إذا اضطر إلى زجره فى بعض الأحيان ؛ وهذه كلّها من صفات كرائم الخيل وجيادها .

(٢٣) النظرة : المرّة من النظر : بمعنى الإبصار . والعَجْلى (بوزن السكْرَى) : السريعة : صفة من العجلة ؛ أمّا « العجلاء » (بالمدّ) ، فلا نعرف وجهها ؛ ولعلّ الشاعر لمح مذهب الكوفيين الذين يجيزون مدّ المقصور لضرورة وزن الشعر . وعطفاه : جانباه . وعِطْف كلّ شئ : جانبه ؛ ويراد بعطفى الجواد : محاسن جسمه التى أشار الشاعر إلى بعضها فى الأبيات السابقة . وفى جياد الخيل = محاسن تسترعى انتباه المولعين بها ، وتقيّد أنظارهم . وتحتبل (بالبناء للمجهول) : تصاد . احتبل الصائد الصيد : نصب له الحبالة : وهى المصيدة ، فصاده بها . أو هى « تحتبل » (بالبناء للمعلوم) : أى تقع فى الحبالة . وفاعله ، أو نائب فاعله ضمير النظرة العجلى .

والمعنى : أن الناظر إلى هذا الجواد لا يكاد يلقى عليه نظرة سريعة خاطفة ، حتى تمرّ بعطفيه ، فتصيدها محاسنهما ، وسائر محاسن جسمه ؛ فلا يملك صاحب تلك النظرة استردادها ، بل يظلّ شاخص البصر ، رانياً إلى الفرس فى انبهار وإعجاب . والبيت الآتى يوضّح هذا المعنى ، ويعزّزه ، ويؤكّده .

(٢٤) فاعل « مرّ » : ضمير الفرس ، أو الجواد الأشقر ، الموصوف فى هذا البيت ، وسبعة الأبيات قبله ، والبيتين اللذين بعده . وحلّ العُقْدة (من باب نصر) : فكّها ، ونقضها ، وفتحها . والعقد : مصدر عقد الحبل ونحوه (من باب ضرب) : أى جعل فيه عُقْدة . وعقد طرفيه : وصل أحدهما بالآخر بعُقْدة تمسكهما . والعَقْد : نقيض الحَلّ . والحبوة (بفتح الحاء وضمها) : الاسم من الاحتباء : مصدر احتبى الإنسان بثوب ، أو حبل ، أو نحوهما : أى أداره على ساقيه وظهره ، فجمع بينها وهو جالس ، ليستند ؛ وذلك لأن الأعراب لم يكن لهم فى باديتهم حيطان أو نحوها يستندون إليها فى مجالسهم ؛ فكان الرجل منهم يقيم ركبتيه فى جلوسه ، ويعقد عليهما يديه ، أو يشدّهما إلى ظهره بثوبه أو نحوه ، فيستريح فى جلسته ، ويقوم له هذا مقام الاستناد . ويقال : حلّ فلان حبوته : أى ما يحتبى به من ثوب وغيره : أى قام ونهض . وعقد حبوته : أى جلس ، أو قعد . ثم كنّوا بحلّ الحبوة عن القيام للأمر ، والاهتمام به . واستشرفت : نظرت ، وطمحت ، وارتفعت ، وتطلّعت . ونحوه : نحو الجواد : أى جهته . والألباب : العقول ، أو القلوب ، واحدها لبّ . والمقل : العيون ؛ واحدتها مقلة (بوزن غرفة) . =

تَقُودُهُ بِنْتُ خَمْسٍ، فَهْوَ يَتْبَعُهَا وَيَسْتَشِيطُ إِذَا هَا هِيَ بِهِ الرَّجُلِ (٢٥)
أَمْضِي بِهِ الْهَوْلَ مِقْدَامًا، وَيَصْحَبُنِي مَاضِي الْغِرَارِ إِذَا مَا اسْتَفْحَلَ الْوَهَلُ (٢٦)
يَمُرُّ بِالْهَامِ مَرَّ الْبَرْقِ فِي عَجَلٍ وَقْتَ الضِّرَابِ، وَلَمْ يَعْلَقْ بِهِ بَلَلُ (٢٧)

= فى البيت السابق قال : إن النظرات السريعة العاجلة تتعلّق بمحاسن جواده ، وتحتبس فيها . وفى هذا البيت أكّد هذا المعنى بقوله : إذا مرّ بقوم جالسين نهضوا من مجالسهم ، فأقبلوا عليه ، واتجهوا إليه بعيونهم ، وعقولهم ، وقلوبهم معجبين ، منبهرين ، مفتونين .

(٢٥) تقوده : تمشى أمامه آخذة بمقوده ، وهو يتبعها فى يسر وانقياد . وبنت خمس : طفلة بنت خمس سنوات ؛ يريد أنها جمعت بين ضعف الطفولة ، وضعف الأنوثة . ويستشيط : المراد يشتدّ نشاطه ؛ وتبدو قوّته فى أشدّ حالاتها ؛ من قولهم استشاط فى الحرب : أى استقتل ، ولم يبال المهالك ، أو يستشيط غضباً ، ويلتهب غيظاً ، ويشتدّ هياجه . وها هى به : دعاه وناداه . أو زجره ، ونهره .

والمعنى على الأول : أنه كريم أصيل فى السلم والحرب ؛ فى السلم ينقاد لمن يقوده ولو كان أضعف الناس . وفى الحرب يستجيب لفارسه إذا حمّل به على الأعداء ، فيستقتل معه ، ويستميت حتى يدرك النصر ، ويبدّد الهول . والبيت الآتى يرجّح هذا المعنى ، ويعزّزه .

والمعنى على الثانى : أن اللين يطويه ؛ فيخضع للضعيف . والعنف يهيجه ؛ فيثور فى وجه القوىّ ، ويستشيط غضباً إذا زُجر أو انتُهر .

(٢٦) أمضى : أذهب ، وأزيل ؛ مضارع أمضيت الشىء : أى أذهبته ، وأزلته ، أو هو « أمضى » مضارع « مضى » إلى الشىء : أى ذهب إليه . وبه : بهذا الجواد . والهول : المخافة ، والفزع ، أو الأمر المخيف المفزع الشديد ؛ ويراد به هنا : الحرب ، وجمعه أهوال ؛ وهو منصوب على نزع الخافض ؛ والأصل : أمضى بجوادى إلى الهول . أو تعديته هنا على تضمينه معنى فعل متعدّ ، مثل « أقتحم » و « أخوض » . أو « الهول » مفعول لأجله . والمعنى : أذهب بجوادى من أجل ملاقاة الهول . ومقداماً : كثير الإقدام على العدوّ ، شجاعاً ، جريئاً فى الحروب ؛ وهو حال من فاعل « أمضى » . ويصحبنى (من باب سلم) : يصاحبنى ، ويرافقنى ، ويلازمنى . والماضى : الحادّ ، البتّار ، السريع القطع . والغرار (بوزن كتاب) : حدّ السيف والرمح ونحوهما . والشاعر هنا ينتقل من وصف فرسه إلى وصف سيفه . واستفحل الأمر : تفاقم واشتدّ ، وعظُم . والوَهَل : الخوف ، والذُّعر . والفَزَع .

يعتزّ بشجاعته وإقدامه ، واعتماده على سلاحه وجواده إذا اشتدّ الفزع ، وتفاقم الخطب ، وقامت الحرب على ساق ؛ وبهذا يستطيع مغالبة الأهوال ، وتبديد المخاوف ، وكسب النصر .

(٢٧) فاعل « يمر » ضمير مستتر ، يعود على « ماضى الغرار » : أى سيفه البتّار فى البيت السابق . والهام هنا : رءوس المحاربين من الأعداء ، وأجسادهم ، الواحدة هامة : وهى الرأس ، أو أعلاه ، أو وسطه . وتجمع أيضاً على « هامات » . وفى عجل : تكرار وتأكيد لمعنى مرور البرق . والضراب : الجلاد ، والقتال =

تَرَى الرِّجَالَ وُقُوفًا بَعْدَ فَتْكَتِهِ ... بِهِمْ ، يُظَنُّونَ أَحْيَاءً وَقَدْ قُتِلُوا(٢٨)

كَأَنَّهُ شُعْلَةٌ فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ ... تَهْفُو بِهَا الرِّيحُ أَحْيَانًا وَتَعْتَدِلُ(٢٩)

لَوْلَا الدِّمَاءُ الَّتِي يُسْقَى بِهَا نَهَلًا ... لَكَادَ مِنْ شِدَّةِ اللَّأْلَاءِ يَشْتَعِلُ(٣٠)

= مصدر ضاربه : أى غالبه فى الضرب ، أو ضرب كلٌّ منهما الآخر . ولم يعلق به : لم يعلق بالسيف : أى لم يتصل به ، أو لم يصل إليه ، أو لم يصبه . والبلل : الندى ، والماء ؛ ويراد به هنا : دم القتلى ، والجرحى من الأعداء .

والمعنى : أنه يفلّق بسيفه البتّار هامات المحاربين من أعدائه إبّان الجلاد والقتال تفليقاً عاجلاً سريعاً ، كأنه البرق الخاطف ؛ وسيفه لا يكاد يصيب مقتل الرجل حتى يفارقه قبل أن يتفجر منه الدم ؛ ليصيب غيره ، وهكذا ؛ ولهذه السرعة الخاطفة لم يبتل بشىء من دماء المصابين .

والبيت الآتى تكرار وتأكيد لمعنى هذه السرعة الخاطفة المذهلة ؛ والغرض الفخر بشجاعته وإقدامه ، وسرعة حركاته فى الحروب ، ومهارته فى استخدام أسلحة القتال .

(٢٨) وقوفاً : واقفين : جمع واقف. والفتكة : اسم مرة من فتك به (من بابى ضرب ونصر) : أى اغتاله ، أو قتله مجاهرة .

يقول : إن سيفه يفتك بأعدائه فتكاً سريعاً خاطفاً ذريعاً ؛ ولهذه السرعة الخاطفة المذهلة يظلون برهة واقفين بعد فتكه بهم ؛ فيخيل إلى من يراهم أنهم أحياء ، وهم فى الحقيقة قتلى ؛ وهو تكرار وتأكيد لمعنى البيت السابق .

(٢٩) كأنه : كأن « ماضى الغرار » : أى سيفه البتار ، والشعلة : لهب النار . وقائمة : ظاهرة . و « فى الكف » متعلق بقائمة . وتهفو بها الريح : تحركها ، وتميلها .

يشبه سيفه فى يده — لامعاً ، مشرقاً ، متلألئاً ، مستطيلاً ، كثير الحركة ، سريعها — بشعلة من النار قائمة فى كفه ، منتصبة ، ظاهرة ، يحركها الهواء ؛ فتميل وتضطرب ، ويسكن عنها ؛ فتستقيم وتعتدل ؛ وهذه صورة دقيقة صحيحة للسيف فى يد مثله وقت الجلاد والضراب .

(٣٠) « لولا » : حرف يدل على امتناع شىء لوجود غيره ، وهى هنا داخلة على جملتين : اسمية ، فعلية ؛ لربط امتناع الثانية بوجود الأولى ؛ فالاشتعال ممتنع لوجود الدماء التى يسقى بها. ونائب فاعل « يسقى » ضمير السيف ، الموصوف فى هذا البيت ، والبيت الآتى ، وأربعة الأبيات السابقة . ويسقى بها نهلا : يسقى بها سقيا مرويا تاماً : مصدر نهل (من باب فرح) : أى شرب حتى روى . وكاد يفعل كذا : هم به ، وقاربه ، ولم يفعله . ويلاحظ أن هذا الفعل لا يلائم المبالغة المقصودة هنا ؛ إذ المراد : لولا الدماء التى يسقى بها ، ويروى منها « ماضى الغرار : أى سيفه البتار » لاشتعل اشتعالا من شدة لألائه . أما مقاربة الاشتعال فلا تنهض بالمبالغة ؛ ولو وضع « كان » مكان « كاد » لاستقام له ما يريده . واللألاء : ضوء فيه لمعان واضطراب وحركة . ويشتعل : يتقد ، ويلتهب ، كما تشتعل النار . =

يَفُلُّ مَا بَقِيَتْ فِى الْكَفِّ قَبْضَتُهُ كُلَّ الْحَدِيدِ ،وَلَمْ يَثْأَرْ بِهِ فَلَلُ (٣١)

بَلْ رُبَّ سَارِيَةٍ هَطْلَاءَ دَانِيَــةٍ تَنْمُو السَّوَامُ بِهَا ،وَالنَّبْتُ يَكْتَهِلُ (٣٢)

= وصف سيفه بشدة التألق والتلألؤ ، والبريق واللمعان ، وأشار إلى كثرة ما يسيله من دماء أعدائه المحاربين ، وكثرة قتلاهم وجرحاهم ؛ وقال : إن هذه الدماء الكثيرة الغزيرة المتدفقة تسقيه وترويه ؛ فتخمد حدة تألقه وتلألئه ، ولولاها لا شتعل اشتعالا من شدة لألائه وتوهجه .

(٣١) يفل : يثلم ، ويكسر . (وبابه رد) . وفاعله ضمير « ماضى الغرار » : أى السيف البتار فى البيت السادس والعشرين . ومفعوله « كل الحديد » . و « ما » : مصدرية ظرفية : أى يفل مدة = بقائه فى كف صاحبه المقاتل به : وهو الشاعر : أى يفل ما بقيت قبضته فى كفى. وقبضة السيف : مقبضه ، حيث تمسكه كف الضارب به . ويراد بـ « كل الحديد » : الدروع ، والبيضات ، والخوذات ، وسائر الحلق والأسلحة . وثأر بالقتيل (من باب منع) : أخذ بدمه ، وقتل قاتله . ولم يثأر به : لم يثأر بكل الحديد ؛ لأنه هو المفلل المثلم ، المشبه بالقتيل . والفلل : انثلام حد السيف ونحوه : أى تكسر شفرته وتلفها . وهو فاعل « يثأر » : أى ولم يصب هذا السيف شيء من التفلل ، أو التثلم ، أو التكسر ؛ فيكون كالثائر منه الحديد الكثير الذى فلله ، وثلمه ، وأتلفه . والواو فى الشطر الثانى : واو الحال . والجملة الفعلية بعدها حالية .

يقول : إن سيفه هذا يفل كل ما يصادفه ، أو يقف فى طريقه من أسلحة التوقى والقتال ، ما دام ممسكاً بمقبضه ، ضارباً به ، مجالداً ؛ ويبقى مع هذا كله ، وبعد هذا كله سليما قاطعاً ، لا تتفلل مضاربه ، ولا يكاد يصيبه شيء من الانثلام .

ختم الشاعر بهذا البيت ستة أبيات فى وصف سيفه؛ وانتقل فى الأبيات الآتية إلى وصف يوم من أيام الطرد والصيد .

(٣٢) السارية : السحابة تأتى ليلا : فاعلة من السرى (بوزن الهدى) : وهو سير عامة الليل . وهطلاء : هاطلة : أى : ممطرة ، يهطل مطرها متتابعاً ، متفرقاً ، عظيم القطر . ودانية : قريبة. وتنمو : تزيد ، وتكثر . والسوام ، والسائمة : الماشية والإبل الراعية . سامت الماشية (من باب قال) : أى رعت ، ورتعت ، وأكلت كيف شاءت فى خصب وسعة . وبها : بالسارية الهطلاء : أى بما ينبته مطرها من الكلأ والمرعى . والنبت : النبات . واكتهل النبت : تم طوله ، وظهر نوره .

وصف هذه السحابة الليلية بأنها غزيرة المطر ، عظيمة القائدة ، قريبة من الأرض ، وأشار إلى بعض آثارها من كثرة المرعى ، واكتهال النبات ، ونماء الماشية .

انتقل الشاعر فى هذا البيت والأبيات التالية إلى وصف يوم من أيام الطرد والصيد ، بعد أن وصف سيفه فى ستة الأبيات السابقة . ويلاحظ أنه لم يمهد لهذا الانتقال ، كما يلاحظ أن الاقتضاب ، والطفرة ، وضعف الروابط بين أغراض القصيدة ، وفنون القول — من صفات الشعر الجاهلى الذى يحاكيه الشاعر هنا ، ويجرى على أسلوبه .

كَأَنَّ آثَارَهَا فِى كُلِّ نَاحِيَــةٍ ‎ ‏رَيْطٌ مُنَشَّرَةٌ فِى الْأَرْضِ ، أَوْ حُلَلُ (٣٣)

يَمَّمْتُهَا بِرِفَاقٍ إِنْ دَعَوْتُ بِهِمْ ‎ ‏لَبَّوْا سِرَاعًا ، وَإِنْ أَنْزِلْ بِهِمْ نَزَلُوا (٣٤)

قَصْدًا إِلَى الصَّيْدِ ، لَا نَبْغِى بِهِ بَدَلًا ‎ ‏وَكُلُّ نَفْسٍ لَهَا فِى شَأْنِهَا عَمَلُ (٣٥)

---

(٣٣) آثارها : آثار السارية المطلاء فى البيت السابق . وفى كل ناحية : إشارة إلى اتساع هذه الآثار ، وعظمتها . والريط : جمع ريطة : وهى الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ، ونسجاً واحداً . وكل ثوب يشبه الملحفة . ومنشرة : منشورة ، مبسوطة ، غير مطوية : اسم مفعول من نشر الثوب ونحوه — تنشيراً : أى نشر ، وبسط . وتشديده للكثرة والمبالغة . والحلل : جمع حلة (بوزن قلة وقلل) : وهى الثوب الجيد الجديد ، أو الثوب الساتر لجميع البدن ، أو الثوب ببطانته ، أو ثوبان من جنس واحد ، أو ثلاثة أثواب ، وقد تكون قميصاً ، وإزاراً ، ورداء .

صور بالتشبيه آثار هذه السحابة الممطرة ، أو السارية الهاطلة الدانية ؛ فيما أخذت الأرض زخرفها وازينت — فى مساحة واسعة — بخضرة الكلأ ونضرته ، وأنوار النبات وأزهاره ؛ فكأنها اكتست بالجيد الجديد من الحلل ، والفاخر البهيج من الثياب ، والمطرز الموشى من الرياط ، والملاحف ، والملاءات .

(٣٤) يممتها : يممت آثار هذه السحابة : أى قصدتها ، وأردتها ، واتجهت إليها . ويراد بآثارها : المروج ، والمراعى ، والرياض التى جادتها هذه السارية ، وعمتها بأمطارها . وبرفاق : مع رفاق : أى صحاب : جمع رفقة : وهم جماعة المرافقين : أى المصاحبين . ودعوت بهم : استحضرتهم ، وصحت بهم ، وناديتهم . ولبوا : أجابوا ، وأطاعوا . وأصله الإقامة . يقال : لب بالمكان (من باب رد) : أى أقام به ، ولزمه ، ثم توسعوا فى استعماله؛ كأن من استدعى ، فلب — قال المستدعى : أنا مقيم على طاعتك ، مستجيب لك . أو هو « لبَّوْا » . يقال : دعا المرء أخاه ، فلباه تلبية : أى قال له : « لبيك » : وهو مصدر منصوب ، ثنى على معنى التأكيد : أى إجابة لك بعد إجابة ، وإقامة على طاعتك بعد إقامة . وسراعاً : حال من فاعل « لبى » أو « لب » وهو واو الجماعة : أى لبوا مسرعين . ومفرده سريع (بوزن ظريف وظراف) . ونزل (من باب جلس) : هبط من علو إلى سفل . ونزل بالمكان ، ونزل فيه : حل به ، وأقام . و « بهم » : مصاحباً لهم ؛ فالباء هنا للمصاحبة . أو هى للتعدية ؛ لتناسب « إن دعوت بهم لبوا سراعاً » : أى إن ناديتهم أجابونى مسرعين ، وإن أنزلتهم فى مكان نزلوا معى مطيعين .

يقول : إنه قصد إلى المروج التى جادتها هذه السحابة ، ومعه رفقة يتبعونه ، ويسايرونه مطيعين ، مستجيبين سراعاً لنداءاته ودعواته .

وهو بهذا يمهد لوصف يوم من أيام الطرد والصيد ، فى خمسة الأبيات الآتية ؛ فى المروج والمراعى تكثر الظباء والوحوش ، وما يصاد من حيوان البر .

(٣٥) « قصداً » : حال ، بمعنى « قاصدين » من فاعل « يمم » فى البيت السابق ، أو مفعول لأجله ، أو مفعول مطلق لفعل محذوف : أى قصدنا إلى الصيد قصداً . والصيد : مصدر صاده ، واسم لما يصاد . ولا نبغى : لا نبتغى ، ولا نطلب . والشأن : الأمر والحال .

حَتَّى إِذَا أَلْمَعَ الرُّوَّادُ مِنْ بَعَدٍ ... وَجَاءَ فَارِطُهُمْ يَعْلُو وَيَسْتَفِلُ(٣٦)

تَغَاوَتِ الْخَيْلُ، حَتَّى كِدْنَ مِنْ مَرَحٍ ... يَذْهَبْنَ فِي الْأَرْضِ لَوْلَا اللُّجْمُ وَالشُّكُلُ(٣٧)

فَمَا مَضَتْ سَاعَةٌ، أَوْ بَعْضُ ثَانِيَةٍ ... إِلَّا وَلِلصَّيْدِ فِي سَاحَاتِنَا نُزُلُ(٣٨)

= يقول : إننا عمدنا إلى الصيد، لا نبتغي غيره ، ولا نطلب بدلا منه ، ولا نريد شيئاً سواه ، ولم نشتغل فى ذلك اليوم إلا به . والشطر الثانى تذييل فى هذا المعنى ، مؤكد له ؛ فكل نفس تعمل للأمر الذى تقصده . أو كل نفس لها عملها فيما يهمها من شئون العيش والحياة .

(٣٦) «إذا» : ظرف لما يستقبل من الزمان، وفيها معنى الشرط ، وجواب الشرط فى البيت الآتى ، وهو «تغاوت الخيل» . وجملتا الشرط والجزاء : «حتى إذا ألمع الرواد تغاوت الخيل» . وألمع بيده أو بغيرها أشار. والروّاد : جمع الرائد : وهو من يتقدّم القوم ؛ ليبصر لهم الكلأ، ويرود المرعى ، ويكشف مساقط الغيث، ويلتمس النُّجْعة؛ وقد يرسل القوم رائدهم فى غيرهذا من الأمور . والروّاد هنا : من أرسلهم الشاعر ورفاقه للبحث عن الصيد : أى عما يستطاع صيده من الظباء وغيرها . ومن بَعَد : من مكان بعيد . أو من بُعْد (بضم فسكون) . وفارطهم : فارط الرواد: أى متقدمهم ، وسابقهم ، ورسولهم الذى أرسلوه إلى الشاعر ورفاقه يبشرهم بما عثروا عليه من الصيد، بعد إلماعهم بهذا من بُعْد . ويعلو ، ويستفل : يرتفع ، ويهبط : أى يجتاز فى عَدْوه ، أو سيره إليهم النجاد والوهاد، ومرتفعات الأرض ، ومنخفضاتها . واستفل يستفل : ضد علا يعلو.

(٣٧) تغاوت (بالغين المعجمة): جواب «إذا» الشرطية فى البيت السابق. ومعناه : تألَّبَتْ ، وتجمعت ، ونَشِطَتْ لمطاردة الصيد؛ لأنها أحست إشارة الروّاد، وفطنت لما حمله فارطهم من البشرى . أو هو «تعاوت» (بالعين المهملة) بالمعنى السابق أيضاً . والمرح : فرط النشاط ، وشدّة الفرح. ويذهبن فى الأرض : ينطلقن . واللجم : جمع لجام (بوزن كتاب وكتب) : وهو الحديدة فى فم الفرس . ثم سموها مع مايتصل بها من الحكمتين ، والعذارين، والسير - لجاما . والشكل: جمع شكال (بوزن كتاب وكتب): وهو القيد ، وحبل تشد به قوائم الدّابة ، ووثاق بين يد الدابة ورجلها كالقيد .

ومعنى هذا البيت والذى قبله : أن الرواد أشاروا من بعُد للشاعر وأصحابه بالعثور على الصيد، وأرسلوا فارطهم يطوى الأرض مبشراً ، مؤكداً إشارتهم؛ فاشتد لهذا مرح الخيل، وتجمّعت، ونشطت للطراد، وكثرت حركاتها ؛ ولولا قيودها وألجمتها لانطلقت فى الأرض، وسبقت أصحابها إلى الطرد والصيد ؛ فإنها مدرّبة عليهما ، متمرّسة بهما ، ماهرة فيهما .

(٣٨) الساعة : جزء من أجزاء الوقت، والحين وإن قلّ، وجزء من أربعة وعشرين جزءاً من الليل والنهار : أى ستون دقيقة ؛ ويبدو أن هذا المعنى هو المراد هنا . و«أو» : حرف عطف ، وهى هنا بمعنى «الواو» ، وتفيد مطلق الجمع. وبعض ثانية : أى وبعض ساعة ثانية : يريد أن أعمال الطرد والصيد لم تستغرق من الوقت غير ساعة واحدة ، وجزء من ساعة أخرى. وإذا كانت «أو» هنا مفيدة للشكّ ، كما فى قول الله تبارك وتعالى: «قالوا : لبثنا يوماً، أو بعض يوم» الآية رقم ١٩ من سورة الكهف - كان =

فَكَانَ يَوْمًا قَضَيْنَا فِيهِ لَذَّتَـنَا ... كَمَا اشْتَهَيْنَا ؛ فَلَا غِش ، وَلَا دَغَلُ[39]

هٰذَا هُوَ الْعَيْشُ ،لَا لَغْوُ الْحَدِيثِ ،وَلَا ... مَا يَسْتَغِيرُ بِهِ ذُو الْإِفْكَةِ النَّمِلُ[40]

ـ المعنى : أن أعمال الطرد والصيد استغرقت من الوقت ساعة ؛ أو بعض ساعة ؛ فهم غير متثبّتين فى تقدير وقت الطَّرَد ، وقد قدّروه على وجه الشكّ والظنّ والتخمين ، لا على الاستيثاق والتثبت واليقين . ويراد بالصيد هنا : ما صادوه . والساحات : جمع ساحة : وهى المكان الواسع ، وفضاء بين الدور ، لابناء فيه ، ولاسقف له . والنزل (بضمتين ، أو بفتحتين ، أو بفتح فكسر) : المنزل ، أو المكان يُنْزَل فيه. ومعنى البيت على هذ : أننا على إثر ما بشّرنا به فارطنا ، سارعنا بخيلنا إلى الطَّرَد ، فما هى إلاّ برهة يسيرة ، حتى كانت ساحاتنا مستقراً لما ظفرنا به من الصَّيد النافر . والنزل (بضمتين ، أو بضم فسكون) : طعام يهيّأ للنزيل : أى الضيف . والمعنى على هذا : أننا أعددنا فى ساحاتنا للصيد الذى صدناه ما يحتاج إليه من الطعام والشراب . والنزل (بضمتين ، أو بضم فسكون ، أو بفتحتين ، أو بفتح فكسر) : الطعام الكثير ، الزاكى النامى ، ذو الخير والبركة ؛ أو نماء الطعام ، وزكاؤه ، وزيادته ، وبركته ، وكثرة ريعه. واللام فى « للصيد » : بمعنى « من » . والمعنى على هذا : أننا جعلنا مما صدناه قِرًى لمن ينزل بنا . أو : وكان لنا مما صدناه طعام زاك نام ، كثير الخير والفائدة .

(٣٩) فكان يوماً . . . يريد يوم الطَّرَد والصيد الذى وصفه فى هذا البيت ، وأربعة الأبيات السابقة . وقضى وطَرَه أو حاجته: بلغها ، ونالها . وقضى لذته : أتمها ، وبلغ غايتها . واشتهى الشىء : اشتدّت رغبته فيه ، وتمناه . والدغَل : الفساد ، والرِّيبة . وعيب فى الأمر يفسده .

ينوّه بيوم الطَّرَد والصيد ، واجتماعه فيه برفاقه على الإخلاص والصفاء والنقاء ، وصدق الوداد ، وحسن التعاون ؛ وبهذا قَضَـوْا فى ذلك اليوم وطرهم ، وبلغوا غاية ما تمنّوه واشتهته نفوسهم من المتعة واللذّة .

(٤٠) هذا : إشارة إلى يوم الطرد والصيد ، وما كان لهم فيه من متعة ولذة ، وصفاء ، ورخاء بال . والعيش : المعيشة ، والحياة . والحديث : كل ما يُتَحَدّث به من كلام وخبر . ولغو الحديث : سَقَطه ، وما لا يُعْتَد به منه ، وما لا خير فيه ، ولا فائدة . ويستغير : يغير ، ويهجُم ، ويعتدى . والأفكة (بكسر الهمزة وفتحها) : الكذب ، والخداع . وذو الإفكة : الكذاب المخادع . والنمل : النمام . والنميلة : النميمة ، والوِشاية ، والتوريش ، والتحريش ، والإغراء ، وتزيين الكلام بالكذب ، والسعى بالفساد بين الناس .

يشير إلى يوم الطرد والصيد الذى صاحب فيه جماعة من إخوان الصفاء ؛ فقضوا فيه وطرهم ، وحققوا مآربهم ، فى مرح ولذة ، ومتعة ، وعفة قلب ولسان ، وصدق وداد ، ورخاء بال ، وهناءة حال .

إنَّ النَّمِيمَةَ وَالْأَفْوَاهُ تُضْرِمُهَا نَارٌ مُحَرِّقَةٌ لَيْسَتْ لَهَا شُعَلُ[٤١]
فَاتْبَعْ هَوَاكَ، وَدَعْ مَا يُسْتَرَابُ بِهِ فَأَكْثَرُ النَّاسِ - إنْ جَرَّبْتَهُمْ - هَمَلُ[٤٢]

- ويقول : إن هذه هي الحياة الطيّبة الممتعة ، المنيئة المحمودة ؛ وليست الحياة فى مجالسة ذوى الإفك والكذب والنميمة ، ومصاحبة الواشين ، المخادعين ، الساعين بين الناس بالفساد ؛ وليست فى تضييع الوقت فى لغو الكلام وسقطه وباطله ، ومالا خير فيه ، ولا فائدة منه .

وهذا كلّه توطئة وتمهيد للانتقال من وصف يوم الصيد إلى تسعة أبيات أجراها مجرى الحكم والأمثال، وضمنّها بعض نصائحه وإرشاداته .

(٤١) النميمة : اسم من نم الحديث (من بابى قتل وضرب) : أى سعى به ليوقع فتنة ، أو وحشة . أو أظهره بالوشاية ، ورفعه على وجه الإشاعة والإفساد . ونمّ بين الناس: ودّشّ، وأغرى . ونم الكلام : زيّنه بالكذب . والأفواه: جمع الفوه : وهو الفم . ويراد بالأفواه هنا : الألسنة . وتضرمها: توقدها، وتلهبها ، وتشعلها : أى تُضرم النميمة، على تشبيهها بالنار . وجملة: « والأفواه تضرمها » : حال من النميمة . ومحرّقة : اسم فاعل من التحريق؛ وتشديد الراء للدلالة على الكثرة . والشعل: جمع شعلة (بوزن غرفة وغرف) : وهى لهب النار ، وما أشعلتها به من الحطب ونحوه . وليست لها شعل : كناية عن خفاء هذه النار ، واستتارها ، على الرغم من أنها فظيعة التحريق ، شديدة الإتلاف والتمزيق ، ويلاحظ أن أصل النميمة فى اللغة : الهمس ، والحركة الخفيفة الخفية .

فى البيت السابق استقبح استفارة النمّام الأفّاك، واستشنع إفكه ونميمته، وأخرجه من عداد ذوى الحياة الطيبة الكريمة ، النقية المحمودة . وفى هذا البيت شبه النميمة يوقدها لسان النمّام - بالنار الشديدة الحامية الخفيّة، تُحرق المودّة بين المنقول عنه والمنقول إليه ، وتفسد أحوال الناس، وتمزّق الأواصر ، وتقطع الصلات ، وتوقظ الفتنة ، وتبعث الخصومات والعداوات .

(٤٢) الهوى : مصدر هويه يهواه (كرضيه يرضاه) : أى أحبّه ، واشتهاه ، وجمعه أهواء . والهوى: الشيء الذى تهواه . ودع : اترك ، واجتنب. واستراب به: رأى منه،ما يكرهه، ويريبه: أى يجعله شاكاً غير مستيقن . أو يرميه بالريبة: وهى الظن ، والشك ، والتهمة . وفى الحديث: « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » . ودع ما يستراب به : اجتنب الأمور التى يراها الناس ، أو تراها أنت مدعاة للظنة، والشك ، والتهمة : أى الاتهام . والهمَل : المهمل ، المتروك ليلا ونهاراً بلا رعاية ، ولا عناية .

والمعنى : استجب لأهوائك ، واتبع ميول نفسك ، وحقّق لها رغباتها ما دامت سليمة مستقيمة ، وما دمت بعيداً عن الريب والشكوك، والتهم والشبهات، مجتنباً كل ما يشينك ويعيبك ، ويسوء ظنّ الناس بك ؛ فإذا التزمت هذا المنهج ، فلا تكترث لنقد الناس ، ولا تباله ؛ فإن أكثرهم - مع التجربة - همل لا يؤبه له ، ولا يعتد به ، ولا يعول عليه .

وَاحْذَرْ عَدُوَّكَ تَسْلَمْ مِنْ خَدِيعَتِهِ إِنَّ الْعَدَاوَةَ جُرْحٌ لَيْسَ يَنْدَمِلُ[43]

وَعَالِجِ السِّرَّ بِالْكِتْمَانِ تَحْمَدُهُ فَرُبَّمَا كَانَ فِي إِفْشَائِهِ الزَّلَلُ[44]

وَلَا تَكُنْ مُسْرِفًا غِرًّا ، وَلَا بَخِلًا فَبِئْسَتِ الْخَلَّةُ :الْإِسْرَافُ ،وَالْبَخَلُ[45]

---

(٤٣) الخديعة : اسم من خدعه (من باب قطع) : أى ختله ، وغرّر به ، وأظهر له خلاف ما يخفيه ، وأراد به السوء والمكروه من حيث لا يدرى . ويندمل : يلتئم ، ويتماثل ، ويبرأ .

يدعو إلى الاحتراز من العدو ، والإقامة على توقّيه ؛ وبهذا يسلم المحترز من شر أعدائه ومكرهم ، وختلهم ، وخديعتهم .

والشطر الثانى تذييل جار مجرى المثل ، مؤكّد لمعنى الشطر الأول ؛ وفيه زيادة تحضيض على الحذر ، والتوقى ، والاحتراس ؛ فإن عداوة العدو داء عياء ، لا دواء له ، وجرح دام لا يرجى برؤه ، أو اندماله ، والتئامه؛ والعداوة — قطعاً — تنتج الشر والأذى ، وتدعو إلى الختل والخديعة ، وتغرى بالكيد والمكر السيئ ، والتربص بالمعادى ، وإضمار الحقد والعدوان .

(٤٤) عالج الشىء معالجة وعلاجاً : زاوله ومارسه، وعالج المريض: داواه ، ويراد بعلاج السر بالكتمان : المحافظة عليه ، وصيانته ووقايته ؛ لأن إفشاءه ، أو التفريط فى كتمانه ، والتهاون بإخفائه يذهب بقيمته ، ويضيع فائدته ، ويجعله مصدر شرّ وأذى ، وسبب آفات وأضرار . وتحمده : مضارع حمده (كفهمه) . أو تُحْمِده : مضارع أحمده إحماداً: أى تجده محموداً ، وترضى عنه ، وترتاح له: أى تجد الكتمان محموداً، أو تجد السر محمود العاقبة بالكتمان؛ وذلك لأن السر لا يرجى خيره إلا بكتمانه، والمبالغة فى ستره وإخفائه؛ ويلاحظ أن الفعل « تحمد » مرفوع ؛ وحقه أن يجزم جرياً على الكثير الغالب واللغة العالية الفصيحة ؛ لأنه واقع فى جواب الأمر ، وهو « عالج » . ويجوز أن نعرب جملة « تحمده » حالا من فاعل « عالج » : أى عالج السّر بالكتمان وأنت تحمده . أو حامداً له ؛ وبهذا الإعراب يجرى الكلام على الفصحى ، ويستقيم على الطريقة المثلى . و « ربّ » : حرف جرّ ، معناه هنا التكثير وقد اتصلت به « ما » الزائدة ، فكفته عن جرّ ما بعده ، وهيأته للدخول على الجمل الفعلية . والزلل : السقوط والضرر .

والمعنى : أن السر لا قيمة له ، ولا فائدة منه ؛ ولا تحمد عاقبته إلا إذا حوفظ عليه ، وبولغ فى صيانته ووقايته ، بإخفائه وكتمانه ؛ أما التفريط فيه ، أو التهاون به ، فإنه يجلب الندم والضرر ، والأذى والزلل ، وسوء العواقب ، وشرّ المغبات .

(٤٥) أسرف إسرافاً : جاوز القصد . وأسرف فى ماله : بذره تبذيراً ، وأنفقه فيما لا ينبغى . والمسرف : اسم فاعل منه . والغر : من يجهل الأمور ، ويغفل عنها ، وينخدع إذا خُدع ؛ لقلة —

وَلا يَهُمَّنْكَ بَعْضُ الْأَمْرِ تَسْأَمُهُ لا يَنْتَهِي الشُّغْلُ حَتَّى يَنْتَهِي الْأَجَلُ(٤٦)

وَاعْرِفْ مَوَاضِعَ مَا تَأْتِيهِ مِنْ عَمَلٍ فَلَيْسَ فِي كُلِّ حِينٍ يَحْسُنُ الْعَمَلُ(٤٧)

— تجربته، وعدم فطنته؛ وقد جعله الشاعر صفة للمسرف ؛ كأن الإسراف فى المال من الغرارة ، والغفلة ، وقلّة الفطنة ، ونقص التجربة . وبخل (من أبواب تعب ، وقرب ، وفهم) ، فهو بخل (بوزن شره) . أو بخل (بفتحتين) : وصف بالمصدر . والخلة : الخصلة (بفتح فسكون فيهما) : وهى خلق فى الإنسان، يكون فضيلة ، أو رذيلة . يقال : فيه خلة حسنة ، وخلة سيئة . وجمعها خلال . وتفصيل الكلام هنا : فبئست الخلة الإسراف والتبذير ومجاوزة القصد فى الإنفاق ؛ وبئست الخلّة البخل والشح والتقتير والحرص الممقوت .

يدعو إلى فضيلة القصد والاعتدال ، ويذم رذيلتى البخل والإسراف ، وينهى عنهما ، وعما يلابس الإسراف من الغرارة والجهل ، والغفلة والانخداع .

(٤٦) لا يهمنك : لا يحزننك . همه الأمر (من باب ردّ) ، وأهمّه : أقلقه ، وحزنه ، وأزعجه ، وأثار اهتمامه واغتمامه . والأمر : الحال ، والشأن . وجمعه أمور . والأمر : الطلب ، أو الشىء المأمور به ، وجمعه أوامر . وأمرته بكذا : إذا فرضته عليه ، وكلفته أن يفعله . وسئمه (من باب تعب) : ملّه ، وضجر منه ، وتبرم به . وانتهى الشىء : بلغ نهايته وغايته ومداه . والشغل (بضم فسكون) : ضدّ الفراغ ؛ ويطلق على العمل، وعلى ما يعمل . أو هو بفتح الشين وسكون الغين : مصدر شغله بكذا (من باب نفع) : أى جعله مشغولا به . وشغله الأمر كذلك . والأجَل : المدّة المضروبة لحياة المرء . وجاء أجله : حان موته . وجمعه آجال .

ومعنى البيت : إذا مارست أمراً من أمور الحياة ، أو أوامرها ؛ فأهمك بعضه وحزنك وأضجرك ؛ فلا تبتئس ، ولا تيئس ، واطرد الملل والسآمة والضجر ، واستعن عليه بالصبر والرفق والأناة ، وعالجه بالجدّ والدأب والمعاناة ؛ حتى ينطاع لك ، وتتغلب عليه .

والشطر الثانى تذييل يؤكد هذا المعنى ويعززه ؛ فالحياة الدنيا كلها عمل ونَصب وجهاد ؛ والإنسان إنما خلق فيها ليجد ويعمل ويدأب ما دام حياً ، ولا ينتهى عمله فيها إلا بانتهاء حياته .

(٤٧) مواضع : أماكن : جمع موضع (بوزنى مسجد ، ومذهب) . وأتى الأمر يأتيه (من باب رمى) : فعله . والحين : الوقت ، وجمعه أحيان .

ومعنى الشطر الأول : أن نجاح الأعمال وإحسانها يتطلب تنظيمها وترتيبها فيما يلائمها ويناسبها من الأزمنة والأمكنة ؛ فإذا أحسن المرء تقسيم أعماله وأوقاته ، وعرف كيف يتخير لكل عمل موضعه من وقته — نجحت أعماله ، واستيسرت له أموره ، وأعانته هذه المعرفة ، وهذا التقسيم والتنظيم على الإحسان والإتقان .

فَالرَّيْثُ يُحْمَدُ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ ، كَمَا فِي بَعْضِ حَالَاتِهِ يُسْتَحْسَنُ الْعَجَلُ (٤٨)

هَذَا هُوَ الْأَدَبُ الْمَأْثُورُ ، فَارْضَ بِهِ عِلْمًا لِنَفْسِكَ ؛ فَالْأَخْلَاقُ تَنْتَقِلُ (٤٩)

= والشطر الثانى تذييل فى هذا المعنى ؛ فالعمل يحسن ، ويجود ، ويسهل إذا عمل فيما يناسبه من الوقت . وعلى العكس يسوء ، ويقبح ، ويصعب ، ويتعثر إذا وقع فى زمن لا يلائمه .

(٤٨) الريث : الإبطاء: مصدر راث (من باب باع). وضده العَجَل . ومثله العَجَلة ، (وفعله من باب طرب) وفى مثل : « رب عجلة أعقبتْ ريثا » . والامور : الاحوال ، والشئون ، واحدها أمر .

يدعو إلى مراعاة ما يتطلبه كلّ أمر من الريث ، أو العجلة ؛ فنى بعض الأحوال يستحسن التأنى ، ويطلب ، فتحمد عواقبه . وقد تتطلب الحال العجلة ، فتنتج النجح والسلامة . وفى البيت السابق دعا إلى حسن تنظيم الأعمال فيما يناسبها من الأزمنة والأمكنة ؛ ومما يتصل بهذا التنظيم ويلائمه ، مراعاة ما تتطلبه الأمور من الريث ، أو العجلة ؛ وهو ما دعا إليه فى هذا البيت الذى أخذه من البيتين الآتيين :

قد يدرك المتأنى بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

وربما ضرّ بعض الناس بطؤهم وكان خيراً لهم لو أنهم عجلوا

(٤٩) هذا : يشير إلى ما حض عليه ، ودعا إليه فى تسعة الأبيات السابقة من الفضائل والمحامد ، ومما نفر منه ، ونهى عنه من الرذائل والمقابح . والأدب : رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغى من مكارم الأخلاق ، ومحاسن الخصال . والمأثور : المنقول ، ينقله الخلف عن السلف . وأثر الحديث عن غيره (من بابى نصر ، وضرب) : نقله ، وذكره ، ورواه . والعلم : المعرفة . وعلماً لنفسك : علماً يروض نفسك ، ويؤدبها ، ويهذبها ، ويمهد لها طرق الخير والسعادة . والأخلاق : جمع خلق (بضمتين ، أو بضم فسكون) : وهو السجيّة ، والغريزة ، والطبيعة ، والعادة ، أو هو حال النفس راسخة ، تصدر عنها الأفعال من غير حاجة إلى فكر وروية . وانتقال الأخلاق - بالمعانى المتقدمة - يكون بالقدوة ، والتوجيه ، والدعاية ، والتعليم ، ورواية المأثور من الحكم والأمثال ، والإفادة من الوصايا والمواعظ ، والإقبال على الأدب الرفيع العالى شعره ونثره .

ينوه بما تضمنته الأبيات التسعة الماضية من نصح وإرشاد ، ومَثَل وحكمة ، وتنبيه وتوجيه ، وترغيب وترهيب تناول بعض الفضائل والرذائل .

ويقول : إن هذا هو الأدب الذى ينبغى أن يؤثر ويروى ، ويتناقله الناس راضين مغتبطين ، يعرفونه =

مِنْ كُلِّ بَيْتٍ إِذَا الْإِنْشَادُ سَيَّرَهُ فَلَيْسَ يَمْنَعُهُ سَهْلٌ، وَلَا جَبَلُ[٥٠]
لَمْ تُبْنَ قَافِيَــةٌ فِيهِ عَلَى خَلَلٍ كَلَّا، وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي رَصْفِهَا الْجُمَلُ[٥١]

= ويتعلّمونه ، ويؤدبون به أنفسهم ، ويأخذونها باستقامة السلوك ، ومكارم الأخلاق ؛ ولا غرو ؛ فإن الأخلاق تنتقل بالقدوة والتوجيه ، والتعليم والترغيب .

والشاعر فى هذا البيت وفى خمسة الأبيات الآتية إلى نهاية هذه القصيدة — ينتقل من الحكمة والنصح والإرشاد إلى الفخر بأدبه وشعره .

(٥٠) « من » : بيانية . و « كل بيت » : بيان لأدبه الذى نوه به فى البيت السابق : يريد تسعة الأبيات التى وردت قبله ، وجرت مجرى الحكم والأمثال . وقد يقصد التعميم ، ويعنى كل بيت من أبيات هذه اللامية المطولة ، أو كل بيت فى ديوان شعره الذى لا يفتأ يبتهى به ، ويفخر فى غير سرف أو مغالاة . والإنشاد : مصدر أنشد شعراً : أى قرأه ، رافعاً به صوته . وسيره : أساره ، وأذاعه : أى جعله سائراً منشوراً ذائعاً بين الناس . ويمنعه : يكفه ، ويصدّه ، ويعوّقه ، ويقفه . والسهل : ما انبسط من الأرض : وهو خلاف الحزن ، والهضبة ، والجبل . وجمعه سهول .

يفتخر بأن شعره كله ذائع شائع فى كلّ مكان ، وعلى كلّ لسان ، تجرى به الرواية والإنشاد ، ولا يكاد يعوقه شىء .

(٥١) بنى الشاعر القافية أو القصيدة : أقامها ، وأحكم نظمها ، وأجاد إنشاءها ، وأحسن تأليفها : مستعار من المعنى الأصلىّ للبناء ، أو البنيان . والقافية من قوافى الشعر : آخر كلمة فى البيت . وفى علم القوافى : من آخر حرف ساكن فى البيت إلى أول حرف متحرك ، قبل ساكن بينهما . وبتعبير آخر : هى الحروف التى تبدأ بمتحرّك يليه آخر ساكنين فى آخر البيت ؛ فقافية هذا البيت مثلا : « ها الجمل » ؛ لأن الواو الناشئة من إشباع ضمّة اللام فى آخر البيت — هى آخر حرف ساكن فيه ، والهاء أول حرف متحرك قبل لام « ال » ، وهى الحرف الساكن الذى بينهما . وبيت زهير بن أبى سُلْمَى :

ومن يك ذا فضل . فيبخل بفضله على قومه — يستغن عنه ، ويذمم

قافيته كلمة : « يذمم » . ويلاحظ أن كسرة الميم الأخيرة مشبعة ، تلد بعدها ياء ساكنة . وفيه : فى البيت . والخلل : وهن ، وضعف ، وفساد . وخلل القافية : عيوبها ؛ ومن هذه العيوب : « السناد » (بوزن كتاب) ، وسيأتى تفسيره فى البيت الآتى . و « كَلّا » : حرف يفيد الردع والزجر . ورَدَعه ، وزَجَره : كفه ، ومنَعه ، ونهاه بشدة وصرامة ؛ كأن الشاعر يؤكد نفى الوهن ، أو الضعف ، أو الفساد فى بناء قوافيه ، ويؤكّد سلامة هذه القوافى من كل العيوب بردع من يفرض فيها ، أو فى شىء منها الخلل ، أو يظنه ، أو =

فَلاَ سِنَادٌ ، وَلاَ حَشْوٌ ، وَلاَ قَلَقٌ   وَلاَ سُقُوطٌ ،وَلاَ سَهْوٌ ، وَلاخِلَلُ(٥٢)

— يتوهمه . وتأتى « كلا » بمعنى « حقاً » ، وهو من المعانى المناسبة هنا؛ إذ يؤكد معنى الشطر الأول، وهو نفى العيوب، وتقرير السلامة والإتقان . والرصف : مصدر رصف الحجارة ونحوها فى البناء (من باب نصر) : أى وصلها ، وضم بعضها إلى بعض فى نظام ، واتساق ، وإحكام . ومن المجاز : كلام رصيف : أى رصين، محكم النظم ، جيد التأليف، جميل التنسيق. واختلاف الرصف: معناه اختلال البنيان. ومعنى « لم تختلف الجمل فى رصفها »: أن الجمل فى هذا الشعر متلاحقة ، متسقة ، منتظمة ، منسجمة ، تجرى على نمط متقارب .

والمعنى : أن قوافيه كلها سليمة البناء ، مبرأة من العيوب . وجمله كذلك ، لا يعيبها اختلاف ، أو تنافر؛ بل يزينها الاتساق ، والانسجام ، وإتقان النسج ، وحسن التأليف .

(٥٢) السناد فى القافية : اختلاف ما يراعى قبل الروى من الحروف ، والحركات؛ وهو من عيوب الشعر؛ وتوضيح هذا: أن من حروف القافية الروى : وهو حرف بنيت عليه القصيدة ، ونسبت إليه ؛ فهذه القصيدة — مثلاً — لامية: أى رويها اللام . ومن حروف القافية أيضاً: الردف (بكسر فسكون) : وهو حرف ساكن من حروف المد واللين ، يقع قبل حرف الروى ، متصلا به ، كالواو والياء فى قول امرئ القيس الكندى :

أجارتنا ، إن الخطوب تنوب   وإنى مقيم ما أقام عسيب

فهذا بيت مصرع ، ورويه الباء. وردفه فى المصراع الأول الواو فى « تنوب » ، وفى المصراع الثانى الياء فى « عسيب » . والسناد (بوزن كتاب) : أحد عيوب القافية ، وهو أنواع ، منها سناد الردف ، ومعناه : أن يأتى الشاعر بحرف الردف فى بيت ، ويتركه فى بيت آخر من قصيدته ، كقول القائل :

إذا كنت فى حاجة مرسلا   فأرسل لبيبا ، ولا توصه
وإن باب أمر عليك التوى   فشاور حكيماً ، ولا تعصه

فالشاعر أتى بالردف فى البيت الأول : وهو الواو التى قبل الصاد فى « توصه »، ولم يأت به فى البيت الثانى . والحشو : زيادة فى الكلام، لا قيمة لها، ولا فائدة منها . والقلق: الاضطراب ، وعدم الاستقرار . وكلام قلق : مضطرب، فاسد، غير فصيح، ولا بليغ، ولا واضح الدلالة . وقافية قلقة : نابية، متجافية ، غير مستقرة فى مكانها ، ولا ملائمة ، يأباها ذوق الأديب . والسقوط : مصدر سقط (من باب قعد) فى الكلام: أى زل ، وأخطأ . والسهو : مصدر سها عن الشىء (من بابى عدا ، ودعا) : أى غفل عنه، وذهب قلبه إلى غيره . ويراد بالسهو هنا : العيوب التى تقع فى الكلام والشعر بسبب سهو المتكلم والشاعر ، أو غفلته ، أو قلة فطنته ، أو اضطراب تفكيره ، وتشتت ذهنه . والعلل: جمع علة : —

تَغَايَرَتْ فِيهِ أَسْمَاعٌ وَأَفْئِـدَةٌ فَكُلُّ نَادٍ «عُكَاظٌ» حِينَ يُرْتَجَلُ(٥٣)

= ويراد بها التغير الذى يلحق بعض أجزاء الشعر ؛ فينقص جمال وزنه ، وروعة موسيقاه .

أشار إلى ستة من عيوب الكلام: لفظه ، ونثره ؛ ونفى عن شعره كل ما يشينه ويعيبه فى نسجه وتأليفه . ووزنه وموسيقاه ، ومعناه ومغزاه .

(٥٣) تغايرت : اختلفت : بمعنى ترددت : أى رجعت مرة بعد أخرى . وفيه : إليه ؛ فـ « فى » هنا : بمعنى « إلى » : أى تغايرت أسماع وأفئدة إلى هذا الشعر الرائق الفائق ، المعجب المطرب . وقد يكون التغاير هنا : بمعنى الاختلاف والاختصام ؛ وكأن البارودى ينظر إلى قول أبى الطيب المتنبى :

أنام ملء جفونى عن شواردها ويسهر الخلق جرّاها ، ويختصم

والمعنى : أن الناس يختلفون فى تعرّف هذا الشعر ونقده ، ويختصمون فى دراسته وتفهمه ؛ فهو مادة غزيرة فياضة ، ومجال واسع فسيح لاختلاف النظرات والدراسات

أو لعل هذه الكلمة محرفة فى أصل الديوان عن « تغاورت » : بمعنى تناحرت ، وتخاصمت ، وتشاحّت . يقال : تشاحّ الناس فى كذا ، أو عليه : إذا شح به بعضهم على بعض ، وحرصوا عليه ، وتسابقوا إليه ، وتنافسوا فيه . والنادى : مجلس القوم ما داموا مجتمعين فيه ، وجمعه أندية . وتعاكظوا : تناشدوا الأشعار ، وتفاخروا ، وتجادلوا وتبايعوا . ومنه « عكاظ » (يذكر ، ويؤنّث) : وهو أشهر أسواق العرب فى جاهليتهم . وكان يقام عشرين يوماً كل عام ، فى شوال ، أو ذى القعدة ، بين «نخلة» و «الطائف» ، على بعد ثلاث ليال من مكة ، وفيه تجتمع قبائل العرب للتعاكظ . ويرتجل : المراد : يُلْقَى ، وينشد ، ونائب فاعله : ضمير مستتر يعود على « كل بيت » فى البيت الخمسين . والارتجال (فى الأصل) : ابتداع الكلام بلا روية . يقال : ارتجل الخطيب خطبته والشاعر قصيدته : إذا ابتدرها من غير تهيئة ، أو إعداد .

يفتخر بأن شعره قد جمع من المزايا والخصائص ما جعله شديد التأثير فى عواطف الناس ، وعقولهم ، وأسماعهم ، وقلوبهم ؛ فهى تتسابق إليه ، وتتنافس فى روايته وحفظه ، وتختلف فى دراسته ونقده ، وتضن به ، وتحرص عليه

وإذا تناشده المتناشدون فى أندية الأدب ، ومعاهده — رأيت كل ناد منها شبيهاً بسوق «عكاظ» ولا غرو ؛ فهذه القصيدة وكثير من شعر البارودى يضاهى شعر الفحول من شعراء العصر الجاهلى فى جزالة لفظه ، ورصانة تأليفه ، واستحكام نسجه ، وقوة جرسه ، وجريانه على السليقة والطبيعة .

لاَ تُنْكِرُ الْكَاعِبُ الْحَسْنَاءُ مَنْطِقَهُ   وَلا يُعَادُ عَلَى قَوْمٍ ، فَيُبْتَذَلُ (٥٤)

(٥٤) نكر الأمر (من باب فرح) ، وأنكره إنكاراً : جهله ، ولم يعرفه . وأنكر عليه فعله ، أو قوله : عابه ، واستهجنه ، ونهاه عنه . والكاعب : الناهد : وهى الفتاة التى كعب ثديها : أى نهد ، وانتبر ، ونتأ ، وارتفع ، وبرز ، وظهر ، والجمع كواعب . والمنطق : الكلام ، ومصدر نطق : أى تكلم و « منطقه » : منطق أدبه المأثور الذى نوه به فى البيت التاسع والأربعين . أو منطق كل بيت من أبيات شعره . ويراد بمنطق الشعر : جرسه ، ووقعه ، وتأثيره ، وحسن بيانه ، وجمال موسيقاه . ويعاد : يكرر : من الإعادة : وهى التكرار . ويبتذل : يمتهن : من ابتذال الثوب ونحوه : أى امتهانه ، والاستهانة به ، وعدم صيانته . وجملة « يبتذل » : خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير : فهو يبتذل . والفاء هنا : للاستئناف ، كما فى قول الله تبارك وتعالى : « ولا يؤذن لهم ، فيعتذرون » . الآية رقم ٣٦ من سورة المرسلات .

والمعنى : أن الكواعب الحسان يعرفن شعره ، ويقدرنه . أو أنه إذا أنشد للناهد الحسناء لم تجهل جرسه ووقعه ، وحسن بيانه ، وجمال موسيقاه . أو أنها لا تستهجن منه شيئاً ؛ إذ ليس فيه ما يخجل الغانيات ، أو يندى له جبين الحياء ؛ وإنه ليعاد ، ويردد ، ويكرر ؛ فتبقى له — مع الإعادة ، والترديد ، والتكرار — قيمته ، ونفاسته ، وروعته .

ختم الشاعر هذه القصيدة بستة أبيات نظمها فى الفخر بشعره ، والتنويه بمزاياه ، وسلامته من العيوب والمشاين ، وتعلق الأسماع والقلوب به ، واشتماله على ما يهذب النفوس ، ويبنى مكارم الأخلاق ؛ وسيرورته وذيوعه وانتشاره فى كل مكان ، وعلى كل لسان ، وتنافس الناس فى روايته وحفظه وإنشاده والتغنى به ، وارتياح الكواعب الحسان لجرسه ووقعه وموسيقاه ، واحتفاظه بقيمته ونفاسته مع الإعادة والتكرار .

تلخيص وتعليق

افتتح الشاعر هذه القصيدة بالغزل ، وبيان أثر الحب فى نفسه ، وشكوى البين والفراق ، والتمدح بالوفاء لأحبائه ، وإظهار التبرم بعاذليه ؛ فاستغرق فى هذا الغرض خمسة عشر بيتاً . ومنه انتقل إلى الفخر بإقدامه وشجاعته فى الحروب ، ووصف جواده ، وسيفه فى ستة عشر بيتاً . وبلا توطئة أو تمهيد انتقل من هذا إلى وصف سحابة ممطرة ، ويوم ممتع من أيام الطّرْد والصيد فى تسعة أبيات ؛ وكأنه أبى إلا محاكاة الشعر الجاهلى فى كل خصائصه وهنواته ، ومنها الاقتضاب والطفرة ، وضعف الروابط والصلات بين أغراض القصيدة ، وفنون الكلام . وبعد هذا أورد ثمانية أبيات فى الحكمة والنصح ، ثم ختم القصيدة بستة أبيات فى الفخر بأدبه وشعره .

فهذه أربعة وخمسون بيتاً سلك فيها مسلك الفحول من قدامى الشعراء فى جزالة اللفظ ، وصلابته ، واستحكام التأليف ورصانته ، وجريان القول على السليقة والطبيعة ، ومحاكاتهم فى أغراضهم ، ومعانيهم ، وأخيلتهم ، وتشبيهاتهم ؛ وعرض ما اقتضاه الحال من صور البيئة البدوية الصحراوية ، ومظاهر الحياة والأحياء فى تلك الصحارى والقفار .

القصيدة الثامنة والثلاثون

وَقَالَ :

رُدِّى الْكَرَى لِأَرَاكِ فِى أَحْلَامِهِ ... إِنْ كَانَ وَعْدُكِ لَا يَفِى بِذِمَامِهِ [1]

أَوْ فَابْعَثِى قَلْبِى إِلَىَّ ؛ فَإِنَّهُ ... جَارَى هَوَاكِ ، فَقَادَهُ بِزِمَامِهِ [2]

قَدْ كَانَ خَلَّفَنِى لِمَوْعِدِ سَاعَةٍ ... مِنْ يَوْمِهِ ، فَقَضَى مَسِيرَةَ عَامِهِ [3]

(١) الكرى : النوم . والذمام : العهد والحق . وفى الأصل المخطوط : « بزمامه » بالزاى . وهو من تحريف الناسخ .

يقول : إن العشق سلبه نومه ، وأورثه الأرق والسهاد . ومعشوقته تعد بالوصال ، ولا تكاد تفى بذمة الوعد ، أى بحقه وحرمته . وقد عزّ لقاؤها ، واستعصتْ عليه رؤيتها فى اليقظة ؛ فطلب إليها أن تردّ إليه أمنة النعاس ، وراحة النوم ، ليراها فى منامه وأحلامه . ولا ريب أن الحلم أو الرؤيا المنامية تخفف ما يؤرقه ويضنيه من حرق الوجد والصبابة ، ولواعج الشوق والغرام .

(٢) جارى هواك : جرى مع الحب ، وسايره ، وتبعه ، وانقاد له ، ووقع فى أسره . والزمام : المقود . وقاده بزمامه : أى قاد هواك قلبى بزمام القلب ؛ فالهوى قائد . والقلب مقود . والزمام حبل المقادة وأداتها .

استهوتْه هذه الحسناء التى يشبب بها ، وسيطرت عليه ، وسلبتـه عقله ، وأورثتْه الأرق والسهاد ، وحرمته أمنة النعاس ، وماطلته بحقه فى القرب والوصال ؛ فخيرها فى هذا البيت والذى قبله بين ثلاثة : أن تفى له بوعدها ، ليسعد بقربها . أو ترد إليه النوم ، ليراها فى الأحلام . أو تعيد إليه فؤاده ، وتفك إساره ، ليحيا حياة الدعة والاستقرار . وفى ستة الأبيات الآتية حديث شائق عن قلبه الذى تعلق بهذه الحسناء ، وانقاد للهوى ، ووقع فى أسره .

(٣) خلفنى : تركنى ، وفارقنى . وقضى : مضى وذهب . ومسيرة : سير . والمراد أن غيبته طالت وانقطعت . أو هى « قصا » (من بابى عدا ، وسما) . يقال : قصا عنى : أى بعد عنى ، ونأى .

يقول : إن قلبه فارقه على أن يعود إليه بعد ساعة واحدة ، فما لبث أن وقع فى شرك الهوى ، وإسار الغرام ، فطالتْ غيبته وانقطعتْ ، وبعدت الشقة بينهما ، وتعسرت العودة .

لَمْ أدْرِ : هَلْ ثَابَتْ إِلَيْهِ أَنَاتُهُ   أَمْ لَمْ يَزَلْ فِى غَيِّهِ وَهُيَامِهِ[٤]

عَهْدِى بِهِ صَعْبُ الْقِيَادِ . فَمَا لَهُ   أَلْقَى يَدًا لِلسِّلْمِ بَعْدَ غَرَامِهِ[٥]

خَدَعَتْهُ سَاحِرَةُ الْعُيُونِ بِنَظْرَةٍ   مِنْهَا ؛ فَمَلَّكَهَا عِذَارَ لِجَامِهِ[٦]

---

(٤) ثابت : رجعت وعادت (و بابه قال) . والأناة : الحلم والوقار ، والتؤدة ، والرزانة . والغى : الإمعان فى الضلال ، والتمادى فى الباطل . والهيام : جنون العشق . والاستفهام فى أول البيت : من تجاهل العارف . والغرض منه إظهار التحسر والتلهف ؛ فالشاعر يعلم أن قلبه مازال سادراً فى غيه وهيامه ، وأن أناته لم تعد إليه . و« أم » فى الشطر الثانى منقطعة بمعنى « بل » وتفيد الإضراب .

فى البيت السابق قال : إن قلبه فارقه مستهاماً بتلك الحسناء ، فطال غيابه عنه ، وانقطعت صلته به. وفى هذا البيت سأل فى تجاهل ولهفة وحسرة : هل عادت إليه أناته ، فأقلع عن غوايته ، وأصبحت عودته مرجوّة ؟ ولكنه ما لبث أن أضرب عن هذا السؤال ، وقرر فى يأس وأسى أن قلبه ما زال سادراً فى غرامه وهيامه .

(٥) العهد هنا : العلم والمعرفة . و« عهدى به صعب القياد » : أى عرفت قلبى لا ينقاد ، ولا ينطاع. والاستفهام : معناه التعجب ؛ فهو يتعجب من انقياده ، وقد عرفه من قبل أبياً قوياً عصياً ، لايلين ، ولا يستكين . وقد يكون للإنكار ؛ فهو ينكر على قلبه هذا الانقياد ، و يعيبه ، و ينهاه عنه . ومن معانى اليد : الطاعة والاستسلام. والسلم : المسالمة والصلح . وألقى يده إلى السلم : أى خضع وتطامن ، واستكان .

يقول : إنه عرف قلبه قوياً أبياً ، مترفعاً عصياً ، لا يلين ، ولا يستكين ، ولا يتطامن ، ولا ينقاد ؛ فلما أغرم بهذه الحسناء ذهب الغرام بإبائه وكبريائه ، وفرض عليه الخضوع والتطامن ، والانقياد والاستسلام ؛ فكان هذا مثار العجب والدهش ، أو الإنكار والاستهجان .

(٦) يقولون : عين ساحرة ، وعيون سواحر : يشيرون بالسحر إلى ما فيها من جاذبية واستمالة وتأثير شديد ، وحسن فائق ، وجمال باهر . واللجام : ما يجعل فى فم الفرس ونحوه من الحديد والحكمتين ، ليمنعه من مخالفة راكبه . والعذار : ما سال من اللجام على خد الفرس ، وهو السير ، أو العنان . وملكها عذار لجامه : كناية عن أنه جعلها مالكة لأمره ، مسيطرة عليه ، متحكمة فيه .

يقول : إن معشوقته خدعت قلبه بنظرة من عينيها الساحرتين ؛ فوقع فى غرامها ، وانقاد لها ، وسار فى ركابها . وهو تكرار لمعنى الشطر الثانى من البيت السابق ، أى أغرم بها فانقاد لها . والزيادة هنا : هى التنويه بعيونها الساحرة ، ونظراتها الفاتنة .

يَا ، هَلْ يَعُودُ إِلَى الْجَوَانِحِ بَعْدَمَا سَلَبَتْ فَتَاةُ الْحَيِّ ثِنْىَ لِجَامِهِ ؟[7]

تَاللهِ ، لَوْ مَلَكَتْ يَدَاىَ جِمَاحَهُ لَعَقَدْتُ قَائِمَ رَسْنِهِ بِخِدَامِهِ[8]

يَا لائِمَ الْمُشْتَاقِ فِى أَطْرَابِهِ مَهْلًا ، إِلَيْكَ ؛ فَلَسْتَ مِنْ لُوَّامِهِ[9]

---

(٧) « يا » : حرف تنبيه . أو حرف نداء ، والمنادى محذوف . والاستفهام للتمنى . والجوانح أضلاع الصدر . أو هى الضلوع تحت الترائب ، مما يلى الصدر . واحدتها جانحة . ويراد بالجوانح : مستودع القلب ، ومستقره فى صدره . والثنى (بكسر فسكون) : واحد الأثناء . وأثناء الشيء : تضاعيفه . وأثناء الحبل : طاقاته وقواه . ويراد بثنى اللجام : عنانه ، أو سيره أو حبله . وفى الأصل المخطوط : « مثى لجامه » . ويلاحظ أن كلمة « لجام » جاءت فى البيت السابق ، وأعيدت فى هذا البيت ، وهذا عيب من عيوب القافية اسمه « الإيطاء » . والشطر الثانى من هذا البيت : كناية عن أن هذه الحسناء استهوت قلبه ، وسلبت لبه ، وسيطرت عليه ، وتحكّمت فيه . ويلاحظ أن الشاعر كرر هذا المعنى فى أكثر الأبيات السابقة .

فى صدر البيت تنبيه ، أو نداء لكل من يستمع له ، ويعينه على أمره . ثم استفهام تمنى به عودة قلبه إليه . أو استبعد هذه العودة ، واستيئس منها بعد أن سيطرت هذه الحسناء عليه ، وتمكّنتْ منه ، وتملّكتْ زمامه وقياده .

(٨) جمح الفرس ونحوه (من باب خضع) جماحاً وجموحاً : عتا عن أمر صاحبه ، وعزّه ، واستعصى عليه ، وغلبه . أو تغلّب على راكبه ، وذهب به لا يتثنى . أو عار : أى انفلت ، فركب رأسه ، ولم يثنه شيء . وملكت يداى جماحه : أى استطعت السيطرة عليه . والرسن (بوزن سبب ، والتسكين هنا لضرورة الوزن) : ما كان من الأزمة على أنف الدابة . والحبل الذى يقاد به البعير ونحوه . وقد جاءت فى الأصل المخطوط « رسفه » بالفاء . وقائم الرسن : طرفه الذى يمسك به من يقود الدابة . والخدام : جمع خدمة (بوزن قصبة) ؛ وهى الساق . والقيد . وسير غليظ محكم كالحلقة ، يشد فى رسغ البعير ونحوه . وعقد قائم الرسن بخدام البعير ونحوه : كناية عن إحكام تقييده ، ومنعه من الجموح والإفلات ؛ فإن الرسن أو المقود يربط أنفه بساقه ، أو بالقيد الذى فى رجله ، أو بالحلقة المشدودة فى رسغه . وهذه عدة قيود وموانع تمكن منه ، وتشدد عليه ، وترده إلى الطاعة والانقياد .

يقول : لو ملكت السيطرة على قلبى لرددته عن الهيام بهذه الفتاة .

(٩) يراد بالمشتاق : العاشق الصب . و« فى » : تعليلية : أى سببية . والأطراب : جمع الطرب : ويراد به : لوعة الشوق وحرارته . وطرب (من باب فرح) : خف ، واهتز ، واضطرب فرحاً ، أو حزناً ، أو ارتياحاً . أو هى الإطراب : مصدر أطربه : أى أثار فيه الطرب . وإليك عنى : اسم فعل أمر : بمعنى ابتعد عنى ، وتنح . ولست من لوامه : أى أنك لم تجرب العشق والشوق ، ولم تحترق بنارهما ؛ فلا يحق لك أن تلوم العاشق المشتاق. =

أَظَنَنْتَ لَوْعَتَـــهُ فُكَاهَـــةَ مَازِحٍ فَطَفِقْتَ تعذِلُهُ عَلَى تَهْيَامِهِ ؟[١٠]

إنْ كُنْتَ تُنْكِرُ شَجْوَهُ ، فَانْظُرْ إلَى أنْفَاسِهِ ، وَدُمُـــوعِهِ ، وَسَقَامِهِ[١١]

صبٌّ ، بَرَتْهُ يدُ الضَّنى ؛ حَتّى اختَفى عَنْ أعْيُنِ الْعُوَّادِ غَيْرَ كَلَامِهِ[١٢]

= هزّه الطرب والاشتياق إلى من يحبها ؛ فلامه لائمه، فناداه طالباً إليه الرفق به ، والابتعاد عنه ، والإشفاق عليه بالإقلاع عن عذله ؛ فإنه لم يجرب شيئاً مما يقاسيه ذوو الصبابة والغرام . ولو جرب ، لرفق وشارك ، وأشفق ، وعذر . وقد انتقل الشاعر فى هذا البيت وخمسة الأبيات بعده من حديثه عن قلبه إلى التحدث عن الشوق والطرب ، واللوعة والصبابة ، وما يضانيه المشاق المتيّمون من ملابسات العشق وآثاره وأوصابه .

(١٠) اللوعة : حرقة الهوى والوجد والشوق والحزن ونحوه . وطفق يفعل كذا (كفرح ، وضرب) : أى جعل ، أو استمرّ ، وواصل الفعل . وهو خاص بالإثبات . وهام بها تهياماً : شغفته حباً .

لم يجرب اللائم عشق العاشق المستهام ، ولم يكابد التياع الهوى والغرام ؛ فظن حرقته وصبابته فكاهة فاكه ، ومزاح مازح ، فجعل يعذله ، ويضاعف بالعذل متاعبه وأوصابه ؛ فأنكر الشاعر عليه هذا الظن الخاطئ الجائر ، وعابه ، ونهاه عنه . وقد يحمل الاستفهام — مع الإنكار — معنى التقريع .

(١١) الشجو : الهم ، والحزن (وفعله من باب عدا) . والسقام : المرض . وأنفاس الشجى حارة متتابعة ، أو طويلة ممتدة تنم على شجوه وهمّه ، وتظهر أوصاب الهوى وآلامه . وعلى العكس منها أنفاس الخليين .

فى البيت السابق : أنكر على لائمه خطأ ظنه ، وسوء تقديره للوعة الملتاع ، وتهيام المستهام . وفى هذا البيت وضع أمام عينيه ثلاثة شواهد تبدد ظلمات جهله ، وتحمله على الإقرار بالحقيقة ، والإقلاع عن العذل : وهى أنفاس الصب ، ودموعه ، وسقامه ؛ فهو يعانى أوصاب الهوى ، ويبكى بدموع حارة ، ويتنفس الصُّعداء . والبيت الآتى فى معنى السقام ، وآثار الضنى .

(١٢) صبّ : صفة من الصبابة : وهى رقة الشوق ، وحرارة الهوى . والضنى : مصدر ضنى (من باب صدى) : أى مرض مرضاً ملازماً ، فتمكن منه الضعف والهزال ، وأشرف على الموت . أو هو المرض المخامر الذى لايزال يعاود المريض ، وكلما ظُن برؤه انتكس . ويكثر استعمال الضنى فى أوصاب الهوى والحب ، وتباريح العشق والغرام . والعوّاد : جمع عائد : اسم فاعل من عاد المريض (من باب قال) : أى زاره .

بالغ فى تصوير أثر الصبابة فى الصب المستهام ، فقال : إنها برته وأضنته وأذابت جسمه ؛ فلم يبق فيه غير صوت خافت يدل عواده عليه . وفى مثل هذا المعنى يقول أبو الطيب المتنبى :

كفى بجسمى نحولاً أننى رجل لولا مخاطبتى إياك لم ترنى

روح تردّد فى مثل الخلال إذا أطارت الريح عنه الثوب لم يبن

نَطَقَتْ مَدَامِعُـــهُ بِسِرِّ ضَمِيرِهِ وَذَكَتْ جَوَانِحُهُ بِنَـــارِ غَرَامِهِ (١٣)

طَوْرًا يُخَـــامِرُهُ الذُّهُولُ ، وَتَارَةً يَبْكِي بُكَاءَ الطِّفْلِ عِنْدَ فِطَامِهِ (١٤)

يَصْبُو إِلَى بَانِ الْعَقِيقِ ، وَرَنْدِهِ وَعَرَارِهِ ، وَبَرِيرِهِ ، وَبَشَامِهِ (١٥)

---

(١٣) المدامع : مسايل الدمع ، ومواضع اجتماعه فى نواحى العين . والمدامع : المآق : وهى أطراف العين . ويراد بها هنا : الدموع. ويريد بسرّ ضميره : ما كان يحرص على إضماره وكتمانه من أسرار حبه وغرامه . وذكت النار : توقّدت ، واشتد لهبها . والجوانح : أضلاع الصدر . ويراد بها هنا : القلب ، وما حواه الصدر ، ومراكز الإحساس والشعور . والغرام: الولوع والعشق، وشدة تعلق المحب بمحبوبته. والغرام أيضاً : العذاب . ويراد به هنا : عذاب الحب والوجد ، وتباريح الهوى والصبابة .

تأجّجت نيران الغرام فى صدره ، وبرّح به الوجد والشوق ؛ فبكى ، فكشفت دموعه أمره ، وأظهرت ما كان يحرص على كتمانه من أسرار حبه .

(١٤) الطور ، والتارة : الحين والمرة . ويخامره : يخالطه ، ويلابسه ، ويغطيه . والذهول : التدله ، والتحير ، وغياب الرشد عن الذاهل ، وشغل يورثه حزناً ونسياناً . (وفعله كنع ، وتعب) . وفطام الطفل : فصاله عن أمه ، ومنعه من الرضاع . وفى الفطام يشتد بكاء الطفل ، وتسوء حاله .

فى البيت الثانى عشر شكا ما براه وأذابه من الصبابة والضنى ، حتى خفى على عواده . ولم يبق فيه غير الأنين الخافت، وآهات التوجّع والتحزن والشكوى. ولولاها ما رآه، ولا أحسّ به أحد . وفى البيت الثالث عشر شكا تأجّج نيران الغرام بين جوانحه ، وغلبة البكاء عليه ، وغزارة الدموع فى عينيه ، وآلمه أنها كشفت ما حرص على ستره من أسرار حبه .

وفى هذا البيت اشتد به الأمر ، وتقلب بين حالين : فهو إما غارق فى الذهول ، مستلب اللب ، فاقد الوعى ، وإما منتحب انتحاب الرضيع حرم أحب محبوب إليه ، وأعز عزيز عليه .

(١٥) يصبو إليه : ينزع إليه ، ويميل ، ويحن ، ويتشوق . والبان : ضرب من الشجر ، لين ، سبط القوام ، ورقه كورق الصفصاف . وتشبه به قدود الحسان . أى قاماتهن فى حسن الطول واعتدال القوام ، واللين والمرونة . والعقيق : علم على جملة مواضع بالمدينة، واليمامة ، وتهامة ، ونجد ، والطائف . وتمتاز هذه الأماكن كلها بالعيون العذبة ، وخضرة الزرع والنخيل ، ونضرة المروج ، وبهجة الطبيعة . وقد تغنى الشعراء الغزلون فى شبه الجزيرة العربية من قديم الزمان بوادى العقيق ، وجعلوه مغنى غرامهم ، ومرتع الغيد الحسان اللائى تغزلوا بهن ، وتودّدوا إليهن . والبارودى يحاكيهم فى هذا، ويقتدى بهم، وينسج على منوالهم . والرند (بفتح فسكون) : شجر طيب الرائحة، من فصيلة الغاريات ، وقد يطلق على العود ، والآس ، وهما من الأشجار العطرية . والعرار : بهار ناعم أصفر ، طيب الرائحة . وقد يطلق على النرجس البرى . واحدته عرارة . والبرير : ثمر الأراك إذا اشتدّ وصلب . الواحدة بريرة . والأراك: واحدته أراكة: وهى شجرة كثيرة الفروع ، خوارة العود، تتخذ منها المساويك . وثمرها أحمر ، =

وَادٍ ، سَرَى فِي جَوِّهِ كَنَسِيمِهِ وَبَكَى عَلَى أَغْصَـانِهِ كَحَمَامِهِ (١٦)

أَرِجُ النَّبَاتِ ، كَأَنَّمَا غَمَرَ الثَّرَى طِيباً مُرُورُ «الْخِضْرِ» بَيْنَ إِكَامِهِ (١٧)

ــ داكن اللون ، يؤكل. وتنبت فى البلاد الحارة. والبشام: شجر طيب الرائحة والطعم ، يستاك بقضبانه، لا ثمر له ، وإذا قطع شيء من أوراقه وأغصانه سال منه سائل أبيض يشبه اللبنَ . واحدته بشامة .

صبا الشاعر إلى وادى العقيق فى هذا البيت والأبيات الآتية جرياً على عادة الغزلين من قدامى شعراء العرب فى جزيرتهم، واقتداء بهم، وتشبثاً بما جرى على ألسنتهم من الأخيلة والصور، والعواطف والانفعالات والمغانى والبيئات ، والمعانى والأساليب ، وترديداً لما راقهم من النبات والزهر، والنسيم والطير ، والمناهل والمشارب ، وظواهر الطبيعة ، وجمال الكون ، ومحاسن الحسان من فتياتهم ونسائهم .

(١٦) سرى (من باب رمى) : سار ليلاً . والمراد مطلق السير . وفاعله ضمير «المشتاق» فى البيت التاسع . أو ضمير «صب» فى البيت الثانى عشر . والنسيم : الريح الطيبة اللطيفة اللينة .

فى البيت السابق صبا إلى وادى العقيق ، منزل حبه ، ومغنى غرامه ، وتعلق بما يميزه ويزينه من أشجار وبهار ، ونباتات عطرية ذكية ، وطبيعة ناضرة زاهرة . وهو فى الحقيقة تعلق بمن يحبها ويهواها

وما حبّ الديار شغفن قلبى ولكن حبّ من سكن الديارا .

وقد تشير بعض الكلمات إلى بعض محاسنها ومفاتنها ، كحسن طولها ، وجمال قدّها ، واعتدال قوامها ، ولين جسمها ونعومته ومرونته، وطيب رياها ، ونضرة محياها . وفى هذا البيت قال : إنه سرى فى جوّ هذا الوادى مسرى نسيمه ، وسجع على أغصانه سجع حمائمه . وهو تصوير بليغ لشوقه وصبابته وشدة ولوعه بالمحبوبة وديارها .

(١٧) أرج النبات : أى نبات هذا الوادى طيب عطرىّ ذكىّ الرائحة. (وفعله من باب فرح).

ويلاحظ أن الأشجار والنباتات التى ذكرها فى البيت الخامس عشر ذات رائحة عطرية ذكية. وغمره الماء ونحوه (من باب نصر) : علاه ، وعمّه ، وستره ، وغطاه . والثرى : الأرض .والتراب الندى . ويراد بالطيب : الأريج ، والخصب ، والنماء ، واليمن ، والبركة . و«الخضر» (بكسر فسكون ، أو بفتح فسكون ، أو بفتح فكسر) : صاحب سيدنا موسى عليهما السلام: نبىّ ، أوولىّ ، أو صدّيق: أى فوق الولاية ، ودون النبوّة. وقصة تصاحبهما فى القرآن الكريم: من قول الله تبارك وتعالى : «فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا ، وعلمناه من لدنا علماً» إلى قوله عز وجل : «ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً» (الآيات رقم ٦٥ – ٨٢ من سورة الكهف) . والإكام (بوزن الجبال) : تلال الأرض وروابيها ومرتفعاتها . الواحدة أكة (بوزن قصبة) .

ما زال الشاعر يتغنى بوادى العقيق ، وادى هواه ، ومغنى غرامه ، وينوّه بمزاياه ، كأنّ ولىّ الله الخضر مرّ بآكامه ، وسار فى أرجائه ؛ فأخصبت تربته ، وطاب ثراه ، وأرج نباته ، وعمّه اليمن والبركة ، والزكاء والنماء .

مَالَتْ خَمَائِلُهُ بِخُضْرِ غُصُونِهِ ... وَصَفَتْ مَوَارِدُهُ بِزُرْقِ جِمَامِهِ(١٨)

يا صَاحِبِي! إنْ جِئْتَ ذَيَّاكَ الْحِمَى ... فَاحْذَرْ عُيُونَ الْعِينِ مِنْ آرامِهِ(١٩)

وَاسْأَلْ عَنِ الْبَدْرِ الَّذِي كَسَمِيِّهِ ... فِي نُورِ غُرَّتِهِ ، وَبُعْدِ مَرَامِهِ(٢٠)

(١٨) الخمائل : جمع الخميلة : وهى الشجر الكثير المجتمع الملتف الذى لا يرى فيه الشىء إذا وقع فى وسطه . وكل موضع كثر فيه الشجر خميلة . والموارد : المناهل والمشارب : جمع مورد (بوزن مجلس) . والجمام : جمع جم (وزن تل وتلال) : وهو الكثير المجتمع من كل شىء . أو هو جمع جمة (بضم الجيم) : وهى من الماء معظمه . وماء أزرق : شديد الصفاء والنقاء . وجمام زرق : مياه صافية رائقة نقية ، كثيرة غزيرة ، وفى الشطر الأول إشارة إلى نسيم ذلك الوادى الذى يميل الغصون ويحركها حركات لطيفة . وقد تكون الإشارة إلى كثرة الغصون التى تميل بها أشجارها . وفى الخضرة معنى الحياة ، والبهجة ، والغضارة ، والنضارة .

(١٩) ذياك : « ذيا » : تصغير « ذا » : وهو اسم إشارة للمفرد المذكر . والكاف : حرف خطاب. والحمى : المكان المحمى المصون المنيع . وفيه إشارة إلى تمنع المتغزل بهن ، واحتجابهن ، وصعوبة الوصول إليهن ، وشدة بأس من يقومون بحراستهن . ويراد بالحمى : وادى العقيق : أى ديار محبوبته وأترابها . والعين : جمع عيناء : وهى المرأة التى اتسعت عيناها فى حسن وجمال . وفى القرآن الكريم فى وصف نساء الجنة : « وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون » (الآية رقم ٢٢ والآية رقم ٢٣ من سورة الواقعة) . والآرام : جمع رئم : وهو الظبى الخالص البياض. وتشبه به الحسناء من النساء فى الرشاقة والمرونة، ولطف الحركة ، وحسن التثنى ، وجمال الجيد والعينين .

أشار إلى وادى العقيق ، ونسائه العين البيض الحسان المصونات الشبيهات بالظباء والغزلان . وحذر صاحبه أن تسحره عيونهن ومفاتنهن ؛ فيقع فى مثل ما وقع فيه من أشراك الهوى ، وحبائل الغرام . وجعل التنويه بهن فى هذا البيت تمهيداً لإفراد محبوبته بغزله وتشبيبه فى الأبيات الآتية. ونداء الصاحب فى مثل هذا المقام أسلوب شائع مألوف فى الغزل ، ويمكن عده من خصائص لغة الشعر .

وقد أشرنا فى عدة مواضع من شرحنا إلى ولوع البارودى بالبيئة العربية البدوية ، وكثرة ما يردده فى شعره من صورها وخصائصها ، وعادات أهلها ، وطبيعة الحياة فيها .

(٢٠) يريد بالبدر محبوبته . ويريد بسميه : البدر الحقيق : وهو القمر الممتلىء ليلة تمامه فى منتصف الشهر القمرى . وسميك : نظيرك . ومن كان اسمه كاسمك . والغرة (فى الأصل) : بياض فى جبهة الفرس . وغرة الإنسان : وجهه . والمرام : المطلب . ورامه (من باب قال) : أراده ، وطلبه .

طلب إلى صاحبه أن يسأل فى وادى العقيق عن معشوقته بين العين الحسان اللائى أشار إليهن فى البيت السابق . وكأنما أراد تمييزها له ؛ فشبهها بالبدر فى ضياء وجهها ، وإشراق جبينها ، وسمو قدرها ، ونباهة شأنها ، وصعوبة الوصول إليها .

فَإِنِ اشْتَبَهْتَ ، وَلَمْ تَجِدْ لَكَ هَادِيًا فَاسْمَعْ أَنِينَ الْقَلْبِ عِنْدَ خِيَامِهِ (٢١)

فَبِذَلِكَ الْوَادِى غَــزَالَةُ كِلَّةٍ تَرْوِى حَدِيثَ الْفَتْكِ عَنْ ضِرْغَامِهِ (٢٢)

ضَاهَتْ بِقَامَتِهَا سِــرَاحَ قَنَــاتِهِ وَحَكَتْ بِلَحْظَتِهَا مَضَاءَ حُسَامِهِ (٢٣)

---

(٢١) اشتبه الأمر عليه : اختلط ، والتبس ، وخفى وجهه . ويراد باشتباه صاحبه : صعوبة اهتدائه إلى المعشوقة ؛ فهو فى معنى : « ولم تجد لك هادياً » . وأنين قلبه : دقاته العالية المضطربة . والأصل : أنّ المريض أنيناً : إذا تأوّه ، وتوجّع . وأنّت القوس ونحوها : أى رنّ وترها فى امتداد . وخيامه : خيام البدر : أى الحبيب : جمع خيمة : وهى المنزل . والبيت يتخذ من الصوف أو القطن ، ويقام على أعواد ، ويشد بأطناب . والبيت يبنى من أعواد الشجر ، ويلق عليه نبت يستظل به .

يقول لصاحبه : إذا اختلط عليك الأمر ، ولم تجد من يدلك على محبوبتى فى حماها ؛ فاستمع لأنين قلبى فى خيامها تهتد إليها بلا مشقة . وفى البيت إشارة لطيفة إلى أن هذه المعشوقة قد خلبت لبه ، واستلبت فؤاده ؛ فهو أسير لديها ، مشدود إليها ، يئن أنيناً ، ويحن حنيناً . وترى مثل هذه الإشارة أو هذا المعنى مفصّلا فى سبعة أبيات سابقة (من الثانى إلى الثامن) .

(٢٢) الغزالة : أنثى الغزال : وهى الظبية . والغزالة : الشمس عند ارتفاعها . والكلة : الستر . وفتك به (من بابى ضرب وقتل) فتكاً (بتثليث الفاء) : انتهز منه فرصة ، فقتله على غرة ، وغدر به ، واغتاله . أو بطش به ، وقتله مجاهرة . وضرغامه : ضرغام الوادى . والضرغام : الأسد الضارى الشديد . والرجل الشجاع . وفى « الكلة » إشارة إلى رفاهة المتغزل بها ، أو احتجابها . وكلاهما مما يضاعف صبابة الصب المستهام .

شبه محبوبته بالظبية ، أو بالشمس . وقال : إنها رافهة ناعمة محجبة ممنعة . وإذا حدثت غيرها روت أنباء فتك الحسان بعشاقهن . أو فتك ضراغمة ذلك الوادى بمن يحاول الوصول إليهن ؛ فهن فى حراسة يقظة قوية ، شديدة مستحكمة . أو المعنى : أن هذه الغادة الحسناء تصرع عشاقها كما تصرع الأسود فرائسها .

(٢٣) ضاهاه : شاكله ، وشابهه ، وماثله . والقامة : القدّ ، والقوام ، وحسن الطول . والسراح : اسم من سرّح الشىء تسريحاً : أى سهله ويسره . وسرحت المرأة شعرها : رجّلته ، ومشّطته ، وخلصت بعضه من بعض بالمشط . ويراد بسراح القناة : اعتدالها واستواؤها ، على التشبيه بالشعر المرجّل المسرح . أو هى السراح (بكسر السين) : جمع سرحة (بفتح السين) : وهى الشجرة الطويلة المعتدلة تشبه بها القامة فى حسن الطول ، والاستواء ، والاعتدال ، والمرونة . وتتخذ منها القناة : وهى الرمح الأجوف . والعصا المعتدلة المستوية المشذّبة . وحكت : ضاهت ، وشابهت ، وماثلت ، وشاكلت . واللحظة : النظرة السريعة بمؤخر العين . ومن كلامهم : « فتنته لحظاتها وألحاظها » . والحسام : السيف الحادّ القاطع ومضاؤه : حدته ، ونفاذه ، وسرعة قطعه . والضمير المجرور المضاف إليه فى « قناته »

هِيَ مِثْلُهُ فِي الْفَتْكِ، أَوْ هُوَ مِثْلُهَا　　سِيَّانِ وَقْعُ لِحَاظِهَا وسِهَامِهِ (٢٤)

فَسَقَى الْحِمَى دَمْعِي إِذَا ضنَّ الْحَيَا　　بِجُمَانِ دِرَّتِهِ سُلَافَةَ جَـامِهِ (٢٥)

= و « حسامه » يعود على « ضرغام » الوادي فى آخر البيت السابق .

يقول : إن الحسناء التى يتغزل بها ، قامتها معتدلة ، مستوية ، فى حسن طول استواء رمح الرامح الشجاع المقدام من رجال ذلك الوادى . ونظرتها فاتنة ساحرة فاتكة فتك سيفه البتّار . والبيت الآتى تكرار وتأكيد لمعنى الشطر الثانى من هذا البيت .

(٢٤) هى : أى الحسناء التى يشبّب بها . أو نظراتها الفاتنة . ومثله : مثل « الضرغام » : أى الشجاع المقدام من رجال واديها . أو مثل سيفه البتار . و« أو » : بمعنى « واو » العطف . وهى مثله ، وهو مثلها : أى هى تشبهه فى الفتك بعشاقها ، وهو يشبهها فى الفتك بأعدائه . والشطر الثانى تكرار لهذا المعنى . وسيان : مثنى سىّ : وهو المثل ، والشبيه ، والنظير . ولحاظها (بكسر اللام) : لحظاتها : جمع لحظة : وهى النظرة السريعة ، تكون بمؤخر العين . والسهام : جمع سهم : وهو عود خشبىّ يسوّى ، ويركّب فى طرفه نصله : أى حديدته القاطعة الجارحة ، ويرمى به عن القوس . وكانت القسىّ من أدوات الصيد والقتال : أى سيان وقع لحظاتها فى قلوب عشاقها ، ووقع سهامه فى صدور أعدائه .

والبيت تكرار وتأكيد لمعنى الشطر الثانى من البيت السابق ، فالحسناء المتغزل بها نظراتها فاتنة ساحرة فاتكة ، تهيم العشاق وتستهويهم وتصرعهم ، كأنها سهام المحارب الشجاع ، أو الصياد الماهر من رجال واديها ، وأبطال قومها .

(٢٥) الحمى : المكان المحمىّ المصون المنيع . ويراد به : وطن الشاعر ، ومغنى شبيبته ولهوه ، ومسرح حبه وغرامه . وضن (كتعب وضرب) : شح وبخل . والحيا : المطر . والجمان اللؤلؤ . وحب يصاغ من الفضة على شكل اللؤلؤ . واحدته جمانة . ويراد به هنا : قطرات المطر على التشبيه بحبات الفضة وصغار اللآلئ فى الصفاء والنقاء . والدرة (بكسر الدال وفتحها) : اللبن أو كثرته . وتستعار للمطر . وسلافة كل شىء وسلافه : خالصه . والجام : إناء للشراب والطعام ، يكون من الفضة أو نحوها . وهى مؤنثة ، فارسية الأصل . وقد غلب استعمالها فى الكأس : أى قدح الشراب . وسلافة الجام : ما تحتويه من خالص الشراب . ويلاحظ أن الكلمات المجازية مالت بالبيت إلى الثقل والتكلف ، وتجافت عن اليسر والسهولة والطبع والسليقة . والترتيب الأصل لهذا الكلام : « فسقّ دمعى الحمى سلافة جامه إذا ضن الحيا عليه بجمان درته » .

يدعو لوطنه بالسقيا والرىّ والخصب والخير الموفور ، فإذا بخل عليه المطر بمائه الغزير النقىّ الصافى أرواه بخالص دموعه ، وهى دموع الحب والشوق ، والحنين والوفاء ، والإعزاز والتكريم . وفى هذا البيت وثلاثة الأبيات بعده انتقال من الغزل والتشبيب إلى تمجيد الوطن ، والتحدث بنعمه وأياديه .

مَغْنًى ، رَعَيْتُ بِهِ الشَّبِيبَةَ غَضَّةً   وَرَوَيْتُ قَلْبِي مِنْ سُلَافِ غَمَامِهِ[٢٦]

فَنَسِيمُ رُوحِي مِنْ أَثِيرِ هَوَائِهِ   وَقِوَامُ جِسْمِي مِنْ مِزَاجِ رَغَامِهِ[٢٧]

لَا يَنْتَهِي شَوْقِي إِلَيْهِ . وَقَلَّمَا   يَسْلُو حَمَامُ الْأَيْكِ عَنْ تَرْنَامِهِ[٢٨]

---

(٢٦) غنى بالمكان (من باب رضى) : أقام به . والمغنى : المنزل الذى غنى به أهله . ورعيت : راعيت ، ولاحظت ، وحفظت ، وتعهدت . والشبيبة : الشباب ؛ وهو الفتاء ، وحداثة السن . وغضة : ناضرة فتية . ورويت : سقيت . والغمام : السحاب . واحدته غمامة . وسلاف الغمام : المطر . ويراد به : أنهار الوطن ، ومناهل مياهه ، ومواردها . وفى رى قلبه إشارة إلى راحة نفسه ، ورخاء باله ، وهناءة حاله .

يحدث بشيء من نعم وطنه عليه ؛ فن مناهله ومشاربه استقى وارتوى وامتلأ وشبع . وفى ربوعه ومغانيه نما وشب ، ونشأ وترعرع ، واستمتع بغضارة الشباب ونضارته وطراءته ورونقه .

(٢٧) النسيم : القوة والصلابة . والريح الطيبة اللينة اللطيفة . والروح (بضم الراء) : النفس . وما به حياة الأنفس . والروح (بفتح فسكون) : التنفس . ونسيم روحى : قوة نفسى وصلابتها وحياتها . أو الهواء الطيب اللطيف الذى أتنفس منه ، وتحيا به نفسى . وأثير هوائه : خالص هواء وطنى . من قولهم : فلان أثيرى : أى من خلصائى الذين أوثرهم وأقدمهم . أو يراد بالأثير : الهواء ؛ فهو من إضافة الكلمة إلى مرادفها . وفى علم الطبيعة : أن الأثير : سيال يملأ الفراغ ، ويتخلل الأجسام . وقوام جسمى (بكسر القاف) : عماده ، ونظامه ، وبناؤه ، وما يقوم به . أو ما يقيمه ويحفظه من القوت والغذاء . والمزاج : ما يمزج به الشراب ونحوه . والرغام : التراب . ومزاج رغام الوطن : ما تنبته أرضه . ولعله يشير إلى قول الله تبارك وتعالى فى القرآن الكريم : « منها خلقناكم » (الآية رقم ٥٥ من سورة طه) : أى من الأرض . وقوله عز وجل : « هو الذى خلقكم من تراب » (الآية رقم ٦٧ من سورة غافر) والضمير المجرور المضاف إليه فى « هوائه » ، و « رغامه » يعود على « الحمى » ، أى الوطن .

حدث بأعظم نعم وطنه عليه ؛ فن أثيره وهوائه يتنفس ويعيش ، ويحيا ويقوى . ومن أرضه وترابه ونباته وثماره قوته وغذاؤه ، وطعامه وشرابه ، وقوام جسمه وبناؤه ، وعماده ونظامه . ولا ريب أن هذا التحديث ينم على الحب والتقدير ، والشكر والتكريم ، والشوق والحنين . والبيت الآتى فى معنى الشوق إليه ، والتعلق به ، والحرص عليه .

(٢٨) إليه : إلى الحمى : أى الوطن . وسلاه ، وسلا عنه : نسيه ، وطابت نفسه بعد فراقه والأيك : جمع أيكة : وهى الكثير المجتمع الملتف من الأشجار . ورنم المغنى والحمام وكل ما استلذ صوته (من باب طرب) : أى رجع صوته ، وطرب به ، وتغنى . والترنام (بفتح التاء) : مصدر يدل على الكثرة والمبالغة .

يشير إلى ما فى طبيعة الحمام من إلف موطنه ، والحرص عليه ، والحنين إليه . وكأنما يعبر بترنامه وتطريبه ، وسجعه وهديره عن هذه المعانى السامية ، والمشاعر الرقيقة . وفى الشاعر ما فى الحمام من =

يَا حبَّذَا عَصْرُ الشَّبَابِ ، وَحَبَّذَا رَوْضٌ جَنَيْتُ الْوَرْدَ مِنْ أَكْمَامِهِ[٢٩]

عَصْرٌ ، إذا رَسَم الْخَيَالُ مِثَالَهُ فى لَوْحِ فِكْرِى لَاحَ لِي بِتَمَامِهِ[٣٠]

إنِّى لَأَذْكُرُهُ ، وَأَعْلَمُ أَنَّنِى بَاقٍ عَلَى التَّبِعَاتِ مِنْ آثَامِهِ[٣١]

= هذا ؛ فتعلقه بوطنه شديد ، ووفاؤه له تام، وبره به موفور ، وشوقه إليه لا ينقطع ، ولا يفتر . وهو لا يفتأ يتغنى بمحاسنه ،.ويحدّث بإفضاله عليه ، ويشكر إحسانه إليه .

(٢٩) « يا » : حرف تنبيه . أو حرف نداء والمنادى محذوف . وعصر الشباب : زمنه ، وطوره . وحبذا : أسلوب مدح . والمخصوص بالمدح فى العبارة الأولى « عصر الشباب » . وفى العبارة الثانية « روض » : وهو البستان النضير . والأرض الخصبة ذات الماء والخضرة . وجنيت الورد ونحوه (من باب رمى) : قطفته من شجره . والأكمام : جمع كمّ (بوزن كنّ وأكنان) : وهو غطاء الزهرة : أى الغلاف الذى يحيط بها ، فيسترها ، ثم ينشق عنها . ويريد بالروض : عصر شبابه . ويريد بالورد : ما استمتع به من لذّات الشباب ومباهجه .

(٣٠) الخيال : قوّة التخيّل : وهى إحدى قوى العقل . وفى استطاعة كل عاقل أن يتخيّل الشىء : أى يتصوّره . ومثال الشىء : صورته التى تمثّل صفاته ، وتصوره تصويراً تاماً . واللوح : ما يكتب فيه ويرسم ، يكون من الخشب والورق المقوى وغيرهما . والفكر : إعمال العقل فى المعلوم الذى يعين على تعرف المجهول . ويراد به هنا : الذهن . ولوح فكرى : فكرى الشبيه باللوح . ولاح : بدا ، وظهر ، واتضح . وفاعله ضمير « مثال » .

يشير إلى شدة تعلقه بشبابه الراحل ، وحنينه إليه ، وتأثره به ، وتذكّره لعصره ؛ فإذا تخيّله رأى صورته حاضرة أمامه ، مرسومة فى ذهنه ، واضحة جلية ، حية قوية ، تامة كاملة ، مفصلة ممثلة .

(٣١) أذكره : أذكر عصر شبابى : أى أتذكّره ، ولا أنساه . والتبعات : جمع تبعة : وهى عاقبة الأمر ، ومغبّته ، وما يترتب عليه من أثر . وكثر استعمالها فى الآثار السيئة ، وما يترتب على الأفعال من شرور . وآثام : جمع إثم : وهو الذنب ، والجريرة ، والخطيئة . و «من» : بيانية . والآثام بيان للتبعات . ولعل المراد بهما ما يجنح له أكثر الشبان فى شبابهم من المرح واللهو ، والعبث والمجانة ، والهوى والغرام . ولعل مراده ببقائه عليها : دوام تذكّره لها ؛ فإن المقيم على الشىء يذكره ، ولا يكاد ينساه . وفى الذكرى راحة لمثله ومتعة .

فى البيت السابق وصف قوة تذكره لعصر شبابه ، وشدة تأثره به ، ومقدرته على استحضار صوره تامة واضحة فى ذهنه . ويبدو لنا أن هذا البيت تأكيد لهذا المعنى ؛ فإن تعلقه بذلك العهد بعد فواته يحضر على الدوام فى ذهنه وذاكرته ما كان له فيه من متع ولذات ، وشهوات ومسرات . ولعل البيت الآتى يسوّغ هذا المعنى ويرجحه .

مَا كَانَ أَحْسَنَ عَهْدَهُ لَوْ دَامَ لِي مِنْهُ الْوِدَادُ . وَكَيْفَ لِي بِدَوَامِهِ؟[٣٢]

وَالدَّهْرُ مَصْدَرُ عِبْرَةٍ لوْ أَنَّنَـــا نَتْلُو سِجِلَّ الْغَدْرِ مِنْ آثَامِهِ[٣٣]

عَمْرِي ، لَقَدْ رَحَلَ الشَّبَابُ ، وَعَادَنِي شَيْبٌ تَحَيَّفَ لِمَّتِي بِثَغَامِهِ[٣٤]

---

(٣٢) عهده : عهد الشباب : أى زمانه . ومنه : من الشباب . أو من عهده . والاستفهام فى الشطر الثانى : معناه النفى . وهو مع النفى ينم على الأسى والتحسر والتلهف والحزن على شبابه بعد فواته ، وانقطاع مصافاته ووداده .

يقول — فى تحزّن وتوجع ، ولهفة وحسرة : لا سبيل إلى دوام زمن الشباب . ولو دام لكان جديراً أن يتعجّب من حسنه وبهجته ، وبقاء متعه ومسرّاته .

(٣٣) السجلّ . الدفتر ، أو الكتاب يدون فيه ما يراد حفظه وتسجيله . ويلاحظ أن الشاعر كرر كلمة «آثامه» فى البيتين الحادى والثلاثين والثالث والثلاثين . وهذا عيب من عيوب القافية اسمه «الإيطاء» : وهو إعادة كلمة الروىّ لفظاً ومعنى من غير أن يفصل بين الكلمتين المكررتين سبعة أبيات فأكثر . وقد سبق هذا العيب نفسه فى البيتين السادس والسابع من هذه القصيدة .

فى أربعة الأبيات السابقة اشتدّ تعلّق الشاعر بشبابه الراحل ، واشتدت حسرته على فواته . وفى هذا البيت شكا الدهر ، وتبرم به ، وسخط عليه ؛ فإن ذهاب شبابه أثر من آثار تقلب الدهر ، وتحيف الزمان وتجرده من الخير والوفاء . ولو قرأنا من سجلات آثامه وجرائره سجلّ غدره وخياناته لأفدنا منه كثيراً من العبر والعظات ، وتوقينا كثيراً من الشرور والآفات .

أو المعنى : أن الدهر سجل لما يكون فى الحياة الدنيا من خير وشر ، ومسرات ومساءات ، فإذا قرأنا ما حواه هذا السجل من شرور وخيانات اتعظنا واعتبرنا ، ووقينا أنفسنا أن نقع فى مثل ما وقع فيه غيرنا . وهذا المعنى وثيق الاتصال بما قبله وما بعده ؛ فإنه لما تحسر على فوات عهد شبابه ، وتعلق ذهنه وفكره بذكريات ذلك العهد ، قرأ فى سجل الزمن صوراً وأمثلة من غدر الناس وخيانات بعضهم لبعض ؛ فاعتبر بها ، ودعا غيره إلى الاعتبار والاتعاظ . وأجرى البيت مجرى الحكم والأمثال .

(٣٤) عمرى : أسلوب قسم : أى أحلف بحياتى . وعادنى : عرانى وأصابنى . وتحيّف لمتى : تنقص سوادها ، وذهب به . واللمة : شعر الرأس الذى يجاوز شحمة الأذن . أو الذى يلم بالمنكب : أى يقرب منه . ويراد باللمة هنا : شعر الرأس مطلقاً . وثغام الشيب (بفتح الثاء) : بياضه . وهو فى الأصل : جمع ثغامة : وهى شجرة ذات زهر أبيض وثمر أبيض ، تنبت فى قنن الجبال . وإذا يبست اشتد بياضها ؛ ولهذا عبروا بها عن الشيب وبياضه . وشدة تعلق الشاعر بشبابه الراحل ، وشدة تبرمه بالشيب الملمّ سوّغت له أن يصدر هذا البيت بالقسم ؛ فهو يؤكد به — فى أسى وحسرة — أن شبابه ذهب ، ومضى ، ورحل ، وانقضى . وحلّ محلّه الشيب ، وهو نذير الموت والهلاك ، ورائد الردى والفناء . وكأن المقام مقام شك وارتياب فى قلة متاع الدنيا ، وذهاب زينتها وبهجتها ، وسرعة الرحيل عنها ، وسرعة انقضاء زهرة العمر ونضارته ؛ فهو يمحو هذا الشك بهذا القسم .

القصيدة التاسعة والثلاثون

وَقَالَ وَهُوَ بِسَرَنْدِيبَ يَتَشَوَّقُ إِلَى الْوَطَنِ ، وَيَذْكُرُ أَعْدَاءَهُ :

أَعَا (ئِدٌ) بِلِكِ ـ يَارَيْحَانَةُ ـ الزَّمَنُ ؟ فَيَلْتَقِي الْجَفْنُ ـ بَعْدَا لْبَيْنِ ـ وَالْوَسَنُ (١)

أَشْتَاقُ رَجْعَةَ أَيَّامِي لِكَاظِمَةٍ وَمَا بِيَ الدَّارُ لَوْلَا الْأَهْلُ وَالسَّكَنُ (٢)

---

(١) يعيب الأصل المخطوط الذى بين أيدينا كثير من تصحيفات الناسخ وتحريفاته . وفيه إلى هذا نقص وزيادة ، وأخطاء إملائية ، ونحوية ، ولغوية غير قليلة ، نبّهنا القارئ على بعضها ، وأغفلنا الإشارة إلى كثير منها . وفى الشطر الأول من هذا البيت نقص أكملناه من عندنا على عادتنا ، وباجتهادنا ، وجعلنا التكملة بين قوسين ، وبها استقام وزن البيت ومعناه . والاستفهام فى أوله : معناه التمنى . وبك : أى بلقائك . و « ريحانة » : اسم ، أوصفة لمحبوبته التى يتغزل بها ، ويتمنى لقاءها . وهو فى الحقيقة يتغنى بمصر ، ويصبو إليها . والريحانة (فى الأصل) : واحدة الريحان : وهو نبت طيب الرائحة ، وجمعه رياحين . ويريد بالزمن : ماضيه السعيد ، وما كان يستمتع به فى مصر قبل النفى من اجتماع الشمل ، وهناءة العيش . والجفن (بفتح فسكون) غطاء العين من أعلاها وأسفلها . وجمعه جفون ، وأجفان . والبين : من أسماء الأضداد ؛ فهو يأتى بمعنى الوصل ، وبمعنى الفرقة ، والمعنيان صالحان هنا ، والأول أرجح وأقرب . والوسن : النعاس : مصدر وسن (من باب تعب) : أى أخذ فى النعاس . والتقى الشيئان : استقبل كلُّ منهما صاحبه واجتمعا . ويراد بالتقاء الجفن والوسن : استمتاعه بالنوم الهنى ، بعد معاناة الأرق والسهاد من طول الافتراق ، وحرقة الوجد ، وقسوة البعاد والاغتراب وهو يكنى بالنوم عن رخاء البال ، واطمئنان النفس ، وصلاح الحال .

نادى مصر نداء المشوق المستهام ، وتمنى لقاءها ، ليعودَ إليه ماضيه السعيد ، وينعم بعد الوصال برخاء البال ، وطمأنينة النفس ، وهناءة الحال ، والبيتان الآتيان تكرار ، وتأكيد ، وتفصيل لهذا المعنى .

(٢) رجعة : رجوع ، وعودة . و « كاظمة » : موضع . أو جوّ : أى واد واسع على سيف البحر ، على مرحلتين من البصرة ، وفيها ركايا (أى آبار) كثيرة ، وماؤها شروب : أى صالح للشرب . و « كاظمة » ممنوع من الصرف : أى التنوين ، وإنما نوّنت هنا لضرورة وزن الشعر =

فَهَلْ تَرُدُّ اللَّيَالِي بَعْضَ مَا سَلَبَتْ ؟ أَمْ هَلْ تَعُودُ إِلَى أَوْطَانِهَا الظُّعُنُ ؟[٣]
أَهَنْتُ لِلْحُبِّ نَفْسِي بَعْدَ عِزَّتِهَا وَأَيُّ ذِي عِزَّةٍ لِلْحُبِّ لَا يَهِنُ ؟[٤]
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْهَوَى سِرٌّ لَمَا ظَهَرَتْ بِوَحْيِ قُدْرَتِهِ فِي الْعَالَمِ الْفِتَنُ[٥]

= ويريد بها مصر وطنه . والأهل : الأقارب ، والعشيرة ، والزوجة . وأهل الدار ونحوها : سكانها . والسكن (بفتحتين) : كل ما سكنت إليه ، واستأنست به ، واطمأنت به نفسك من أهل ومال وغيرهما. والشطر الثانى فى معنى قول الشاعر :

وما حُبُّ الدِّيارِ شَغَفْنَ قَلْبِي ولكنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيارَا

(٣) الاستفهام فى شطرى البيت : للتمنى ؛ فهو يتمنى أن تردّ الليالى إليه وإلى أمثاله بعض ما انتزعته ، كما يتمنى أن يعود المغتربون إلى أوطانهم . وقد اعتاد الناس– وبخاصة الشعراء – أن ينسبوا إلى الليالى والأيام ، أو إلى الدهر والزمان – ما ينتابهم من الشر والمساءة ، والبأساء والضراء . وهم فى الحقيقة يقصدون من ظلمهم، وأضرّ بهم، وأساء إليهم من شرار الناس أوجبّاريهم . وسلبته الشىء: انتزعته منه ، وأخذته قهراً . (وبابه قتل) . و « أم » فى أول الشطر الثانى : حرف بمعنى « بل » كما فى قول الله تبارك وتعالى : « قل هل يستوى الأعمى والبصير ؛ أم هل تستوى الظلمات والنور » الآية رقم ١٦ من سورة الرعد . و « بل » هنا : للإضراب الانتقالى ؛ أى الانتقال من معنى إلى معنى آخر . والظعن (بضمتين) : جمع الظعينة : وهى الراحلة : أى الركوبة يرتحل عليها : من ظعن (من باب منع) : أى سار ، وارتحل ، وسافر . ويريد بالظعن : أمثاله المغتربين المبعدين عن أوطانهم .

سلبته الليالى حريته ، وأمنه ، وطمأنينته ، وما كان يستمتع به فى وطنه بين أهله وصحبه من حياة طيبة وادعة هنيئة ؛ فتمنى فى الشطر الأول أن ترد إليه الليالى بعض هذه الأسلاب . ثم تمنى فى الشطر الثانى أن يعود المغتربون إلى أوطانهم ، وهو بعض ما تمناه فى الشطر الأول .

(٤) أهنت نفسى : أذللتها : من الإهانة : وهى الإذلال والاستخفاف . والحب : أى بسبب الحب، ومن أجله ؛ فاللام هنا : تعليلية . أوهى بمعنى « فى » : أى فى سبيل الحب . أوهى الحب (بكسر الحاء) : بمعنى المحبوب : أى تطامن للمحبوب ، وذلّ ، وانقاد . والعزة : القوة ، والغلبة ، والحميّة ، والأنفة . وضدها الذلة ، والضعف ، والمهانة . والاستفهام فى أول الشطر الثانى : معناه النفى ؛ فكل عزيز قوىّ تنهار عزته وقوته تحت سلطان الحب والغرام . ووهن يَهِنُ (من باب وعد) : ضعف وانكسر .

يقول: إن سلطان الهوى والغرام يهدم عزة الأعزاء ، وقوة الأقوياء ، وإن المحبوب يسيطر بسرّ الحب وسطوته على المحب المستهام ، ولو كان عزيز النفس ، شديد البأس ، قوىّ الشكيمة ، ذا أنفة وحميّة ، وإباء وكبرياء .

والغزل فى هذا البيت ، وفى الأبيات التى قبله ، والتى بعده إلى البيت الثانى والعشرين من هذه القصيدة ، وفيما شابهها من السرنديبيات – هو فى حقيقته وجد الشاعر وحنينه إلى وطنه ودياره ، وتعلقه بمن فارقهم من أهله وصحبه .

(٥) « لو» حرف شرط وتقدير ، إذا دخلت على ثبوتين كانا منفيين ، وإن دخلت على منفيين كانا ثبوتين ، كما فى هذا البيت . والمعنى : فى الهوى سرّ ظهرت الفتن فى العالم بوحى قدرته . والهوى =

فَكَيْفَ أَمْلِكُ نَفْسِى بَعْدَمَا عَلِقَتْ   بِىَ الصَّبَابَةُ حَتَّى شَفَّنِى الْوَهَنُ(٦)
لَوْلَا جَرِيرَةُ عَيْنِى مَا سَمَحْتُ بِهَا   لِلدَّمْعِ تَسْفَحُهُ الْأَطْلَالُ وَالدِّمَنُ(٧)

ألحب والغرام. وسر الهوى : ماخفى من حقيقة أمره ، وشدة تأثيره فى المحب المستهام . والوحى : الإيماء والإشارة . وفيه معنى العجلة ، والسرعة (وفعله من باب وعى) . والعالم : الخلق ، والناس . والفتن : جمع فتنة (بكسر فسكون) : وهى تدلُّه العاشقين ، وهيامهم . وفتنتْ المرأة عاشقها : أى أعجبته ، واستهامته ، وولَّهته ، وشغلتْ بالهوى قلبه ، وسلبتْ عقله وفؤاده . أو يراد بالفتن : بلبلة الأفكار ، والشدائد ، والاضطرابات التى تضطرم بين الناس بسبب ما يكون بين فتياتهم وفتيانهم ، ورجالهم ونسائهم من علاقات الحب والغرام ، وما يلابسها من الغيرة ، والعذل ، والحقد . أو يراد بالفتن : ماينتجه الهوى من عذاب المحبين أوصابهم .

يشير إلى ما خفى على الناس من أسرار الحب ، ومحجّبات الغرام ، وما يميزه من سرعة المقدرة ، وقوة السلطان ، وما يبدو فى الوجود من فتنه وآثاره . وفى ثلاثة الأبيات الآتية بيان وتفصيل لبعض هذه الآثار .

(٦) الاستفهام فى أول هذا البيت : معناه النفى : أى فلست أملك نفسى ، ولم تبق لى سيطرة عليها ، ولا أستطيع التصرف فى أمرى بإرادتى واختيارى . وعلق الشىء بالشىء (من باب تعب) : نشب فيه ، واستمسك به ، وتعلق . والصبابة : رقّة الشوق ، وحرارة الهوى . وشفّنى : هزلنى ، ونحلنى ، وضمّرنى ، وأضنانى (وبابه ردّ) . والوهن (بفتحتين ، أو بفتح فسكون) : ضعف فى البدن ، وفى الأمر ، وفى العمل . (وفعله كوعد ، وفرح ، وورث ، وكرم) .

فى البيت السابق أشار إشارة مجملة إلى فتن الهوى فى العالم ، وآثار العشق فى العاشقين . وفى هذا البيت تفصيل لبعض هذه الآثار ؛ فقد نشبت الصبابة بالشاعر ، وبرّح به الشوق ، وتمكّن منه الحب ؛ فهزله وأضعفه وأضناه ، وأفقده السيطرة على نفسه .

(٧) لولا » : حرف يدل على امتناع شىء لوجود غيره . وهى هنا داخلة على جملتين : اسمية ففعلية ؛ لربط امتناع الثانية بوجود الأولى . والثانية منفية فى الأصل . وقد أفادت «لو» امتناع النفى : أى نفى النفى : أى الإثبات . والمعنى : أن جريرة عينه وانهمار دمعه موجودان ثابتان ، والعلاقة بينهما : علاقة السبب بالمسبب . والجريرة : الجناية ، والذنب ، والخطيئة . وجريرة عينه : أنها نظرتْ إلى الحسناء المتغزل بها ، فهويها ، وتعلّق بها ، وكان من آثار الهوى ماأشار إليه فى البيت السابق ، وما شكاه فى هذا البيت من فرط وجده ، وكثرة بكائه ، وغزارة دمعه . وسمح : جاد ، وأعطى ، وبذل . وسمح له بكذا : أذن له فيه ، ووافقه على ماطلب : أى ولولا جريرة عينى ماسمحت لدمعى أن يجرى بها أى يجرى فيها ، أو منها . أوهى من تصحيف الناسخ ، وصوابها سحت . أى صببت ، من قولهم : سحّ الماء والدمع ونحوهما (من باب ردّ) : إذا صبّه بشدة وغزارة . ويلاحظ أن الشاعر عدّاه إلى المفعول به باللام ، وهو متعدّ بنفسه : أى ولولا جريرة عينى ماسححت الدمع بها : أى منها . وتسفحه (من باب قطع) أى تسفح الدمع : أى تصبّه وتجريه . وفاعله « الأطلال » . أى رؤية الأطلال ، والوقوف بها : جمع طلل (بوزن سبب وأسباب) : وهو مابقى شاخصاً : أى قائماً ظاهراً من آثار الديار التى هجرها أهلها. =

دَعَتْ إِلَى الْغَيِّ قَلْبِي ، فَاسْتَبَدَّ بِهِ شَوْقٌ تَوَلَّدَ مِنْهُ الْهَمُّ . وَالشَّجَنُ[٨]

وَدُونَ مَا تَبْتَغِيهِ النَّفْسُ مِنْ أَرَبٍ بَيْدَاءُ تَصْهَلُ فِي أَرْجَائِهَا الْحُصُنُ[٩]

وَفِي الْأَكِلَّةِ آرَامٌ تُطِيفُ بِهَا أُسْدٌ بَرَاثِنُهَا الْخَطِّيَّةُ اللُّدُنُ[١٠]

= ومثلها الدمن : جمع دمنة (بوزن ملّة وملل) : وهى آثار الناس ، وما سوّدوه : أى آثار المنازل والديار التى ارتحل عنها أهلها ، فأقوتْ : أى خلتْ منهم ، وخربتْ بعدهم .

والبيت صورة من صور الحب البدوىّ القديم ، والعيشة البدوية فى شبه الجزيرة العربية ؛ إذ كان طابعها التنقّل فى طلب الماء والمرعى؛ فإذا مرّ العاشق بالأطلال والدمن.وقف عليها ، وتغنّى بما كان له فيها مع معشوقته من لقاءات وذكريات ، تثير الوجد والصبابة ، وتبعث الأسى والبكاء . والبارودى متأثر بقدامى الشعراء ، يقتدى بهم ، وينسج على منوالهم ، ويحيى بشعره شعرهم ، ويعرض مثل هذه الصور التقليدية القديمة فى مثل هذا المقام ؛ ليعبّر بها عن وجده وحنينه إلى أهله ووطنه .

(٨) دعاه : صاح به ، وناداه . ودعاه إلى الشىء : أى حثه عليه ، وساقه إليه . وفاعل « دعت » : ضمير « عينى » فى البيت السابق . وقد أسلفنا أن نظرته إليها أوقعته فى شرك الهوى ، وحبائل الغرام . والغىّ : الجهل والضلال . وضده الهدى والرشاد . ويراد بالغىّ هنا : الهوى والغرام . واستبدّ الأمر بفلان : غلبه ، فلم يقدر على ضبطه . واستبدّ بقلبه الشوق : سيطر عليه ، وبرّح به . وتولّد الشىء من الشىء : نشأ عنه . ومنه : أى من الشوق . والهمّ : الحزن والقلق . والشجن : الحزن .

فى البيت السابق قال : إن نظرته إلى الحسناء المتغزل بها كانت من جرائر عينه عليه ؛ إذ أوقعتْه النظرة فى شرك الهوى ، وحبائل الغرام ، وبرّح به الوجد والهيام ؛ فبكى ، واشتدّ بكاؤه ، وسحّ دمعه ، واشتد انصبابه .

وفى هذا البيت : أن هذه النظرة ساقت قلبه إلى الغى ، وحادت به عن سبيل الرشد ؛ فغلبه الحنين والشوق ، وما نشأ عنهما ، ولابسهما من القلق والحزن .

(٩) « دون » هنا : ظرف مكان ؛ بمعنى « قبل » أوبمعنى « بين » . وتبتغيه : تريده وتطلبه . و« من » : بيانية ، لما بعدها ، وهو« الأرب» : بيان لما قبلها ، وهو« ما تبتغيه » . والأرب : الحاجة . أو الحاجة الشديدة . أو البغية والأمنية . والبيداء : الفلاة ، والمفازة ، والصحراء . والصهيل والصهال : صوت الفرس (وفعله كضرب ونفع) . والأرجاء : النواحى : جمع رجاً (بوزن صدًى وأصداء) . والحصُن : جمع حصان (بكسر الحاء) : وهو الذكر من الخيل . وصهيل الحصُن فى أرجاء البيداء : كناية عن امتداد نواحيها ، وتباعد أطرافها ، وصعوبة اجتيازها ، وبُعد ما يبتغيه الشاعر ويتمناه .

والمعنى : أنه لا سبيل إلى بلوغ مبتغاه ، وتحقيق مايتمناه .

(١٠) الأكلّة : جمع إكليل (بكسر فسكون فكسر) : وهو شبه العشاء يحيط بالشىء . ويراد به هنا : السّتر الذى تحتجب فيه الفتاة المخدّرة وتصان . والإكليل أيضاً : منزل من منازل القمر . ويراد =

مِنْ كُلِّ حَوْرَاءَ مِثْلِ الظَّبْيِ ، لَوْ نَظَرَتْ   لِعَابِدٍ لَشَجَاهُ اللَّهْوُ وَالدَّدَنُ (١١)

فِي نَشْوَةِ الرَّاحِ مِنْ أَلْحَاظِهَا أَثَرٌ   وَفِي الْجَآذِرِ مِنْ أَلْفَاظِهَا غُنَنُ (١٢)

= بالأكلة : منازل الآرام ، أو الأقمار : أى الحسناوات المتغزل بهن . والآرام ، ومثلها الأروام : جمع رئم (بكسر فسكون) : وهو الظبى (أى الغزال) : الخالص البياض . وتشبه به الحسناء من النساء فى جمال الجيد والعينين ، والرشاقة ، ولطف الحركة ، وحسن التثنى . وتطيف بها : تحيط بها : والأسد : جمع أسد ، ويضرب به المثل فى القوة والجرأة ، ويشبه به الرجل القوى الشجاع . وإطافة الآساد بالأكلة والآرام : كناية عن مناعة هؤلاء الحسان ، ومبالغة أهلهن فى حمايتهن ، وصعوبة وصول عشاقهن إليهن . وبراثن السباع والطير الصائدة : مخالبها : وهى بمنزلة الأظفار من الإنسان . واحدها « برثن » (بوزن برقع) . والخطية : الرماح المنسوبة إلى الخط : وهو موضع ببلاد البحرين ، تباع فيه الرماح ، وتنسب إليه . واحدها الخطى . ورمح لدن (بوزن سهل) : ورماح لدان (بوزن صيحاب) ولدن (بضم فسكون ، وضم الدال فى مثل هذه الكلمة إتباع لضمة اللام قبلها) : أى فيها لين ومرونة . واللدانة واللدونة من الصفات المستحسنة فى الرماح .

فى البيت السابق قال : إن له أرباً يصعب الوصول إليه . وفى هذا البيت تفصيل لهذا الإجمال ؛ فأربه لقاء حسان كالآرام . محجبات ، يحميهن بالسلاح رجال شجعان أولو قوة ، وأولو بأس شديد .

(١١) « من » فى أول البيت : بيانية ؛ فما بعدها وهو « كل حوراء » بيان لما قبلها ، وهو « آرام » . وحوراء : أى فتاة حوراء : صفة من الحور (بوزن الطرب) : وهو شدة بياض بياض العين ، مع شدة سواد سوادها ، مع استدارة حدقتها ، ورقة جفونها ، وابيضاض ما حواليها . أو شدة بياضها وسوادها فى شدة بياض الجسد . (والفعل من باب طرب) . والحوراء من النساء : البيضاء . والجمع حور (بضم فسكون) . قيل : ولا يكون حور العينين إلا مع بياض البشرة . والظبى : الغزال ، وتشبه حسان النساء بالظباء . وشجاه (من باب عدا) : أهمه ، وأطربه ، وشغل باله . واللهو : مصدر لها بالشىء (من باب عدا) : أى أولع به ، وأغرم . والددن : اللهو ، واللعب .

العابد مقبل على عبادة الله تعالى ، مشتغل بها ، منصرف عن غيرها ، يمقت ما يناقضها . والحور العين اللائى شبههن الشاعر بالآرام باهرات الحسن ، فائقات الجمال ، ساحرات العيون ، لو نظرت إحداهن إلى عابد لفتنته ، ولهته ، وصرفته عن العبادة والطاعة . يكنى الشاعر بهذا كله عن فائق حسنهن ، وسحر نظراتهن ، وشدة تأثيرهن فيمن يراهن ، ولو كان من العباد الزهاد .

(١٢) الراح : الخمر . ونشوتها (بتثليث النون) : سكرتها . وألحاظها : نظراتها : أى نظرات الحور اللائى يتغزل بهن . ولحظه ، ولحظ إليه (من باب قطع) : نظر إليه بمؤخر عينه . ومن كلامهم « فتنته ألحاظها وألفاظها » . والأثر : العلامة والأمارة . وأثر الشىء : بقيته ، وما يحدثه فى غيره . وجمعه آثار . والجآذر : جمع جؤذر (بضم الذال وفتحها) : وهو ولد البقرة الوحشية . والكلمة فارسية . وتشبه المرأة الحسناء بالبقرة الوحشية فى جمال العينين ، وحسن اتساعهما . والغنن : جمع غنة (بوزن قلة) : وهى صوت رخيم يخرج من الخيشوم . وفى ترنين الظبى ونحوه غنة : وهى ترخيم فى صوته من نحو الخياشيم ، بمون =

دَقَّتْ ، وَجَلَّتْ ، وَلَانَتْ ، وَهْيَ قَاسِيَةٌ كَذَاكَ حَدُّ الْمَوَاضِي لَيِّنٌ خَشِنُ(١٣)

طَوَتْ بِهِنَّ النَّوَى عَنِّي بُدُورَ دُجًى لَا يَسْتَبِينُ لِعَيْنِي بَعْدَهَا سَنَنُ(١٤)

أَتْبَعْتُهُمْ نَظَرَاتٍ كُلَّمَا بَلَغَتْ أُخْرَى الْحُمُولِ ثَنَاهَا مَدْمَعٌ هَتِنُ(١٥)

= من تنفس الأنف .

نوه بنظرات الحور ، ونبرات أصواتهن ، قائلاً : إنهن بهذه النظرات والنبرات يستهوين العشاق ، ويذهبن بألبابهم ، كالخمر تسكر شاربيها ، وغنن الجآذر والظباء تطرب مستمعيها . ثم بالغ ، فقلب التشبيه ، فقال : فى سكرات الخمر آثار من لحظاتهن ، وفى غنن الجآذر مشابه من رخامة ألفاظهن . وقد أسلفنا أن هذا الغزل هو فى حقيقته تصوير دقيق بليغ لما يكابده فى غربته ومنفاه من الوجد والشوق والحنين إلى أهله وصحبه و وطنه .

(١٣) دقّت : رقّت : من الدقّة والرقّة : وهما خلاف الضخامة والثخانة والغلظ والصلابة . وفاعل « دقّت » : ضمير مستتر يعود على « الآرام » فى البيت العاشر . وجلّت : عظمت : وهى نقيض « دقّت » . ولان الشيء : سهل ، وانقاد ، فهو ليّن : أى سهل مرن . وقاسية : اسم فاعل من القسوة : وهى الغلظ ، والصلابة ، والشدة فى كل شيء . وقلب قاس : جامد غير رحيم . وحدّ كل شيء : طرفه الرقيق الحادّ القاطع . وسيف ماض : حادّ ، سريع القطع . وسيوف مواض . ويراد بخشونة الحدّ : حدّته ، ومضاؤه ، وسرعة قطعه . ولينه : مرونته : وهو ضد الخشونة .

تغزل فى البيت العاشر بالحسان المحجّبات ، وشبّههن بالآرام ، وشكا مناعتهن ، وتعسّر الوصول إليهن . ثم وصفهن فى هذا البيت بالدقّة والرقّة واللين ، يريد دقّة الشعور ، ورقّة الطبع ، ولين الجانب . وفيهن مع هذا كله عظمة مهيّبة ، وجلال ، وخشونة وغلظة وقساوة على العاشق الصبّ المستهام ؛ شأنهن فى هذا كله شأن السيوف المواضى ؛ فهى مع ليانها ومرونتها حادّة قاطعة .

(١٤) طوى الشيء (من باب رمى) : ضم بعضه على بعض ، أو لفّ بعضه فوق بعض . والطىّ : خلاف البسط . والنوى : البعد ، والفرقة . وهى مؤنثة . وطوته النوى عنى : غيّبته وأخفته . وبهن : أى بالآرام : أى بطيّهن و إبعادهن . والبدور : جمع البدر : وهو القمر ليلة تمامه واكتماله فى منتصف الشهر القمرى . والدجى : جمع دجية : وهى الظلمة (بضم فسكون فيهما) . ولا يستبين : لا يظهر ، ولا يتضح . وبعدها : أى بعد النوى ، أو بعد بدور الدجى : أى بعد فرقتها وبعدها ، وغيابها . وسنن الطريق (مثلثة السين ، وبضمتين) : نهجه وجهته .

شبههن بالأقمار المكتملة ، تنشر الضياء ، وتبدّد الظلمات ، وتبعث الارتياح والطمأنينة ، والبهجة والانشراح ؛ فلما طوتهن النوى عنه أظلمت الدنيا فى وجهه ، والتوت عليه الأمور ، واستبهمت أمامه الطرقات .

(١٥) أتبعت الشيء الشيء إتباعاً : ألحقته به ، وجعلته تابعاً له . وأتبعتهم نظراتى : أى أرسلت نظراتى إليهم فى أثناء الرحيل ؛ فهى تتبعهم وتلحقهم ، وتسير فى إثرهم . ويلاحظ أن الشاعر استخدم فى البيت السابق ضمير جماعة الإناث « بهن » ، وأعاده على الحور فى البيت الحادى عشر : « من كل حوراء » =

يَا رَاحِلِينَ وَفى أَحْدَاجِهِمْ قَمَرٌ   يَكَادُ يَعْبُدُهُ مِنْ حُسْنِهِ الْوَثَنُ(١٦)
مُنُّوا عَلَيَّ بِوَصْلٍ أَسْتَعِيدُ بِهِ   مِنْ مُهْجَتِي رَمَقًا يَحْيَا بِهِ الْبَدَنُ(١٧)

= أو على «الآرام» فى البيت العاشر، أى البدور، أو البيض الحسان اللائى تغزل بهن. وفى هذا البيت والأبيات التالية استخدم ضمير الذكور العقلاء «أتبعتهم» «ياراحلين وفى أحداجهم قمر» . . وقد أسلفنا أن الغزل فى هذه القصيدة ونظائرها ليس إلاتصويراً بليغاً لتعلقه بوطنه ودياره، وحنينه إلى من فارقهم من أهله وصحبه . لقد اشتدّ به الوجد فى منفاه ، فجعل ينظم هذه الأغانى الباكية المبكية ، الشجيّة المشجية . والأخرى: الآخرة. وضدها الأولى. والحمول (بضم الحاء) : جمع حمل (بكسر فسكون، أو بفتح فسكون) : وهو الهودج . أو البعير عليه الهودج : وهو أداة ذات قبّة ، أوشبه بيت مكعّب ، يوضع على ظهر الجمل ؛ لتركب فيه النساء . وثناها : صرفها ، وردّها (وبابه رمى) : أى ثنى النظرات ، وردّها ، وحجبها. والمدمع: مسيل الدمع . أو مجتمع الدمع فى نواحى العين . ويراد به الدمع . وجمع المدمع مدامع . والجمع هو المراد هنا : أى دموع هتّن (بضمتين) : جمع هتون (بوزن صبور) : أى غزير ، منصبّ ، متتابع . يقال : دمع هتون ، ودموع هتّن .

وفى هذا البيت صورة بدوية لموقف من مواقف الوداع، شديد التأثر والتأثير فى النفوس؛ فالشاعر يتبع من فارقهم وفارقوه من أهله وأحبائه بنظرات حبه ووجده، وكلما بلغت نظراته أخريات الرواحل والهوادج ارتدت إليه بدموع غزيرة تهطل هطلاناً .

(١٦) الراحلون : جمع راحل : اسم فاعل من رحل عن البلد (من باب منع) : أى ارتحل عنها ، وسار ، ومضى . ونداء الراحلين هنا ينمّ على الوجد والحسرة ، والأسى ، والصبابة . والواو بعده : واو الحال . والجملة بعدها حالية . والأحداج: جمع الحدج (بكسر فسكون) : وهو مركب من مراكب النساء كالهودج ، والمحفّة . و « من » فى الشطر الثانى : تعليلية : أى يعبده الوثن لحسنه ، أو بسبب حسنه ، أو من أجل حسنه .والوثن : التمثال الذى يعبد : يكون من الحجر ، أو الخشب، أو النحاس ، أو الفضة ، أو غير ذلك . والوثنيون : عبدة الأوثان .

نادى الذين فارقوه ، وارتحلوا عنه نداء المتعلق بهم ، المتحسّر على فراقهم. وخصّ بوجده وتحسّره فتاة منهم حسناء كالقمر . ثم بالغ فى تصوير حسنها ، فقال : إن الوثن — وهو معبود — يكاد يعبدها لفرط جمالها .

ومعنى الشطر الثانى — فى غير مبالغة — : أن منزلة هذه الحبيبة فى قلبه أعظم من منزلة الوثن فى قلب الوثنى . ويلاحظ أن الشاعر ما زال مولعاً بالصور البدوية ، أو العربية القديمة ؛ فالحمول ، والأحداج ، والهوادج ، والرواحل ، والمحفّات كلها من أدوات العرب الرحّل، ومراكب نسائهم فى الأسفار والتنقّلات ، وما اعتادوا توفيره للمرأة من الصيانة والحجاب .

(١٧) منّ عليه بكذا (من باب ردّ) : أنعم به عليه . والوصل : ضد الهجر : مصدر وصله (من باب وعد) . والمهجة: الروح والنفس . والرمق (بفتحتين) : بقيّة الروح. وبدن الإنسان: جسده . =

أَوْ فَاسْمَحُوا لِي بِوَعْدٍ إِنْ وَنَتْ صِلَةٌ فَالْوَعْدُ مِنْكُمْ بِطِيبِ الْعَيْشِ مُقْتَرِنُ(١٨)

لَمْ أَلْقَ مِنْ بَعْدِكُمْ يَوْمًا أُسَرُّ بِهِ كَأَنَّ كُلَّ سُرُورٍ بَعْدَكُمْ حَزَنُ(١٩)

يَا جِيرَةَ الْحَيِّ ! مَالِي لَا أَنَالُ بِكُمْ مَعُونَةً ، وَبِكُمْ فِي النَّاسِ يُعْتَوَنُ ؟(٢٠)

= في البيت السابق نادى الراحلين عنه نداء الواجد بهم ، المتحسّر على فراقهم ، ونوّه بالقمر الذي في أحداجهم . وفي هذا البيت اشتدّتْ به لوعة الهجران حتى أشفى على الهلاك ؛ فطلب إليهم أن يمنّوا عليه بوصال يعيد إلى جسده الحياة بإعادة البقية القليلة الباقية من روحه المهتلك في سبيل الحب والغرام .

(١٨) سمح له بكذا (كفتح) : جاد ، وأعطى . أو وافق على ما أريد منه . ويراد بالوعد : وعد الوصال . ومثله الوصل ، والصلة . ونتْ : فترتْ ، وضعفتْ . والمراد عزّتْ وصعبتْ . والعيش : المعيشة والحياة . وطيب العيش : لذّته وحلاوته . أو حسنه وجودته . أو زكاؤه وطهارته . ومقترن : متصل : أي وعدهم بوصاله مقترن بطيب عيشه : أي يطيب عيشه ، ويهدأ باله ، ويهنأ حاله إذا وعدوه بالوصال ، ومنوّه بالإقبال .

في هذا البيت والذي قبله طلب إليهم الوصال الذي يعيد إلى جسده الروح والحياة ، فإن تعسّر وتعصّى قنع بوعد الوصال ؛ فقد ينعش أمله ، ويهدئ باله ، وتطيب به حياته :

أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل !

(١٩) من بعدكم : أي من بعد فراقكم . والخطاب للراحلين .

فارق أحبابه وفارقوه ، فافترق شمله ، وساءت بعدهم أيامه ، وزايله المرح والسرور ، ولازمه الغمّ والشجن . وتشبيه السرور بالحزن في الشطر الثاني : معناه أنهما قد تشابها وتشاكلا ، واختلطا ، والتبسا عليه ؛ حتى أصبح لا يميز أحدهما من الآخر ، بمعنى أن أمره كله أصبح بعدهم همًّا وغمًّا ، وشجناً وحزناً . وقد تكون «كأنّ» للتحقيق ، وليست للتشبيه : أي فإن كل ما يبعث في نفوس الناس الفرح والسرور يثير في نفسي القلق والضجر ، والهمّ والغمّ ، بعد أن حرمني الدهر وصلكم ، وفرّق بيني وبينكم .

(٢٠) جيرة : جمع جار : وهو المجاور في السكن . والجار أيضاً : الحليف ، والناصر ، والمجير . والحيّ : القبيلة من العرب . والجمع أحياء . ويا جيرة الحيّ : أي يا من يجاورون حيّنا . أو يا من يجيرونه وينصرونه . أو يا جيرة من حيّنا : أي من أهلنا وبني وطننا . ومثل هذا النداء : أسلوب عربي قديم . والشاعر هنا يستجير كل من يرقّ له ، ويرثي لحاله ، ويستطيع إنجاده ونصرته . والاستفهام في البيت : «مالي لا أنال بكم معونة» : معناه التعجب ، أو الإنكار والاستهجان ؛ فهو يتعجب من قعودهم عن معونته ، والوفاء بحق الجوار . أو هو ينكر هذا القعود ، ويستهجنه منهم . ولا أنال بكم : أي لا أنال منكم . والمعونة ، والعون ، والإعانة : النُّصْرة ، والمساعدة . والواو في الشطر الثاني : واو الحال . والجملة بعدها حالية . وفي الناس : أي فيما يصيب الناس من الشدائد والأزمات . وقد تكون «في» : بمعنى «من» : أي وبأمثالكم من الناس يعتون : أي يستعان . وتقديم الجار والمجرور هنا يفيد القصر . والذي في القاموس وغيره : تعاونوا ، واعتونوا : أي أعان بعضهم بعضاً =

مَاذَا عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُ بَادِرَةٍ ... إِذَا تَرَنَّمَ فِيكُمْ شَاعِرٌ فَطِنُ ؟[21]

أَفِي السَّوِيَّةِ أَنْ يَبْكِي الْحَمَامُ ، وَلَا ... يَبْكِي عَلَى إِلْفِهِ ذُو لَوْعَةٍ ضَمِنُ ؟[22]

= فى البيتين السابع عشر ، والثامن عشر اتجه الشاعر بخطابه إلى أحبابه متمنياً عليهم الوصال ، أو الوعد بالوصال . وفى البيت التاسع عشر قال : إن السرور فارقه بفراقهم ، ولازمه الأسى والحزن بعدهم . وفى هذا البيت ناداهم مستنجداً مستعيناً . أو هو قد انتقل إلى نداء من يستطيعون إنقاذه ، واستنجاد من يستنجدهم الناس فى الشدائد والملمات ، متعجباً ، أو معاتباً ، أو منكراً قعودهم عن إعانته وهم أهل شهامة ونجدة . وفى الشطر الثانى معنى الحض والترغيب والحث على تلبية ندائه. وقد أسلفنا أن هذه الأبيات وأمثالها ظاهرها الغزل ، أو النسيب ، أو التشبيب ، وحقيقتها التغنى بوطنه ودياره ، والحنين إلى أهله وأحبابه ، وتمنى المودة إليهم ، واجتماع شمله بهم .

(٢١) الاستفهام فى أول البيت: معناه النفى : أى لا تثريب عليكم ، ولن يلومكم أحد . أو لن يصيبكم أذى . والواو : واو الحال . والجملة الاسمية بعدها : جملة حالية . وأهل بادرة : أى أهل نجدة ، وأصحاب معونة. وبدر إلى الخير : سارع إليه . والبادرة فى الأصل : الغضبة السريعة ، وما يبدر من الغاضب عند حدته وغضبه . وترنم : رجع صوته ، وطرب به ، وتغنى . وفطن (بكسر الطاء وضمها) : ذو فطنة (بكسر فسكون) : وهى الفهم ، والحذق ، والمهارة ، وجودة استعداد الذهن لإدراك ما يرد عليه .

فى البيت السابق نادى جيرة الحى مستعيناً بهم. وفى هذا البيت نوه بحميتهم ، وسرعة غضبهم لمن يستجيرهم. ونفى أن يصيبهم حرج أو سوء إذا استمعوا لشاعر فطين ، يتغنى فيهم بشعره ، ويردد الحنين إلى أهله ووطنه . وفى البيت فخر بفطانته . ولعله يقصد بمثل هذا الشعر تحريض الأحرار من بنى وطنه على الغضب له ولأمثاله ، والمطالبة بفك إسارهم ، وإعادتهم إلى وطنهم .

(٢٢) الاستفهام فى أول البيت : معناه النفى : أى لا يستويان . أو ليس من العدل والإنصاف. والسوية : العدل والنصفة ، أو الاستواء والاعتدال . ويراد ببكاء الحمام : سجعه وهديره ونواحه. والإلف (بكسر فسكون) ، والأليف ، والمألوف : الحبيب ، والصديق ، والمؤانس : من ألفه (من باب علم) : أى أنس به ، وارتاح له ، وأحبه . ويراد بالإلف هنا : الوطن ، والأهل ، والصحب . واللوعة (بفتح فسكون) : حرقة الهم والحزن ، أو حرقة الشوق والحب ، أو نحوهما . ولاعه الحب ونحوه (من باب قال) : أحرقه وأضناه . وضمن : زمن (بفتح فكسر فيهما) : أى مريض طال مرضه ، ولازمته علته . من الضمانة والزمانة : وهى العلة الطويلة المزمنة ، والمرض المخامر الملازم . ويراد به هنا : علة الوجد والحب ، والشوق والحنين . ويلاحظ أن البارودى وصحبه لبثوا فى منفاهم سبعة عشر عاماً ، أو تزيد . وبعضهم قضى نحبه فى المنفى .

والمعنى : ليس من العدل أن ينطلق الحمام فى بكائه ونواحه ، ويستمع الناس لسجعه وهديره ، ولا يسمح لمثلى أن يترنم باكياً على من حيل بينه وبينهم من أهله وألفائه ؛ فلاعه الشجو والوجد ، وأبكاه الفراق والبعد . وهديل الحمام صوته الطبيعى ، وبكاء الشاعر فى منفاه صدى لما يضانيه من لواعج الشوق والحنين ، وأوصاب النفى والتشريد .

يَا حَبَّذَا مِصْرُ لَوْ دَامَتْ مَوَدَّتُهَا   وَهَلْ يَدُومُ لِحَيٍّ فِي الْوَرَى سَكَنُ ؟(٢٣)

تَاللهِ مَا فَارَقْتُهَا النَّفْسُ عَنْ مَلَلٍ   وَإِنَّمَا هِيَ أَيَّـامٌ لَهَـا إِحَنُ(٢٤)

فَلَا يَسُرُّ عُدَاتِي مَا بُلِيتُ بِهِ   فَسَوْفَ تَفْنَى ،وَيَبْقَى ذِكْرِيَ الْحَسَنُ(٢٥)

---

(٢٣) «ياحبذا» : «يا» : حرف نداء ، والمنادى محذوف . أو هي حرف تنبيه . و «حبذا مصر» : أسلوب مدح . و «لو» : حرف تقدير ، إذا دخلت على ثبوتين جعلتهما منفيين . أو هي حرف يفيد التمني . والمودة : المحبة . والشطر الثاني : تذييل جار مجرى المثل ، مؤكد لمعنى الشطر الأول ، وهو زوال مودة مصر وانقطاعها بالنفي والإبعاد . والاستفهام في أوله : معناه النفي : أي ولن يدوم لحيّ في الورى سكن . والحيّ : صفة من الحياة . وضده الميت . والورى : الخلق والناس . والسكن : كل ما سكنت إليه : أي استرحت إليه ، وألفته ، واستأنست به . ويراد بالسكن هنا : الراحة ، والطمأنينة ، واجتماع الشمل ، ورخاء البال ، وهناءة الحال .

في الشطر الأول مدح مصر وطنه الحبيب ، وأشار إلى أن نفيه منها ، وإبعاده عنها قد حرمه مودتها ، وتمنى لو دامت له المودة . ثم عزّى نفسه بالشطر الثاني قائلاً : إن الناس معرّضون لمثل ما ابتلى به ، وإنه لا سبيل إلى دوام الاستقرار ورخاء البال في هذه الحياة .

(٢٤) الإحن (بكسر ففتح) : جمع إحنة (بكسر فسكون) : وهي الحقد ، والضغن . ومن كلامهم : «إن الإحن تجرُّ المحن» : أي تجلب البلايا والرزايا والآفات . وقد يراد بإحن الأيام : ضغائن أهل الدهر ، وشرار الناس الذين انطاعوا للحقد والضغينة ، فنكّلوا بالمجاهدين الأحرار .

يقول : إنه لم يفارق مصر عن سآمة وضجر ، وإنما أبعدته عنها صروف الدهر ، وضغائن الزمان ، ومحن الليالي والأيام . يشير بهذا إلى محنة تجريده وتشريده ، ونفيه وإبعاده عن وطنه في أعقاب الثورة العرابية . وقد أكد قوله بالقسم الذي صدّر به البيت .

(٢٥) «لا» في أول البيت : ناهية ، والمضارع بعدها مجزوم بها ؛ فالشاعر ينهى أعداءه عن السرور بما بلى به . ويراد بالنهي : التوبيخ ، أو التيئيس . أو هي نافية ، والفعل بعدها منفي مرفوع : بمعنى أن ما بلى به الشاعر لا ينبغي أن يسرّ أعداءه . والعداة (بضم العين) : جمع العادي : بمعنى العدوّ ، والمعتدي ، والمعادي . وبلاه (من باب عدا) : جرّبه ، وامتحنه ، واختبره . وما بُلى به الشاعر : ما أصابه من النفي والإبعاد ، والبلاء والاضطهاد . وفي الأصل المخطوط : «فسوف يفنوا» . وصحة الإعراب : «فسوف يفنون» والتعديل الذي ذهبنا إليه : «فسوف تفنى» يقيم الإعراب . وفاعله ضمير «عداتي» . أو هي : «فسوف نفنى» بنون المتكلم ومعه غيره : أي فسوف يصيبني ويصيبهم الفناء والهلاك ، ويبقى من بعدي ذكرى الحسن . أو هي : «يفنى» أي فسوف يفنى البلاء الذي بليت به : أي ينكشف ، ويزول ، ويذهب . والذكر (بكسر فسكون) : الصيت ، والثناء . والشرف ، والعلاء ، والشهرة الحسنة . والحسن : تأكيد لحسن الذكر .

ظَنُّوا ابْتِعادِيَ إغفالاً لِمَنْقَبَتِي ... وَذَاكَ عِزٌ لَهَا لَوْ أَنَّهُمْ فَطَنُوا[٢٦]

فَإِنْ أَكُنْ سِرْتُ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ وَطَنِي ... فَالنَّاسُ أَهْلِي، وَكُلُّ الأَرْضِ لِي وَطَنُ[٢٧]

لَا يَطْمِسُ الْجَهْلُ ما أَثْقَبْتُ مِنْ شَرَفٍ ... وَكَيْفَ يَحْجُبُ نُورَ الجَوْنَةِ الدَّخَنُ؟[٢٨]

= فرح أعداء الشاعر بنفيه ، وسرهم ما ابتل به ؛ فكبتهم ، وأحبط شماتتهم بقول فى الشطر الثانى : إنهم صائرون إلى العدم والفناء ، وإنه باق مخلّد بنباهة شأنه ، وسموّ قدره ، مذكور بين الناس بالإطراء وحسن الثناء . وفى البيت — مع هذا — تعزية لنفسه ، وفخر ببقاء ذكراه .

(٢٦) أغفل الشيء إغفالاً : أهمله ؛ وتركه . وأغفله عن الشيء : جعله يغفل عنه : أى يهمله ويتركه . أو يسهو عنه . وينساه . والمنقبة : المحمدة ، والمفخرة ، والفعل الكريم المشهور . ومناقب الإنسان : ما عرف به من الخصال الحميدة ، والأخلاق الكريمة . و « ذاك » : إشارة إلى الابتعاد . والعزّ والعزة : القوة والغلبة : مصدر عزّ (كقلّ) : أى قوى ، وبرئ من الذلّ . ولها : أى للمنقبة . وفطن للأمر (كفرح ، ونصر ، وكرم) : تبيّنه ، وفهمه ، وأدركه .

ظن أعداء الشاعر أن ابتعاده عن وطنه سوف ينسى الناس مناقبه ، ويطوى صيته . وهو ظن خاطئٌ ، قائم على قلة الفطنة ، وضعف الإدراك ؛ فالإبعاد ، والنفى ، والبلايا تضاعف محامده وتذيع فضله ، وتخلد ذكره ، وتنبه الغافلين على مفاخره ومكرماته ، وتقرن بالتحميد والتمجيد وطنيته وتضحياته . وصلة هذا البيت بالذى قبله واضحة وثيقة ؛ فالابتعاد ، أو الإبعاد مما بلى به الشاعر ، أى أصيب به ، ونكب . ولصيته ومناقبه العزة والقوة ، والبقاء والخلود .

(٢٧) سار عنه (من باب باع) : فارقه ، وابتعد عنه .
سار الشاعر عن أهله ووطنه مكرهاً مجبراً بحكم النفى والإبعاد ؛ فعزّى نفسه ، وهوّن شماتة أعدائه بمثل هذا البيت ؛ قائلاً : إن الناس جميعاً فى كل مكان أهله وعشيرته ، وإن الأرض كلها وطنه ومقرّه ، ومأنسه ومثواه .

(٢٨) طمسه (من باب ضرب) : محاه ، وأزاله . ويقال : طمس الغيم الكواكب : أى حجب ضوءها . وأثقب السراج : أضاءه . وأثقب النار : أوقدها وأذكاها . وشهاب ثاقب : أى مضيء . والشرف : الرفعة ، والمجد ، وعلو المنزلة ، وسمو القدر . أو ما يعدّه المرء ، ويفخر به من المناقب والمآثر والمكرمات . والاستفهام فى أول الشطر الثانى : معناه النفى . والجونة : الشمس . والدخن (بفتحتين) : الدخان . يقول : إن جهل الجهلاء ، وسفاهة السفهاء لا تنال منه ، ولا تكاد تقوى على طمس ما أثقبه ، ورفع مناره من المناقب ، والمآثر ، والأعمال اللامعة ، والمحاسن الكبيرة . والشطر الثانى يؤكد هذا المعنى ، وينهض بإزائه كالحجة والدليل والبرهان ؛ فإن الدخان لا يكاد يحجب شيئاً من ضياء الشمس . وفى البيت فخر بالثاقب =

قَدْ يَرْفَعُ الْعِلْمُ أَقْوَاماً وَإِنْ تَرِبُوا ... وَيَخْفِضُ الْجَهْلُ أَقْوَاماً وَإِنْ خَزَنوا[٢٩]

فَرُبَّ مَيْتٍ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ نَسَمٌ ... وَرُبَّ حَيٍّ لَهُ مِنْ جَهْلِهِ كَفَنُ[٣٠]

فَلَا تَغُرَّنْكَ أَشْبَاهٌ تَمُرُّ بِهَا ... هَيْهَاتَ، مَا كُلُّ طِرْفٍ سابِقاً أَرِنُ[٣١]

= المغموء من مجده، وكرمه، وعلو قدره. ولعله يعرّض بعُداته الذين حاولوا التشكيك فى وطنيته وإخلاصه، وشرف مقاصده، كما حاولوا التشهير بالثورة العرابية، وأهدافها النبيلة، وحملوا على قادتها حملة عنيفة ظالمة بعد الهزيمة والإخفاق والاستسلام. وسبعة الأبيات الآتية تجرى مجرى الحكم والأمثال، ولا يصعب ربطها بما قبلها.

(٢٩) «قد»: حرف يفيد التحقيق، أو التكثير فى مثل هذا المقام. و«إن» فى شطرى البيت مجردة من معنى الشرط؛ فالعلم يرفع العلماء مع مَتْرَبَتِهم، والجهل يخفض الجهلاء مع اختزانهم المال. وترب الرجل (من باب تعب): افتقر، كأنه لصق بالتراب. وخزن المال (من باب نصر): أحرزه، وجمعه، وأدخره، وجعله فى الخزانة.

يقول: بالعلم يرتفع قدر المرء ولو كان فقيراً. والجهل يخفض الجاهل، ويزرى به ولو كان ثرياً كثير المال.

(٣٠) «ربّ»: حرف خافض، يختصّ بالنكرة، ويفيد التكثير فى شطرى هذا البيت. والفضل والفضيلة: الخير والمحمدة. وضدهما النقص والنقيصة. ومن الفضل: العلم، والعمل الصالح، والخلق الكريم، والنسم (بفتحتين): الروح، أو نَفَسها. ويراد به هنا: الحياة الطيبة الكريمة. والكفن: أثواب يلفّ فيها الميت.

والمعنى: أن الفضيلة، والخير، والعلم، والعمل الصالح يحيى الإنسان حياة طيبة كريمة، أو يخلّد له بعد موته الذكر، وحسن الثناء. والجهل يميته، ويخمله، ويسقطه، ويزرى به، ويحط قدره. وهذا البيت والذى قبله يدوران حول فكرة واحدة هى تحقير الجهل، والتنفير منه. وتعظيم العلم والفضل والترغيب فيهما.

(٣١) غره (من باب رد): خدعه، وأطمعه بالباطل. والأشباه: جمع شبه (بكسر فسكون، أو بفتحتين): وهو المثل والنظير. وهيهات: اسم فعل ماض: معناه بعد؛ فهى كلمة تبعيد للتشابه، أو للاغترار به. والطرف (بكسر فسكون): الكريم من الخيل. وأرن: مرح، نشط (ولعله من باب فرح).

والمعنى: أن الناس ليسوا سواء؛ فلا تنخدع بما تشابه من ظواهرهم. والشطر الثانى تذييل يؤكد هذا المعنى؛ فإن الخيل متشابهة، ولكن ليس كل فرس نشيطاً مرحاً، جواداً سبّاقاً. وصلة هذا البيت بالبيتين السابقين واضحة؛ فى الناس علماء وجهلاء، وأغنياء وفقراء، ومنهم المتحلى بالفضيلة والخير، والموصوم بالرذيلة والشر، والحىّ فى إحسانه وفضله، والمكفّن بخموله وجهله.

فَلَا مَلَامَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَدَثٍ فَكُلُّنَا بِيَدِ الْأَقْدَارِ مُرْتَهَنُ(٣٢)
لَوْ كَانَ لِلْمَرْءِ حُكْمٌ فِي تَصَرُّفِهِ لَعَاشَ حُرًّا ، وَلَمْ تَعْلَقْ بِهِ الْمِحَنُ(٣٣)
وَأَيُّ حَيٍّ - وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ - يَبْقَى ؟ وَأَيُّ عَزِيزٍ لَيْسَ يُمْتَهَنُ ؟(٣٤)
كُلُّ امْرِئٍ غَرَضٌ لِلدَّهْرِ يَرْشُقُهُ بِأَسْهُمٍ لَا تَقِي أَمْثَالَهَا الْجُنَنُ(٣٥)

---

(٣٢) الملام ، والملامة ، واللوم : العذل ، والعتاب . والحدث (بفتحتين) : الأمر الحادث المنكر ، غير المعتاد . وأحداث الدهر : نوائبه ومصائبه . والأقدار : جمع القدر (بوزن سبب وأسباب) : وهو ما يقدره الله تعالى : أى يقضى به ويحكم . ومرتهن (بصيغة اسم المفعول) : مرهون ، محتبس ، مقيد .

والمعنى : إذا كان الناس يلومون أحداث الزمان فإنى لا ألومها ، لأنها من الأقدار الجارية على الإنسان ، وكل امرئ مرتهن بها ، هدف لها ، ولا سبيل إلى توقيها . ولعله يشير بمثل هذا البيت إلى أحداث الثورة العرابية ومغباتها . والغرض التعزية ، وتخفيف أثر البلوى ، وتوطين النفس على احتمالها ، والتجلد لها . والأبيات الآتية تردد هذا المعنى وتؤكده .

(٣٣) الحكم : مصدر حكم (كنصر) : أى قضى وفصل . ويطلق الحكم على الولاية ، والتحكم ، والسلطان . وتصرف فى الأمر تصرفاً : أى احتال ، وتقلب فيه . وعلق به الشىء (من باب تعب) : نشب فيه ، واستمسك ، وتعلق . والمحن : جمع محنة (بكسر فسكون) : وهى ما يمتحن به الإنسان من البلايا والشدائد والأزمات .

فى البيت السابق : أن كل امرئ مرتهن بيد الأقدار . وهذا البيت يردد هذا المعنى ويؤكده ؛ فليس للإنسان حكم فى تصرفه ؛ ولهذا تقيدت حريته ، وأصابته النوائب ، ولو استطاع أن يجرى فى أموره كلها على إرادته وسلطانه لعاش حرًّا عزيزاً معافى من المحن والأرزاء .

(٣٤) الاستفهام فى شطرى البيت : معناه النفى ؛ فليس لحى من الخلق بقاء ولو طالت سلامته ، ولا دوام لعزة عزيز . وامتهن الثوب وغيره امتهاناً : ابتذله ، ولم يصنه . وامتهنه : استعمله للمهنة : أى العمل والخدمة . والامتهان هنا يقابل العزة ؛ وهى القوة ، أو الإعزاز ، والتكريم ، والتوقير . والممتهن (بصيغة اسم المفعول) يقابل العزيز القوى ، النفيس الكريم ؛ فكل عزيز إلى امتهان وابتذال . وفى معنى الشطر الأول يقول كعب بن زهير بن أبى سلمى فى قصيدته المشهورة : « بانت سعاد . . . »

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول

(٣٥) الغرض : الهدف الذى يرمى إليه . ورشقه بالنبل (من باب قتل) : رماه . والأسهم : جمع سهم ؛ وهو عود من خشب يسوى فى طرفه نصل يرمى به من القوس . والجنن : جمع جنة (بوزن

فَلْيَشْغَبِ الدَّهْرُ ، أَوْ تَسْكُنْ نَوَافِرُهُ فَلَسْتُ مِنْهُ عَلَى مَا فَاتَ أَحْتَزِنُ(٣٦)

غَنِيتُ عَمَّا يُهِينُ النَّفْسَ مِنْ عَرَضٍ فَمَا عَلَيَّ لِحَيٍّ فِي الْوَرَى مِنَنُ(٣٧)

لَكِنَّنِي بَيْنَ قَوْمٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ إِنْ عَاقَدُوا غَدَرُوا ، أَوْ عَاشَرُوا دَهَنُوا(٣٨)

--- قلّة وقلل) : وهي كل ما واراك ووقاك من سلاح عدوك ، وكل ما استترت به منه. ولا تق أمثالها الجنن: أي لا تق الوقايات أمثال هذه الأسهم .

والمعنى : أن الناس جميعاً أهداف لأحداث الدهر ، وبلايا الزمان ، لا يقيهم منها واق ، ولا يدفعها عنهم دافع .

(٣٦) شغبهم : وشغب عليهم ، وبهم (كنع ، وفرح) : هيج الشر عليهم . ويراد بنوافر الدهر : ثوراته وشروره ومشاغباته : جمع نافرة : اسم فاعل من نفر : بمعنى شرد وأبعد . أو بمعنى غلب وقهر . وأحتزن : أحزن .

والمعنى : أنه صلى بلايا الدهر ، وتمرس بآفات الزمان حتى اعتاد التجلد ، وأصبح لايبالى شغب الليالى وشرها ، ولا يعبأ بسكونها وموادعتها ، ولا يحزن على ما فاته من متاع الدنيا ، وبهجة الحياة .

(٣٧) غنيت عن الشيء : استغنيت عنه ، ولم أحتج إليه (وبابه رضى) . و « من » بيانية والعرض : متاع الدنيا . ويراد بالحيّ : الإنسان . والورى : الخلق والناس . والمنن : جمع منة (بكسر الميم فيهما) : وهى العارفة ، والصنيعة ، والإنعام ، والإحسان . وصلة الشطر الثانى بالشطر الأول : أنه إذا استغنى عن عرض الدنيا ، وزهد فى حطامها ، فقد وفّر لنفسه العزة والكرامة ، وصانها مما يهينها ؛ وهذا يتطلب أن يترفع عما فى أيدى الناس؛ فلا يكون لأحد منهم صنيعة أو منّة يمتنّ بها عليه . وفى هذا المعنى أو فيما يقرب منه يقول فى إحدى قصائده البائية .

خلقت عيوفاً ، لا أرى لابن حرة لدىّ يداً أغضى لها حين يغضب

وفى الأبيات الآتية شكوى وتنديد بمن تجنوا عليه ، وأساءوا إليه .

(٣٨) القوم : الجماعة من الناس تجمعهم جامعة يقومون لها . والخلاق (بفتح الخاء) : ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخلقه . وقوم لا خلاق لهم : أى مجردون من الفضائل ، موصومون بالرذائل . أو ليس لهم حظ من الخير ، أو ليست لهم رغبة فيه . وفى القرآن الكريم : « أولئك لاخلاق لهم فى الآخرة » الآية رقم ٧٧ من سورة آل عمران : أى لا نصيب لهم فى نعيم الآخرة ، وليس لهم حظّ من سعادتها. وعاقده على كذا : عاهده ، وواثقه . وغدر فلاناً ، وغدر به (كقتل ، وضرب ، وسمع) : خانه ، ونقض عهده. وعاشره : خالطه وصاحبه . ودهن (من باب قتل) : نافق : أى أظهر خلاف ما يبطن . ودهنه (من بابى قتل وقطع) : خدعه ، وختله ، وغشّه ، وأظهر له خلاف ما يضمره .

وصمهم بالغدر والخيانة، ونقض العهد ، والنفاق ، والغشّ، والخداع ، ومداهنة معاشرهم ، والتجرد من الخير والفضيلة .

يُخْفُونَ مِنْ حَسَدٍ مَا فِى نُفُوسِهِمُ ... وَيُظْهِرُونَ خِدَاعاً غَيْرَ مَا بَطَنوا[٣٩]

يَا لَلْحُمَاةِ ! أَمَا فِى النَّاسِ مِنْ رَجُلٍ ... وَارِى الضَّمِيرِ ، لَهُ عَقْلٌ بِهِ يَزِنُ ؟[٤٠]

أَكُلُّ خِلٍّ أَرَاهُ لَا وَفَاءَ لَهُ ؟ ... وَكُلُّ قَلْبٍ عَلَىَّ الْيَوْمَ مُضْطَغِنُ ؟[٤١]

---

(٣٩) خادعه مخادعة وخداعاً : ختله : أى أظهر له خلاف ما يخفيه ، وأراد به المكروه من حيث لا يعلم . وبطن الشىء (من باب دخل) : خفى ، واستتر . وبطن الأمر (من باب نصر) : عرف باطنه . وأبطنه إبطاناً : ستره وأخفاه . والإبطان يقابل الإظهار . والفعل الرباعى هنا : « أبطن » أليق من الثلاثى : « بطن » .

فى البيت السابق جردهم من الخير والفضيلة ، ووصمهم بالغدر ، والخيانة ، ونقض العهود والعقود ، وقال : إنهم يداهنون حتى خلطاءهم ومعاشريهم . وفى هذا البيت قال : إنهم حاسدون يكرهون النعمة عند المحسود ، ويتمنون زوالها عنه ، وانتقالها منه إليهم . وهم يخفون الحسد فى نفوسهم ، أو يكتمون البغضاء بسبب الحسد. والشطر الثانى تكرير وترديد لمعنى الدهن أو المداهنة فى نهاية البيت السابق ؛ فالمداهنون منافقون مخادعون يظهرون خلاف ما يضمرون .

(٤٠) « ياللحماة » : أسلوب استغاثة : وهى نداء من يعين على دفع شدة . والحماة مستغاث به ، مجرور بلام مفتوحة : جمع الحامى : اسم فاعل من حماه (من باب رمى) : أى منعه ، ونصره ، ودفع عنه ، وأجاره . و « من » زائدة لتوكيد الكلام . والاستفهام : للتمنى . ووار : اسم فاعل من ورى الزند (من باب وعى) : أى خرجت ناره . وورِت النار : اتقدت . والضمير : استعداد نفسى لإدراك الخبيث والطيب من الأعمال والأقوال والأفكار ، والتفرقة بينهما ، واستحسان الحسن ، واستقباح القبيح . وضمير وار : أى متقد : بمعنى مرهف ، أو قوىّ ، أو مستيقظ . وفى الأصل « ورى الضمير » وهو من أخطاء الناسخ .

استغاث الحماة ، واستنصر أهل الحمِيَّة والنجدة ، وتمنى أن يجد فى الناس رجلاً حىّ الضمير ، مرهف الإحساس ، قوى الوجدان ، له عقل يزن به الأمور ، ويميز به الخبيث من الطيب ، ويحمله على الاستقامة والخير والبرّ والوفاء ، ويدفعه إلى إجارة المستجير ، وإغاثة الملهوف .

(٤١) الاستفهام فى أول البيت يحمل معنى التعجب والتحزن لكثرة الصحاب المجردين من البر والوفاء ، وكثرة القلوب التى تحمل الضغن والحقد . و « كل » بالنصب والرفع . والأول مترجِّح . والخلّ (بكسر الخاء وضمها) : الخليل ، والصديق ، والصاحب . ومضطغن : حاقد ، شديد البغض ، يضمر الضغينة ، ينطوى على الكراهية .

فى هذا البيت وثلاثة الأبيات قبله اشتدّ تبرّم الشاعر بمن لا خلاق لهم من معاشريه بعد ما قاساه من دهائهم ، وغدرهم ، وخداعهم ، وحسدهم ، وما عرفه من همود الضمائر ، وسوء المكر ، وفساد التقدير والتدبير ؛ فاستغاث بالحماة ذوى النخوة والنجدة ، وسأل فى تلهف وتأسف : أليس فى الناس رجل له =

تَغَيَّرَ النَّاسُ عَمَّا كُنْتُ أَعْهَدُهُ فَالْيَوْمَ لَا أَدَبٌ يُغْنِى ، وَلَا فِطَنُ[٤٢]

فَالْخَيْرُ مُنْقَبِضٌ ، وَالشَّرُّ مُنْبَسِطٌ وَالْجَهْلُ مُنْتَشِرٌ ، وَالْعِلْمُ مُنْدَفِنُ[٤٣]

لَمْ تَلْقَ مِنْهُمْ سَلِيماً فِى مَوَدَّتِهِ كَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ فِى قَلْبِهِ دَخَنُ[٤٤]

طَوَاهُمُ الْغِلُّ طَىَّ الْقِدِّ ، وَانْتَشَرَتْ بِالْغَدْرِ بَيْنَهُمُ الْأَحْقَادُ وَالدِّمَنُ[٤٥]

— قلب يهديه الرشد ، وعقل يزن به الأمور ، وضمير يقبّح له القبيح ، ويحسّن الحسن ؟ وأفجعه وأوجعه أن كل من ظنهم أخلاء أصفياء تألبوا عليه بعد المحنة ، وتجردوا من البر والوفاء ، كما اضطغنت عليه القلوب ، وانطوت على الحقد والبغضاء . والأبيات الآتية تدور حول هذه المعانى والأفكار .

(٤٢) أعهده : أعرفه (وبابه فهم) . والأدب : رياضة النفس – بالتعليم والتهذيب – على ما ينبغى . والجميل من النظم والنثر أو كل ما أنتجه العقل الإنسانى من ضروب المعرفة. والفطن (بكسر ففتح) : جمع فطنة (بكسر فسكون) : وهى الحذق ، والمهارة ، وجودة استعداد الذهن لإدراك ما يرد عليه .

ومعنى الشطر الثانى : أن أدب الأديب ، وفطانة الفطين لا يكادان يعصمانه اليوم من شرور الناس وغدرهم ودهائهم . أو المعنى : أن الآداب والفطن لا قيمة لها ، ولا غناء فيها ، ولا تكاد تقوى على تقويم ما اعوج من الأمور ، وإصلاح ما فسد من الأخلاق والطبائع . أما ما طرأ على الناس من التغير والتبدل ، وما أصابهم من التحول والانحراف ، فإن الأبيات الآتية تشرحه وتفصّله .

(٤٣) منقبض : منطو ، منزو . ومنبسط : منتشر ، ممتد . والانقباض : خلاف الانبساط والاتساع والانتشار . واندفن : استتر وتوارى ، فهو مندفن : مطاوع دفنه : بمعنى ستره وواراه وأخفاه .

(٤٤) سلامة المودة : صفاؤها ، ونقاؤها ، وبراءتها من النفاق والدهان والرياء . والدخن (بفتحتين) : الحقد ، وفساد الباطن .

فى البيت السابق أشار إلى بعض شواهد التغير والانحراف فى أهل زمانه ، أو فيمن يعنيهم من الناس ؛ فقال : إن خيرهم قليل ، وشرهم غالب ، مع شيوع الجهل ، وانطفاء نور العلم . وفى هذا البيت قال : إن قلوبهم منطوية على الحقد والفساد ، ومودّاتهم قائمة على الرياء والنفاق .

(٤٥) الغلّ (بكسر الغين) : الضغن ، والغش ، والحقد الكامن ، والعداوة المستترة . والقدّ (بكسر القاف) : السير يقدّ من الجلد (أى يشقّ ويقطع) . والغدر : الخيانة ، ونقض العهد . وضده الوفاء . والأحقاد : جمع حقد (بكسر فسكون) : مصدر حقد عليه (كضرب) : أى أضمر له العداوة ، وتربص فرصة الإيقاع به . والدمن : جمع دمنة (بكسر فسكون) : وهى الضغن ، وإضمار العداوة والبغضاء . والحقد القديم الدائم الثابت فى الصدر .

رماهم بالانطواء على الغل والغش ، وإضمار العداوة والبغضاء . وقال : إن الواحد منهم يتربّص —

فَلَا صَدِيقَ يُرَاعِي غَيْبَ صَاحِبِهِ ... وَلَا رَفِيقَ عَلَى الْأَسْرَارِ يُؤْتَمَنُ (٤٦)

بَلَوْتُهُمْ ؛ فَسَئِمْتُ الْعَيْشَ ، وَانْصَرَفَتْ ... نَفْسِي عَنِ النَّاسِ حَتَّى لَيْسَ لِي شَجَنُ (٤٧)

فَإِنْ يَكُنْ فَاتَنِي مَا كُنْتُ أَمْلِكُهُ ... فَالْبُعْدُ عَنْهُمْ لِمَا أَتْلَفْتُهُ ثَمَنُ (٤٨)

كَفَى بِحَرْبِ النَّوَى سَلْماً نَجَوْتُ بِهِ ... وَرُبَّ مَخْشِيَّةٍ فِي طَيِّهَا أَمَنُ (٤٩)

= بصاحبه فرصة الإيقاع به ؛ فإذا تهيأت له انقض عليه بالغدر والخيانة ؛ فانتشر بهما ما كان يضمره من الحقد والضغن .

(٤٦) راعاه مراعاة : حفظه ، وأبق عليه . وراعى غيب صاحبه : أى حفظه فى غيبته ، فلم يغتبه ، ولم يسئ إليه بوشاية ، أو سعاية ، أو نميمة ، أو مكيدة ، أو غيرها . ومن معانى الغيب : السر ؛ وعلى هذا يكون الشطر الثانى تكراراً لمعنى الشطر الأول .

فى البيت الرابع والأربعين أن المودات القائمة بين الناس أو بين من يعنيهم الشاعر — غير سليمة ، أى كاذبة خادعة ، وأن قلوبهم منطوية على الفساد والأحقاد . وهذا البيت تكرار ، أو شبه تكرار لهذا المعنى ؛ فالصديق لا يراعى غيب صديقه ؛ لأن الصداقة بعيدة عن الصدق ، قائمة على النفاق . والرفيق لا يؤتمن على أسرار رفيقه ؛ لأنها مرافقة المداهنة والغش ، والمخاتلة والخداع .

(٤٧) بلاه (من باب عدا) : اختبره ، وامتحنه ، وجربه . والعيش : المعيشة والحياة . والشجن : الحاجة الشاغلة ، والجمع شجون وأشجان .

يقول : إنه جرب من يعنيهم من الناس ، فجرعته المر تجاربه ؛ فضجر منهم ، ومل العيش بينهم ، وآثر البعد عنهم . ولم تبق له حاجة إليهم . والبيتان الآتيان فى هذا المعنى ، أو فيما يقرب منه .

(٤٨) أتلفه : أهلكه وأفناه .

لعله يشير إلى مصادرة أمواله وأملاكه ، ونفيه عن وطنه فى أعقاب الثورة العرابية . ويقول : إنه وجد الراحة والطمأنينة فى بعده عن أولئك الذين لدّد بهم فى الأيام السابقة ، وإن هذا البعد المريح ثمن لما فقده من ماله ومتاعه . ولا ريب أنه بمثل هذا البيت يعزّى نفسه ، ويكبت الشامتين به .

(٤٩) النوى : البعد ، وهى مؤنثة . والسلم (بكسر السين وفتحها) : الصلح ، والسلام ، وخلاف الحرب (يذكّر ويؤنث) . وفى القرآن الكريم : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » الآية رقم ٦١ من سورة الأنفال . والأمن (بوزن الفرح) : الأمان ، والطمأنينة .

والمعنى : إذا كانت النوى حرباً ووبالاً على من يصلاها ، لقد كانت على الشاعر برداً وسلاماً ؛ إذ أنجته من الآفات وشرور الناس فى مصر . والشطر الثانى تذييل جار مجرى المثل ، مؤكد لهذا المعنى ؛ فالإنسان قد يخشى ما ينطوى على الأمن والسلامة ، ويحمل إليه الطمأنينة ورخاء البال .

لَعَلَّ مُزْنَةَ خَيْرٍ تَسْتَهِلُّ عَلَى رَوْضِ الأَمَانِى، فَيَحْيَا الأَصْلُ وَالْفَنَنُ[٥٠]

وَكُلُّ شَىْءٍ لَهُ بَدْءٌ وَعَاقِبَةٌ وَكَيْفَ يَبْقَى عَلَى حِدْثَانِهِ الزَّمَنُ؟[٥١]

---

(٥٠) المزنة: السحابة تحمل الماء ، وجمعها المزن (بضم فسكون) . واستهلّ المطر استهلالاً : اشتدّ انصبابه مع صوت. والروض: جمع روضة : وهى أرض مخضرّة بأنواع النبات . والأمانى (بالتخفيف والتشديد): جمع الأمنيّة : وهى البغية (بضم فسكون) : أى ما يطلبه الإنسان، ويرغب فيه، ويأمله ويتمناه . والفنن (بفتحتين) : الغصن المستقيم من الشجرة . وأصل الشجرة : ما يقابل الفرع . ويراد بحياة الأصل والفنن : حياة الشجرة كلها : أصلها ، وساقها ، وفروعها ، وأغصانها : أى حياة الأمانى المشبّهة بالرياض .

فتح الشاعر لمثله أبواب الأمل الحى القوى ، المضىء المشرق ، وتفاءل بمستقبله على الرغم من شؤم حاضره ؛ واستشعر الراحة والطمأنينة فى رياض الأمانى ، وربما أن ينتهى الأمر بانفراج الكرب والبلاء، واستهلال الخير والرخاء .

(٥١) بدء الشىء : أوله وفاتحته . وعاقبته : آخره وخاتمته . والاستفهام فى الشطر الثانى معناه النفى . وحدثان الزمن : حوادثه ونوائبه ومصائبه .

والمعنى : أن الزمن بطبعه متقلب لا يدوم على حال ؛ فإذا كانت بداءة أمره إعناتاً ومعاسرة للبارودىّ وأمثاله؛ فالمأمول أن تكون عاقبة أمره موادعة ومياسرة . جرى هذا البيت والذى قبله مجرى الحكم والأمثال، وبهما ختم الشاعر هذه النونية الطويلة ؛ فكانا مسك الختام .

القصيدة الأربعون

وَقَالَ يَذْكُرُ لَيْلَةَ أُنْسٍ بِحُلْوَانَ* :

مَا لِي وَلِلدَّارِ مِنْ «لَيْلَى» أُحَيِّيهَا ... وَقَدْ خَلَتْ مِنْ غَوَانِيهَا مَغَانِيهَا؟[1]

* أنس به ، وإليه (كطرب ، ونصر ، وكرم) : سكن إليه ، واطمأن ، وفرح به وسر ، وذهبت به وحشته وخلوته . والاسم منه الأنس (بضم فسكون) . وقد يطلق الأنس على حديث النساء ، ومغازلتهن ، واللهو معهن .

و « حلوان » : مدينة من بلاد مركز الصف ، بمحافظة الجيزة ، على الضفة الشرقية لنهر النيل جنوبي القاهرة ، على بعد خمسة وعشرين كيلو متراً منها ، وتربطها بها سكة الحديد ، وطريق كورنيش النيل . وبالقرب منها مصانع الحديد والصلب المنشأة سنة ١٩٥٦ . وإلى الشمال من حلوان بنحو ثلاثة كيلو مترات تقع حلوان الحمامات ، المنشأة سنة ١٨٧١ فى حدود الصحراء الشرقية ، وتشتهر بحماماتها الكبريتية الساخنة ، وتتبع محافظة القاهرة .

* * *

وهذه القصيدة من شعر اللهو الذى نظمه البارودى محاكاة للشعراء اللاهين ، أو قصداً للترويح عن النفس ، أو حرصاً على استيعاب كل فنون الشعر ، أو تعبيراً عن حقيقة حال . وتاريخها — فيما نظن — بين سنة ١٨٦٣ وسنة ١٨٦٨ وهو بين الرابعة والعشرين والتاسعة والعشرين من عمره ، وكان فى هذه الفترة يحيا حياة الرفاهة والدعة ، وقد اجتمع له الشباب ، والجدة ، والفراغ ، أو ما يشبه الفراغ ، ويقرب منه؛ وذلك بعد عودته من الآستانة فى حاشية الخديو إسماعيل ، وقبل زواجه بوعديلة يكن* . أو بعد عودته من حرب « كريد » سنة ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ م) وقبل مشاركته فى الحرب الروسية التركية سنة ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧ م) . وفى بعض هذه المدة أقام بحلوان ، وأرخى لهوى شبابه العنان .

(١) الاستفهام فى أول البيت : النفى ، أو الإنكار ؛ فهو ينفى داعية وقوفه بالديار المهجورة لتكريمها بالتحية . أو ينكر هذا ، ولا يرتضيه ، ولا يذهب فى هذا الشأن مذهب شعراء البادية العربية . والدار من « ليلى » : أى لدار « ليلى » . وأحييها : أقف بها والهاً ، شديد الوجد ، أكرمها بالتحية والسلام . والواو فى أول الشطر الثانى : واو الحال . والجملة الفعلية بعدها : بجملة حالية . وخلا المكان (من باب سما) : أخلاه ساكنوه ، ورحلوا عنه ، وتركوه . والغوانى : جمع غانية : وهى المرأة التى غنيت (كرضيت) بحسنها الطبيعى عن الزينة والحسن المجلوب المصنوع . والمغانى :

دَعِ الدِّيَارَ لِقَوْمٍ يكْلَفُونَ بِهَا ... وَاعْكُفْ عَلَى حَانَةٍ كَالْبَدْرِ سَاقِيهَا(٢)

كَمْ بَيْنَ دَاثِرَةٍ أَقْوَتْ مَعَالِمُهَا ... وَبَيْنَ عَامِرَةٍ تَزْهُو بِمَنْ فِيهَا؟(٣)

هَيْهَاتَ،مَا الدَّارُ تُشْجِينِي بِسَاحَتِهَا ... وَإِنَّمَا الدَّارُ تُشْجِينِي بِأَهْلِيهَا(٤)

جمع مغنى (بوزن معنى) : وهو المنزل الذى غنى (بوزن رضى) به أهله : أى أقاموا فيه . وغنى بهم : أى عَمَر وأَهِل .

يقول : خلت المغانى من الغوانى ، وارتحلت « ليلى » عن دارها ؛ فلا داعى للوقوف بها وتحيتها ، مشيراً فى هذا البيت وثلاثة الأبيات بعده إلى ما اعتاده شعراء العرب فى قديم الزمان من الوقوف بالديار التى هجرها أحبابهم لتحيتها ، وتكريمها ، واستحضار ذكريات عزيزة عليهم ، كانت لهم مع معشوقاتهم فى تلك الديار المهجورة الدارسة . والبارودى فى هذه الأبيات ينعى عليهم تلك العادة ، ولا يرتضيها لنفسه .

(٢) دع : اترك ، واجتنب . ويريد بالديار : المغانى والمنازل التى رحل عنها أهلها ، وهجروها ؛ فدرست بعدهم ، وعفت ، وامحت ، ولم يبق منها غير الدمن والأطلال والآثار . وكلف بكذا (من باب طرب) : أولع به ، وأغرم (بالبناء للمجهول فيهما) ، وأحبه كل الحب ، وتعلق به تعلقاً شديداً . وعكف على الشىء (من بابى دخل وجلس) : أقبل عليه مواظباً ، ولازمه ، ولم ينصرف عنه . والحانة : الموضع الذى يباع فيه الخمر . والبدر : القمر الممتلئ التام الضياء . وساقيها : أى الذى يسق الخمر فى الحانة . وقد يراد بالحانة : الخمر ؛ فيكون من إطلاق المحل ، وإرادة الحال .

يقول : اترك الأطلال وآثار الديار للمولعين بها ، وأقبل على الخمر تسقيكها امرأة حسناء فى جمال البدر ، وتمام روائه ، وباهر ضيائه ؛ فتجمع بين لذة الشراب ، ولذة الأنس ، والاستمتاع بالجمال الحى ، الناطق الفاتن الخلاب .

(٣) « كم » فى أول البيت : اسم يستفهم به عن العدد . والاستفهام هنا : للتبعيد : أى التعبير عن اتساع المسافة وبعدها بين الدوائر والعوامر : أى بين الخراب الدارس ، والآهل العامر . ودثر المنزل (من باب دخل) : درس ، وبلى ، وتهدم . وداثرة : اسم فاعل منه . وأقوت الدار إقواء : خلت من أهلها ، وأقفرت . ومعالمها : علاماتها ، وآثارها : جمع معلم (بوزن مذهب) . وأقوت معالمها : درست ، وعفت ، وامحت ، وخفيت . وهو تأكيد لمعنى الدثور فى « داثرة » : أى كم بين دار داثرة . وعامرة : أى دار عامرة بأهلها ، مسكونة ، مأهولة : اسم فاعل من عمرت الدار بأهلها (من باب نصر) . أو هى فاعلة : بمعنى مفعولة : أى معمورة . والعامرة ، والمعمورة : ضد الداثرة الدارسة . وتزهو (من بابى عدا وسما) : تتيه وتفتخر . أو تزهر ، وتضىء ، وتحسن ، وتروق .

يقول : إن المسافة واسعة ، والبون شاسع ، والفرق كبير بين الدوائر والعوامر من الدور والمنازل ، أى بين أطلال الديار المهجورة ، وحانات الخمور المعمورة .

(٤) « هيهات » : اسم فعل ماض : بمعنى بعد ؛ فهى كلمة تبعيد . وما بعدها تفسير لها ؛ فهو يستبعد وينفى أن تشجيه الدار بساحتها . وتشجينى : تطربنى ، وتهز مشاعرى : مضارع أشجاه —

فَخَلِّ هٰذَا ، وَخُذْ فِى وَصْفِ غَانِيَةٍ   سَرَتْ بِسُلْوَانَ فِى قَلْبِى سَوَارِيهَا(٥)
رَيَّانَةُ الْقَدِّ ، لَوْ أَنَّ الضَّجِيعَ لَهَا   خَافَ الْعُيُونَ عَلَيْهَا كَادَ يَطْوِيهَا(٦)

— إشجاء . ومثله شجاه (من باب عدا) : أى حزنه ، و غمّه ، وهمّه . أو أطربه ، وأفرحه ، وسرّه ؛ فهى من الكلمات التى تستعمل فى المعنى وضده . والثانى هو المراد هنا . وساحة الدار : باحتها . والموضع المتسع أمامها . وفضاء بين دور الحى ، لا بناء فيه ، ولا سقف له . والأهلون : الأهالى : جمع الأهل. وأهل الدار : سكانها .

يقول : إنما تطربنى الدار بسكانها ومن يعمرونها، ولا يعنيه ساحاتها ونواحيها ، وظواهر اتساعها وجمالها . وقد يكون المراد بالساحة هنا : ما بقى بعد دثورها من فضاء أرضها ؛ ليساير ثلاثة الأبيات السابقة كلّ المسايرة ، وينسجم معها تمام الانسجام .

(٥) « خلّ » : أمر من خلّى الشىء تخلية : أى غادره وتركه ، وانصرف عنه . و « هذا » : إشارة إلى الديار الدارسة ، والمنازل المهجورة ، والأطلال ، والدمن التى تعلق بها شعراء البادية فى قديم الزمان ، وتغنّوا بها ، وأكثروا من ترديدها فى مطالع قصائدهم ، وبكوها فى أشعارهم ، أو بكوا من رحلوا عنها من أحبابهم، ومعشوقاتهم، وعظّموا ذكرياتها فى نفوسهم . وأخذ فى كذا (من باب نصر) : شرع فيه ، وبدأ به. ويراد بوصف الغانية : التغزل بها ، والتغنى بمحاسنها . وغانية : حسناء ، قد غنيت بحسنها الطبيعى عن الزينة ، والتجمّل ، والحسن المجلوب المصنوع . وسرى فيه الشىء (من باب رمى) : خامره ، وخالطه ، وداخله ، ولزمه ، وتمكّن منه ، واستقرّ فيه : من قولهم : سرى عرق الشجرة فى الأرض : أى دبّ تحتها ، وأمعن فى باطنها . والسوارى : جمع سارية : اسم فاعل من « سرى » : بمعناه السابق . وسوارى الغانية : ما خالط قلبه ، وتهيّمه من عواطف الحب ، وآثار الإعجاب .

ومعنى الشطر الثانى : أنه أحب هذه الغانية، وسرى حبها فى قلبه ، أى خالطه ، وامتزج به ، واستقرّ فيه ، وتمكّن منه، وولّهه ، وتهيّمه .

(٦) ريّانة : ممتلئة فى نضرة ، وغضارة : ولين ، وطراوة . والأصل : روى من الماء ونحوه (كرضى) ؛ فهو ريّان ، وهى ريّانة. والقدّ : القوام (بفتح القاف فيهما) : أى القامة المعتدلة ، وحسن الطول ، وجمال التقطيع . والضجيع : المضاجع : من ضاجعها مضاجعة ؛ أى اضطجع معها. والضجوع ، والاضطجاع : أن يضع الإنسان جنبه على الأرض ، أو نحوها . والعيون : جمع العين . ويراد بها هنا : الحسد ، أو الحاسد . وكاد يفعل كذا : همّ ، وقارب ، ولم يفعل . وطوى الشىء يطويه طيًّا : ضمّ بعضه إلى بعض . أو لفّ بعضه فوق بعض . والطىّ : خلاف البسط والنشر .

يقول : إن قدّها ممتلٌ ريّان ، ينبّه الحاسدين جماله ونضرته وغضارته ورواؤه ؛ ولهذا يخاف العيون عليها عاشقها ومضاجعها، ويودّ لو يطويها ليخفى بالطىّ محاسنها ومفاتنها ، ويدرأ به عنها حسد الحاسد ومضرّته . هذا هو المعنى الذى بدا لنا ، وإن كانت عبارة البيت لا تنهض به .

فى نَشْوَةِ الْخَمْرِ سِرٌّ مِنْ مَرَاشِفِهَا ... وَفِى الْأَرَاكَةِ شَكْلٌ مِنْ تَهَادِيهَا[٧]

يَا لَيْلَةً بِتُّ أُسْقَى مِنْ بَنَانَتِهَا ... وَمِنْ لَوَاحِظِهَا خَمْرًا ، وَمِنْ فِيهَا[٨]

أَحْيَيْتُهَا ، وَأَمَتُّ النَّوْمَ مُعْتَصِمًا ... بِلَذَّةٍ لَا يَكَادُ الدَّهْرُ يُنْسِيهَا[٩]

---

(٧) نشوة الخمر (بتثليث النون) : أول إسكارها . والسرّ : ما تكتمه فى نفسك ، وتخفيه . وسرّ الشىء : أصله . أو أكرمه ، وخالصه ، وأطيبه ، وأفضله . ورشف الماء ونحوه (من بابى نصر وضرب) : مصّه بشفتيه . والمراشف : جمع المرشف (بوزن المذهب) : وهو موضع الرشف . ويراد بمراشفها : ما يجرى على شفتيها من ريقها ولعابها . وسرّ المراشف : أصلها . أو مزيتها المسكرة الساحرة الخفيّة . أو ريقها العذب الحلو الطيب الخالص . والأراكة : شجرة ناعمة ، كثيرة الفروع ، خوّارة العود ، متقابلة الأوراق ، لها ثمار حمراء داكنة تؤكل . والأراك من شجر الحمض ، ويستاك بقضبانه ، وينبت فى البلاد الحارة ، وفى صحراء مصر الجنوبية الشرقية ، ويكثر فى شبه جزيرة العرب . وشكل الشىء : هيئته ، وصورته . أو شبهه ومثله . وتهادت المرأة تهادياً : أى مشت وحدها متمايلة مشياً غير قوىّ ، والتهادى من محاسن النساء ، وبواعث الفتنة .

والمعنى : أن ريقها مشتهى كالخمر ، يسكر مرتشفيه ، ويلذّ له . وتمايلها فى مشيتها يشبه تمايل الأراكة إذا حرّكتها ريح لينة لطيفة. والتشبيهان فى شطرى البيت مقلوبان للمبالغة بادعاء أن وجه الشبه فى المتغزل بها – وهو الإسكار والتهادى – أقوى منه فى الخمر والأراكة .

(٨) النداء فى أول البيت يحمل معنى التعجب ؛ فإنها ليلة فريدة ، خرجت على المألوف من نظائرها ، واشتد تأثيرها فى نفس الشاعر ، وبقيت ذكراها فى قلبه . والبنانة : طرف الإصبع . ويراد بها هنا : الكف ، أو اليد . والجمع بنان (بفتح الباء) . واللواحظ : العيون . أو نظراتها الفاتنة الساحرة . الواحدة لاحظة . واستقاؤه الخمر من فيها : كناية عن تقبيلها ، وارتشاف شفتيها .

ينوّه بليلة سهرها كلّها مع المتغزل بها ، وبات يستقى الخمر من يدها ، ومن عينيها ، ومن فمها .

(٩) أحييتها : أحييت الليلة ؛ أى سهرتها . وإماتة النوم : تأكيد لمعنى السهر . ومعتصماً : مستمسكاً . يقال : اعتصم به : إذا لجأ إليه ، وامتنع به . واعتصامه باللذة : اتجاهه إليها ، وحرصه عليها ، واستمتاعه بها . وأنساه الشىء : أذهله عنه ، وأغفله ، وحمله على نسيانه ، وشغل باله عنه . وفى التنزيل العزيز : « فإنى نسيت الحوت ، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره » الآية رقم ٦٣ من سورة الكهف .

والبيت تأكيد لمعنى البيت السابق . ومن اللذة أو اللذات التى عناها ، واعتصم بها فى تلك الليلة استقاؤه الخمر من يد الحسناء المتغزل بها ، ومن ألحاظها ، ومن فمها ؛ فقد انتشى ، وسكر ، واستمتع بالنظر والتقبيل . وفى الشطر الثانى معنى خلود ذكرى الليلة فى قلبه ، وعجز الزمان عن إدراجها فى مدارج النسيان .

حَتَّى إِذَا رَفَّ خَيْطُ الْفَجْرِ، وَابْتَدَرَتْ   حَمَائِمُ الْأَيْكِ تَشْدُو فِي أَغَانِيهَا(١٠)

قَامَتْ تَمَايَلُ سَكْرَى فِي مَآزِرِهَا   وَالرَّوْعُ يَبْعَثُهَا طَوْرًا ، وَيَثْنِيهَا(١١)

تَخْشَى الضِّيَاءَ وَفِي أَزْرَارِهَا قَمَرٌ   يَسْتَوْقِفُ الْعَيْنَ حَيْرَى فِي مَجَارِيهَا(١٢)

---

(١٠) « إذا » : ظرف زمان . وفيه معنى الشرط . وجوابه وجزاؤه فى البيت الآتى : « قامت تمايل » ورف (كخف) : تحرك ، وتلألأ ، ولمع . وخيط الفجر : بياض أول النهار . وابتدرت بادرت ، وتسارعت . والحمائم : جمع حمامة . والأيك : جمع أيكة : وهى الشجر الكثير الكثيف ، المجتمع ، الملتف . وتشدو (من باب عدا) : تغنى ، وتسجع ، وتهدر ، وتترنم . وفى أغانيها أى بأغانيها ؛ فـ « فى » بمعنى « الباء » : جمع أغنية (بضم فسكون فكسر فياء مفتوحة مخففة) : وهى الغناء ، والتطريب ، والترجيع ، والترنم بالكلام الموزون وغيره . أو ما يترنم به المغنى من الكلام الموزون وغيره .

(١١) شرط « إذا » فى البيت السابق ، وهو « رف خيط الفجر » . وجوابه فى هذا البيت ، وهو « قامت تمايل » وأصلها تتمايل ، ثم حذفت إحدى التاءين للتخفيف : أى تترنح وتتكسر السكر . وسكرى : مؤنث سكران : وهو من غيبت الخمر عقله وإدراكه . والمآزر : جمع مئزر (بوزن منبر) : وهو ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن . ومثله الإزار (بوزن الكتاب) . ويراد بمآزرها : ثيابها . والروع : الفزع والخوف (وفعله من باب قال) . ويبعثها (من باب قطع) يوقظها . أو يطلقها ، ويرسلها : أى يحملها على التقدم والانطلاق . والطور : المرة والتارة . ويثنيها (من باب رمى) : يردها ، ويقيدها ، ويحملها على التوقف ، والتلبث ، والإحجام ؛ فالثنى هنا : ضد البعث . يقال : ثناه عن كذا : أى صرفه عنه ، ورده ، وكفه . والروع فاعل يبعثها ، وفاعل يثنيها ؛ فهو مرة يردها إلى اليقظة والانتباه ، ويخرجها من سكرة الخمر ؛ فتندفع منطلقة إلى منزلها . ومرة يسيطر عليها خوف الافتضاح بطلوع النهار ، فتحجم عن المسير ، وتتوقف .

ومعنى هذا البيت والذى قبله . أنه لما طلع الفجر ، وشدت الطير على الأشجار توقظ النيام ، وتنبه الغافلين — قامت المتنزل بها سكرى تمايل فى أثوابها ، ويساورها الخوف من افتضاح أمرها بطلوع النهار ؛ فهى مترددة فى سيرها إلى منزلها ؛ تقدم ، وتحجم ، وتنطلق ، وتتوقف . وفى الأبيات الآتية مزيد لهذا الشرح ، وبيان لقصة عودتها إلى بيتها فى نهاية هذه الليلة الساهرة السكرة اللاهية الماجنة .

(١٢) الواو فى الشطر الأول : واو الحال . والجملة الاسمية بعدها : جملة حالية . والأزرار : جمع زر (بكسر الزاى ، وتشديد الراء) : وهو شيء كالحبة ، أو القرص ، يدخل فى عروة القميص ونحوه لحبكه على جسم لابسه . وزر القميص ونحوه (من باب رد) : إذا شد أزراره . وتشبه الحسناء من النساء بالقمر فى إشراق الوجه ، والبهاء ، وحسن الرواء . ويشار بالجملة الحالية هنا إلى الاحتواء التام ،

ثُمَّ انْثَنَتْ وَيَدِي (قَيْدٌ) لِخَاصِرَةٍ كَالْخَيْزُرَانَةِ رَيًّا فِي تَثَنِّيهَا[13]

فِي بُلْجَةٍ لَا تَكَادُ الْعَيْنُ تُنْكِرُهَا وَسُمْرَةٍ رُبَّمَا شَفَّتْ نَوَاحِيهَا[14]

= والجمع الشديد ؛ فالمتغزل بها قد احتوت ثيابها القمر ، وجمعت محاسنه ومزاياه . واستوقفه : سأله الوقوف ، وحمله عليه . وحيرى : حائرة مترددة . والمجارى : جمع المجرى : وهو مكان الجرى والاندفاع والانطلاق . ومجرى العين : تجويفها الذى تجرى فيه وتتحرك . أو مجال النظر والإبصار . يقال : فلانة تستوقف العين ، وتفترق العين : أى تشغلها بالنظر إليها عن النظر إلى غيرها لحسنها . والشطر الثانى كناية عن أن المتغزل بها فائقة الحسن ، باهرة الجمال ، شديدة التأثير ، تسحر الأبصار ، وتملأ البصائر .

خافت هذه الحسناء افتضاح أمرها بضياء النهار ، وهى تزرّ أزرارها على قمر تامّ الضياء ، باهر الرواء ، يستوقف العيون ، ويسحر الأبصار ، ويأسر القلوب .

(13) انثنتْ : انعطفت : والمراد : سارت ، ومشت . وانثنت فى مشيتها : تمايلت ، وتبخترت . والكلمة التى بين القوسين جاءت فى الأصل « بيد » وهى من تحريفات الناسخ وأخطائه . والخاصرة من الإنسان : وسطه : ما بين رأس الورك ، وأسفل الأضلاع . وهما خاصرتان . ويده قيد لخاصرتها : أى يده فى خاصرتها ، ممسكة بها ، مقيِّدة لها ، وجنبها إلى جنبه . والخيزرانة : واحدة الخيزران (بفتح فسكون فضم فيهما) : وهو شجر هندىّ ، ليِّن القضبان ، أملس العيدان . ومن كلامهم : « كأنّ قدّها غصن بان ، أو قضيب خيزران » . وريًّا : ممتلئة فى نضارة وغضارة . والأصل : روى من الماء ونحوه (كرضى) : أى شرب وشبع ؛ فهو ريّان ، وهى ريًّا ، وريّانة . وروى الشجر والنبات : تنعّم ، وغضر ، ونضر . وتثنّت المرأة تثنّياً : انثنتْ فى مشيتها ، وتمايلت ، وتبخترتْ ؛ فالتثنى : المشية التى فيها تفكّك ، واضطراب ، واسترخاء ؛ كأنما تنحلّ أعضاؤها ، وينفكّ بعضها من بعض فى تبخترها .

شبّهها بالخيزرانة فى اللين ، والمرونة ، والنعومة ، ووصفها بالريّ ، والامتلاء ، والنضارة والغضارة . وقال : إنها تمشى متبخترة معجبة بنفسها ، معجبة لغيرها ، وإنه سايرها وصحبها وهى منصرفة إلى منزلها ؛ فكان جنبه إلى جنبها ، ويده ممسكة بخاصرتها .

(14) البلجة (بضم الباء وفتحها) : ضوء الصبح عند انصداع الفجر . وأنكر الشىء إنكاراً جهله : خلاف عرفه . ويراد بالشطر الأول أنها بلجة مرئيّة واضحة ، لاريب فيها . والسمرة : لون الأسمر ، والسمراء : وهى منزلة فى الألوان بين البياض والسواد (وفعله كتعب وكرم) . ويراد بالسمرة هنا : الظلمة القليلة الخفيفة الباقية فى الأفق من ظلام الليل ، قبل تبلّج الصبح ، وارتفاع النهار . وشفّتْ (بالفاء) : رقّتْ وخفّتْ : من قولهم : شفّ الثوب ونحوه : أى رقّ حتى يرى ما خلفه . ونواحيها : نواحى السمرة : أى جوانبها ، وجهاتها ، وأرجاؤها ، وأجزاؤها . وشفّتْ نواحيها : تأكيد لمعنى السمرة : أى قلة الظلمة وخفّتها فى نهاية الليل ، وأول النهار عند انصداع الفجر . أو هى « شقّتْ » (بالقاف) . ونواحيها أى نواحى البلجة . وشقّتْ السمرة نواحى البلجة : أى خالطتها ومازجتها ؛ فالكلمتان : « شفّتْ » و « شقّتْ » تنتهيان إلى معنى واحد . =

حَتَّى تَجَاوَزْتُ أَحرَاسًا عَلَى شَرَفٍ يَكَادُ يَمْنَعُ هَمَّ النَّفْسِ دَاعِيهَا(١٥)
وَحَرَّكْتُ حَلَقَاتِ الْبَابِ ؛ فَانْفَتَحَتْ عَنْ سَاحَةٍ سَكَنَتْ فِيهَا تَرَاقِيهَا(١٦)
فَعُدْتُ وَالْعَيْنُ غَرْقَى فِى مَدَامِعِهَا وَالْقَلْبُ فِى لَوْعَةٍ تَنْزُو نَوَازِيهَا(١٧)

= والبيت فى وصف اختلاط الظلمة بالبلجة فى أواخر الليل ، وأوائل النهار ، حين انصداع الفجر .

(١٥) تجاوزه : تعدّاه ، وخلّفه وراءه . والأحراس : جمع حارس : اسم فاعل من حرسه (من بابى نصر وكتب) : أى حفظه ووقاه ، وقام على حراسته وحمايته . والشرف : الموضع العالى ، يشرف على ما حوله : أى يعلوه ، ويطلّ عليه . و « على شرف » : تأكيد لمعنى الحراسة ، واليقظة ، والإشراف ، والاطّلاع . وكاد يفعل كذا : همّ ، وقارب ، ولم يفعل . والهمّ : أول العزيمة . وما همّ به الرجل فى نفسه : أى ما أراده ، وعزم على القيام به ، ولم يفعله . وداعيها : أى داعى الأحراس : أى ما تدعو إليه ، وتأمر به ، وتطلبه . ومعنى الشطر الثانى : أن هؤلاء الحرّاس من القوّة ، واليقظة ، والتمكّن بحيث يرهبون غيرهم ، ويردّونه عما همّ به فى نفسه ، وعزم عليه ، ولم يعلنه .

فى البيت الثالث عشر قال : إن المتغزل بها انثنت إلى منزلها ويده فى خاصرتها . وفى هذا البيت : أنه تجاوز بها أحراساً أيقاظاً شداداً ، يتّهيّبهم الناس ويخشونهم ، ولا يحاولون مخالفتهم ، حتى فيما يهمّون به ، ويسرّونه فى أنفسهم من الأمور . وفى البيت فخر ضمنىّ بأنه كان أقوى من هؤلاء الحرّاس ، وأشدّ بأساً . أو أوسع حيلة ، وأحوط وسيلة .

(١٦) حلقات الباب : جمع حلقة (بفتح فسكون ، أو بفتحتين) : وهى ما يعلّق عليه ، ليقرع به . والساحة : الباحة . والردهة . والمكان الواسع . والتراقى : جمع الترقوة (بفتح فسكون فضم) : وهى مقدّم الحلق فى أعلى الصدر ، حيث يترقّى النّفَس . وسكون التراقى : كناية عن الصمت ، والسكوت ، وسكون الأصوات ، والإغراق فى النوم .

يقول : إنها فتحت بابه بيتها ، فانفتح عن ساحة ما زال من فيها نائمين .

(١٧) الواو فى شطرى البيت : واو الحال . والجملة الاسمية بعد كل منهما : جملة حالية . ويقال : عين غرقة (بوزن فرحة) ، وغارقة ، وغريقة . أما الغرقى فجمع غريق — فيما نعرف — مثل مريض ومرضى ، وقتيل وقتلى . والمدامع : جمع مدمع (بوزن مذهب) : وهو مسيل الدمع ، ومكانه ، ومجتمعه فى نواحى العين . ويراد بالمدامع هنا : الدموع . واللوعة : حرقة الحب ، والشوق ، والهمّ ، والحزن ، ونحوه . وتنزو (من بابى عدا وسما) : تثب ، وتقفز . والمراد بنزو اللوعة : اشتدادها وتلهّبها . ونوازيها : شدائدها ، ولواعجها : الواحدة نازية : وهى الحدّة والنشاط : اسم فاعل من نزاء . وغرق عينيه فى المدامع ، والتياع قلبه : تعبير بليغ عما ساوره من الغمّ والحسرة بافتراق ما اجتمع من الشمل ، وانقطاع اللهو واللذة بانتهاء تلك الليلة الساهرة اللاهية الممتعة الرائعة . =

فَيَالَهَا لَيْلَةً ! كَانَتْ بِوُصْلَتِهَا   تَارِيخَ لَهْوٍ يَهِيجُ النَّفْسَ رَاوِيهَا(١٨)

--- صحب الشاعر المتغزل بها إلى دارها حينما انبثق عليهما الفجر بضيائه ؛ فافترق ما اجتمع من شملهما ، وانتهى ما كان من المتعة واللذة ، وعاد إلى منزله باكي العين ، ملتاع الفؤاد .

(١٨) يا لها ليلة : أسلوب تعجّب . والوصلة (بضم فسكون) : الاتصال والالتئام. وبينهما وصلة : أى اتصال وذريعة. وهذا وصلة إلى كذا : أى سبب ووسيلة . واللهو : ما شغلك عما يعنيك ويهمّك من جدّ الحياة ، والأعمال النافعة . ويعبّر باللهو عن كل ما استمتع به اللاهى من هوى ، وطرب ، ومتعة ولذة . وهاجه (من باب باع) : حرّكه ، وأثاره . وراويها : أى راوى الوصلة : اسم فاعل من روى الحديث ونحوه يرويه (كرماه يرميه) رواية (بوزن رماية) : أى حمله ، ونقله .

تهيّأ الشاعر فى تلك الليلة ما لم يتهيّأ له فى غيرها من وصال، وشراب ، ومتع ، ولذات ؛ فتعجّب منها ، وعجّب غيره ، وتحسّر على فواتها ، وقال : إن تاريخها تاريخ لهو ومجانة ، يهيج النفس ويطربها كلما روى ونقل .

القصيدة الحادية والأربعون

وَسَأَلَهُ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ أَنْ يُوَازِنَ * قَصِيدَةَ الْبُحْتُرِيِّ ** الَّتِي أَوَّلُهَا :

لَنَا أَبَدًا بَثٌّ نُعَانِيــهِ فِي « أَرْوَى » وَ « حُزْوَى » ، وَكَمْ أَدْنَتْكَ مِنْ لَوْعَةٍ « حُزْوَى »

فقال :

أَقِلَّا مَلَامِي فِي هَوَى الشَّادِنِ الْأَحْوَى فَقَلْبِي عَلَى حَمْلِ الْمَلَامَةِ لَايَقْوَى[1]

---

* وازن الشيء الشيء : ساواه في الوزن ، وعادله ، وماثله ، وقابله ، وحاذاه . ووازن الشاعر قصيدة غيره : إذا نظم قصيدة من بحرها ، على وزنها ، ورويّها . والقصيدتان هنا من الطويل : أول بحور الشعر العربي ، وأطولها ، وأشهرها . والرويّ فيهما : الواو : وهو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة ، وتنسب إليه .

** البحتري : أبو عبادة ، الوليد بن عبيد البحتري الطائي ، « نسبة إلى بحتر (بضم فسكون فضم) ، وهم بطن أو حي من قبيلة طيئ ، وبحتر اسم جدهم » : شاعر مطبوع ، تصرف في فنون الشعر ، ما عدا الهجاء ؛ فقد كان عنده قليلا ضيقاً ، ولما أحس بدنو أجله أحرق ما نظمه فيه على ضيقه وقلته . وبلغ البحتري بشعره المرتبة العليا ، حتى سماه النقاد سلاسل الذهب . وسئل أبو العلاء المعري : من أشعر الثلاثة : أبو تمام ، أم البحتري ، أم المتنبي ؟ فقال : أبو تمام والمتنبي حكيمان ، وإنما الشاعر البحتري . وقد مدح المتوكل العباسي وغيره من خلفاء الدولة العباسية وأمرائها وأكابر الناس . وأقام ببغداد دهراً طويلا ، ثم عاد إلى الشام ، وكانت ولادته بمنبج (بوزن مجلس) : وهي بلدة قديمة بين حلب والفرات . وتوفي بها سنة ٢٨٤ هـ عن ثمانين عاماً . وديوان شعره جزءان في ٧٩٩ صفحة ، طبعة المطبعة الأدبية ببيروت - لبنان سنة ١٩١١ م . وقصيدته الواوية التي قدمنا مطلعها نظمها في مدح أبي عيسى ابن صاعد ، وعدد أبياتها واحد وأربعون بيتاً ؛ فهي أطول قليلا من قصيدة البارودي .

(١) أقلّ الشيء إقلالاً ، وقلّله تقليلاً : جعله قليلا . ويقال : أقل فعل كذا : إذا لم يفعله أصلا . وأقلا ملامي أمر منه : أي كفا عن لومي ، ولا تحاولاه . والأمر للاثنين ألحّا عليه بالملامة ، أو تخيّلهما تخيّلاً ، جرياً على عادة الشعراء قبله في مخاطبة رفيقين يصطحبان الشاعر ، ويلازمانه في غدوه ورواحه . والملام والملامة : اللوم والعذل . والهوى : الحب (وفعله من باب صدى) . والشادن =

كَفَى بِالْهَوَى شُغْلًا عَنِ اللَّوْمِ بِامْرِئٍ ... بَرَاهُ الضَّنَى، وَاسْتَمْطَرَتْ عَيْنَهُ الْبَلْوَى (٢) .

فَلَيْسَ الْهَوَى سَهْلًا ، فَأَلْوِي عِنَانَهُ ... وَإِنْ كُنْتُ يَوْمَ الرَّوْعِ ذَا مِرَّةٍ أَلْوَى (٣)

هُوَ الْحُبُّ يَعْتَامُ الْكِرَامَ ، وَلَنْ تَرَى ... لَئِيمًا يَنَالُ السَّبْقَ فِي الْفَضْلِ ، أَوْ يَهْوَى (٤)

ولد الظبية : أي الغزال إذا شدن : أي ترعرع ، واستغنى عن أمه . ويراد به الفتاة الحسناء التي هويها الشاعر ، وهام بها. والعرب تشبّه حسان النساء بالغزلان والظباء في الخفّة، والرشاقة، ولطف الحركة، وحسن التثني ، وجمال الجيد والعينين . والأحوى: صفة من الحوة : وهي حمرة تضرب إلى السواد ؛ = فالفتى أحوى ، والفتاة حواء . وشفة حوّاء : أي حمراء ، وحمرتها تضرب إلى السواد . وحوّة الشفة من محاسن النساء عند العرب .

التمس الشاعر ، أو طلب إلى لائميه أن يكفّا عن لومه في عشق هذه الفتاة الحسناء الحوّاء ؛ فقد تيّمه الحب ، وشغفه ،وأضناه ، حتى صار قلبه ضعيفاً عاجزاً عن احتمال شيء من العذل والملامة. وفي ثمانية الأبيات الآتية تأكيد وترديد وتفصيل لهذا المعنى .

(٢) كفى الشيء يكفي كفاية : حصل به الاستغناء عن غيره . والباء زائدة . والهوى فاعل «كفى » . وشغلاً : أي شاغلاً ، ويعرب تمييزاً ، أو حالاً . وعن اللوم بامرئ : أي عن لوم امرئ : أي كفى الحب كافّاً للائم عن اللوم ، وشاغلاً للمحب عن قبول اللوم ، والاستماع له. وبراه : هزله وأنحله ، وأرق جسمه ، وأضناه . والضنى (بوزن الصدى) : المرض الشديد : مصدر ضنى (من باب صدى) : أي اشتد مرضه حتى نحل جسمه وهزل . واستمطر استمطاراً : طلب المطر. والبلوى، والبليّة ، والبلاء : أسماء من بلاه الله : أي اختبره ، وامتحنه ، وجرّبه. ويكون البلاء بالخير ، وبالشر . ويراد بالبلوى هنا : محنة الحب . واستمطرتْ البلوى عينه : أي اشتدّ به الحب ، وبرّح به الوجد حتى بكى بكاء شديداً بدموع منهمرة غزيرة .

(٣) لوى الحبل ونحوه (من باب رمى) : ثناه . والعنان (بكسر العين) : سير اللجام الذي تمسك به الدابة . وألوى عنانه: أحدّه ، وأكفّه ، وأردّه ، وأصرفه عني: يريد أن الهوى صعب عسير ، ينطلق في مجاله ، ويبلغ مداه ، ويسيطر على المحب ، ويسلبه إرادته واختياره ، والروع (بفتح فسكون) : الفزع والذعر (بوزن العذر) : مصدر راع (من باب قال) : أي فزع وذعر وخاف. وراعه الأمر : أي أفزعه وأخافه . ويوم الروع : يوم الحرب . وذو مرة (بكسر الميم ، وتشديد الراء المفتوحة) : صاحب قوّة ، وحصافة ، والمرّة : العقل ، أو شدّته واستحكامه ، أو الأصالة والإحكام أو جودة الرأي ، وإتقان التدبير . وفي التنزيل العزيز : « علّمه شديد القوى، ذو مرّة فاستوى » ٥ — ٦ من سورة النجم أي ذو قوة، وحصافة واستحكام في عقله ورأيه . ورجل ألوى: أي عسر ، شديد الخصومة ، قويّ ، يلتوي على خصمه : أي يعسر ويشتدّ .

افتخر بحصافته ، واستحكام عقله ورأيه ، وقوة مراسه ، وشدة بأسه في الحروب والأهوال ؛ ولكنه مع هذا كله منطاع للحب ، منقاد لسلطانه ، خاضع لأحكامه ، واقع تحت سيطرته ، لا يستطيع صرفه ، ولا تهوين أمره . وصلة هذا البيت بالبيتين السابقين واضحة وثيقة ؛ فإن سيطرة الهوى تقتضي الكفّ عن ملامة المحب العاشق ، وتشغله عن الاستماع للوم ، وإذا سمعه لا يستطيع قبوله .

(٤) يعتام : يقصد . والكرام : جمع الكريم : صفة من الكرم بمعناه العام : وهو اسم جامع =

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَقْوَى عَلَى دَفْعِ مَا أَتَى بِهِ الْحُبُّ مِنْ جَوْرٍ ؟ وَسُلْطَانُهُ أَقْوَى (٥)

سَبُوقٌ إِذَا جَارَى ،لَحُوقٌ إِذَا هَوَى غَلُوبٌ إِذَا بَادَى ، قَتُولٌ إِذَا أَهْوَى (٦)

لَهُ سَوْرَةٌ لَوْ صَادَمَتْ رُكْنَ يَذْبُلٍ وَرَضْوَى لَهُدَّتْ يَذْبُلًا وَمَحَتْ رَضْوَى (٧)

= المحامد ، والأخلاق الكريمة ، والأفعال العظيمة ، والمحاسن الكبيرة التي تظهر من الإنسان . وضده اللئيم : صفة من اللؤم : وهو اسم جامع لكثير من الرذائل والمناقص ، كشح النفس ، ودناءة الأصل ، وخسة الطبع ، والمهانة ، والضعف ، والحقارة . والفضل : الخير ، والبر ، والكرم ، والإحسان ابتداء بلا علة . وقد يراد بالفضل : الفضيلة ، وحسن الخلق . ويهوى (من باب صدى) : أي يهوى الفضل ، ويميل إليه ، ويحرص عليه . أو المعنى : أن اللئيم لن يهوى : أي لن يستشعر الهوى ؛ فالحب ، أو الهوى ، أو العشق ، أو الغرام إنما يحتام الكرام الأفاضل الأخيار ، ولا يكاد يعرفه اللئام الأراذل الأشرار . والحب العذري في نظر الشاعر من الفضل ، وإنما يعرف الفضل من الناس ذووه .

والمعنى : أن الفاضل الكريم يحب ويهوى ، أما المهين اللئيم فإنه لا يسبق إلى الفضل ، ولا يهواه ، ولا يكاد ينفتح قلبه للحب ، أو يستشعره ، أو يتمناه .

(٥) الاستفهام في أول البيت : معناه النفي : أي لا أحد يقوى على دفع جور الحب . ودفع الشيء (من باب منع) : أي نحاه تنحية ، وأزاله بقوة . والجور (بفتح فسكون) : الظلم ، والميل عن القصد . ويراد به هنا : الغلبة ، والسيطرة ، والقوة ، والسلطان (وفعله من باب قال) . والواو في الشطر الثاني : واو الحال . والجملة الاسمية بعدها : جملة حالية . وسلطان الحب : قوته ، وسيطرته ، وقهره . وسلطان الحب أقوى : أي سلطانه أقوى من قوة القوي ، ومدافعة المدافع .

(٦) سبوق : سباق : أي كثير السبق : وهما صيغتا مبالغة من سبق (من باب ضرب) . وجاراه مجاراة : سابقه في الجري . ولحوق : صيغة مبالغة من لحقه ، ولحق به (من باب سمع) : إذا أدركه . وهوى يهوى (كرمى يرمى) : سقط من علو إلى سفل . وغلوب : صيغة مبالغة من غلبه (من باب ضرب) : أي قهره . وباداه مباداة : بارزه ، ونازله . وقتول : صيغة مبالغة من القتل . وأهوى يهوى إهواء : سقط وانقض ، واندفع ، وهجم .

والبيت كله في بيان سيطرة الحب ، وشدة بأسه ، وقوة تأثيره ، وعجز المحب عن صده ودفعه .

(٧) له : أي للحب . وسورة (بفتح فسكون) : سطوة ، وصولة ، وبطش ، وقهر (والفعل من باب عدا) ؛ وصادمت : صدمت ، ودافعت . يقال : صدم الصلب الصلب (من باب ضرب) : أي صكه ، ودفعه . وصادمه : دافعه . وركن الشيء : أحد جوانبه التي يستند إليها ، ويقوم عليها . ويراد بركن « يذبل » وركن « رضوى » : هذان الجبلان ، أو الجانب القوي من كل منهما . ويذبل (بوزن يقتل) : جبل ، وهو ممنوع من الصرف ، أي التنوين ، وإنما صرف هنا ، ونون لضرورة وزن الشعر . ورضوى (بوزن بلوى) : جبل . ومحاه (من بابي عدا ، ورمى) ويمحاه أيضاً (كيخشاه) : أزاله ، وأذهب أثره .

فَحَتَّام يَلْحَانِى الْعَذُولُ عَلَى الْهَوَى؟ أَلَيْسَ يَرَى مَا بِى ،فَيَجْتَنِبَ الشَّكْوَى(٨)
لَقَدْ سَامَنِى طَىَّ الْغَرَامِ ، وَمَا دَرَى بِأَنَّ الْهَوى الْعُذْرِىَّ يَكْبُرُ أَنْ يُطْوَى(٩)
وبِى ، بَلْ بِقَوْمِى الْأَكْرَمِينَ خَرِيدَةٌ إِذَا سَفَرَتْ كَادَتْ لَهَا الشَّمْسُ أَنْ تَضْوَى(١٠)
مِنَ الْغِيدِ ،كَحْلَاءُ الْمَحَاجِرِ ،لَوْ رَنَتْ إِلَى الْقَسِّ فِى نَامُوسِهِ أَخْطَأَ النَّجْوَى(١١)

---

(٨) لحاه يلحاه لحياً : لامه وعذله . والعذول (بوزن الرسول) : الكثير العذل : أى اللوّام . والشكوى (بوزن البلوى) : اسم من شكاه (من باب عدا) : أى أخبر عنه بسوء فعله . ويراد بالشكوى هنا : العذل ، واللوم ، والعتاب .

تبرّم بكثرة العذل ، وضاق به ذرعاً ، وأنكره على العاذل قائلاً : إن الحب برّح به ، وهزله ، ونحله ، وأضناه . ولو رأى العذول هذا ، وقدّره لاجتنب العذل ، وأقلع عن الشكوى ، ورحم المحب المستهام .

(٩) سامه كذا (من باب قال) : كلّفه إيّاه ، وأراده عليه ، وألزمه به . وطوى الأمر يطويه طيّاً : كتمه ، وأخفاه . والغرام : الحب الشديد ، والولوع بالشىء ، وأن يتعلق المحب بالمحبوب تعلّقاً لا يستطيع التخلّص منه لو أراد . والهوى العذرىّ : الحب العفيف : نسبة إلى بنى عذرة (بضم فسكون) لاشتهارهم به .

يقول : إن عاذله أراده على كتمان هواه ، ولم يعلم أنه هوى عذرىّ عفيف ، خالص نقىّ ، عنيف مبرّح ، لا يستطاع كتمانه .

(١٠) الخريدة : الفتاة العذراء : أى البكر (بكسر فسكون) التى لم تفضّ . أو الخفرة ، الحييّة ، المحتشمة ، المتستّرة ، الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت . وصوت خريد : ليّن ، عليه أثر الحياء . وسفرت المرأة (من باب جلس) : كشفت عن وجهها ، فهى سافر . وضوى يضوى (من باب صدى) : هزل ، ودقّ ، وضعف . ويراد بالضوى هنا : كسوف الشمس ، واحتجابها ، فضياء المتغزل بها يكاد يحجب ضياء الشمس ، وإذا كشفت عن وجهها كادت الشمس تكسف حياءً وخجلاً .

والمعنى : أنه يفدى بنفسه وبقومه الأكارم الأماجد عذراء حسناء تفوق الشمس فى الإشراق والبهاء .

(١١) الغيد : جمع غيداء : وهى الفتاة الناعمة ، الليّنة الجوانب . وفى الغيد (بفتحتين) معنى الرىّ والغضارة والنضارة ، والتمايل والتثنى . حلت العين (من باب فرح) : اسودّت أجفانها خلقة ، فهى كحلاء . والمحاجر : الجفون : جمع محجر (بوزن مجلس) : وهو ما دار حول العين ، وأحاط بها . أو ما ظهر من النقاب . ورنا (من باب سما) : أدام النظر فى سكون طرف . والقسّ (بفتح القاف وتشديد السين) : القسّيس (بكسر القاف) : وهو رئيس دينىّ من رؤساء النصارى فى مرتبة بين الأسقف والشمّاس . والناموس : بيت الراهب وصومعته . والنجوى : إسرار الحديث . ويراد بها هنا : نجوى العبادة .

تُمِيتُ وَتُحْيِي مَنْ تَشَاءُ بِلَحْظِهَا فَمِنْ عَاشِقٍ يَحْيَا ، وَمِنْ عَاشِقٍ يَتْوَى[١٢]

بَعَثْتُ لَهَا قَلْبِي عَلَى إِثْرِ لَحْظَةٍ فَمَا عَادَ إِلَّا وَهْوَ بِالْحُسْنِ مُسْتَهْوَى[١٣]

وَأَفْنَيْتُ عُمْرِي فِي رِضَاهَا ؛ فَلَمْ أَنَلْ سِوَى رَاحَةٍ تَرْتَدُّ ، أَوْعِدَةٍ تُلْوَى[١٤]

وَأَصْبَحْتُ مَغْلُوبَ الرَّشَادِ ، وَقَلَّمَا يَعُودُ رَشِيدًا صَالِحَ الْعَقْلِ مَنْ يَغْوَى[١٥]

= وصفها بالغَيَد والكَحَل ، وقال : إن حسنها فاتن ساحر ؛ فلو نظرتْ إلى عابد زاهد راهب لفتنتْه ودلَّهتْه ، وأخرجتْه من نسكه وعبادته .

(١٢) اللحظ : النظر بمؤخر العين من أحد جانبيه (والفعل من باب قطع) . وجمعه ألحاظ . ومن كلامهم : فتنته لحظاتها وألحاظها . ويتوى (من باب صدى) : يهلك ويموت .

والمعنى : أن نظراتها فاتنة ساحرة تنعش بها من تقبل عليه من عشاقها ؛ وتهلك من تعرض عنه . أو المعنى : أن من عشاقها من ينتعش بنظراتها الساحرة الفاتنة ؛ ومنهم من يشتد به الوجد ، ويكاد يهلكه التدلّه والوله .

(١٣) اللحظة : المرة من لحظ العين . واستهواه الحسن استهواء : دلّهه ، وتيّمه ، وشغل قلبه فالحسن مستهو (بصيغة اسم الفاعل) . والقلب مستهوى (بصيغة اسم المفعول) .

يقول : إن نظرة منها إليه استهوته ، وشغلت قلبه ، فكان أسير الهوى ، صريع الغرام

(١٤) الراحة : الكف . وارتدادها : كناية عن الإخفاق ، وفوات المقصود ، وعدم الظفر بالمراد . والعدة : الوعد . والمراد وعد الإقبال والوصال . وتلوى : تمطل ، وتسوّف . يقال : لواه دينه ، ولواه بدينه يلويه ليًّا : إذا مطله ، وسوّفه ، وأجّل موعد الوفاء مرة بعد أخرى .

يقول : إنه أفنى عمره فى ترضّيها واستعطافها ، فلم ينل منها غير الإخفاق ، والحرمان ، والعدات المطولة الممدودة بغير وفاء .

(١٥) الرشاد ، والرشد : الاهتداء ، والصلاح ، والاستقامة على طريق الحق . وضده الغيّ والضلال . والرشيد : المهتدى ، وذو الرشد . ومغلوب الرشاد : أى رشاده مغلوب مقهور ، وغيّه غالب قاهر . وغوى يغوى (كصدى يصدى) غواية (بفتح الغين) : أمعن فى الضلال ، وخاب ، وفسد عيشه ، وانهمك فى الجهل . ومثله غوى يغوى (كرمى يرمى) غيًّا (بفتح الغين) : وهو خلاف الهدى والرشاد .

فى البيت السابق قال : إنه أفنى عمره فى ترضّى معشوقته ، واستمالتها ، واستعطافها ، فلم يظفر إلا بالإخفاق ، والحرمان ، والعدات المطولة الممدودة التى لا وفاء بها ، ولا إنجاز لها . وفى هذا البيت : أنه بإمعانه فى العشق أمعن فى الغيّ والضلال ، وانحرف عن الهدى والرشاد ، وقلما يصلح عقل الغاوى ، أو يعود إلى الرشد والاستقامة ، أو يستردّ الاهتداء والصلاح .

خَضَعْتُ لِأَحْكَامِ الْهَوَى ، وَلَطَالَمَا ... أَبَيْتُ ،فَلَمْ أَخْضَعْ لِمَنْ يَهَبُ الْجَدْوَى(١٦)

وَإِنِّي امْرُؤٌ لَوْلَا الْهَوَى مَا وَجَدْتَنِي ... أَدِينُ لِغَيْرِ اللهِ ، أَوْ أَرْهَبُ الْعَدْوَى(١٧)

بَعِيدُ مَنَاطِ الْهَمِّ ، تُرْهَبُ صَوْلَتِي ... إِذَا مَا دَجَا خَطْبٌ ، وَبَادِرَتِي تُرْوَى(١٨)

---

(١٦) أبى يأبى (بوزن سعى يسعى) إباء (بكسر الهمزة) : استعصى ، وامتنع ، وترفّع ، واستنكف . ووهب له الشيء يهبه : أعطاه إيّاه بلا عوض . والجدوى : الهبة ، والعطيّة .

يقول : إنه فى مجال الحب والغرام أسير خاضع منطاع منقاد لأحكامه وقيوده . وفى غيره أبىّ ، عيوف ، مستعص ، ممتنع ، مترفّع عن الهبات وواهبيها .

(١٧) دان يدين (كباع يبيع) : خضع وانقاد . ورهبه يرهبه (من باب طرب) : خافه وتوقّاه . والعدوى (بوزن الجدوى) : انتقال الداء من المريض به إلى الصحيح بوساطة ما : اسم من أعدانى المريض : أى جاوزه المرض إلىّ . والعدوى أيضاً : اسم من استعديت الأمير على الظالم : أى طلبت منه النصرة ، فأعدانى عليه : أى نصرنى ، وأعاننى ، وانتقم لى منه . أوهى « العدوى » (بوزن الكبرى) : بمعنى العدوان والظلم . ويراد بنفى العدوى (بمعانيها الثلاثة) : أنه لا يتهيّب ما يتهيّبه الناس ، ولا يخاف ما يخافونه من المخيفات المفزعات .

كرّر ما قرّره فى البيت السابق ، وزاد عليه ، فقال : إنه خضع لأحكام الحب ، ولم يكن قبله يدين لغير الله عزّ وجلّ ، ولم يكن يخاف ظلم الظالمين ، وعدوان المعتدين ، يريد أنه أبىّ قوىّ ، عزيز منيع ، وأنه أقوى من ظلم الظالم ، وعدوان المعتدى ؛ ولكنه على الرغم من قوّته وإبائه ، وعزّته ومنعته ، دان للهوى واستكان .

(١٨) ناط الشيء بغيره ، وناطه عليه (من باب قال) : علّقه . وأناطه إناطة كذلك . والمناط (بوزن المكان) : موضع التعليق .والهمّ : أول العزيمة . وما هممت به فى نفسك : أى أجلْتَ فيه فكرك ، وأردت فعله . ويراد بالهمّ هنا : الهمّة العالية ، والمطمع الرفيع ، والعزم القوىّ . وبعيد مناط الهمّ : أى همّى عظيمة، واسعة رفيعة . وترهب : تخاف وتتّقى (بالبناء للمجهول فى الأفعال الثلاثة) . والصولة : السطوة ، والبطش فى الحرب ونحوها . ودجا (من بابى عدا ، وسما) : أظلم . والمراد اشتدّ ، وجاوز الحدّ . والخطب : الأمر الشديد ، ينزل بالناس ، ويكثر فيه التخاطب ، وخطوب الدهر : نوائبه وشدائده . والبادرة : الغضبة السريعة ، وما يبدر من الرجل عند حدّته . ومن كلامهم : « فلان مخشىّ البادرة ، وحادّ البوادر » : أى مخوف مهيب ، شديد البأس . وتروى : تنقل (بالبناء للمجهول فيهما) . يقال : روى الحديث ، أو الخبر ، أو الشعر ، أو نحوه : أى حمله ، ونقله ، وأذاعه ؛ فهو راو من الرواة. والمراد أن الناس، أو الرواة يتناقلون بوادرى، ويذيعونها إعجاباً ، أو عجَباً ، أو اهتياباً وخوفاً .

فى البيت السابق افتخر بأنه لا يرهب العدوان . وفى هذا البيت افتخر ببعد همّته ، وقوّة عزيمته ،=

لِسَانِى خَلُوبٌ فِى الْجِدَالِ ، وَصَارِمِى رَسُوبٌ ،وَرَأْيِى مِنْ سَمَاءِ الضُّحَا أَضْوَى[19]

وَعِنْدِى إِذَا مَا الْحَرْبُ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا عَزِيمَةُ لَيْثٍ مَا تُهَرُّ ،وَمَا تُعْوَى[20]

= وأن صولاته وبوادره فى الخطوب والشدائد مرهوبة مخشيّة يتناقلها الرواة ، ويتقيها العداة . ويلاحظ أن الشاعر — من البيت السادس عشر إلى نهاية هذه القصيدة — انتقل من الغزل إلى الفخر بمناقبه ، والتمدّح بمحامده بعد ربط وتوطئة ، وتمهيد وتوطيد ؛ فأكثر القصيدة (٢١ بيتاً) فى الفخر والابتهاء . وفيها مع الفخر تعر ض بالمغوين الذين انطوت صدورهم على الحقد والغش ، والغلّ ، واستحبّوا العمى على الهدى ، وغرقوا فى الضلال المبين .

(١٩) خلوب (بوزن صبور) : خلاّب ، قاطع ، غلاّب : صيغة مبالغة من خلبه (من باب قتل) : أى قطعه . أوفتن قلبه . والجدال : المجادلة : مصدر جادله : أى ناقشه ، ونازعه ، وغالبه ، وخاصمه مخاصمة شديدة ؛ فقطع الحجة بالحجة ، وقابل الدليل بالدليل. والصارم : السيف القاطع الباتر. وسيف رسوب (بوزن خلوب) : يمضى ، أو ينفذ ، أو يغيب فى الضريبة . والرأى : العقل . والإصابة فى التدبير . ورجل ذو رأى : أى ذو بصيرة ، وحذق بالأمور . والضحا : بعد طلوع الشمس ، وارتفاع النهار ، وامتداده . وسماء الضحا : السماء فى وقت الضحا . أو السماء الضاحية المشرقة المنيرة ، حينما يرتفع النهار ويمتدّ ، ويعمّ الضياء ويشتدّ . وأضوى : أضوأ : أى أشدّ إضاءة ، وأعظم نوراً .

افتخر بخلابة لسانه فى الجدل ، ونفاذ سيفه فى الضريبة ، وتمرّسه باستخدام السلاح ، وسداد رأيه وإشراقه ، وحصافة تدبيره ، واستحكامه .

(٢٠) القناع (بوزن الكتاب) : ما تغطّى به المرأة رأسها . وألقى الشىء إلقاء: طرحه ، ورمى به . وإلقاء الحرب قناعها: كناية عن اشتدادها ، وتوقّد نارها ، وسطوع أوارها . والعزيمة : الإرادة القوية القاطعة . والجدّ والاجتهاد فى الأمر . والليث : الأسد . وهرّ الكلب يهرّ (كخفّ يخفّ) هريراً : وهو صوته دون نباحه ، من قلة صبره على البرد . أو هى ما تهرّ (بالبناء للمجهول) : من أهر الكلبّ ونحوه إهراراً : أى جعله يهرّ. أو حمله على الهرير . وعوى الكلب ونحوه يعوى عيًّا ، وعواء (بضم العين) : لوى خطمه: أى أنفه ، أو مقدّم أنفه وفمه ، ثم صوّت . أو مدّ صوته ، ولم يفصح . وعواء الكلاب ونحوها: صوت تمدّه، وليس بنبح . وأعواه غيره إعواء : حمله على العواء . ويقال للرجل الحازم الجلد : « ما ينهى ، ولا يعوى » أو « لا يعوى ، ولا ينبح » (ببناء هذه الأفعال كلها للمجهول) : وعزيمة لا تهرّ ، ولا تعوى (بالبناء للمجهول فيهما) : أى عزيمة قاطعة قوية ، لا يعتريها ضعف أو فتور .

افتخر بأنه فى الحروب شديد البأس ، قوىّ المراس ، ذو عزيمة صارمة كعزيمة الأسد ، لا يعروها ضعف أو فتور .

وَحِلْمُ كَرِيمٍ ، يَمْلَأُ الْغَيْظُ قَلْبَهُ   فَيَكْظِمُهُ ، وَالْحِلْمُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى (٢١)

وَعِفَّةُ نَفْسٍ لَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ   وَجُودٌ بِهِ ظَلَّتْ عُفَاةُ النَّدَى تَرْوَى (٢٢)

وَلِي هِمَّةٌ لَوْلَا الْعَوَائِقُ مَهَّدَتْ   يَدُ الْمَجْدِ فِى أُفْقِ السَّمَاءِ لَهَا مَثْوَى (٢٣)

---

(٢١) الحلم : الأناة ، والعقل ، والصفح ، والصبر المحمود ، وضبط النفس . وكريم : صفة من الكرم بمعناه العام : وهو جماع الأخلاق الكريمة ، والأفعال الحميدة ، والمحاسن الكبيرة التى تظهر من الإنسان . ومن الأخلاق الكريمة التى يشملها الكرم : الصفح ، والعفو ، والتسامح . و « حلم كريم » : معطوف على « عزيمة ليث » فى البيت السابق . والغيظ : الغضب الشديد ، وهو أشد الحنق (وفعله من باب باع) . وكظم الرجل غيظه (من باب ضرب) : أمسك على ما فى نفسه منه صافحاً متسامحاً . وفى التنزيل العزيز : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض ، أعدّت للمتقين ، الذين ينفقون فى السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين » ١٣٣ – ١٣٤ سورة آل عمران . والتقوى : خشية الله ، والخوف منه ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه . أوهى حفظ النفس مما يؤثم ، وذلك بترك المحظور . وفى الآيتين السابقتين أن كظم الغيظ ، والعفو عن الناس من صفات المتقين . وفى القرآن الكريم : « فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون» الآية رقم ٣٥ من سورة الأعراف .

(٢٢) عفّ يعفّ عفّة (كخفّ يخفّ خفّة) : كفّ عما لايحلّ ، ولا يجمل من قول ، أو فعل . وزننت فلاناً بكذا (من باب ردّ) : اتهمته به . وأزننته إزناناً كذلك . والريبة (بكسر الراء) : الظن ، والشكّ ، والتّهمة . ومن شعر حسان بن ثابت : « حصان رزان ، ما تزنّ بريبة» : أى لاتتّهم بسوء . والجود (بضم الجيم) : البذل ، والسخاء والعطاء بلا عوض . وظلتْ : دامت . والعفاة : جمع العافى : اسم فاعل من عفاه (من باب عدا) : إذا أتاه يطلب فضله ومعروفه . والندى : الجود ، والسخاء ، والخير ، والبرّ ، والعطاء ، والإحسان . وروى من الماء ونحوه يروى (كرضى يرضى) : شرب وشبع .

افتخر بعفة نفسه ، وترفّعه عن الشوائن والمناقص ، وبعده عن الريب والشبهات ، واتساع جوده ، ونداه العفاة ، وطلاّب الحاجات .

(٢٣) الهمة : العزم القوىّ . والعوائق : جمع عائقة وعائق : اسم فاعل من عاقه عن الشىء (من باب قال) : أى منعه منه ، وشغله ، وحبسه عنه ، وصرفه . وعوائق الدهر : الشواغل من أحداثه . ومهّد الفراش ونحوه تمهيداً : بسطه ، ووطّأه وسهّله . والمجد : النبل والشرف ، والمكارم المأثورة عن الآباء . وأفق السماء : ناحيتها . والمثوى (بوزن المأوى) : المستقرّ ، والمقام : اسم مكان من ثوى بالمكان ، وفيه (كرمى) : أى أقام ، واستقرّ ، أو هى مثوى (بضم الميم) : من أثوى يثوى إثواء : بمعنى ثوى ثواء (بفتح الثاء) ؛ والثلاثىّ والرباعىّ بمعنى واحد .

بَلَغْتُ بِهَا بَعْضَ الْمُنَى ، غَيْرَ أَنَّنِي جَدِيرٌ بِأَنْ أَحْوِى بِهَا كُلَّ مَا أَهْوَى(٢٤)

فَإِنْ سَادَ غَيْرِى بِالْجُدُودِ ، فَإِنَّنِي بِهِمْ وَبِفَضْلِي رِشْتُ سَهْمِي، فَمَا أَشْوَى(٢٥)

وَلَيْسَ عُلُوُّ النَّفْسِ بِالْجَدِّ وَحْـدَهُ وَلَيْسَ كَمَالُ الْمَرْءِ فِى شَرَفِ الْمَأْوَى(٢٦)

---

(٢٤) بها : أى بهمتى . والمنى : الأمانى والآمال . الواحدة منية (بضم فسكون). وجدير : حقيق ، وخليق : صفة من جدر بكذا ، وجدر له (كظرف) ، جدارة : إذا صار خليقاً به ، أهلاً له . وحوى الشيء يحويه (كطواه يطويه)، واحتواه ، واحتوى عليه : أى جمعه ، وأحرزه ، وضمه ، واستولى عليه . وهويه يهواه (من باب صدى) : أحبه ، ورغب فيه ، ومال إليه .

فى البيت السابق : افتخر بأن همته ومجده وشرف آبائه فى أعلى مراتب الرفعة، والسمو ، والعظمة. وفيه إشارة إلى معوقات وموانع عوقت بعض التعويق همته ، فلم تساير مجده ، ولم تنطلق إلى المدى الذى يناسبه ، ويليق به . وفى هذا البيت توضيح وتفصيل لهذا المعنى ؛ فإنه بلغ بهمته بعض آماله ، ولكنه خليق أن يجمع بها كل ما يرغب فيه ، ويطمح إليه من الغايات البعيدة ، والمطامع الرفيعة ، ومطالب السيادة والمجادة . وفيه إشارة إلى أنه لن يسكن عندما وصل إليه ، ولن يقنع به .

(٢٥) ساد يسود سيادة ، وسودداً ، وسؤدداً : عظم ، ومجد ، وشرف . والجدود : جمع الجد (بفتح الجيم) : وهو أب الأب ، وأبو الأم . ويريد بفضله : فضائله ، وكفاياته ، ومواهبه ومؤهلاته ، وهممه العالية ، وعزائمه القوية . والسهم : عود من خشب يسوى ، ويركب فى طرفه نصل يرمى به عن القوس . وراش السهم يريشه (من باب باع) : ركّب عليه الريش ، فهو مريش (بوزن مبيع) . أو أصلح ريشه لتسديده . وأشوى السهم إشواء : أخطأ الغرض ، ولم يصب الهدف ، أى الصيد ، أولم يصبه فى مقتله . ورشت سهمى ، فما أشوى : أى أعددت سهمى إعداداً تاماً للرماية ، فاستد ، وأصاب المقتل . وهو كناية عن تمام أهبته ، وقوة استعداده ، لتحقيق المطالب ، وبلوغ الآمال .

والمعنى : أنه عصامى عظامى ، ساد بشرف نفسه ، وشرف آبائه .

(٢٦) المأوى (بوزن المثوى) : اسم مكان من أوى المكان ، وإليه يأوى (كرمى يرمى) : أى نزل فيه ، واستقر به . وأوى إليه : عاد ورجع . وأوى إليه : لجأ إليه ، ولاذ ، واعتصم به . وأوى إلى ظلال فلان : استظل به ، واحتمى بحماه . ويراد بشرف المأوى : مجد الآباء والأجداد : أى وليس علو النفس فى مجد الجدود وحده ، وليس كمال المرء فى شرف المأوى وحده ؛ فالشطر الثانى تكرار وتأكيد لمعنى الشطر الأول .

والبيت يجرى مجرى الحكم والأمثال ويؤكد معنى البيت السابق ؛ فإن اقتصار الحسيب الماجد على حسبه ومجد آبائه لا يبلغه ما تسمو إليه نفسه من العزة ، وكمال الشأن ؛ بل لابد أن يكون مع هذا فاضلاً هماماً ، قوى العزم ، عالى الهمة .

إذَا حَرَّكَتْنِي نَحْوَ أَرْضٍ وَتِيرَةٌ ... رَكِبْتُ لَهَا عَزْمِي وَإنْ بَعُدَ الْمَهْوَى(٢٧)

فَإِنْ كَانَ سَوَّى الدَّهْرُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ ... أَرَى مِنْ بَنِيهِ فِي الْحُظُوظِ ، فَمَا سَوَّى(٢٨)

بَرِئْتُ مِنَ الْغِلِّ الَّذِي أَصْبَحَتْ بِهِ ... قُلُوبُهُمُ مِنْ شَرِّ مَا حَمَلَتْ تَدْوَى(٢٩)

نَصَحْتُ ، وَغَشُّوا ، وَاسْتَقَمْتُ ، وَرَاوَغُوا ... وَهَلْ مَنْ هَدَى بَيْنَ الْأَنَامِ كَمَنْ أَغْوَى ؟(٣٠)

---

(٢٧) الوتيرة : الذحل : أى الثأر (بفتح فسكون فيهما) . ومثلها الترة (بوزن العدة) وركبت لها : أى ركبت للأرض . أو للوتيرة . والعزم : الصبر ، والجد ، والإرادة القاطعة الماضية القوية (وفعله من باب ضرب) . والمهوى (بوزن المأوى) : اسم مكان من هوى يهوى (كرمى يرمى) : إذا سقط من أعلى إلى أسفل . أو ارتفع وصعد . وهوى فى الأرض : ذهب فيها . والمهوى أيضاً : الجو . والمراد : وإن بعدت الشقة ، وامتدت الطريق ، وشق السفر ، واتسعت المسافة وطالت ، وكثرت الأعباء وثقلت .

يقول : إنه حريص أشد الحرص على إدراك ثأره ، والانتقام ممن ظلمه . وله فى هذا الشأن عزم قوى ، وصبر ، وجد ، وإرادة قاطعة ماضية ، وإن بعدت عليه الشقة ، والتوت به الطرق .

(٢٨) سوّى فى الشطر الأول : بمعنى ساوى . يقال : ساوى بين الشيئين : أى جعلهما يتماثلان ، ويتعادلان ، ويتساويان . وسوّى فى آخر البيت : بمعنى قوّم ، وعدّل ، وأصلح . والمراد : فما عدل فى تسويته ، ولا أنصف . والحظوظ : جمع الحظ : وهو النصيب . والحظ أيضاً : الجد والبخت .

يرى الشاعر فى نفسه كفايات ومواهب تقدمه وتفضله على من يعنيهم ، ويعرّض بهم من الناس ، وترفعه فوقهم ؛ بل يرى محامده وفضائله تقابلها مناقصهم ومساويهم ، ويرى حظوظهم — مع هذا التفاوت والتناقض — مساوية لحظه فى الحياة ؛ ومن أجل ذلك عاتب الزمان ، ولامه ، وجرده من العدل والإنصاف ؛ لأنه ساواهم به ، ولم يعترف بتفوقه وفضله ، ورجحان قدره . وفى البيتين الآتيين تفصيل لهذا المعنى .

(٢٩) الغل (بكسر الغين) : الضغن ، والحقد ، والغش (بكسر الحرف الأول فى كل منها) . وقلوبهم : أى قلوب من عرّض بهم فى البيت السابق ، وقال : إن الدهر لم يكن عادلاً حين سوّى بينه وبينهم فى الحظوظ . وتدوى (من باب صدى) : يخامرها داء الحقد والضغينة . والدوى (بوزن الصدى) : المرض .

برّأ نفسه من الغل ، ورماهم به ؛ وهو شر ما تنطوى عليه الصدور ، وتدوى به القلوب .

(٣٠) نصحت له ، ونصحته (كنفعته) : أرشدته إلى ما فيه صلاحه . وتقول : نصحت له المشورة ، ونصحت له الود : إذا أخلصتهما له ، ونقيتهما من شوائب الغش والنفاق . والاسم النصيحة : =

وَإِنِّى إِذَا مَا الْخَطْبُ أَمْقَرَ طَعْمُهُ نَبَذْتُ بِهِ رَأْياً أَلَذَّ مِنَ السَّلْوَى[٣١]
أَصَبْتُ كُلَى الْأَحْدَاثِ حَتَّى تَرَكْتُهَا عَلَى جَمَرَاتِ الْغَيْظِ تَأْمُورُهَا يُشْوَى[٣٢]

=وهى قول فيه دعاء إلى صلاح ، ونهى عن فساد. وغشّ صاحبه (من باب ردّ) : زيّن له غير المصلحة، وأظهر له خلاف ما يضمر . والاسم الغش (بكسر الغين) : وهو خلاف النصيحة . وغش صدره : إذا انطوى على الحقد والضغينة . واستقام الشيء : اعتدل ، واستوى . واستقامة الإنسان : لزومه المنهج المستقيم ، والتزامه الإخلاص والصدق فى القول والعمل . وراوغه مراوغة : خادعه وخاتله . والناصح : ضد الغاشّ . والمستقيم : ضد المراوغ. والاستفهام فى أول الشطر الثانى : معناه النفى . والأنام : الخلق والناس . وأغواه إغواء : أضلّه ، وأفسده . وهو ضدّ أرشده وهداه .

فى البيت الثامن والعشرين عرّض الشاعر بمن سوّى الزمان بينه وبينهم فى الحظوظ، فلم يكن فى هذه التسوية عادلاً، ولا منصفاً. وفى هذا البيت عرّض بعض فضائله ونقائصهم؛ ففى خُلُقه النصح، والاستقامة ، والهداية ، وفى طباعهم الغش ، والمراوغة ، والإغواء . والغرض الفخر بمحامده وفضائله ، والتنديد بمساويهم ونقائصهم ، وبيان ما بين سيرته وسيرتهم من اختلاف شديد ، وتناقض وتضادّ .

(٣١) الخطب : الأمر الشديد ، ينزل بالناس ، ويكثر فيه التخاطب . وجمعه خطوب (بوزن كرب وكروب) . وأمقر الشيء إمقاراً : صار مرًّا . وإمقار طعم الخطب : كناية عن اشتداده وفدحه . ونبذ الشيء (من باب ضرب) : طرحه وألقاه . والرأى : العقل ، والإصابة فى التدبير ، والتفكير المحكم السديد الصائب . ورجل ذو رأى : أى ذو بصيرة وحذق بالأمور . ولذّ الشيء (كلّ) : صار لذيذاً شهيًّا . وألذّ : اسم تفضيل منه : أى أكثر وأشدّ لذاذة . والسلوى : العسل .

يفخر برأيه السديد الذى يقشع به فوادح الخطوب .

(٣٢) الكلى : جمع كلية (بوزن مُدْية ومُدًى) . والأحداث : جمع حدث (بوزن سبب وأسباب) : وهو الأمر الحادث المنكر غير المعتاد . وأحداث الدهر وحوادثه : نوازله ونوائبه : والجمرات : جمع جمرة (بوزن تمرة وتمرات) : وهى القطعة الملتهبة من النار . والغيظ : غضب شديد كامن للعاجز . وهو أشدّ الحنق (وفعله من باب باع) . وجمرات الغيظ : أى الغيظ الذى يتوقّد من شدته ، ويلتهب التهاب الجمر . والتأمور : النفس وحياتها : والقلب ، وحبّته ، وحياته ، ودمه . أو الدم . وتأمورها : تأمور الأحداث . وشوى اللحم وغيره يشويه شيًّا (كطواه يطويه طيًّا) : أنضجه بمباشرة النار .

والبيت كالبيت السابق : تصوير لمقدرته الفائقة على مكافحة الخطوب ، وتبديد الأحداث . ويلاحظ أنه – على قرب معناه – مرهق بالمجاز . وأربعة الأبيات الآتية فخر بشعره وحكمته ، وانطياع القوافى له ، وإقبالها مسرعة عليه ، وتفوّقه فى بلاغة القول ، وسحر البيان .

وَصُغْتُ مِنَ السِّحْرِ الْحَلَالِ قَصَائِدًا تَظَلُّ بِهَا نَفْسُ الْمُعِيدِ لَهَا نَشْوَى(٣٣)

فَمَا قَيَّدَتْنِى لَفْظَةٌ دُونَ حِكْمَةٍ وَلَا غَرَّنى قَوْلٌ ؛فَمِلْتُ إِلَى الدَّعْوَى(٣٤)

---

(٣٣) صاغ الكلام (من باب قال) : هيّأه ، ورتّبه ، وحبّره ، وزيّنه ، وحرّره ، ونمّقه : مستعار من صاغ الصائغ الذهب والفضة ونحوهما : أى سبكهما ، وصنعهما على مثال مستقيم. والسحر : كلّ ما لطف مأخذه، ودقّ وكلّ أمر يخفى سببه، ويتخيّل على غير حقيقته، ويجرى مجرى التمويه والخداع . وسحره بكلامه (كنعه) : استماله ، واستهواه ، وسلب لبّه برقّته ، وحسن تركيبه ، وقوة تأثيره . ومن السحر حلال وحرام . ويراد بالسحر الحلال : البيان الرائع ، والقول الفصيح البليغ ، والشعر الرصين الحكيم . ومن حديث النبى صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة » والقصائد : جمع القصيدة : وهى من الشعر : سبعة أبيات فأكثر . و « قصائد » ممنوعة من الصرف ، أى التنوين ، وإنما نوّنت هنا لضرورة وزن الشعر. وتظلّ : تبقى وتستمرّ . والمعيد : اسم فاعل من الإعادة : وهى التكرار والترديد . ونشوى : سكرى (والفعل نشى كنسى) ، فهو نشوان ، وهى نشوى . ويقال : نشى بالشراب وغيره : إذا أحبه وعاوده مرة بعد أخرى

يفخر بأن شعره من السحر الحلال الذى يصوغه بمهارة وإحكام ؛فيحلّ بالقلوب ، ويسكر النفوس ، ويبهر ويسحر ، ويحلو على الإعادة والترديد .

انتقل الشاعر فى هذا البيت وثلاثة الأبيات بعده من الفخر بمقدرته الفائقة على مكافحة الخطوب ، وقشع الأحداث إلى الفخر بشعره، ومقدرته الفائقة على صياغته وحبكه؛ ولعلّ الصلة بين هاتين المفخرتين أنهما مما يعجب ، ويطرب ، ويبهر ، ويسحر ؛ وأنّ كلّ واحدة منهما تحتاج إلى سداد الرأى ، وجودة السبك ، وحسن التدبير ، وأن الخطوب قد تلهم الشاعر ، وتثير عاطفته ووجدانه ، وأن الشعر ، وسحر البيان قد يعين على ردّ هجمتها ، وإطفاء جذوتها .

(٣٤) الحكمة : إصابة الحق بالعقل والعلم. أو هى معرفة الموجودات ، وفعل الخيرات . أو هى القول الوجيز البليغ الذى يتضمّن حكماً صحيحاً مسلّماً . أو هى معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم . أو هى العلم والتفقّه . أو الكلام الذى يقلّ لفظه ، ويجل معناه . وقد أشرنا فى شرح البيت السابق إلى قول النبىّ صلى الله عليه وسلم : « إن من الشعر لحكمة » : أى قضية صادقة ، كقول لبيد بن ربيعة العامرى فى جاهليته :

أَلاَ ، كلُّ شيءٍ ما خَلَا اللهَ باطِلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلُ

وقوله فى إسلامه :

ما عاتب الحرَّ الكريمَ كَنَفْسِهِ والمرءُ يُصْلِحُهُ الجليسُ الصالحُ

وقوله : « إن تقوى ربّنا خير نفل » : أى خير غنيمة وربح وكسب . ومعنى الشطر الأول : أنى لا أتقيّد بالألفاظ ، ولا أجرى وراءها ؛ فأنصرف بها عن الحكمة البالغة ، والقول الحق ، والمعنى الجليل السديد وغرّنى (من باب ردّ) : خدعنى، وأطمعنى بالباطل. والدعوى : اسم ما يدّعى: أى لا أغترّ بقولى ، =

وَيَا طَالَمَا رُمْتُ الْقَوَافِى ، فَأَقْبَلَتْ سِرَاعاً ، فَلَا أَرْوَى ذَكَرْتُ ، وَلَا حُزْوَى(٣٥)

فَلَا يَحْذُونَ النَّاسُ حَذْوَ بَلَاغَتِى فَأَقْرَبُ مَا فِى شَأْوِهَا الْغَايَةُ الْقُصْوَى(٣٦)

= ولا أدّعى الإجادة بغير حق .

يقول : إنه لا يتقيّد فى شعره وبيانه بالألفاظ ، يجرى وراءها ، ويحرص عليها ، فتصرفه عن الحكمة ، وفصل الخطاب . وكذلك لا يغترّ بقوله فيدّعى دعاوى باطلة ، أو يزيّن بشعره الباطل ، أو ينحرف به عن الحق والسداد .

(٣٥) رام الشىء (من باب قال) : أراده ، وطلبه . والقوافى : جمع القافية : وهى من آخر البيت إلى أول متحرك قبل ساكن بينهما . وبعبارة أخرى : هى الحروف التى تبدأ بمتحرك يليه آخر ساكنين فى آخر البيت ؛ فقافية هذا البيت مثلاً : كلمة « حزوى » . ويراد بالقوافى هنا : القصائد التى نظمها الشاعر فى شتى أغراض الشعر ، وضروبه ، وأبوابه وفنونه أو يراد بها أبيات كل قصيدة . أو المراد قافية كل بيت . ويريد بإقبالها عليه سراعاً : أنها منطاعة له ، سهلة عليه ، يجرى بها ذهنه ، « ويتألق وميضها فى سماوة فكره» فينطلق بها لسانه وقلمه بلا تكلّف ، أو تمحّل ، أو عنت ، أو إرهاق . و « أروى و « حزوى» : موضعان فى شبه الجزيرة العربية . وهاتان الكلمتان جاءتا فى مطلع قصيدة البحترى التى وازنها البارودى ، وعارضها بهذه القصيدة :

لنا أبــداً بثّ نعــانيه فى أروى وحزوى ، وكم أدنتك من لوعة حزوى

ولعلهما من مواطن الحب ، ومنازل الغرام التى ردّدها البحترى وأمثاله . ولعل المراد بالشطر الثانى : أنه لم يقصد فى شعره إلى محاكاة غيره ، أو ترديد ما ردده شعراء العرب من قبله ، وإنما كان يصدر عن شعوره وفكره وخوالج نفسه .

يفخر بأنه كثيراً ماطلب القوافى ، فأقبلتْ عليه فى سرعة ويسر ، وانقياد وسهولة ؛ فهو شاعر مطبوع ، مكثر فى إجادة ، مفتنّ فى إبداع ، لا يتكلّف ، ولا يتمحّل ، ولا يشتطّ ، ولا يحذو حذو غيره ، ولا يتقيد بألفاظهم ، ولا يردّد ما ردّدوه من أسماء الأماكن ونحوها .

(٣٦) حذا النعل ونحوها (من باب عدا) : قدّرها ، وقطعها على مثال . وحذا فلان حذو فلان : أى فعل مثل ما يفعل . والبلاغة : حسن البيان ، وقوة التأثير . والشأو (بفتح فسكون) : الأمد ، والغاية ، ومنتهى الشىء . والشأو : الشوط . والقصوى : مؤنث الأقصى . والغاية القصوى : الغاية البعيدة ، أو المتناهية فى البعد . ومعنى الشطر الثانى : أن الدانى القريب من آماد بلاغته ، ودرجاتها ، ومراحلها هو الغاية القصوى ، والأمد البعيد الذى لا يستطيع الناس إدراكه وبلوغه ، أو محاكاته ومسايرته .

يفخر بأن شعره وبيانه فى أعلى مراتب البلاغة ، وجمال التعبير ، وقوة التأثير ، وان غيره من الشعراء والأدباء لا يستطيعون الاحتذاء به ، أو مجاراته ، ومنافسته ؛ فهو وحده أمّة لا ينافس ولا يغالب .

القصيدة الثانية والأربعون

قَالَ فِى ذِكْرِ الشَّوْق :

كَفَى بِالضَّنَى عَنْ سَوْرَةِ الْعَذْلِ نَاهِيَا ... فَأَهْوَنُ مَا أَلْقَاهُ يُرْضِى الْأَعَادِيَا(١)

بَلَوْتُ الْهَوَى حَتَّى بَلِيتُ ، وَطَالَ بِى ... مَرِيرُ النَّوَى حَتَّى نَسِيتُ التَّلَاقِيَا(٢)

وَمَا كُنْتُ ذَا غَىٍّ ، وَلَكِنْ إِذَا الْهَوَى ... أَصَابَ حَلِيمَ الْقَوْمِ أَصْبَحَ غَاوِيَا(٣)

---

(١) كفاه الشيء (كرماه) : إذا أغناه عن غيره . والضنى فاعله بزيادة « الباء » : وهو مرض يخامر المريض ويلازمه حتى يشتد به الضعف والهزال والنحول ، ويشرف على الموت (وفعله كصدى) . والعذل : اللوم (وفعله كضرب وقتل). وسورته (بفتح فسكون): شدته ، وحدته ، وهياجه . وأهون : أيسر ، وأقل ، وأخف : اسم تفضيل من هان الشيء (من باب قال) : إذا خف ، وسهل ، ولان . والأعادى : جمع الأعداء . والأعداء : جمع العدو .

اشتد بالشاعر ضنى الوجد ، وأوصاب الهوى ؛ فقال : إن هذا الذى يضانيه ينبغى أن ينهى العاذل عن العذل ، ويكفه عن الملامة ؛ فإنه إن كان صديقاً وجب أن يشفق عليه ؛ فينتهى عن لومه ، وإن كان عدوا فأقل ما يكابده يرضى أعداءه ، ويشبع شماتتهم .

(٢) الهوى : الحب ، والعشق ، والغرام ، والميل إلى المهوى ، وشدة التعلق به (والفعل كصدى) . وبلوته (من باب قال) : جربته ، واختبرته ، وتمرست به ، وعانيته ، وقاسيته . وبلى الثوب ونحوه كرضى) : أدركه البلى : أى صار بالياً ، خلقاً ، قديماً ، فانياً . وأبلاه الهوى ونحوه : جهده ، وأذابه ، ونحله ، وهزله ، وأرق جسمه وأضناه . وشيء مرير : أى مر ، صعب ، شديد ، لا يحتمل . والنوى : البعد والفراق ، وهى مؤنثة . والتلاقى : مصدر تلاقيا ، وتلاقوا : أى لقى كل منهما صاحبه ، وصادفه ، واستقبله . والتلاقى : الاجتماع ، والالتئام ، والاتفاق .

يقول : إن الهوى أضناه وأبلاه بطول المكابدة والمعاناة ، وإن البعاد والفراق طالا به ، واشتدا عليه ، وامتدا ، حتى نسى ما كان بينه وبين أحبائه من تلاق واجتماع ووئام .

(٣) غوى (كرمى) يغوى غياً : انهمك فى الجهل ، وأمعن فى الضلال ؛ فهو غاو . والحليم : صفة من الحلم (بكسر فسكون) : وهو الأناة والعقل ، والهداية والرشد . وضده الخفة والطيش ، والسفه والجهل .

إِلَى اللهِ أَشْكُو نَظْرَةً مَا تَجَاوَزَتْ ... حِمَى الْعَيْنِ حَتَّى أَوْرَدَتْنِي الْمَهَاوِيَا(٤)

رَمَيْتُ بِهَا عَنْ غَيْرِ عَمْدٍ ، فَلَمْ تَعُدْ ... عَلَى النَّفْسِ إِلَّا بِالَّذِي كَانَ قَاضِيَا(٥)

هَجَرْتُ لَهَا أَهْلِي ، وَفَارَقْتُ جِيرَتِي ... وَغَاضَبْتُ فِي الْخُلَّانِ مَنْ كَانَ رَاضِيَا(٦)

وَأَصْبَحْتُ مَسْلُوبَ الْجَنَانِ ، كَأَنَّنِي ... شَرِبْتُ بِكَأْسٍ تَتْرُكُ الْعَقْلَ سَاهِيَا(٧)

= فى البيت السابق قال : إن الهوى اشتدّ به ، فأذابه وأبلاه . وفى هذا البيت : أنه كان حليما مهتدياً ، فأضلّه الهوى وأغواه .

(٤) إلى الله أشكو : تقديم يفيد الحصر ، أو القصر ، أو الاختصاص : أى إلى الله أشكو ، لا إلى غيره . وتجاوز المكان ونحوه تجاوزاً ، وجازه ، وجاوزه : تعدّاه ، وخلّفه وراءه . والحمى (فى الأصل) : المكان ، أو الشىء المحمىّ المصون الممنوع الذى لا يقرب ، ولا يجترأ عليه . والموضع فيه كلأ يحمى من الناس أن يرعى . ويراد بحمى العين هنا : العين المحميّة . أو نطاق العين وحدّها . والغرض بيان سرعة التجاوز ، وسرعة التأثير . وأورده الماء ونحوه : جعله يرده وروداً : أى يشرف عليه ، ويدانيه . ومن المجاز : أورده المهالك : إذا ألقاه فيها . والمهاوى : جمع المهواة (بفتح الميم ، وسكون الهاء) : وهى الحفرة (بضم فسكون) ، أو الوهدة العميقة . ومثلها الهوّة (بوزن القوّة) . ويراد بالمهاوى : المهالك .

نظر الشاعر إلى إحدى الحسان نظرة بريئة سريعة عابرة ، لم تكد تجاوز عينه حتى أوقعته فى أشراك الهوى ، ومهاوى الحبّ ، وأوصاب الغرام ؛ وهو يشكو إلى الله وحده بثّه ووجده . والبيت الآتى يردد هذا المعنى ويؤكده .

(٥) بها : أى بالنظرة . ورمى بها : ألقاها . وقاض : قاتل ، مرد ، مهلك : اسم فاعل من ضربه ، فقضى عليه (كرمى) : إذا قتله ، وأرداه .

يقول : إنه لم يتعمّد هذه النظرة ؛ بل ألقاها من غير قصد ، فعادت إليه بالردى والهلاك . يريد أنها كانت سبب الحبّ العنيف الذى أذابه وأضناه . وفى الأبيات الآتية تفصيل لهذا المعنى .

(٦) لها : أى للنظرة : أى من أجل الحبّ وبسببه . والجيرة : الجيران (بكسر الجيم فيهما) : جمع جار : وهو الحليف ، والناصر ، ومن يجاورك فى المسكن ونحوه . وغاضبته مغاضبة : هجرته ، وتباعدت عنه ، وحملته على السخط والغضب . و « فى » هنا : بمعنى « من » والخلان (بضم الخاء) : جمع الخليل : وهو الصديق الصادق الود . وراض : اسم فاعل من الرضا : وهو ضدّ الغضب ، وخلاف السخط .

يقول : إنه فى سبيل هذا الحب العنيف ، ومن أجله هجر أهله وعترته ، وفارق أنصاره وجيرته ، وغاضب الراضين عليه ، والمحبين له من أخلائه وأصفيائه . ولعله هجرهم ، وفارقهم ، وغاضبهم لأنهم نصحوا له فلم يبال نصحهم . والغرض بيان عمق هذا الحب ، وصدقه ، وشدة تأثيره .

(٧) سلبه ثوبه (من باب قتل) : انتزعه منه قهراً ؛ فالثوب مسلوب ، وسليب . وسلبت المعشوقة فؤاد عاشقها أو عقله : استهوته ، ودلهته ، واستولت عليه ، فهو صبّ ، مولّه ، متيّم ، مستهام . والجنان ...

أَدُورُ ، وَلَا أَدْرِى وإنْ كُنْتُ حَازِماً   يَمِينِىَ أدْنَى لِلْهُدَى مِنْ شِمَالِيَا(٨)

صَرِيعُ هَوًى ، لَا أذْكُرُ الْيَوْمَ بِاسْمِهِ   وَلَا أعْرِفُ الْأَشْخَاصَ إلَّا تَمَادِيَا(٩)

= (بفتح الجيم) : القلب ، أو العقل. وشربت بكأس: أى شربت من كأس : وهى الإناء ، أو القدح ما دام فيه الشراب . وفى القرآن الكريم : « عيناً يشرب بها عباد الله » أى يشربون منها . الآية رقم ٦ من سورة الإنسان . ويجوز أن تكون البا. زائدة : أى كأنى شربت كأساً . ويراد بالشراب هنا الخمر التى تخامر العقل ؛ فتستره وتغطّيه ، أو تذهب به ، وتغيّبه . وساه: غافل ، غير صاح : اسم فاعل من سها عن الشىء ، وسها فيه (من بابى عدا ، وسما) : أى غفل عنه ، ولم يتنبه له .

والمعنى : أن الهوى برّح به ، واشتدّ عليه ، حتى سلب عقله، وأسر فؤاده؛ فكان كالشارب الذى أسكرته الخمر ، وتركته ساهياً غافلا ، قليل الوعى ؛ مشترك اللّب ، ضعيف الإدراك .

(٨) دار (من باب قال) : طاف حول الشىء . ودرى الشىء ، ودرى به (من باب رمى) : علم به ، وعرفه ، وأدركه . والدوران مع فقدان الدراية : تصوير لما أشار إليه فى البيت السابق من ذهاب الجنان ، وسهو العقل . وحزم الرجل رأيه ، أو أمره (من باب ضرب) : ضبطه ، وأتقنه ، وأحكه ، وأخذ فيه بالثقة ؛ فهو حازم . وقد حزم (من باب ظرف) : أى صار حازماً ضابطاً لأموره . والشمال (بكسر الشين) : خلاف اليمين . وأدنى : أقرب : اسم تفضيل من الدنوّ : بمعنى القرب . والهدى ، والهداية : الرشاد ، والعقل ، والاستقامة ، والتوفيق ، والصلاح . ولعله يشير بيمينه إلى ما كان عليه قبل أن يتردّى فى مهاوى العشق ، ويقع فى حبائل الغرام ؛ فقد كان يومئذ راشداً مهتدياً . ويشير بشماله إلى ما صار إليه بعد العشق من الهيام والضلال .

والمعنى : أنه يدور ويطوف ويهيم على وجهه ، ولا يكاد يهتدى لطريق القصد وسبيل الرشاد ، وإن كان فى الوقت نفسه حازماً بصيراً يعلم أن الإقلاع عن الهوى هدى وكمال ، وأن التمادى فيه غىّ وضلال .

وقد يكون فى الشطر الثانى تحريف . والأصل : يمينى أدنى للهدى ، أم شماليا . والمعنى على هذا : أنه على الرغم من حزمه يدور ويطوف ، ولا يعرف أين يتجه : إلى اليمين ، أم إلى اليسار ؛ فهو فى حيرة وارتباك ؛ كأنه يقول : إن تأثير الهوى فى قلبه وعقله عطّل حزمه ووعيه ، وأشلّ تفكيره وتدبيره . أو كان الهوى بتأثيره أشدّ من حزمه وعزمه وضبطه لأموره . والبيت بمعنييه ترديد وتأكيد لمعنى البيت السابق .

(٩) صريع (بالنصب) خبر بعد خبر « لأصبح » فى البيت السابع : أى أصبحت مسلوب الجنان ، صريع هوى . أو هو خبر لمبتدإ محذوف . والتقدير : أنا صريع هوى : أى قتيل حبّ وغرام . أو طريح لهذا الحبّ ، ساقط فى أشراكه ومهاويه . وقد يراد بالصريع : المجنون . وهو الأقرب هنا ، وهو مع قربه يلائم البيتين السابقين ، ويجرى معهما فى مجال واحد . والصريع (فى الأصل) : فعيل بمعنى مفعول ، من صرعه على الأرض (من باب قطع) : أى طرحه عليها ، وألقاه فوقها . ولا أذكر اليوم باسمه : أى لا أتذكّر اسم اليوم الذى نحن فيه : أهو السبت ، أم الأحد مثلاً . ويراد بالأشخاص : أشخاص الناس : أى ذواتهم ، والصفات التى تميز زيداً من عمرو . وتمادى فى الأمر تمادياً : بلغ فيه =

فَيَا عَيْنُ، لَا زَالَتْ يَدُ السُّهْدِ تَمْتَرِى أَسَاكِيبَ دَمْعٍ مِنْكِ تُرْوِى الْمَآقِيَا[١٠]

فَأَنْتِ الَّتِى أَوْرَدْتِ قَلْبِى مِنَ الْهَوَى مَوَارِدَ لَمْ تَتْرُكْ مِنَ الصَّبْرِ بَاقِيَا[١١]

أَطَعْتُكِ، فَاسْتَسْلَمْتُ بَعْدَ شَكِيمَةٍ أَعَضَّتْ بِأَطْرَافِ الشَّكِيمِ الْمَذَاكِيَا[١٢]

= الغاية. وتمادى به الأمر: تطاول وتأخّر. والمراد أنه لا يعرف الشخص من الناس إلا بعد جهد ومشقّة، وطول تبصّر وتأمّل؛ وذلك لضعف وعيه، وشدّة تأثير الهوى فى عقله وحواسّه.

والبيت وثيق الاتّصال بالبيتين السابقين؛ فقد صرعه الهوى، وسلب جنانه، وأضعف إدراكه، فأصبح يدور، ولا يدرى يمينه من شماله، ولا يتذكّر اليوم الذى هو فيه، ولا يميز من يعرفهم من الناس، ولا يحدّد شخصياتهم إلا بعد جهد ومشقّة، ومعاناة، وطول نظر وتبصّر.

وفى ثلاثة الأبيات الآتية ينحى الشاعر على عينه بالملامة؛ إذ كانت سبب ما وقع فيه، وما لا يزال يكابده ويضانيه.

(١٠) السهد (بضم فسكون): الأرق، وأن يشتهى الإنسان النوم، فلا يكاد يجده. ومثله السهاد (بضم السين). (وفعله من باب تعب). وتمترى: تستدرّ، وتستخرج. من قولهم: الريح تمترى السحاب: أى تسقط مطره. والأساكيب: جمع أسكوب (بوزن أسلوب وأساليب): وهو المطر المنسكب، المنصبّ، المنهمر. يقال: مطر، وماء، ودمع، ودم أسكوب: أى دائم الانسكاب والانصباب. وأرواه يرويه إرواء: سقاه، وأشبعه. والمآقى: جمع المأق: وهو طرف العين مما يلى الأنف، وهو مجرى الدمع. ومثله المأق، والماق، والموق.

يدعو على عينه أن تبقى ساهرة باكية، تقاسى الأرق والسهاد، وتجرى بالدموع مآقيها.

(١١) أوردت البعير وغيره الماء إيراداً: جعلته يرده: أى يدانيه، ويوافيه، ويشرب منه. ومن المجاز: أوردته المهالك: أى أوقعته فيها. والموارد: جمع مورد (بوزن مجلس): وهو المنهل، والمشرب: أى العين، أو البئر، أو المكان الذى يستقى منه. وأوردت عينه قلبه موارد الهوى: أى نظر إلى الحسناء التى يتغزّل بها، فولّهته، وتعلّق بها قلبه أشدّ التعلّق. ويريد بالباقى: البقيّة القليلة. ولم تترك موارد الهوى له بقيّة من الصبر: أى انتهى به الوجد والحبّ إلى الجزع الدائم، والهمّ المقيم، ولم يجد على ضناه وأوصابه صبراً.

فى البيت السابق دعا على عينه بدوام السهاد والبكاء. وهذا البيت تعليل لدعائه، وبيان لسببه ودافعه؛ فإن عينه هى التى أوردت قلبه موارد من الهوى أجزعته، وحزنته، وأنفدت صبره واحتماله.

(١٢) استسلم: انقاد، وذلّ، وانطاع، وخضع، واستكان. والشكيمة (بوزن العزيمة): قوّة القلب. ويقال فلان ذو شكيمة: إذا كان شديد النفس، قوى البأس، أنوفاً، أبيّاً، لا ينقاد. وهو شديد الشكيمة: إذا كان ذا حدّ، وعارضة، وعزيمة، وصرامة. وأعضّه الشىء إعضاضاً: جعله يعضّه: أى يستمسك به، ويلزمه. أو يمسكه بأسنانه. والشكيم: جمع الشكيمة: وهى فى اللّجام: =

فَإِنْ أَنَا سَالَمْتُ الْهَوَى بَعْدَ هٰذِهِ ... فَلَسْتُ ابْنَ أُمِّ الْمَجْدِ إِنْ عُدْتُ ثَانِيَا(١٣)

يَلُومُونَ أَشْوَاقِى ، كَأَنِّى ابْتَدَعْتُهَا ... وَلَوْ عَلِمُوا لَامُوا الظِّبَاءَ الْجَوَارِيَا(١٤)

وَمَا لِىَ ذَنْبٌ عِنْدَهُمْ ، غَيْرَ أَنَّنِى ... شَدَوْتُ ، فَعَلَّمْتُ الْحَمَامَ الْأَغَانِيَا(١٥)

وَهَلْ يَكْتُمُ الْمَرْءُ الْهَوَى وَهْوَ شَاعِرٌ ... وَيَثْنِى عَلَى أَعْقَابِهِنَّ الْقَوَافِيَا ؟(١٦)

= الحديدة المعترضة فى فم الفرس . والمذاكى من الخيل : التى تمت سنها، وكلت، وعظمت قواها ، واشتدت . وفرس مذك ، ومذكّ . وخيل مذاك، ومذكيات . والشطر الثانى : كناية عن قوة شكيمة ، وطول المدافعة والتأبّى .

يقول : إنه أطاع عينه ، فانقاد للهوى ، ولم يستسلم إلا بعد طول التأبّى والامتناع .

(١٣) ابن أم المجد : كناية عن أنه أصيل عريق فى المجد والكرم والشرف والرفعة والعلاء .

يقول : إنه إذا كان قد سالم الهوى وصالحه وانطاع له فى هذه المرة ، فلن يعود بعدها إلى مسالمته ، والانقياد له . وفى البيت تأكيد لهذا ، وفخر بأصالته ، وإعراقه فى المجد والكرم .

(١٤) ابتدع الشىء ابتداعاً ، وأبدعه إبداعاً : أحدثه ، وأنشأه ، واخترعه . والظباء (بكسر الظاء) : جمع ظبى : وهو الغزال . وتشبه به الحسناء من النساء فى الرشاقة ، ولطف الحركة ، وحسن التثنى، وجمال الجيد والعينين . والجوارى : جمع الجارية : وهى الشابة الفتية من النساء .

والمعنى : أن الحسان الشابات الفتيات هن اللائى تيمنه، وولهنه ، وأوقدن فى قلبه نيران الوجد ، والشوق ، والهوى ، والغرام . ولو أنصف عذاله لوجهوا إليهن ، لا إليه العذل والملامة .

(١٥) عندهم : أى عند لائميه وعذاله . أو عند من تيمنه ، وأوقدن فى قلبه نار الشوق والصبابة . ولكن يلاحظ أنه وضع ضمير الذكور « هم » موضع ضمير الإناث « عندهن » . وشدا بالشعر (من باب عدا) : ترنم به وتغنى ، وطرب . والأغانى : جمع الأغنية (بتخفيف الياء) : وهى ما يترنم به ويتغنى من الكلام الموزون وغيره . والحمام هدير ، أو هديل مسجوع يردد فى حنجرته ؛ فيتأثر به سامعه .

يقول : إنه لم يذنب إلى هؤلاء الحسان اللائى هيجن شوقه ؛ غير أنه شدا وتغنى بمحاسنهن ؛ فعلم الطير الشدو والتغريد .

(١٦) الاستفهام فى أول البيت : معناه النفى ؛ فالشاعر لا يستطيع كتمان هواه . وثناه عن كذا (من باب رمى) : صرفه عنه، وكفه ، ورده . والعقب (بوزن الكتف) : عظم مؤخر القدم . وهو أكبر عظامها . وثناه على عقبه : رده ، وصرفه ، ورجعه عن الشىء . والقوافى : جمع القافية: وهى الحروف التى تبدأ بمتحرك يليه آخر ساكنين فى آخر البيت ؛ فقافية هذا البيت مثلا : « وافيا » . ويراد بالقوافى هنا : الأشعار .

فَيَا نَسَمَاتِ الْفَجْرِ ، مَا لَكِ كُلَّمَا تَنَسَّمْتِ أَضْرَمْتِ الْهَوَى فِى فُؤَادِيَا ؟[١٧]

وَيَا سَجَعَاتِ الْأَيْكِ ! رِفْقًا بِمُهْجَةٍ . . . .[١٨]

وَيَا لَمَحَاتِ الْبَرْقِ ! بِاللهِ خَبِّرِى أَخِلَّاىَ بِالْمِقْيَاسِ عَنِّى سَلَامِيا[١٩]

= والمعنى : أن الشاعر لن يستطيع كتمان هواه ، ولن يستطيع ردّ ما يرد على ذهنه ، وتنتجه عواطفه من شعر الحبّ والغزل . وصلة هذا البيت بالذى قبله واضحة وثيقة ؛ فالشاعر إنّما شدا وتغنى بشعره جرياً على طبيعته الشاعرة ، وانطباعاً لعاطفته المتأجّجة ، وإرضاء لشعوره المرهف . وفى البيتين الآتيين ما يتّصل بهذا كله أوثق اتصال من اضطرام الهوى فى فؤاده ، واحتراق مهجته بالجوى .

(١٧) النسمات: جمع نسمة (بفتحتين) : وهى الريح الطيّبة اللطيفة . ومثلها النسيم. وتنسّمت الريح تنسّما: هبت بلطف ولين واعتدال . وأضرم النار إضراماً : أوقدها ، وأشعلها . والاستفهام فى البيت : يفيد الإنكار ، أو التعجب ؛ فالأمر الطبيعى الذى لا يثير العجب ، أو يدعو إلى الإنكار — أن تخفف نسمات الفجر لوعة الملتاع ، وحرقة الصبّ المستهام ؛ لأن هذه النسمات فى خيال شعراء الغزل رسائل الحبيب إلى المحبّ ، تحمل إليه أنفاسه العطرة ، وتبلغه تحيته وسلامه . وقد تنتج العكس ، أى تذكّره بقربه ووصاله ؛ فتهيج لواعجه ، وتضاعف أوصابه .

يقول : إن الهوى يزداد فى قلبه ، ويتّقد كلّما هبّ نسيم الفجر طيّباً رائقاً ، نقيّاً لطيفاً .

(١٨) السجعات : جمع سجعة : اسم مرة من سجعت الحمامة (من باب قطع) : إذا هدرتْ ، وردّدتْ صوتها على طريقة واحدة . والنداء فى أول البيت للسجعات ، أو للطير الساجعة . والأيك : جمع أيكة (بفتح فسكون) : وهى الشجر الكثير الملتفّ. وقد يراد بالأيك الطير المغرّدة ؛ من إطلاق المحلّ ، وإرادة الحال . ورفق به (مثلثة) رفقاً (بكسر فسكون) : لان له جانبه ، ولطف به ، وعطف عليه ، وحسن صنيعه معه . والمهجة : القلب ، أو الروح . ولم يرد فى الأصل المخطوط الذى بين أيدينا غير الشطر الأول من هذا البيت ، ويمكن تكملته بمثل : « إذا الطير غنّت لفهّما الجمر ذاكيا » . أو « على الدهر لا تلقى الحبيب المواتيا » . أو « كأنّ الجوى يحمى عليها المكاويا » .

يقول : إن سجع الحمام ، وتغريد الطير يثير شجونه ، ويضاعف أوصابه ، ويحرق مهجته ؛ ولهذا ناداه فى توجّع وتضرّع إليه أن يرفق به ، فيكفّ عن هديره وتغريده .

(١٩) اللّمحات: جمع لمحة (بفتح فسكون) : اسم مرّة من لمحه، ولمح إليه (من باب قطع) : إذا أبصره بنظر خفيف . ولمح النجم والبرق : لمع من بعيد . ولمحات البرق : لمعانه وائتلاقاته . والبرق : الضوء يلمع فى السماء على إثر انفجار كهربى فى السحاب . و « بالله » : قسم معترض : أى أستحلفك بالله . وخبره بكذا تخبيراً ، وأخبره به إخباراً : أنبأه ، وأعلمه . والخبر (بفتحتين) : ما ينقل ، ويتحدّث به . والمراد : انقل عنى إلى أخلاّئى سلامى . والأخلاّء: جمع خليل : وهو الصديق الخالص . وقد خففه الشاعر بحذف همزته ، ثم أضافه إلى ياء المتكلم ، فقال : « أخلاى » بدلا من « أخلائى » =

وَيَا عَذَبَاتِ الْبَانِ ! إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا   تَمِيلُ مَعِى شَوْقاً ، فَلُقِّيتَ دَاوِيَا[٢٠]

عَوَائِدُ شَوْقٍ أَلْهَبَتْ لَاعِجَ الْأَسَى   وَرَدَّتْ أَمَانِىَّ الضَّمِيرِ هَوَافِيَا[٢١]

= وروضة المقياس: جزيرة كبيرة ، يحيط بها نهر النيل ، شرقىّ الجيزة ، وغربىّ مصر القديمة ، تعرف بمقياس قديم ، يقيس مستوى الماء فى النيل إذا ارتفع ، أو انخفض . وقد أكثر البارودىّ من التغنّى بهذه الجزيرة فى شعره ، وطالما حنّ إليها ، ونوّه بها ، ووصف حدائقها النضيرة ، وجداولها الجارية ، وقصورها الفاخرة . ولو رآها اليوم لأنكرها ؛ فقد تغيرت معالمها ، وقلت قصورها ، وكثرت بها العمارات السكنية الكبيرة ، ودكاكين البدالين والنجارين وأرباب الحرف والصناعات ، وعلا فيها ضجيج الباعة الجوّالين ، وازدحمت بالسكان ، وفقدت أكثر ما كان لها من المزايا والمحاسن ، والهدوء ، والسكون ، والبهجة والرواء .

حمّل البرق تحيّته وسلامه إلى أخلائه بمصر . وفى البرق معنى السرعة ، والاتّساع ، والامتداد . وهو بشير المطر والغيث والخير الكثير .

(٢٠) العذبات : الأغصان : جمع عذبة (بوزن قصبة) . والبان : شجر سبط القوام ، ليّن ، ورقه كورق الصفصاف . وتشبه به حسان النساء فى اللين ، والمرونة ، والاعتدال ، وسبوطة الجسم ، وجمال القدّ ، وحسن الطول . واحدته بانة . ولقّاه الشىء تلقية : جعله يلقاه . ولقّيت (بالبناء للمجهول ، وتشديد القاف المكسورة) : لاقيت ، وصادفت ، ووجدت ، واستقبلت . ودَوِىَ دوًى (من باب صَدِى) : مرض . ويراد بالداوى هنا : المرض الشديد . ويلاحظ أن العذبات جمع مؤنث أضيف إلى البان ، وهو اسم جنس جمعىّ يؤنث ويذكّر . ويعامل معاملة المفرد ، أو الجمع . وقد نادى الشاعر العذبات ، ثم أعاد الضمير عليها ، أو على البان مذكّراً .

رأى الشاعر أغصان البان تميل وتهتزّ ؛ فخاطبها قائلاً : « إن كنت تميلين كما أميل ، بدافع الشوق والحنين إلى الأحباء ، فقد أصابك مثل ما أصابنى من حرقة الوجد ، وهزّة الذكرى ، وخفّة الحنين . وقد تكون : « فلقّيت داوياً » : جملة دعائية ؛ فهو يدعو على الأغصان بالمرض ، غيرة منها ؛ إذ تنافسه فى هزّة الشوق والصبابة ، وتميّل الهوى والغرام . وقد أشرنا من قبل إلى صلة البان بحسان النساء .

(٢١) عوائد : جمع عائدة : اسم فاعل من عاد لكذا ، أو إليه (من باب قال) : أى صار إليه . أو رجع إليه ، وارتدّ بعد ما انصرف عنه . وعوائد الشّوْق : ما ينتاب المشوق ، ويعاوده ، ويتردد إليه ، ويثقل عليه من نوبات الاشتياق ، وهبّاته ، وثوراته ، وهزّاته . وألهب النار إلهاباً : أوقدها ، وأشعلها ، وأججها حتى صارت ذات لهب : وهو ما يرتفع من النار المتقدة ، كأنه لسان . ولاعج : اسم فاعل من لعجه الحب والشوق ونحوها (كنع) : إذا برّح به ، واشتدّ عليه ، واسْتَحَرَّ فى قلبه ، وآلمه ، وأحرقه . والأسى : الحزن (وفعله من باب صَدِىَ) . والأمانى : جمع الأمنيّة : وهى ما يتمناه الإنسان ، ويتوق إليه ، ويرغب فيه ، ويقدّره ، ويحب أن يصير إليه . والضمير : ما تضمره فى نفسك : أى تسرّه ، وتكتمه ، وتخفيه ، ويصعب الوقوف عليه . ويراد بالضمير هنا : القلب ، أو النفس . وهواف : =

لَعمْرُكَ ، مَا فَارَقْتُ رَبْعِيَ عَنْ قِلًى وَلَا أَنَا وَدَّعْتُ الْأَحِبَّةَ سَالِيَا(٢٢)

وَلَٰكِنْ عَدَتْنِي عَنْ بِلَادِي وَجِيرَتِي عَوَادٍ أَبَتْ فِي الْبُعْدِ إِلَّا تَمَادِيَا(٢٣)

زَمَانٌ تَوَلَّى غَيْرَ أَعْقَابِ ذُكْرَةٍ تَسُوقُ إِلَى الْمَرْءِ الْحَلِيمِ التَّصَابِيَا(٢٤)

— جمع هافية : اسم فاعل من هفا الماشي أو الطائر (من باب عدا) : أي أسرع في مشيه ، وخفّ في طيرانه . وهفا : زلّ ، وسقط . وهفت الريشة ، أو الصوفة في الهواء : هَفْواً وهُفُوّاً : ذهبت . وهوافي الإبل : ضوالّها . وردّ الشيء كذا : رجعه . أو صيّره . أو حوّله من صفة إلى صفة . ومعنى الشطر الثاني : أن آماله ضلّت ، وارتدّت إليه مسرعة مخفقة خائبة ، لم يتحقق له منها شيء .

يقول : إنها أشواق لا تفتأ تُعاوده وتُساوره ؛ فتشعل في قلبه لواعج الأسى ، وتردّ إليه آماله مخفقة خائبة .

(٢٢) العمر (بفتح فسكون) : الحياة . ولعمرك : أسلوب قَسَم بحياة المخاطب ، يراد به تأكيد الكلام ، ودفع الشكّ والارتياب . والربع (بفتح فسكون) : الدار . ومحلّة القوم . ومنزلهم . وقد يُطلَق الربع مجازاً على القوم والعشيرة . والقلى (بكسر ففتح) : البغض والكراهية : مصدر قلاه (كرماه ، ورضيه) : إذا أبغضه ، وكرهه ، وهجره . وودّعه توديعاً : فارقه وباينه . والأحبّة والأحبّاء : جمع الحبيب : وهو المحبوب ، أو المحِبّ (بصيغة اسم الفاعل) . وسالياً : اسم فاعل من سلاه ، وسلا عنه (من بابي عدا ، وسما) ، وسليه (كرضيه) : إذا نسيه ، وصبّر على بعده ، وطابت نَفْسُهُ بعد فراقه .

يقول : إن فراقه لدياره وقومه وأحبّائه لم يكن عن قِلًى ، أو سُلْوانٍ ، وإنما كان عن إجبار واضطرارٍ . والبيت الآتي يردّد هذا المعنى ويؤكده .

(٢٣) عدّاه عن الأمر عَدْواً ، وعُدْواناً : صرّفه عنه ، وشغله ، وألهاه . والعوادي : الصوارف ، والموانع : جمع عادية : اسم فاعل منه . وعوادي الدهر : عوائقه ونوائبه وصروفه . والجيرة (بكسر الجيم) : الجيران : جمع جار : وهو من يجاورك في المسكن . والجار أيضاً : الحليف ، والناصر . وتمادى في الأمر تمادياً : أمعن فيه ، وبلغ الغاية . وفي الشطر الثاني تصوير لعنف العوادي وضراوتها وقسوتها .

في هذا البيت والذي قبله : أنه لم يفارق بلاده ودياره وأحبّاءه وجيرانه عن قلى أو سلوان ، وإنما هي عوادٍ قاسية ، وصوارف عنيفة أبعدته عنهم ، وحالت بينه وبينهم ؛ فلم يبق له في الأمر حيلة أو اختيار .

(٢٤) تولى : أدبر وذهب . والأعقاب : جمع عقب (بوزن كتِفٍ) : وهو من كل شيء آخره . والذكرة (بضم فسكون) : الشيء يخطر بالقلب ، ويجري على اللسان . ومثلها الذِكْرى (بكسر فسكون) . ويراد بأعقاب الذُكْرة : بقاياها التي ما زالت تساور القلب وتخامره . والحليم : صفة من الحِلْم (بكسر فسكون) : وهو الأناة ، والعقل ، والرزانة ، والصبر . وتصابى تصابياً : حنّ ، وتاق ، وتولّه ، واشتاق .

فَيَا رَوْضَةَ الْمِقْيَاسِ! جَادَكِ سَلْسَلٌ مِنَ النِّيلِ يَدْعُو لِلْحَنِينِ السَّوَاقِيَا(٢٥)

وَلَا بَرِحَتْ تَغْشَاكِ لِلْفَجْرِ نَسْمَةٌ تَرُدُّ جَبِينَ النَّوْرِ أَزْهَرَ ضَاحِيَا(٢٦)

بِلَادٌ صَحِبْتُ الْعَيْشَ فِيهَا مُنَعَّمًا وَأَجْرَيْتُ أَفْرَاسَ الْبَطَالَةِ لَاهِيَا(٢٧)

= يتأسى على ما فات وذهب من زمان اجتماع الشمل، ورخاء البال، ورغادة العيش. ويقول: إن ذكريات ذلك الزمان لا تفتأ تخامره وتساوره؛ فتذهب بحلمه وصبره، وتثير أشجانه وأحزانه.

(٢٥) جادالغيث القوم (من باب قال): عمَّ أرضهم، وشملهم بخيره. وماء سَلْسَل (بوزن جعفر): عذب، صاف، سلس، سَهْل، سائغ. أو جرت فى متنه الريح، فصار وجهه كالسلسلة. وحَنَّ يحِن (كخفَّ يخِف) حنيناً: صوَّت، مادًّا صوته، كالمتوجِّع، أو كالذى استخفّه الطرب. والسواق: جمع الساقية: وهى الناعورة: أى دولاب ذو دلاء أو نحوها، يدور بدفع الماء، أو تديره الماشية، فيخرج الماء من البئر أو النهر إلى الحقل. وللنواعير صوت كأنه الحنين. ويدعو السَّوَاقى إلى الحنين: أى يحرِّكها، ويديرها.

يدعو لروضة المقياس ووطنه الحبيب بالسُّقْيا والخِصْب، والبركة والنماء.

(٢٦) لا برِحتْ: لازالت: أى استمرت ودامت. والجملة دعائية. والدعاء لروضة المقياس والوطن العزيز. وغشيه يغشاه (كرضيه يرضاه): أتاه، وحلَّ به. أو وافاه وغطَّاه. والنسمة (بفتح فسكون): الريح اللطيفة، الطيبة، الليِّنة، المنعشة. والجبين: ما فوق الصدغ عن يمين الجبهة، أو شمالها. وهما جبينان. والنور (بفتح فسكون): الزهر الأبيض. واحدته نورة. وجمعه أنوار (بوزن زهرة وأزهار). وجبين النور: وجهه. والأزهر: كل لون أبيض نقّ صاف مشرق مضىء. وضاح: اسم فاعل من ضحا (من بابى عدا، وسما): إذا بدا، وظهر، وبرز للشمس. ومثله ضَحِى (كرضى). وهو تأكيد لمعنى زهارة النور، وحسنه، وبياض لونه.

فى البيت السابق دعا لوطنه بالسقيا. وفى هذا البيت دعا بأن تغاديه على الدوام نسمات الفجر، فتفتِّح أزهاره، وتنعش أهله، وتكسوه البهجة والرواء.

(٢٧) صحبه (من باب سلم): رافقه، وسايره، ولازمه. والعيش: الحياة والمعيشة. ونعَّمه تنعيماً: رفَّهه ترفيهاً، ويسَّر له أسباب الحياة الطيبة، والعيش الرغيد، والرزق الواسع، ورخاء البال، وهناءة الحال؛ فهو منعَّم (بصيغة اسم المفعول). والأفراس: جمع فرس (بفتحتين): وهو واحد الخيل، للذكر والأنثى. والبطالة (بتثليث الباء): التبطُّل، والتعطُّل، والتفرُّغ من العمل، واتِّباع اللهو والجهالة (وفعله كقتل). والبطالة (بفتح الباء): الهزل والمزاح والدعابة (وفعله كفرح). ولاهياً: اسم فاعل من اللهو: وهو كلُّ ما يشغل العاقل، ويصرفه عما يهمه ويعنيه. وكلُّ عمل أو قول لا تقتضيه الحكمة، ولا يجاريها. ويعبَّر باللهو عن كل ما به استمتاع. ولها بالشىء (من باب عدا): إذا لعب به، وشغل به عمَّا عداه. أو أولع به، وتعلَّق. ولهت المرأة إلى حديث صاحبها: إذا أنستْ به، وأعجبها. وإجراء =

فَكَمْ لَذَّةٍ أَدْرَكْتُ فِيهَا ، وَنِعْمَةٍ ... أَصَبْتُ ، وَآدَابٍ تَرَكْتُ وَرَائِيَا(٢٨)

هِيَ الْوَطَنُ الْمأْلُوفُ ، وَالنَّفْسُ صَبَّةٌ ... بِمَنْزِلِهَا الْأَدْنَى وَإِنْ كَانَ نَائِيَا(٢٩)

فَلَا حَبَّذَا الدُّنْيَا إِذَا هِيَ أَدْبَرَتْ ... وَإِنْ أَقْبَلَتْ يَوْماً فَيَا حَبَّذَا هِيَا(٣٠)

أفراس البطالة : كناية عن التمادى فيها ، وطول الاستمتاع بها ، والإغراق فى اللهو والمجانة .

يذكر فى تحسّر وتأسّف ما كان له فى روضة المقياس ، ووطنه الحبيب من حياة ناعمة رافهة ، وعيش رغيد سعيد ، وانطلاق فى مجال اللّهو والبطالة ، وضروب المتع والملذّات . وفى بعض البيت الآتى تكرار لهذا المعنى .

(٢٨) « كم » فى أول البيت : خبريّة ، تفيد التكثير . وتمييزها مجرور ، وهو لذّة ونعمة ؛ فهو يتحدّث بكثرة النعم واللذّات التى كانت له فى بلاده . وأدرك الشىء إدراكاً : لحقه ، وبلغه ، وناله ، وظفر به ، واحتازه . والنعمة (بكسر النون) : المنة ، والفضل ، والمسرة ، والحالة الحسنة التى يستلذها الإنسان ، وما أنعم به عليك من رزق ومال وغيرهما . والنعمة (بفتح النون) : التنعم ، والتمتّع ، والرفاهة ، وطيب العيش ، وحسنه ، ونضارته ، ورغده . وبناء الأول : بناء الحالة التى يكون عليها الإنسان ، وبناء الثانية : بناء اسم المرّة من الفعل . وأصبت الشىء إصابة : أدركته ، وحصّلته ، وظفرت به . والآداب : جمع الأدب : وهو رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغى . والأدب أيضاً : الجميل الممتع من النظم والنثر .

يتحدث بكثرة ما أدركه وأصابه ، وكان له فى بلاده من نعم ولذّات ، ومتع ومسرّات ، وكثرة ما أنتجه من روائع الشعر والنثر .

(٢٩) « هى » : يريد روضة المقياس ، وديار أهله وأحبابه ، والبلاد المصرية . وألف الإنسان المنزل وغيره (من باب علم) : أنس به ، وأحبه ؛ فالإنسان آلف ، والمنزل مألوف . وصبّ إليه (كقنع) : رقّ ، واشتاق إليه ، وتعلّق به ، فهو صبّ ، وهى صبّة . والصبابة (بفتح الصاد) : رقّة الشوق ، وحرارة الهوى . والأدنى : الأقرب : اسم تفضيل من الدنوّ : بمعنى القرب (والفعل كسما) . ويراد بالمنزل الأدنى : الوطن القريب من القلب ، والذى يملأ المشاعر ، وتطمئن إليه النفس . والنائى : البعيد . و « النفس صبة . . . » : تذييل جار مجرى المثل ، مؤكد لمعنى « الوطن المألوف » .

والبيت فى معنى تعلّق المرء بوطنه ، وحنينه إليه ، وقربه إلى قلبه ، وإن بعدت الدار ، وشطّ المزار .

(٣٠) « حبّذا » و « لا حبّذا » : أسلوبان : الأول للمدح . والثانى للذمّ ؛ فهما كـ « نعم » و « بئس » . ويراد بالدنيا : متعها ومسرّاتها . وفى مقدّمتها أن يكون المرء مجتمع الشمل فى وطنه ، ناعماً بقربه ، مطمئناً فيه . وأدبر الشىء إدباراً : ولّى ، وذهب . وضدّه الإقبال : وهو القدوم . وأقبلت الدنيا عليه : جاءته بخيرها .

أقبلت الدنيا عليه ، فكان سعيداً فى وطنه ، رخىّ البال ، مجتمع الشمل بأهله ؛ فاستأهلت المدح ، وحسن الثناء . ثم أدبرت عنه فشقى ، وأبعد عن أهله ووطنه ؛ فذمّها ، وتبرّم بها .

نَشَدْتُ الْمُنَى عَوْدًا وَقَدْ كُنْتُ بَدْأَةً ... مَطَافَ أُنَاسٍ يَنْشُدُونَ الْأَمَانِيَا[٣١]

فَإِنْ لَمْ أَنَلْ مِنْهَا نَصِيباً ، فَإِنَّنِي ... أَرَى الْيَأْسَ عَنْ بَعْضِ الْمَطَالِبِ كَافِيَا[٣٢]

وَمَاذَا الَّذِي تُجْدِي عَلَيَّ فَضَائِلِي ... إِذَا كُنَّ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مَسَاوِيَا؟[٣٣]

فَلَا اخْضَرَّ سَاقُ الْبَقْلِ إِنْ بِتُّ طَاوِياً ... وَلَا انْهَلَّ مَاءُ الْمُزْنِ إِنْ مِتُّ صَادِيَا[٣٤]

---

(٣١) نشد الضالة ينشدها (من باب نصر) : طلبها، وسأل عنها . والمنى : الأمانىّ والآمال . الواحدة منية (بضم فسكون) . وعوداً : مصدر عاد (من باب قال) : إذا رجع ، وارتدّ . والمراد أنه نشدها فى آخر أمره بعد أن ساءت حاله ، وانقلب أمره . وبدأة ، أو بدءاً : أى فى أول الأمر . والمراد حينما كانت الدنيا مقبلة عليه ، حاضرة بين يديه ، منطاعة له . والمطاف : موضع الطواف : اسم مكان من طاف حوله ، وبه ، وعليه ، وفيه (من باب قال) : إذا حام حوله ، ودار .

يعرض الشاعر فى هذا البيت شطرين متناقضين من تاريخ حياته ؛ فهو فى أول أمره محمود مقصود ، تقصد إليه بالحوائج الرجال ، وتتعلق بساحته ، وتطوف حوله الآمال . وفى آخر أمره أدبرت الدنيا عنه ، فشقى ، وساءت حاله ، وفقد حريته وعزته ، وجعل ينشد المنى ، ويتعلق بالآمال البعيدة المنال .

(٣٢) نال الشىء يناله نيلاً : أصابه ، وظفر به ، وأدركه ، وبلغه . ومنها : أى من المنى المنشودة المشار إليها فى الشطر الأول من البيت السابق . والنصيب : الحظ من كل شىء . واليأس : انقطاع الأمل ، وفقدان الرجاء . وكافياً : مغنياً : اسم فاعل من كفاه الشىء (كرماه) كفاية (بكسر الفاء) : إذا حصل به الاستغناء عن غيره . ويريد ببعض المطالب : الطلبات ، أو الحاجات الميئوس منها .

لم ينل الشاعر شيئاً من أمانيه التى تعلق بها ، وظلّ ينشدها ، ويلحّ فى طلبها ؛ فارتاح لليأس ، قائلاً : إنه قد يكفى اليائس ، ويريحه ، ويغنيه .

(٣٣) الاستفهام فى أول البيت : معناه النفى ؛ ففضائله لا تنفعه ، ولا تجدى عليه . وأجدى الشىء يجدى إجداء : أغنى ونفع . وما يجدى عليك هذا : أى لا ينفعك ، ولا يفيدك . والفضائل : جمع الفضيلة : وهى الدرجة الرفيعة فى حسن الخلق . والفضائل : الأفضال ، والمزايا ، والمحامد ، والمحاسن . وضدّها المساوئ : وهى النقائص ، والمعايب ، والمثالب : جمع مساءة .

يفخر بفضائله ومحامده ، وييأس لأنها لا تكاد تنفعه ، أو تشفع له لدى أعدائه الذين اشتدت عداوتهم له ، حتى رأوا حسناته سيئات ، ومناقبه مناقص وآفات .

(٣٤) ساق الشجرة : جذعها ، وما تقوم به : وهو الجزء الذى بين أصلها ومتشعّب فروعها وأغصانها . والبقل : النبات العشبىّ الذى يتغذّى به الإنسان . أو هو كل نبات اخضرّت به الأرض . وطاو : خمصان جائع : اسم فاعل من طوى (من باب صدى) : أى جاع . وانهلّ المطر انهلالاً : انسكب ، وانصبّ بشدّة . والمزن : السحاب يحمل الماء : جمع مزنة (بضم فسكون) . والصادى : العطشان الذى اشتدّ عطشه . والمصدر الصدى (بوزن الردى) . والفعل صدى يصدى (كرضى يرضى) .

رقم الإيداع

٢٠٠٥/١٤٥٠١

I.S.B.N. 977-01-9778-5



إن القراءة كانت ولاتزال وسوف تبقى، سيدة مصادر المعرفة، ومبعث الإلهام والرؤية الواضحة .. وعلى الرغم من ظهور مصادر حديثة للمعرفة، وبرغم جاذبيتها ومنافستها القوية للقراءة، فإننى مؤمنة بأن الكلمة المكتوبة تظل هى مفتاح التنمية البشرية، والأسلوب الأمثل للتعلُم، فهى وعاء القيم وحافظة التراث، وحاملة المبادئ الكبرى فى تاريخ الجنس البشرى كله.

الثمن ٢٠٠ قرشا